



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل -



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

عنوان المذكرة:

الظواهر الصوتية في سورة المائدة

- دراسة في وظائف الأصوات اللغوية -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

إشراف الأستاذ:

أ.د/ عيسى لحيلح

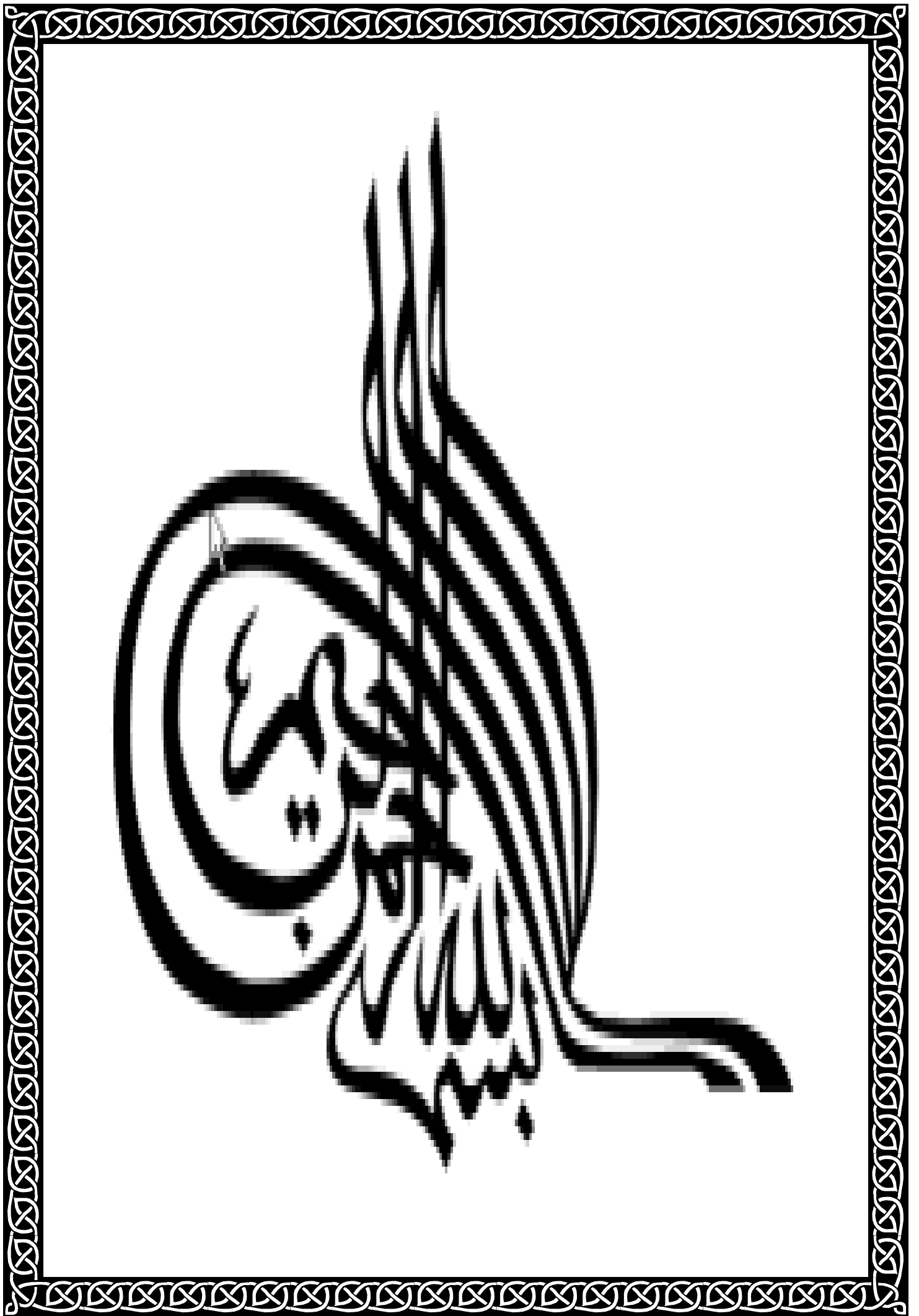
إعداد الطالب:

محمد بولخطوط

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة جيجل	أ.د/ عبد الحميد بوكعباش
مشرفا ومقررا	جامعة جيجل	أ.د/ عيسى لحيلح
عضوا مناقشا	جامعة جيجل	د. مسعودة شكور

السنة الجامعية: 1437/1436هـ
2016/2015م



قال الله تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا
تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ^ط وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا
وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

سورة البقرة/286

دعاء

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا، ولا بالياس
إذا أخفقنا، وذكّرنا أنّ الإخفاق هو التجربة التي تسبق
النجاح...

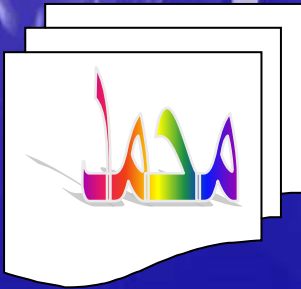
اللهم إذا أعطيتنا نجاحاً فلا تأخذ نواضعنا، وإذا أعطيتنا

نواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا

أمنين يا رب العالمين

الهداء

إلى من منحاني الثقة بالتّمس، وخصّاني
على المصّي قُدّمًا في طلب العلم وتحصيله
إلى أمّي وأبي: حفظهما الله لي، وأدامهما
ورعاهما من كلّ سوء
إلى كلّ عائلي وأهلي، وأساتذتي
وأحبّائي وأصحابي
إلى كلّ هؤلاء، أهدي هذا العمل



شكر

قال الله تعالى: ﴿لَيْنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم/7

وقال الرسول الأكرم (ص): « من لم يشكر الناس لم يشكر الله »

أتقدم بشكري الجزيل إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة، قليلاً أو كثيراً
من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث

وأولهم بعد ابولي عزّ وجلّ والداي الكريمان أطال الله في عمرهما، فلم يفترا عن الدعاء لي
بالتبات، وحسن التحصيل والتوفيق، وتمام التسهيل

إلى جميع أساتذتي الأفاضل بجامعة جيل وعلي رأسهم الأستاذ المشرف:

الدكتور عيسى لحيل، الشاعر والروائي الذي حضيت بكم إشرافه على

سالتني، وتنوير دلي بنصائحه الصائبة، وتوجيهاته السديدة

فكان له الفضل الكبير في متابعة مراحل هذا البحث، والحرص على تحقيقه وإخراجه إلى الوجود

في أجمل حلّة، فله منّي بالغ الشكر والعرفان وخالص الامتنان

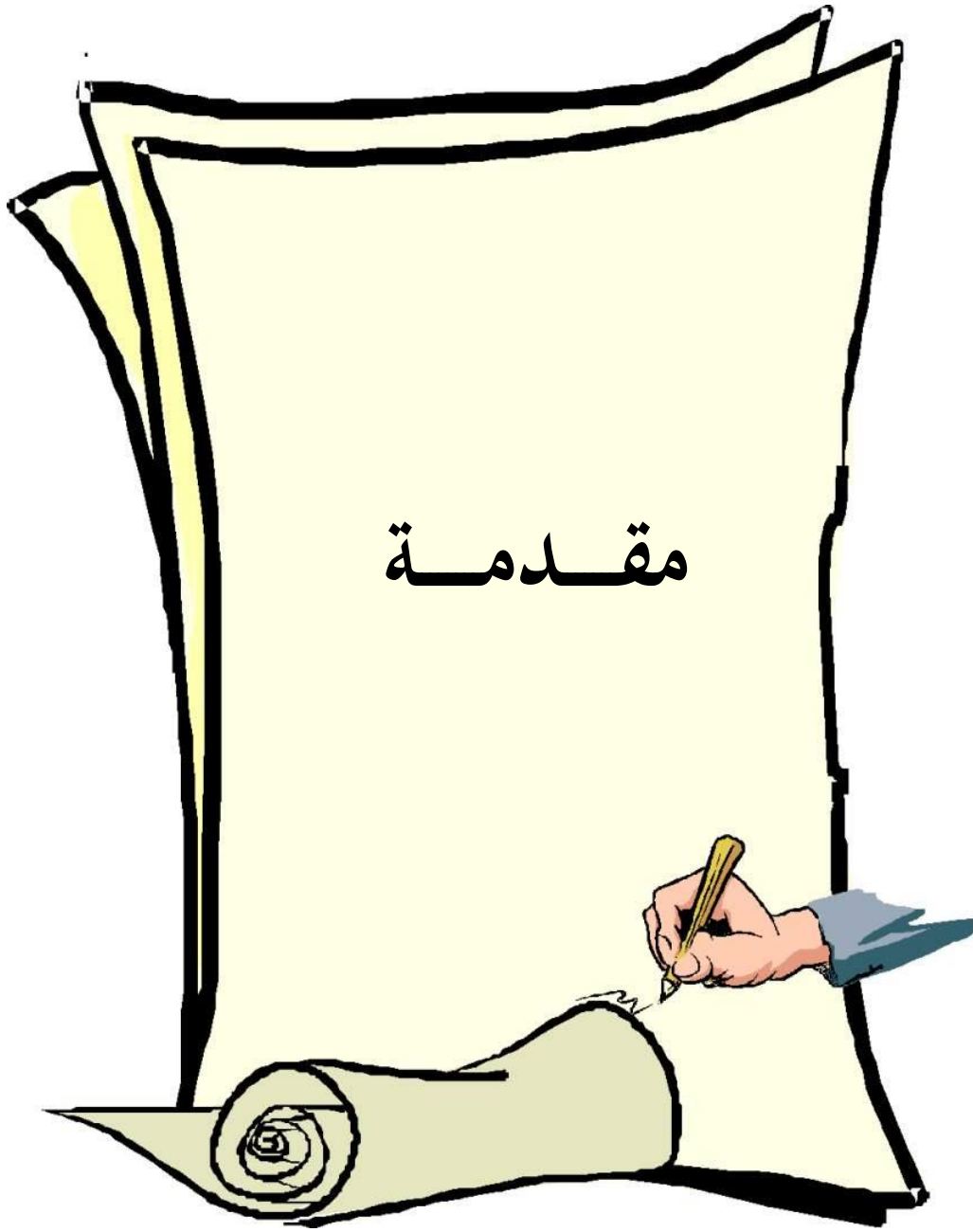
إلى جميع الأساتذة الذين سيشرفون على مناقشة هذا البحث، فلهم منّي تحية تقدير وتمام

احترام

إلى كل عمال مكتبة الجامعة، الذين لم يخلوا عني بالمصادر والمراجع، ما وقد حلّي الكثير من

الجهد والوقت

فلهم منّي كلّ العرفان والامتنان



مقدمة:

إنّ الحمد لله ربّ العالمين، نحمده حمد الحامدين، ونشكره شكر الشاكرين، ونتضرّع إليه تضرّع المتضرّعين، أن يلهمنا الصواب والتوفيق والصلاة والسلام على خير من نطق بالعربية، بلسان عربي مبين، ومن اهتدى بهديه واستنّ بسنته إلى يوم الدين. ربّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي.

انجّمت - في الآونة الأخيرة خاصة - جهود الباحثين والدارسين في العلوم الإنسانية إلى الدراسات العلمية الدقيقة، ولعلّ اللسانيات واحدة من هذه العلوم التي تعنى بدراسة اللغة البشرية (أية لغة)، باعتبارها نظاما يتكون من رموز صوتية اعتباطية يستعملها أفراد الأمة لتبادل الأفكار والمشاعر فيما بينهم؛ دراسة علمية وصفية موضوعية، ونظرا لشبوع مثل هذه الدراسات وتطورها بوتيرة سريعة، فقد كان مجال هذا البحث: اللسانيات العامة وتحديدًا: المستوى الأول من اللغة ألا وهو المستوى الصوتي؛ ذلك أنّ الأصوات هي أصل مادة الكلام وهي الأساس الذي يقوم عليه صرح بناء اللغة، واللغة العربية واحدة من هذه اللغات التي يزخر نظامها بنسيج صوتي متميّز ولاسيما حينما يتعلّق الأمر بالنص القرآني، لأنّ التشريف التي حظيت به هذه اللغة باعتبارها لغة القرآن جعل قدسيّتها من قدسيّته، ومكانتها من مكانته، فكلّ من يؤمن بأنّ القرآن حقيقة خالدة مجبر في المقابل أن يؤمن بأنّ لغته هي الأخرى حقيقة خالدة؛ ذلك أنّ خلودها منوط بخلوده وبقاؤها ببقائه.

يعتبر القرآن الكريم - قياسا على ما سبق - كتاب الله تعالى ومعجزة نبيه الخالدة، فهو بهذا أرقى وأبلغ وأفصح كلام عربي بالإجماع، وإنّه منذ نزوله على النبي الكريم والأمة الإسلامية تولى هذا الكتاب عناية فائقة؛ رواية ودراية. فهناك جهود عظيمة في حفظ نص القرآن من حيث: جمعه وكتابته ونقله بالسند المتواتر، ويوازيه جهد لا يقلّ عنه في نقل صفة قراءته كما قرأه النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، وأقرأه لأصحابه (رض) حتى وصل إلينا غضا طريا كما نزل، وهذا أمر مسلّم به عند جميع المسلمين.

انطلاقا من هذه المسلّمة، يمكن القول عن ثقة ويقين أنّ التوظيف القرآني للعناصر اللغوية هو أفضل توظيف وأصلح استعمال، وذلك على جميع المستويات اللغوية: صوتيا، صرفيا، نحويا، دلاليا وبلاغيا... وقد كانت - وما زالت - جهود العلماء والباحثين تسعى إلى الكشف عن أسرار هذا التوظيف الراقى، وخصائص هذا الاستعمال البليغ، وعلى الرغم من كثرة هذه الجهود وتضافرها في تبيان أسرار الإعجاز القرآني ومظاهره وأوجه بلاغته، إلّا أنّها تبقى غيضا من فيض، باعتبار القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الردّ عليه، ممّا يبقي المجال مفتوحا للبحث في هذه المواضيع والخوض في مثل هذه المسائل.

وانطلاقاً من دقة التوظيف القرآني، وتحديدًا على المستوى الصوتي يقف السامع مندهشاً أمام ذلك التلاؤم الصوتي والتناغم الموسيقي، والإيقاع العذب والمتسلسل للأحرف المناسبة داخل الأذن، الأمر الذي يجعله يحس بعظمة رهيبه داخل هذه المنظومة الصوتية التي تخترق سمعه، ويجد نفسه عاجزاً عن استكناه سر ذلك الجمال والروعة، والحقيقة أنّ معرفة أسرار القرآن على جميع المستويات وبالأخص على المستوى الصوتي إنّما يكون ذلك عن طريق التذوق ومحاولة الإمام بالجوانب الجمالية، والمميزات الخصوصية لهذا المستوى أو ذاك، هذا فضلاً عن الدراسة العلمية الجادة والموضوعية والتي تقوم على أسس واضحة ومعالم بينة، داخل أطر جليّة، ومن هنا حاولت أن يكون بحثي في هذا المستوى - أي المستوى الصوتي - كما أسلفنا ودخل هذا الإطار، فجاءت هذه الدراسة موسومة ب: **الظواهر الصوتية في سورة المائدة - دراسة في وظائف الأصوات اللغوية -**

وتمّ اختيار مصطلح الظواهر دون غيره من المصطلحات الدالة على هذا المفهوم على غرار مصطلح: القضايا الصوتية، أو القوانين الصوتية، أو التنوعات الصوتية، أو التشاكل الصوتي أو السيمات الصوتية، أو الملامح الصوتية وغيرها، لأنه أبلغ مصطلح يمكن أن يعبر عن هذه التغيّرات والتلونات الصوتية التي تلحق الأصوات أثناء سيطرتها وهيمنتها في النص القرآني، ممّا يجعلها أكثر بروزاً وجلاءً من غيرها. وممّا لا شك فيه أنّ هذا التراكم هو الذي يحدّد وظيفة هذه الظواهر (علاقة الصوت بمعناه)، ولأجل ذلك تمّ اختيار مصطلح "وظائف الأصوات اللغوية" لمناسبتها مع طبيعة هذه الدراسة؛ لأنّ الصوت لا يكون لغويًا إلاّ إذا كان ذا دلالة وقيمة معنوية.

إنّ الإشكالية الكبرى التي يطرحها البحث تتمثل في محاولة الكشف عن علاقة الصوت بالمعنى السياقي الذي يقع فيه، ومدى علاقة ذلك بالمقام الذي تُسج فيه النص على اختلاف نوعه. وينبثق عن هذه الإشكالية سلسلة من الفرضيات المسبقة التي أفضت إلى توليد مجموعة من التساؤلات، منها:

- ما هو علم الأصوات؟. وما هي أبرز فروعها الرئيسية والثانوية؟. وهل هناك علاقة مكّملة بينها بحيث يبنى كلّ واحد منها على مباحث الآخر؟. أم هي منفصلة ومستقلة لا يحتاج الواحد منها إلى غيره؟.
- ما هي أبرز العلوم التي يتعالق معها علم الأصوات؟. وما طبيعة هذه العلائق؟.
- ما الفرق بين الحرف والصوت؟. أمهما شيء واحد أم بينهما اختلاف؟. ثمّ إلى أيّ مدى يمكن للصوت أن يتدخل في تغيير الدلالة بمجرد طغيانه على صوت آخر مضاد ومخالف له في مخرجه أو صفتيه أو كلاهما معاً؟.
- ما هي المعايير والمقاييس العلمية التي اتبعتها علماء الأصوات في وصفهم للأصوات العربية وتحديد مخرجها؟. وما هو السرّ في اختلاف القدامى واتّفاق المحدثين في ذلك؟.
- هل يمكن القول: إنّ هذه التوليفة والامتزاج الصوتي في سورة المائدة مثلاً يمثل وجهها من أوجه الإعجاز الصوتي في

القرآن الكريم؟. وهل ثمة علاقة بين الأصوات ودلالاتها في هذه السورة الكريمة؟. وإذا كانت هناك علاقة، أيمن أن نطلق عليها اسم ظاهرة صوتية؟.

• هل توجد في سورة المائدة أنماط لغوية وظواهر صوتية تختص بها، بحيث يبدو للسورة مظهر خاص يميزها عن غيرها؟.

• كيف يساهم الفونيم في إحداث تغير في الدلالة اللغوية على الرغم من كونه أصغر وحدة في اللغة لا تملك لنفسها دلالة؟. ثم هل أنّ الفونيم يقتصر وجوده في الصوامت فقط، أم أنّه يتعدى إلى الصوائت كذلك؟. وما هي أبرز الفروق الجوهرية القائمة بين الفونيمات التركيبية (القطعية) وبين الفونيمات فوق التركيبية (فوق القطعية)؟.

• إذا أقررنا بأنّ الصوت المفرد (سواء أكان صامتاً أم صائتاً) هو فونيم خال من المعنى ولا يمكن أن يؤدي وظيفته إلاّ إذا اتصل به غيره، أمكن لنا أن نتساءل: أيمن أن نعتبر الصفات الصوتية سواء كانت لازمة أم عرضية باعتبارها سمات للصوت المفرد: ظاهرة فونولوجية، أم أنّ هذه الأخيرة تقتصر على الصوت اللغوي (الصامت)، حينما يتصل بصوت لغوي آخر (صامت + صامت) أو بصائت (صامت + صائت) فيؤديان معا وظيفة صوتية؟.

وفي محاولة للإجابة على التساؤلات السابقة وغيرها رُسمت خطة قصد التحكّم الجيّد في مادة البحث وبغرض الوصول إلى أفضل النتائج جاءت مشتملة على: مقدمة ومدخل وخمسة فصول ثمّ خاتمة، مع الإشارة هنا إلى أنّ هذه الدراسة هي دراسة نظرية تطبيقية في الوقت ذاته وسيتمّ فيما يلي تفصيل ذلك:

بعد المقدمة التي أسست من خلالها لموضوع البحث، جاء المدخل المعنون بـ: لمحة تاريخية عن علم الأصوات، وفيه تناولت باختصار الجهود الصوتية عند الهنود ثمّ عند اليونان فالعرب.

ثمّ انتقلت بعدها إلى الفصل الأول حيث كان تمهيدا للبحث جاء تحت عنوان: علم الأصوات وعلاقته بعلمي: القراءات والتجويد - مفاهيم نظرية - اشتمل بدوره على أربعة مباحث؛ فأما المبحث الأول فخصصته لعلم الأصوات حيث جاء مقسما إلى ستة مطالب: الأول لمفهوم هذا العلم وموضوعه، الثاني للفرق بين الصوت وبين الحرف، الثالث لمصدر الصوت ونشأته، الرابع لمختلف المصطلحات المتعلقة بهذا العلم، الخامس لفروع العلم، أما المطلب السادس فكان لأهمية علم الأصوات.

وأما الثاني فكان لعلم القراءات، حيث قُسم هو الآخر إلى ثمانية مطالب: الأول لمفهوم العلم وموضوعه، الثاني لمصدر القراءات ونشأتها، الثالث لأركان القراءة الصحيحة ومراتبها، الرابع لمختلف المصطلحات التي لها علاقة بهذا العلم، الخامس للأحرف السبعة للقرآن، السادس للفرق بين الأحرف وبين القراءات، السابع لأقسام القراءات من حيث اتحاد المعنى وتعدّده، أما المطلب الثامن فكان لعلاقة القراءات بالقرآن الكريم.

في حين تناول المبحث الثالث علم التجويد، حيث قُسم إلى خمسة مطالب: كان الأول منها لمفهوم علم التجويد وموضوعه، الثاني لموضوعات هذا العلم، الثالث لمفهوم اللحن وأقسامه وحكمه، الرابع للفرق بين علم التجويد وبين علم القراءات، أما المطلب الخامس فخصّص للعلاقة بين علم التجويد وبين علمي القراءات والأصوات.

لِيُخْتَم الفصل الأول بالمبحث الرابع، والذي دار الحديث فيه عن مدونة البحث، حيث جاء تحت عنوان: حول سورة المائدة، وقُسم إلى ثلاثة مطالب: الأول لنصّ هذه السورة الكريمة، الثاني كان عبارة عن لمحة عامة حول السورة، أما الثالث فكان للمواضيع التي تضمّنتها هذه السورة.

ليتمّ الانتقال بعدها إلى **الفصل الثاني الموسوم بـ: مخارج الحروف وصفاتها المميزة**، وهو فصل نظري تطبيقي في الوقت ذاته مثله مثل بقية الفصول الآتية، تمّ تقسيمه إلى ثلاثة مباحث: خصّص الأول منها لمخارج الحروف بين القدامى والمحدثين، حيث اشتمل على أربعة مطالب: الأول لمخارج الحروف عند علماء الأصوات القدامى، الثاني لمخارج الحروف عند علماء الأصوات المحدثين، الثالث لأوجه الاتفاق والخلاف بين علماء الأصوات القدامى والمحدثين، أما الرابع فكان عبارة عن مخطّط مختصر لمخارج الحروف في اللغة العربية.

أُردف هذا المبحث بمبحث آخر حمل عنوان: **الصفات العامة والصفات الخاصة للأصوات العربية**، قُسم بدوره إلى مطلبين رئيسيين: الأول منهما جعل للصفات الصوتية اللازمة، تناولت فيه شقين هما: الصفات المتضادة في العربية وهي خمس صفات ضدّ خمس، خُتم هذا الشق بدراسة تطبيقية عامة جاءت تحت عنوان: التراكم الصوتي في سورة المائدة، وعلاقة هذا التراكم بمضمون السورة الكريمة. أما الشق الثاني فعالج: الصفات التي لا ضدّ لها في العربية وهي سبع صفات، اقتصرت الدراسة التطبيقية في هذا الشق على صفة واحدة فقط وهي صفة القلقلة، تمحورت حول عنصرين أساسيين هما: الدراسة الإحصائية للصفة في نصّ السورة، وكذا القلقلة: الأداء والدلالة.

ليأتي بعدها المطلب الثاني المعنون بـ: **الصفات الصوتية العرضية**، تناولت فيه شقين هما: أحكام النون الساكنة والتنوين (الإظهار، الإدغام، الإقلاب والإخفاء)، وأحكام الميم الساكنة (الإخفاء الشفوي، الإدغام الشفوي والإظهار الشفوي)، أتبع الجانب النظري في كلّ حكم من هذه الأحكام بجانب تطبيقي تمحور حول عنصرين أساسيين هما: الدراسة الإحصائية، وكذا علاقة أداء الحكم بدلالته في نصّ سورة المائدة. لِيُخْتَم الفصل الثاني بالمبحث الثالث والذي عُنون بـ: **التوضيح الوصفي للأصوات الصامتة في العربية**، وتناولت في مطلبه الأول: ألقاب الحروف، وفي مطلبه الثاني أوردت جدولاً تفصيلياً عن صفات الحروف ومعرفة أيّها أقوى وأيّها أضعف.

بعدها عرّجت إلى الفصل الثالث الموسوم بـ: **الظواهر التركيبية (القطعية) في اللغة العربية**، وتناولت فيه ثلاثة ظواهر تجمع بينها قواسم مشتركة منها أنّها كلّها ظواهر خاصة بالصوائت قصيرة كانت أم طويلة، حيث أفردت لكلّ ظاهرة مبحثاً فجاء هذا الفصل مقسماً إلى ثلاثة مباحث: الأول لظاهرة المدّ والقصر، والذي اشتمل بدوره على أربعة مطالب: الأول لتعريف المدّ والقصر في اللغة، الثاني لتعريف المدّ والقصر في الاصطلاح، الثالث لأحكام المدّ وأقسامه الرئيسية والفرعية، وملاحق كلّ قسم عند الإمام "ورش". أمّا المطلب الرابع فكان تطبيقياً جاء تحت عنوان: المدّ: الأداء والدلالة.

أُردف هذا المبحث بمبحث ثانٍ حمل عنوان: الفتح والإمالة، اشتمل بدوره على مطلبين رئيسيين: الأول كان للفتح، وتناولت فيه: تعريفه وأقسامه، والثاني للإمالة وتناولت فيه: تعريفها، أنواعها وأقسامها، الغرض والفائدة منها، الفتح والإمالة بين الأصل وبين الفرع، الإمالة من حيث الوجوب والجواز، أسباب الإمالة وموانعها، مقويات الإمالة، القراءة السبع والإمالة، الفرق بين الفتح وبين الإمالة، أحكام الفتح والإمالة عند الإمام "ورش"، ليُختتم هذا المطلب بدراسة تطبيقية حول الإمالة: الأداء والدلالة.

ليأتي المبحث الثالث من هذا الفصل بعنوان: الهمز وأحكامه، والمقسّم أيضاً إلى مطلبين تناول الأول منهما بعض المصطلحات المتعلقة بالهمزة، أمّا الثاني فلأقسام الهمز والتي على أساسها يختلف حكم الهمزة عند الإمام "ورش"، ولأجل ذلك جاء هذا المطلب مقسّم إلى ثلاثة أقسام هي: الهمز المفرد، الهمز المزدوج والهمز المتعدّد.

أمّا **الفصل الرابع** فقد حمل نفس عنوان الفصل الثالث مع فارق واحد وهو اختلاف الظواهر المتناوِّلة في هذا الفصل عنها في الفصل السابق لارتباطها بالصوامت دون الصوائت – مع بعض الاستثناءات – كما هو الحال مع الفصل الثالث، وعلى هذا الأساس جاء هذا الفصل موسوماً بـ: **الظواهر التركيبية (القطعية) في اللغة العربية: الإدغام، التفخيم والترقيق، الوقف والابتداء والإبدال والإعلال**، حُصِّص لكلّ ظاهرة من هذه الظواهر مبحثاً مستقلاً، فكان الأول للإدغام وفيه تناولت: أقسام الإدغام باعتبار التحريك والتسكين في مطلبه الأول، أقسام الإدغام باعتبار السبب في مطلبه الثاني، أحكام الإدغام الصغير بأنواعه الثلاثة (المتماثل، المتجانس والمتقارب) في رواية "ورش" في مطلبه الثالث، أمّا المطلب الرابع فكان تطبيقياً بعنوان: الإدغام المتماثل والمتجانس والمتقارب: الأداء والدلالة.

في حين عالج المبحث الثاني ظاهرة التفخيم والترقيق، والذي قُسم إلى أربعة مطالب: الأول لتعريف التفخيم والترقيق في اللغة والاصطلاح، الثاني لأقسام الحروف العربية بالنظر إليها من حيث التفخيم والترقيق، الثالث لأحكام التفخيم والترقيق عند الإمام "ورش"، والذي قسمته بدوره إلى ثلاثة أقسام هي: حالات الألف اللينة من



حيث تفخيمها وترقيقها، حالات تفخيم الراء واللام وترقيقهما وحالات تفخيم غنة الإخفاء وترقيقها، أما المطلب الرابع فكان تطبيقيا حمل عنوان: التفخيم والترقيق: الأداء والدلالة.

أُردف المبحث الثاني بمبحث ثالث تناول ظاهرة الوقف والابتداء، حيث قُسم إلى ثلاثة مطالب: خُصص الأول للوقف وفيه تناولت أنواع هذا الأخير باختلاف معايير النظر إليه، وموضعها في سورة المائدة، ثم الغرض من الوقف، أما المطلب الثاني فقد كان للابتداء وفيه تناولت تعريف الابتداء وأنواعه، في حين تناول المطلب الثالث أهمية الوقف والابتداء، ليُختتم هذا الفصل بالمبحث الرابع وفيه عالجت ظاهرة الإبدال والإعلال؛ أفردت للإبدال مطلباً مستقلاً تناولت فيه: تعريفه، أحرفه، شرطه، الأصل والفرع فيه، أنواعه، غايته وموطنه في سورة المائدة، وللإعلال مطلباً آخر تناولت فيه: تعريفه، أحرفه، أنواعه وموطنه في السورة الكريمة، وأخيراً علاقة الإعلال بالإبدال.

ثم انتقلت بعدها إلى الفصل الخامس الموسوم بـ: الظواهر فوق التركيبية (فوق القطعية) في اللغة العربية: المقطع الصوتي، النبر والتنغيم، حيث خُصص لكل ظاهرة من هذه الظواهر الثلاث مبحثاً كان الأول للمقطع الصوتي، اشتمل على خمسة مطالب: الأول لمناقشة مختلف التعريفات التي وُضعت له، الثاني لمكوناته، الثالث لأشكال المقطع في اللغة العربية، الرابع للخصائص العامة للمقطع في اللغة العربية، أما المطلب الخامس فكان لأهمية دراسة المقطع وقيّمته في مختلف الميادين.

أُردف هذا المبحث بمبحث ثانٍ: خُصص للنبر تضمّن تسعة مطالب: الأول لمختلف تعريفاته، الثاني لأنواعه الثالث لمستوياته ودرجاته، الرابع لعلاقته بالمقطع الصوتي، الخامس لإشكالية النبر من حيث وجوده أو عدمه في اللغة العربية، السادس لفونيمية النبر في النظام اللغوي العربي، السابع لشروطه في اللغة العربية، الثامن لقواعد النبر في اللغة العربية، أما التاسع فلمشاكل تطبيق النبر.

وأما المبحث الثالث فكان للتنغيم، حيث اشتمل على سبعة مطالب: الأول لتعريفه، الثاني لعلاقاته، الثالث لأنواعه، الرابع لخصائصه، الخامس لأهميته، السادس لوظائفه، أما السابع لفونيمية التنغيم في النظام اللغوي العربي.

ليُختتم هذا الفصل بمبحث رابع وهو مبحث تطبيقي موسوم بـ: الدراسة التطبيقية للظواهر فوق التركيبية في سورة المائدة: الأداء والدلالة، عالجت فيه تسع آيات من سورة المائدة، خصّصت لكل آية مطلباً وتناولت فيها - في أغلبها - ثلاثة عناصر أساسية هي: المقارنة الصوتية للمقطع الصوتي (التقطيع الصوتي لنص الآية + الدلالة الصوتية للمقطع الصوتي)، الأثر الصوتي للنبر في الآية (موضع النبر + الدلالة الصوتية للنبر)، الدراسة

التنغيمية لمقاطع الآية الكريمة (أنواع النعمة وعلاقة ذلك بمضمون الآية).

أما الخاتمة فرصدت فيها أبرز النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

وطبيعة الدراسة تستدعي الاعتماد في مقاربتها على المنهج الوصفي الإحصائي، ومحاولين الوصول من خلال الوصف والإحصاء الدقيق للأصوات إلى علاقة الصوت اللغوي بدلالته اللغوية داخل النص القرآني، ومدى علاقة هذا الارتباط بموضوع النص.

إنّ مثل هذه الدراسة هي في الحقيقة خدمة للقرآن الكريم قبل أن تكون خدمة للغة العربية؛ لأنّه سبب بقائها وخلودها وخاصة في هذا العصر التي تواجه فيه لغة القرآن أشدّ التحديات وأقوى المواجهات، فتقديم مثل هذه الدراسات الهادفة من شأنها أن تساهم في الحفاظ على العربية والدفاع عنها، وما يحدّد أهمية هذه الدراسة كذلك أنّه لا يمكن لأيّ دارس أن يخوض غمار دراسة أيّة لغة من اللغات، دراسة علمية دقيقة دون اللجوء إلى الدراسة الصوتية، كما لا يجب أن نغفل دور الدراسة الصوتية في إمطة الثام عن المعنى، ولا يمكننا أن نتصوّر دراسة دلالية دون الاعتماد على الدراسة الصوتية، فهي خير معين للدراسة الدلالية ولعلّ أفضل دليل على ذلك: الفونيم، المقطع الصوتي، النبر والتنغيم إلى غير ذلك، كما تأتي أهمية البحث كذلك ممّا قدّمه - في حدود اطلاعي - من إضاءات جديدة، يثري بها علم الأصوات من جهة، وتحليل النص الصوتي من جهة أخرى كتبريره لقوة الملمح التمييزي أو ضعفه من الناحية العلمية، ولعلّ هذه الأهمية التي يتمتّع بها هذا الموضوع تعتبر من الدوافع الرئيسية التي حفّزني للحوض في مثل هذه الدراسات.

بناء على ما سبق ذكره فقد وقع اختياري على هذا الموضوع استناداً إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

فأمّا عن **الدوافع الذاتية**: ففي مقدمتها الدافع الإيماني الديني والذي يعتبر المحفز والموجه الأول للإنسان في سلوكه وأعماله، ومن الدوافع الذاتية كذلك التي حفّزني على اختيار هذا الموضوع ودراسته: الفضول العلمي وحبّ البحث والرغبة في تناول مثل هذه المواضيع التي تجمع بين الدراسات الصوتية والقرآنية، فضلاً عن شغفي بتتبع الجوانب العلمية الدقيقة في مجال الدرس اللغوي، وخاصة تلك التي تتعلق بالأصوات، ومن خلال مطالعاتي الخاصة وجدت في ثنايا العديد من الكتب مباحث متنوعة عن هذا النمط من الدراسة.

وأما عن **الدوافع الموضوعية** فهي كثيرة ومتنوعة نذكر منها:

(1) رغبتني في إثراء المكتبة الجزائرية بمثل هذه الدراسات التي تجمع بين القرآن وبين الأصوات.

(2) قلّة الدراسات المتعلقة بالمستوى الصوتي على وجه الخصوص؛ فمن خلال التنقيب في مجموعة من الدراسات

اللغوية وخاصة تلك التي تتعلق باللغة العربية، وجدت جلّ البحث والتأليف فيها منصبا على الجوانب الصرفية أو النحوية أو الدلالية وأقله في الجانب الصوتي للغة، الأمر الذي جعله في حاجة إلى المزيد من الدراسة والبحث، إذ لا تزال الكثير من قضاياها غامضة مجهولة ونحن في أمسّ الحاجة إلى تفسيرها وتحليلها، ممّا يدعو إلى الاهتمام أكثر بدراسة الصوتيات لأجل خدمة هذا الجانب المهم من دراسة اللغة.

3) معالجة أهمّ قضايا علم الأصوات المتصلة باللغة العربية بأسلوب سهل واضح وموجز.

4) قلّة اهتمام الباحثين بالظواهر الصوتية الموجودة في القرآن الكريم وذلك حسب اطلاعي.

5) أمّا عن سبب اختيار سورة المائدة موضوعا للدراسة، فلا يمكن أحد أن ينكر حقيقة تساوي سور القرآن الكريم من حيث إعجازها وبيائها، فكلّ جملة أو كلمة أو حرف في القرآن الكريم يكمن وراءه الكثير من الإعجاز على جميع الجوانب والمستويات: الصوت، الصرف، النحو، الدلالة والمعجم، البلاغة (البيان)،... لذا لا يستطيع أحد القول إنّ سورة تتميز عن سورة أخرى، فكلّها تتماثل في كونها كلام البارئ عزّ وجلّ، ولكن ومع ذلك وقع اختياري على سورة المائدة تحديدا دون غيرها من السور لكونها قد اشتملت على تنوع وتعدد في الظواهر الصوتية، وإن تفاوتت فيما بينها كمّا وهذا حسب ما اطلّعت عليه.

وقد قمت بربط الظواهر الصوتية في سورة المائدة برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق لما لها من خصوصية تجعلها تختلف عن غيرها في جوانب محددة، وكذلك لما لعلم القراءات من صلة وثيقة بعلم الأصوات، هذا إن لم نقل إنّ الدافع الأصل لعلمائنا الأوائل في دراسة الأصوات هو خدمة القرآن وقراءاته. بحكم أنّه لا بدّ لكلّ بحث من منطلق وغاية وأهداف تتحقق من خلال ذلك، فإنّ هذا البحث يهدف قبل كلّ شيء إلى خدمة الجانب الصوتي من اللغة العربية وإثرائه، وبيان ما تفرّدت به اللغة العربية عن غيرها من اللغات الأخرى في هذا الجانب، الذي طالما عُيِّب بحثا وتأليفا إذا ما قارناه مع بقية المستويات اللغوية الأخرى، هذا فضلا على معالجة أهمّ قضايا علم الأصوات المتصلة باللغة العربية بأسلوب سهل واضح وموجز، وهذا ما نهدف إليه في بحثنا وننوصمه فيه.

ويجدد بي أن أصرّح أنّي لست أول الباحثين الذين يخوضون غمار مثل هذه المواضيع العلمية، وإنّما سبقني إليها الكثير من الدارسين فكان لزاما عليّ ها هنا أن أعُدّ بعض عناوين هذه البحوث، التي اطلّعت عليها والتي كانت لي خير معين في إنجاز هذا البحث، ومنها على سبيل الذكر لا الحصر، نذكر:

- دور التنغيم في إبراز دلالات القرآن لإبراهيم عبد الرزاق عبد السلام (رسالة ماجستير).

- النظام المقطعي ودلالته في سورة البقرة دراسة صوتية وصفية تحليلية لعادل عبد الرحمن عبد الله إبراهيم (رسالة ماجستير).

- الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته (جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجاً) - دراسة لغوية دلالية - ليوسف عمر لعساكر (رسالة ماجستير).

- دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم لخالد قاسم بني دومي.

- إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة لمحمد شملول.

وغيرها من الدراسات السابقة.

وبما أنّ كلّ بحث لا يمكن أن يكون خالٍ من متاعب وصعوبات تواجه الباحث أثناء عملية البحث، وتكون عقبة أمام السيرورة الطبيعية له، جاز لنا أن نذكر بعض هذه العراقيل والصعوبات:

- أبرزها: طبيعة الموضوع، فهو موضوع واسع مترامي الأطراف ذو محاور ومجالات متعدّدة يتطلب جهداً كبيراً ووقتها طويلاً لذلك اضطررت لتحديد البحث، واقتصاره على محاور معينة، كما حاولت من خلال الدراسة الانتقائية تقليص مادة البحث، وذلك من خلال اختيار نماذج معينة أسفّرت عليها النتائج الإحصائية التي قمت بها. فضلاً عن طبيعة المدونة والمتمثلة في القرآن الكريم؛ ذلك أنّ التعامل مع هذه المدونة - في الحقيقة - يحتاج إلى الكثير من الحيلة والحذر حتى لا يقع الإنسان في الخطأ والتحريف، يضاف إلى ذلك صعوبة التعامل مع القرآن الكريم وقراءته، خصوصاً إذا كان فيه تعارض مع بعض النصوص والروايات الثابتة.

- قلة المراجع التي تدرس قضية "علاقة الصوت بالمعنى" بغرض الكشف عن الدلالة الصوتية.

- صعوبة الحصول على المصحف الإلكتروني بصيغة Word المكتوب برواية "ورش"، فلم يبق أمامي إلاّ استعمال المصحف المكتوب بالخط المغربي بالعدّ الحجازي، والذي تعذّر عني الحصول عليه هو الآخر إلاّ بشقّ الأنفس.

وأملّي في الأخير أن تكون هذه الدراسة منطلقاً لدراسات أخرى تُعني وتُثري موضوع الصوتيات بصفة عامة، ووظيفة الصوت داخل النص القرآني بصفة خاصة.

وفي الختام أودّ أن أوجّه مرّة أخرى خالص الشكر والامتنان للأستاذ المشرف "عيسى لحيلج" على ما بذله من مجهودات، وعلى ما أسداه من توجيهات رشيدة ونصائح قيّمة، كان من ثمارها هذا العمل، كما أوجّه كلّ عرفاني إلى جميع الأساتذة الكرام الذين لم ييخلوا في إنارة طريق البحث أمامي، فلهم الفضل بعد توفيق المولى عزّ وجلّ لي في بلوغ هذه المرتبة، هذا ونسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى الإحلاص في القصد والسداد في القول والرشاد

في العمل هو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مدخل:

لمحة تاريخية عن علم الأصوات

1. الدراسة الصوتية عند الهنود
2. الدراسة الصوتية عند اليونان
3. الدراسة الصوتية عند العرب



مدخل: لمحة تاريخية عن علم الأصوات:

حظيت دراسة الصوت اللغوي عند الكثير من الأمم السابقة بقدر كبير من التأمل والنظر، وإن كان ذلك بشكل بسيط في بعض أبعاده، وفي بعض أحيانته إلا أننا لا يمكن أن ننقص من قدره، أو نعتبره من البديهيات في حياتنا.

إنّ من المسلّم به أنّ الصوت الواعي كان سببا في اختراع الحرف، حيث أنّه لما أدرك الإنسان: أنّ الصوت بإمكانه أن يكون حاملا لمعنى متممًا بالدلالة، أراد أن يجعل له قالبا يحويه فأوجد الحرف ومن تمّ كانت الكلمة واللغة، ثمّ إنّ التأمل في هذه الأخيرة هو الذي أدّى إلى اختراع الكتابة، فها هم الفينيقيون مثلا قد اخترعوا أبجدية حاولوا أن يمثّلوا بها أصوات لغتهم، وكانت تلك نقلة هائلة في تاريخ اللغات الإنسانية؛ فقد أصبح الحرف يمثّل «صوتا واحدا بعد أن كانت الكتابة رسوما كما في الهيروغليفية، أو أشكالا كما في السومرية والآكادية، وأسهمت الأمم العريقة في الحضارة إسهاما جيّدا في الدراسة الصوتية؛ فقد وصف علماءهم أصوات لغاتهم وصفا دقيقا من حيث المخارج والهيئات المختلفة للصوت الواحد»⁽¹⁾.

إذن فقد اشتغل اللغويون - منذ القديم - بالصوت اللغوي، ولعلّ البداية الأولى لهذا الاهتمام كانت من خلال محاولة تجسيد الإنسان للكلام في صور نطقية وكتابتية، وأهمّ الجهود التي عنيت بدراسة الصوت اللغوي كانت لدى الهنود واليونان والعرب، وقد صنّف كلّ قوم من هذه الأقوام أصوات لغتهم حسب "موضع النطق" أو "المخارج"، وسيأتي التفصيل في ذلك كما يلي:

1 - الدراسة الصوتية عند الهنود:

يجمع الباحثون أنّ الهنود - ومعهم العرب - كانوا من أقدم الشعوب، التي ظهر في تراثها - في وقت مبكر من تاريخها - بحث علمي منظم في المجال الصوتي. وفي هذا الصدد يقول المستشرق واللغوي الألماني "برجشتراسر": «ولم يسبق الغربيين في هذا العلم؛ أي علم الأصوات، إلا قومان من أقوام الشرق وهما: أهل الهند يعني البراهمة والعرب»⁽²⁾.

يتّضح جليًا من خلال هذا القول: أنّ العرب والهنود هم أسبق الأقوام اشتغالا بالأصوات من خلال الوقوف على مخارجها، وبيان صفاتها المميّزة ووصف ذلك وصفا علميا وموضوعيا دقيقا.

(1) - سمير شريف إستيتية: اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1425هـ / 2005م ص17.

(2) - برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1414هـ / 1994م، ص 11.

لقد اهتمّ الهنود بدراسة كتابهم المقدّس "الفيدا" - شأن العرب تماما - الأمر الذي دفعهم إلى وصف لغتهم وصفا دقيقا لاسيما من الناحية الصوتية؛ فلقد كان "براهمن بانيني" من علمائهم البارزين الذين وصفوا أصوات اللغة السنسكريتية من حيث مخارجها وهيئاتها النطقية، وكان الهدف من ذلك أن يقف المتعلّمون على الطريقة الصحيحة في نطق الأصوات عند قراءة كتابهم المقدّس "الفيدا" المكتوب باللغة السنسكريتية القديمة، والتي كانت صلة الهنود بها - في زمن "بانيني" - قد أوشكت على الانقطاع، وعلى الرغم من أنّ النظام الكتابي في تلك اللغة ذو سمّ مقطعي، فإنّ هذا لم يمنع "بانيني" من وصف كلّ صوت بمعزل عن مقطعه؛ وصفا صحيحا من حيث: المخرج وصفاته النطقية الأخرى⁽¹⁾.

يُفهم من خلال هذا الكلام أنّ غرض الهنود في دراستهم الصوتية هو غرض ديني لغوي؛ فالديني من خلال الاهتمام بدراسة كتابهم المقدّس، والحرص على ضبط نصوصه وقراءته قراءة صحيحة خالية من التصحيف والتحريف، وأمّا اللغوي فيتجلّى ذلك من خلال محاولة الإبقاء على اللغة السنسكريتية المقدّسة والحفاظ عليها. لقد تحدّث الهنود عن كيفية تسرب الهواء إلى التجويف الحنجري، حيث ذكروا في باب تصنيف الأصوات إلى مهموسة ومجهورة: أنّ الأولى تنتج حينما يكون الوتران الصوتيان في النطق بالصوت متباعدين، بحيث يكون لهذا التباعد دخل في عدم تذبذب الوترين الصوتيين، أو تذبذبهما تذبذبا ضئيلا، بينما الأخرى تحدث حينما يكون هناك تقارب بين الوترين الصوتيين، بحيث يتذبذبان من خلال مرور الهواء عبرهما محدثان نغمة موسيقية، كما صنّفوا الأصوات إلى صامته وصائتة، وقسموا الصوامت إلى "مغلقة" و"أشباه صائتة" و"ضيقّة"، وقد أقاموا هذا التقسيم على أساس صوتي: هو درجة تقارب أعضاء النطق عند نطق أصوات كل قسم من هذه الأقسام⁽²⁾.

على هذا الأساس تكون الدراسة الصوتية الهندية قد قامت على أسس وصفية فسيولوجية، مبنية على فحص وظائف أعضاء النطق وعلى تحديد مواضعها بالنسبة لكلّ صوت، وعلى درجة اتصالها شأنها في ذلك شأن الدراسة الصوتية عند العرب، كما سيتمّ الإشارة إليها لاحقا، وهذا طبعاً بخلاف الدراسات اليونانية التي انبنت على ملاحظة الآثار السمعية للأصوات، وعلى أسس منطقية صرفة.

2 - الدراسة الصوتية عند اليونان:

لم يكن الإغريق أقلّ اهتماما بأصوات لغتهم، وهم الذين تأثروا بالطريقة الفينيقية في جعل الحرف ممثلا لصوت واحد، على نحو ما صار وما زال معروفا في النظام الأبجدي لمعظم لغات العالم، وقد نقل الإغريق هذا

(1) - ينظر: سمير شريف إستيتية: اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، ص 17.

(2) - ينظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دس، صص 88، 91.

النظام إلى لغتهم ومن تمّ أخذ عنهم الأوروبيون فكرة كتابة اللاتينية بالحروف الممثلة لأصوات تلك اللغة، غير أنّ عناية اليونان بالصوت من حيث طريقة نطقه الصحيحة كانت واضحة عند الخطباء، ومن كانوا يتعلّمون الخطابة وكانت دراسة الأصوات والحروف من أهمّ ما يقف عليه المتعلّمون، بل إنّ الفلاسفة الإغريق كانوا يجعلون تعلّم الأصوات ركيزة أساسية من ركائز تعلّم الفلسفة مثلما هي أساس من أسس تعلّم اللغة⁽¹⁾.

إنّ المادة الصوتية الماثورة عن اليونان نجدها في أقوال متناثرة في محاورات "أفلاطون"، وفي "الشعر" و"الخطابة" لـ"أرسطو"، ونجد أكثرها في كتابات أهل النحو منهم: "ديونيزيوس ثراكس"، "ديونيزيس هاليكارناسوس"... ولما كان اليونان فلاسفة أكثر من كونهم علماء دين، فقد كانت نظرتهم «ميتافيزيقية شيئاً ما، ولأجل ذلك اتجهت الدراسة الصوتية عندهم إلى ربط السبب بالمسبب، فلقد تساءلوا عن ماهية اللغة وعن أصلها وعن ماهية الكلمة، وتساءلوا: هل هناك علاقة طبيعية وضرورية بين الكلمة وبين الشيء الذي ترمز إليه؟. أتعلّق المعاني بالكلمة تعلقاً بالطبع أم تعلقاً بالاصطلاح»⁽²⁾.

إذن فقد اتجهت الدراسات اللغوية عند اليونان إلى الجانب الدلالي أكثر منه إلى الجانب الصوتي، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال اهتمامهم بعلاقة اللفظ بالمعنى؛ أي علاقة حتمية طبيعية؟. أم أنّها اعتبارية قائمة أساساً على التوافق والاصطلاح والاتفاق؟.

ولكن هذا لا يعني أنّ اشتغال اليونان بالدراسات الدلالية انتفاء اهتمامهم بالدرس الصوتي، فقد اعتنى اليونانيون بالجوانب الصوتية للغتهم «وإن لم تتسم في بعض جوانبها بالعمق وبعد الغور عن قواعد اللغة والتأويل والنطق، إلا أنّها أمّاطت اللثام عن بعض الظواهر المقطعية في لغتهم، التي كشفوها إلى الفلاسفة السفسطائيين فكانت غداهم الذي قدموه على مائدة الظواهر النطقية والوظائفية»⁽³⁾.

لم يتفطنّ اليونان إلى تقسيم أصوات لغتهم إلى القسمين الرئيسيين وهما: "الأصوات المهموسة" و"الأصوات المجهورة"، كما فطن إلى ذلك الهنود والعرب، غير أنّهم مثلهم حينما أدركوا تصنيف الأصوات إلى (صامتة وأخرى صائتة)، لكنهم اختلفوا مع الهنود في تقسيمهم للصوامت، وذلك حينما جعلوها في قسمين هما: «أشباه صائتة ومغلقة، واعتبروا "أشباه الصائتة" متوسطة بين "الصوائت" و"المغلقة" على أساس أنّ "أشباه الصائتة" وإن لم تكوّن

(1) - ينظر: سمير شريف إستيتية: اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، ص18.

(2) - عمّار ساسي: المدخل إلى الصوتيات تاريخياً جهود متعاقبة عبر العصور من الفرعونية إلى العصر الحديث، إصدارات مخر اللغة العربية وآدابها كلية الآداب واللغات، جامعة سعد دحلب - قطب العفرون - البليلة، الجزائر، دط، 1434هـ/ 2013م، ص65.

(3) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1418هـ/ 1998م، ص15.

مقطعا دون الاستعانة بصائت إلا أنّها على الأقل يمكن أن تنطق وحدها»⁽¹⁾.

لقد كان الرومان تلامذة لليونان في الدراسات اللغوية، فقد قلّدوهم في أكثر المسائل الفكرية والثقافية حيث نجد جانبا كبيرا من المادة الصوتية المأثورة عندهم في كتابات نحوييهم مثل: "بريسكيان"، "ترنتيانوس"، "ماوروس" و"فيكتورينوس"،... ولم يبلغ الرومان من الدقة في وصف لغتهم ما بلغه اليونان في وصف اليونانية، بل ما بلغه الهنود في وصف السنسكريتية⁽²⁾.

هذا ويلاحظ على الآراء الصوتية لقدماء اليونان والرومان - كما أسلفنا - أنّها تقوم في جملتها على ملاحظات الآثار السمعية التي تتركها الأصوات في الأذن، وهي بهذا تختلف عن الآراء الصوتية لقدماء الهنود والعرب الذين أدركوا الأسس الفسيولوجية في تكوين الأصوات المختلفة.

3 - الدراسة الصوتية عند العرب:

اعتمدت الدراسات الصوتية العربية الأولى على ملاحظات العرب التي اتّسمت بالمباشرة والملاحظة الذاتية، القائمة على جدارة ومكانة الفكر العربي الإسلامي، وبرز من هؤلاء الأفداد علماء استطاعوا بما امتلكوا من القوة والتمكّن والوضوح والحيوية، أن يمدّوا جسور التواصل ويحكّموا النسج ويسجّلوا الريادة في الحدق والمهارة، وهم يقدمون جهودهم البحثية ورؤاهم التحليلية خدمة للغة التنزيل التي شرفها الله به، فكان قطبها ومحورها المركزي الذي دارت حوله رحى الدراسات.

إذن فقد اهتمّ العرب الأوائل بالصوت أيّما اهتمام، حيث جذب انتباههم إليه ممّا دعاهم إلى دراسته ووصفه معتمدين في ذلك التجربة باللسان والأذن، لا على المعامل والمخابر والأجهزة كما هو الحال عند علماء الأصوات الحديثين. وعلى هذا الأساس فإنّ السبب الرئيسي الذي أثار اهتمام العرب بلغتهم وأصواتها على نحو خاص - شأنهم في ذلك شأن الهنود - هو إحساسهم بضرورة الحفاظ على القرآن الكريم ولغته من التحريف والتغيير، حيث عملوا في «جهد لا يعرف الملل على إتقان النطق بأصوات هذه اللغة، وبالأخص عندما انتشر الإسلام في بقاع الأرض المختلفة، وطرقت أسماع العرب أصوات اللغات الأخرى، فخشي العلماء أن تنحرف أصوات العربية عن سميتها الصحيح نتيجة تأثرها بأصوات تلك اللغات، فلم يكد القرن الثاني الهجري يبدأ حتى قام من بين علماء العرب من يصف مخارج اللغة العربية وصفا دقيقا، ويتحدث عن صفات تلك الحروف وأصواتها

(1) - ينظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، صص 88، 91.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص 88 وأيضاً: ص 323.

حديثاً ينبغي عن رهافة في الحسّ، وشفافية في التعبير»⁽¹⁾.

وقد حقّق العرب في ميدان الدرس الصوتي إنجازات مبكرة، تمثّلت في أمور كثيرة من أهمّها⁽²⁾:

- 1 - وضع ألف بائية صوتية للغة العربية.
- 2 - تصنيف الأصوات العربية إلى فئات مختلفة وفقاً لمعايير خاصة وضعوها، كتقسيم الأصوات إلى صحيحة ومعتّلة، مجهورة ومهموسة، شديدة(انفجارية) ورخوة(احتكاكية)، مستعلية(مفخّمة) ومستغلة(مرققة)... الخ.
- 3 - وضع قواعد وقيود على نوعية الأصوات التي تجيزها قواعد بناء الكلمة العربية، من حيث عددها ونوعها وكيفية ترتيبها.
- 4 - محاولة الربط بين مستويي الصوت والدلالة في حدود البنى الصرفية.
- 5 - دراسة الجهاز النطقي عند الإنسان، وتقسيمه إلى مدارج ومخارج وأحياز، ثمّ نسبة كلّ صوت أو مجموعة صوتية إلى المخرج الذي تنتمي إليه.
- 6 - مقارنة بعض الأصوات العربية بأصوات اللغة الفارسية.

وقبل الخوض في جهود العرب في مجال الدرس اللغوي، وتحديدًا على المستوى الصوتي، لابدّ من الإشارة في البداية إلى أنّ تصنيف العرب للأصوات العربية فيه تشابه كبير بتصنيف الهنود لأصوات لغتهم، ممّا يعني هذا أنّ التصنيف الهندي أقدم وأسبق من التصنيف العربي، وهذا ما ذهب إليه "محمود السعران" في كتابه "علم اللغة" حيث يقول: «وثمة تشابه كبير بين تصنيف الهنود لأصوات السنسكريتية حسب المخارج، وبين تصنيف العرب للأصوات العربية على هذا الأساس، ومعروف أنّ التصنيف الهندي أقدم كثيراً من التصنيف العربي، ومن مظاهر التشابه أنّ الهنود يرتبون الأصوات ابتداءً من أقصاها في الحلق إلى الشفتين، ثمّ يذكرون الأصوات الأنفية، وهذا الترتيب هو الذي نجده عند "الخليل بن أحمد الفراهيدي" وعند "سيبويه"، وهو الذي سار عليه المؤلفون العرب من بعد»⁽³⁾.

إذن فالهنود يرتبون الأصوات ابتداءً من أقصاها في الحلق وينتهون عند حروف الشفّاء، وهو نفس الترتيب الذي اختاره "الخليل" (ت175هـ) حيث بدأ بحروف الحلق الأَدْخَل منها فالأَدْخَل، وكان أقصاها مخرجا - عنده -

(1) - عالية محمود حسن ياسين: الدرس الصوتي في التراث البلاغي العربي حتّى نهاية القرن الخامس الهجري، إشراف: محمد جواد النوري، رسالة مقدّمة

مكتملة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، الأردن، السنة الجامعية: 1424هـ/2003م، ص 3.

(2) - المرجع نفسه، صص 3، 4.

(3) - محمود السعران: علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، ص 90.

"العين" وانتهى عند حروف الشفتين، وجعل لحروف الجوف حيزًا منفردًا وسماها بالأصوات الهوائية، وسيتمّ التفصيل في ذلك فيما سيأتي من هذا البحث إن شاء الله تعالى. وهو نفس الترتيب الذي سار عليه تلميذه "سيويه" (ت180هـ) ومن جاء بعدهما من العلماء مع بعض التفصيل والتدقيق.

ولئن كان "محمود السعران" قد تحدّث عن مواطن الاتفاق بين التصنيفين الهندي والعربي، فإنّ "كوليزار كاكل عزيز" من جهتها قد سلّطت الضوء على أوجه التباين القائمة بينهما، علما أنّها لا تنكر نقاط التشابه المذكورة سلفًا، وفي ذلك تقول: «وإن كان هناك أوجه شبه بين دراسات العرب الصوتية، ودراسات الهنود في المجال نفسه، فإنّ الاختلاف بينهم شديد في نقاط كثيرة ومنها: أنّ حروف الهجاء عند الهنود واحد وخمسون حرفًا، وفي العربية تسعة وعشرون حرفًا، ولا نجد في دراسات العرب الصوتية اهتمامًا كبيرًا بالتقسيم المقطعي والعكس نلاحظه في دراسات الكتب النحوية والصرفية، فكانت دراسة الأصوات عند العرب دراسة تابعة أو ثانوية، وكانت أقلّ أهمية قياسًا بالهنود»⁽¹⁾.

أما إذا أردنا أن نؤرّخ لبداية الدرس الصوتي عند العرب فإننا نلغيها تعود إلى "أبي الأسود الدؤلي" (ت69هـ) حيث تشير أغلب الروايات أنّه كان يقول لكاتبه: «إذا رأيته قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف»⁽²⁾.

فمن خلال هذا الكلام يمكن القول: إنّ "أبا الأسود الدؤلي" قد اكتشف عن طريق ملاحظة حركة الشفتين: الحركات الثلاث، أو ما يطلق عليه تسمية "الصوائت" في النظام الصوتي للغة العربية.

بيد أنّ هناك روايات تنسب هذه الحادثة إلى الإمام "علي" (كرم الله وجهه)؛ الذي أمر تلميذه "أبا الأسود" بوضع قواعد تضبط اللغة، وتقيها من الفساد والتحريف؛ لما رآه من تفشي اللحن على ألسنة الناس قريتهم وبعيدهم بسبب مجاورتهم للعجم. نقل صاحب كتاب "تأسيس الشيعة" أنّ الشيخ: "أبو الحسن سلامة الشامي النحوي" قال: «إنّ عليًا دخل عليه أبو الأسود يوما، قال: فرأيتك مفكرًا، فقلت له: مالي أراك مفكرًا يا أمير المؤمنين؟ قال: "إنّي سمعت من بعض الناس لحنًا، وقد هممت أن أضع كتابًا أجمع فيه كلام العرب" فقلت: إنّ فعلت ذلك أحيت أقوامًا من الهلاك، فألقى إليّ صحيفة فيها الكلام كلّ: اسم وفعل وحرف؛ فالاسم ما دلّ على المسمّى، والفعل ما دلّ على حركة المسمّى، والحرف ما أنبأ عن معنى، وليس باسم ولا فعل، وجعل يزيد على ذلك زيادات. قال: واستأذنته أن أصنع في النحو ما صنع، فأذن وأتيت به فزاد فيه ونقص، وفي رواية: أنّه ألقى إليه

(1) - كوليزار كاكل عزيز: دلالات أصوات اللين في اللغة العربية، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمّان، الأردن، ط1، 1430هـ/2009م، ص 57.

(2) - عصام نور الدّين: علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا)، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص 162.

الصحيفة، وقال له: "أنح نحو هذه"، وفي رواية أخرى قال: "ما أحسن هذا! أنح نحوه"⁽¹⁾.

ثمّ جاء "الخليل بن أحمد الفراهيدي" الذي عُني كثيرا بدراسة الأصوات وموسيقى اللغة، وقد ساعده سماعه المرفه الحساس على التفوق في هذا المجال، فوجّه اهتمامه لأوزان الشعر وإيقاعه، وقام باستخراج بحور الشعر وقوافيه، أو ما يعرف اليوم بـ "علم العروض" والذي لا يعدو أن يكون دراسة صوتية لموسيقى الشعر، كما وضع لنا معجما صوتيا بامتياز؛ رتب مواده حسب مخارج الحروف وهو "كتاب العين". وبهذا يكون "الخليل" صاحب أول تصنيف للأصوات العربية حسب موضع النطق أو حسب الأحياء، ممّا جعله يتوصّل إلى تقسيم أصوات العربية إلى قسمين هما: «الأصوات الصحيحة (الحروف الصحاح)، والأصوات اللينة أو الهوائية؛ أي التمييز بين ما هو صامت وبين ما هو صائت»⁽²⁾.

رأى "الخليل" أنّ الترتيب المألوف لحروف الهجاء العربية وهو: أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، ... الخ، إمّا استمدّه النسخ والكتابة من الترتيب السامي القديم الذي اشتهر عند الأمم السامية القديمة كالفينيقيين والعبريين، وأنّ النسخ قد وضعوا الرموز المتشابهة الصورة بعضها بجوار بعض ليسهل حفظها، كما وجد "الخليل" أنّ هذا الترتيب الهجائي لا يقوم على أساس علمي فآثر ترتيبا آخر أساسه "مخارج الحروف"، وعلى أساسه رتب معجمه العين كما أشرنا، فبدأ «بأصوات الحلق، ثمّ أصوات أقصى الفم، ثمّ أوسط الفم، ثمّ أدناه، ثمّ الشفتين»⁽³⁾.

هذا ولم يكتف "الخليل" بدراسة الصوت معزولا، بل درس كذلك وظيفة الصوت في النظام اللغوي للعربية دراسة علمية دقيقة كالإدغام، المضارعة، الإعلال، الإبدال والقلب المكاني... ممّا يسمح بالقول: إنّه قد درس أصوات العربية دراسة: «فونيتيكية وفونولوجية»⁽⁴⁾. وهذا يعني أنّه قد اهتم بدراسة الصوت وهو مستقلّ (منفرد) عن بقية الأصوات الأخرى، وفي الوقت ذاته عُني بدراسة وظيفة الصوت اللغوي عندما يسبقه صوت آخر أو يتبعه صوت ما... وكيف يتأثر هذا الصوت ويفقد بعض صفاته، أو خصائصه التي كان يملكها، أو يتصف بها لحظة كان مفردا معزولا ومجرّدا؟. ثمّ كيف يغيّر الصوت معنى الكلمة؟.

ثمّ واصل "سيبويه" طريق أستاذه "الخليل"، فقدّم دراسة للأصوات أوفى من دراسة أستاذه وأكثر دقّة، حيث أورد

(1) - السيّد حسن الصدر: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، دب، دط، دس، ص 49. وللتوسّع أكثر ينظر:

المرجع نفسه، صص 49، 53.

(2) - عصام نور الدّين: علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا)، ص 162.

(3) - رمضان عبد التّوّاب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1417هـ/

1997م، ص 15.

(4) - عصام نور الدّين: المرجع السابق، ص 163.

دراساته الصوتية هذه أثناء حديثه عن ظاهرة الإدغام، وهي ظاهرة صوتية صرفية، وكان منهجه في ذلك كمنهج أستاذه "الخليل"، وكمنهج "أبي الأسود الدؤلي" من قبل «وصفيا واقعيا، قائما على الملاحظة الذاتية، وبعيدا عن الافتراض والتأويل»⁽¹⁾.

إذن فقد جاء "سيبويه" صاحب "الكتاب" بدراسة صوتية أكثر دقة من دراسة أستاذه، ويبدو ذلك واضحا من خلال تفصيله في مخارج الأصوات موضعا وعددا، حيث جعلها ستة عشر مخرجا.

وقد تأثر بكتاب "سيبويه" كل من جاء بعده من النحاة واللغويين، ليس في آرائه النحوية فحسب، بل حتى في آرائه الصوتية كذلك، فأخذوا يرددون كلامه في الأصوات دون أن يزيدوا عليه ما يستحق الذكر، فلم يترك لهم "سيبويه" في كتابه فراغا يرأبونه ولا نقضا يضيفونه، فهذا هو "الزجاجي" (ت340هـ) مثلا وهو من علماء "القرن الرابع الهجري"، نبذه يتكلم في كتابه "الجمل" عن الإدغام، والذي لا يحدث إلا من خلال معرفة مخارج الحروف وصفاتها، ومن علماء هذا العصر كذلك والذين تأثروا كثيرا بأفكار "سيبويه" نجد "ابن جني" (ت392هـ) الذي وضع كتابا مستقلا في علم الأصوات وهو "سر صناعة الإعراب"، حيث لا يكاد يخرج فيه عن كلام "سيبويه" في تعداد المخارج ووصف الحروف، فكثيرا ما يقتبس نصّ العبارات الواردة في "الكتاب"، ويقف عند حدودها، بيد أنّه أول من استعمل ولأول مرة مصطلح "علم الأصوات" منبها بذلك إلى العلاقة بين علم الأصوات وبين علم الموسيقى، كما كان من خلال كتابه هذا الأسبق في تعرضه لطبيعة ووظيفة الجهاز النطقي عند الإنسان، مشبها إياه بالناي وبوتر العود، كما استطاع بذكائه وسرعة بدهته أن يتنبه إلى الدور الوظيفي التمييزي الذي يؤديه الصوت اللغوي، وهذا ما يعرف اليوم بمصطلح: "الفونيم"⁽²⁾.

كما يمثل "ابن جني" من خلال كتابه هذا مرحلة تطوّر عميق في الدرس اللغوي عامة، والصوتي خاصة من حيث تحديده وتصنيفه للمفاهيم الإجرائية والآليات البحثية في الأصوات العربية، كما جعل مباحث "علم الأصوات" مدخلا لدراسة قضايا التصريف المتداخلة، ومستوى قاعدي تقوم عليه باقي المستويات اللغوية الأخرى من صرف ونحو وبلاغة، واستهل حديثه عن الأصوات اللغوية بتحديدات أولية عن أهم الثوابت المساهمة في إنتاج الصوت والمقطع والحرف والجرس⁽³⁾.

وجاء القرن "الخامس الهجري" يحمل إلينا رسالة صغيرة في الأصوات العربية للطبيب الرئيس: "ابن سينا"

(1) - عصام نور الدّين: علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا)، ص 164.

(2) - ينظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص16، و: عصام نور الدّين: المرجع السابق، صص 164، 166.

(3) - عمّار ساسي: المدخل إلى الصوتيات تاريخيا جهود متعاقبة عبر العصور من الفرغونية إلى العصر الحديث، ص130.

(ت428هـ) موسومة بـ "أسباب حدوث الحروف" وهي رسالة مقسّمة إلى ستة فصول وهي: «الأول منها: في سبب حدوث الصوت، ويقصد به صوت الإنسان وغيره، والثاني: في سبب حدوث الحروف، ويقصد بها الأصوات الإنسانية، والثالث: في تشريح الحنجرة واللسان، والرابع: في الأسباب الجزئية للحروف العربية، والخامس: للحروف الشبيهة بهذه الحروف، وليست في لغة العرب، والسادس في أنّ هذه الحروف من أيّ الحركات غير النطقية قد تُسمع»⁽¹⁾.

وحدث فيلسوف الإسلام "ابن سينا" في هذه الرسالة أشبهه بحديث علماء وظائف الأعضاء، فلا نكاد نلمح فيها تأثيرا كغيره بكتاب "سيبويه"، فله مصطلحاته الخاصة ووصفه الأصيل لكلّ صوت، ممّا جعله محلّ إعجاب وتقدير من بعض اللغويين المحدثين.

إذن، فقد استطاع "ابن سينا" من خلال هذه الرسالة أن يصف أسباب حدوث الأصوات العربية ومخارجها وصفا دقيقا ومحكما على شاكلة وصف "سيبويه" لها، كونه كان طبيبا ممّا مكّنه ذلك من تشريح الحنجرة، ومعرفته لدور الوترين الصوتيين في إحداث الصوت الإنساني.

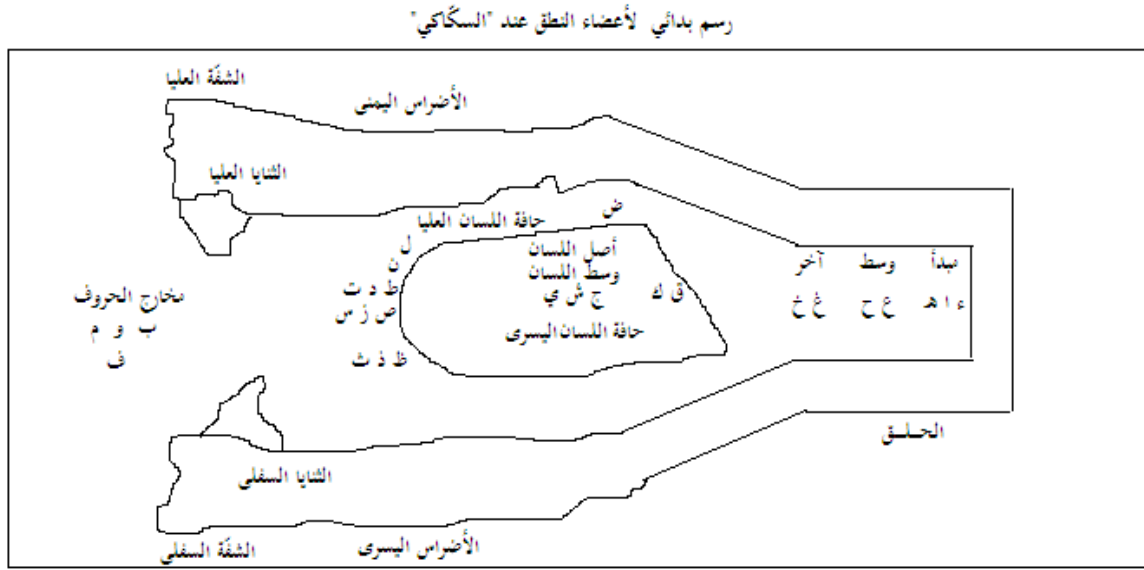
وفي القرن "السادس الهجري" يؤلف "الزمخشري" (ت538هـ) كتابه "المفصل" في النحو، ويخصّص القسم الأخير منه «للدراصة الصوتية، فيردد فيه كلام الخليل وسيبويه دون زيادة تذكر»⁽²⁾.

ولا نكاد نجد بعد هذا في كتب المتأخرين ما يمكن أن يتّسم بالأصالة في دراسة أصوات اللغة، سوى تلك المحاولة التي جاءت في كتاب "السكاكي" (ت626هـ) "مفتاح العلوم" في أوائل القرن "السابع الهجري"، والمتمثلة في رسم بدائي لأعضاء النطق، كما هو موضح في الشكل أسفله⁽³⁾:

(1) - رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، صص 17، 18.

(2) - المرجع نفسه، ص 18.

(3) - سراج الملة والدّين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمّد بن علي السكاكي: كتاب مفتاح العلوم، المطبعة الميمنية، مصر، دط، 1318هـ/1897م، ص 5.



الشكل - 1 -

كانت هذه لمحة تاريخية سريعة عن أبرز الجهود الصوتية عند القدماء، وكلّ ما جاء به المحدثون هو في الحقيقة استثمار للنتائج التي توصل إليها اللغويون القدامى، وإعادة تصنيفها وتنظيمها، ولعلّ أبرز المصنّفات العربية والغربية التي أُلّفَت في هذا الحقل، نذكر الكتب التالية على سبيل الذكر لا الحصر:

"الأصوات اللغوية" لـ "إبراهيم أنيس"، "علم اللغة العام (الأصوات)" لـ "كمال محمّد بشر" اللغة العربية معناها ومبناها" وكتاب "مناهج البحث في اللغة" لـ "تمّام حسن"، "علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي" لـ "محمود السّعوان" "الصوتيات والفونولوجيا" وكتاب "اللسانيات العامة وقضايا العربية" لـ "مصطفى حركات"، دراسة الصوت اللغوي" لـ "أحمد مختار عمر"، "أصوات اللغة" لـ "عبد الرحمان أيوب"، "مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث" لـ "عبد الجليل مرتاض"، "دروس في علم الأصوات العربية" لـ "جان كانتينو" ترجمة "صالح القرمادي"، "علم الأصوات العام" لـ "بسّام بركة"، "في الصّوتيات العربية" لـ "محيي الدّين رمضان" "الألسنية العربية" لـ "ريمون طحّان"، و"عبد الرحمن الحاج صالح" في مشروعه اللساني الموسوم بـ "الذخيرة اللغوية العربية"، وكتابه: "مدخل إلى علم اللسان الحديث"،... الخ.

الفصل الأول:

علم الأصوات وعلاقته بعلمي:

القراءات والتجويد - مفاهيم نظرية -

المبحث الأول: علم الأصوات

المبحث الثاني: علم القراءات

المبحث الثالث: علم التجويد

المبحث الرابع: حول سورة المائدة



الفصل الأول: علم الأصوات وعلاقته بعلمي: القراءات والتجويد - مفاهيم نظرية -

توطئة:

الأصوات اللغوية هي أساس الحروف التي تبنى منها الكلمة، التي بدورها تدخل في تشييد تركيب الجملة والجملة هي اللبن التي تشيّد الكلام المفيد، فالأصوات هي أصل مادة الكلام، وهي الأساس الذي يقوم عليه صرح بناء اللغة. وفي القرآن إشارة لطيفة إلى هذا، إذ يقول سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿وَيَوْمَ السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ

وَمَا تُوَعَدُونَ ﴿٢٣﴾ بَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِفُونَ﴾ / الذاريات 22، 23.

ولعلّ أفضل تعريف استطاع أن يجمع بين الطبيعة الصوتية وبين الوظيفة الاجتماعية للغة هو ذلك التعريف الذي جاء به "ابن جني" حينما قال: «حدّ اللغة أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم»⁽¹⁾.

يقول "محمود فهمي حجازي" معقبا على هذا التعريف: «إنّ ابن جنيّ في هذا التعريف قد ضمّنه العناصر الأساسية لتعريف اللغة، ويتفق مع كثير من التعريفات الحديثة للغة، فهو يوضّح الطبيعة الصوتية للغة، ويؤكد أنّ اللغة أصوات، وبهذا استبعد الخطأ الشائع الذي يتوهّم أنّ اللغة في جوهرها ظاهرة مكتوبة، إذن فهذا التعريف وضّح طبيعة اللغة من جانب ووظيفتها من الجانب الآخر»⁽²⁾.

وفعلا فإنّ هذا التعريف الذي أعطاه "ابن جني" للغة، على الرغم من إيجازه إلّا أنّه قد تضمّن معنى شاملا للغة، حيث حدّد فيه صاحبه طبيعة اللغة والمتمثلة في الأصوات، وفي ذلك إشارة إلى "البعد الفيزيائي" للغة، كما حدّد فيه "البعد النفسي" لها والمتمثّل في التعبير، وأشار فيه كذلك إلى حقيقة دور اللغة في المجتمع، وهو التعبير من خلال التواصل الاجتماعي بين الأفراد، وهي وظيفة اجتماعية تختلف تبعا لاختلاف المجتمع وتتأثر بظروفه وتواكب حركته في الحياة، وفي ذلك إشارة إلى "البعد الاجتماعي" (اللغة مؤسسة أو ظاهرة اجتماعية)، ويتّضح ذلك جليا من خلال عبارة "كلّ قوم"، وكذا إلى "البعد الوظيفي" (التواصل والتفاهم) للغة، ويتّضح ذلك من خلال عبارة "أغراضهم".

لقد قسّم العلماء "اللغة" إلى أربعة مستويات هي: مستوى الأصوات، وهو الفرع الذي يدرس أصوات اللغة، ويشمل كلا النوعين المعروفين باسم "علم الأصوات العام"، و"علم الفونيمات"، ومستوى الصرف أو مستوى دراسة الصيغ اللغوية وبخاصة تلك التغيّرات التي تعترى صيغ الكلمات فتحدث معنى جديدا كالسوابق

(1) - أبو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/ 2003م، ص 87.

(2) - محمود فهمي حجازي: المدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، ص 10.

واللواحق والدواخل مثلا، بعده يأتي مستوى النحو والذي يختصّ بتنظيم الكلمات في جمل أو مجموعات كلامية مثل: نظام الجملة: ضرب محمدٌ عليًا ، والتي تفيد عن طريق وضع الكلمات في نظام معيّن أنّ محمدا هو الضارب وعليها هو المضروب، ومستوى المفردات، الذي يختصّ بدراسة الكلمات المفردة، ومعرفة أصولها وتطوّرها التاريخي ومعناها الحاضر وكيفية استعمالها، ويدخل تحت دراسة المفردات فرع يسمّى بـ "الاشتقاق"، وهو يختصّ بدراسة تاريخ الكلمات، وفرع آخر يسمّى "الدلالة" ويختصّ بدراسة معاني الكلمات، وهناك فرع ثالث يسمّى "المعجم" وهو فن عمل المعاجم اللغوية، ويستمدّ وجوده من علم دراسة تاريخ الكلمات وعلم الدلالة، يضاف إلى اهتمامه ببيان كيفية نطق الكلمة، ومكان النبر فيه، وطريقة هجائها، وكيفية استعمالها في لغة العصر الحديث⁽¹⁾.

وهذه الجوانب تتعاون معا في تشكيل اللغة، فلا يمكن الفصل بينها، لأنّ كلّ جانب يساهم في المستوى الذي يختصّ به الآخر، فمن الصعب الفصل بين الأصوات والصيغ الصرفية؛ لأنّ هذه الصيغ - في أصلها - من وحدات صوتية، ويوجد تبادل مطّرد بين الصرف والنحو، وكذلك توجد علاقة قوية بين الصرف وبين معاني الكلمات. والأصوات تدخل في بنية هذه الأنظمة جميعها.

(1) - ماريو باي: أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، دب، دط، دس، صص 43، 44.

المبحث الأول: علم الأصوات

المطلب الأول: مفهوم علم الأصوات وموضوعه:

1 - مفهوم علم الأصوات:

يعرفه "محمد علي الخولي" بقوله: «هو فرع من علم اللغة، يبحث في نطق الأصوات اللغوية وانتقالها وإدراكها، ويدعو البعض الصوتيات، أو علم الصوتيات، وعلم الأصوات ذاته له فروع عديدة، مثل: علم الأصوات البحت وعلم الأصوات التجريبي وعلم الأصوات الوصفي وعلم الأصوات التاريخي وعلم الأصوات العام وعلم الأصوات الخاص، وعلم الأصوات المعياري وعلم الأصوات القطعية وعلم الأصوات الفوققطعية وعلم الأصوات النطقي وعلم الأصوات الفيزيائي وعلم الأصوات السمعي، وعلم الأصوات المقارن وعلم الأصوات الوظيفي»⁽¹⁾.

يُبين لنا "محمد علي الخولي" من خلال هذا التعريف المراحل التي يمرّ بها إنتاج الصوت باعتباره موضوعاً لعلم الأصوات، كما يذكر لنا التسميات المختلفة لهذا العلم، وأهم فروعها العامة والخاصة، والتي سيتمّ التفصيل في أهمّتها فيما سيأتي إن شاء الله من هذا البحث.

وفي تعريف آخر لـ "علم الأصوات": «هو العلم الذي يهتمّ بدراسة حروف اللغة العربية على أنّها أصوات، فيبحث في مخارجها وصفاتها وقوانين تبدّلها وتطوّرها والتثامها مع غيرها من الحروف، واختلافها عن بعض الحروف الأخرى»⁽²⁾.

يحدّد هذا التعريف موضوع العلم وكذا الوظيفة التي يؤديها، مع الإشارة إلى مسألة ائتلاف أو تنافر الأصوات أثناء مجاورتها لبعضها البعض.

2 - موضوع علم الأصوات:

موضوع علم الأصوات هو الوحدات الصوتية الصغرى في الكلام، فالوحدة الكبرى في المجموعة الكلامية هي "الجملة" مثل: محمد في الجامعة، حيث تتركب هذه الجملة من وحدات أصغر منها تسمّى: "الكلمات" وهي هنا: "محمد"، "في" و"الجامعة"، وهي بدورها تتركّب من وحدات أصغر منها، هي ما يطلق عليها اسم "الأصوات" فكلمة "محمد" مثلاً مكونة من وحدات صوتية أصغر من وحدة الكلمة وهي: صوت الميم ثمّ صوت الضمّة، ثمّ

(1) - محمد علي الخولي: معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، دب، ط1، 1402هـ/1982م، ص112.

(2) - منال عصام إبراهيم برهم: دراسة في اللغة العربية نماذج وأسئلة محلولة، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1430هـ/2009م، ص15.

صوت الحاء ثم صوت الفتحة، ثم صوت الميم ثم صوت الفتحة، ثم صوت الدال يليه صوت الضمة وقس على ذلك مع بقية الكلمات.

وهذه الوحدات الصوتية هي موضوع "علم الأصوات" - كما أسلفنا - هذا العلم الذي يدرس الأصوات اللغوية من ناحية «وصف مخارجها وكيفية حدوثها، وصفاتها المختلفة التي يتميز بها صوت عن صوت آخر، كما يدرس القوانين التي تخضع لها هذه الأصوات في تأثر بعضها ببعض عند تركيبها في الكلمات أو الجمل»⁽¹⁾.
أما عن اللغة التي يدرسها هذا العلم فهي «اللغة الحية المنطوقة، أو لغة الخطاب اليومي، أو اللغة التي نستطيع أن نتعرف منها على مظاهرها الصوتية، واللغة المكتوبة لا نستطيع أن نتعرف من خطها على كل سماتها الصوتية»⁽²⁾.

فعلم الأصوات يهتم أساسا بالكلام المنطوق دون المكتوب، باعتباره الوسيلة الأولى لتحقيق التواصل بين البشر، وهنا يفترق هذا العلم عن بقية العلوم اللغوية الأخرى باعتباره فرعا من فروع علم اللغة، فهو بدراسته للغة المنطوقة إنما هو في ذلك يصب كل اهتمامه بالتعبير اللغوي دون المضمون؛ لأن اللغة المكتوبة قاصرة على إبراز خصائصها الصوتية بمجرد تمثيلها الخطي.

يتضح مما سبق أنّ موضوع علم الأصوات هو دراسة الصوت سواء أكان لغويا أم غير لغوي، وقبل الوقوف على مصدر الصوت ونشأته، لابدّ أولا من التعرف على مفهوم الصوت، وعلى الفرق بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي، وكذا الفرق بين الصوت والحرف.

المطلب الثاني: بين الصوت وبين الحرف

1 - مفهوم الصوت:

أ/ لغة:

جاء في "اللسان العرب" في تفسير مادة "صَوْت" باب التاء فصل الصاد: «الصَوْتُ: الجرسُ (...)» والجمع أصوات، وقد صَاتَ يَصُوتُ وَيُصَاتُ صَوْتًا، وَأَصَاتَ وَصَوَّتَ به: كلّه نَادَى (...).، ويقال: صَاتَ يَصُوتُ صَوْتًا فهو صَائِتٌ معناه: صائح (...).، وفي الحديث كان "العبّاس" رجلا صَيِّتًا: أي شديد الصوت (...). وَأَصَاتَ القوس:

(1) - رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 13.

(2) - محمود عكاشة: أصوات اللغة (دراسة في الأصوات ومخارجها وصفاتها وتمائنها)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط 1
1426هـ/ 2005م، ص 9.

جعلها تصوت (...) والصَّيْتُ: الذَّكْرُ...»⁽¹⁾. فالصوت في اللغة يطلق على كلِّ شيء له ذبذبة، أو يصدر حركة صوتية، سواء أكان متحرِّكاً أم جامداً حال تحريكه.

ب/ اصطلاحاً:

يعرّفه "ابن جني" فيقول: «اعلم أنّ الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متّصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشففتين، مقاطع ثنائية عن امتداده واستطالته، فيسمّى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها»⁽²⁾.

ف "ابن جني" في هذا التعريف يقدّم لنا مفهوماً للصوت، وفي الوقت ذاته يفرّق بينه وبين الحرف، وفي الحقيقة إنّ هذا التعريف هو تعريف عام، يشترك فيه الإنسان الناطق والحيوان الأعجم؛ لأنّ الاثنين يملكان هذه الأعضاء التي ذكرها "ابن جني" في التعريف السابق.

إذن فالصوت عند "ابن جني" هو عبارة عن النفس الصاعد من الرئتين باتجاه الفم المتّصل والمرتبط، فأينما وجد عائقاً انفصل عن بعضه وامتنع - حينها - امتداده واستطالته، وسمّي حرفاً، والنفس المرتبط يختلف جرسه باختلاف العائق الذي يعترض مسلكه؛ فإن كان الحاجز على مستوى الحلق سمّي حرفاً حلقياً، وإن كان على مستوى الشفتين كان شفويّاً، وقس على ذلك مع بقية الأعضاء المتحكّمة في النطق.

يلاحظ كذلك من خلال التعريف السابق "لابن جني" أنّه قد اعتبر المقطع مرادفاً للحرف، وهذا بخلاف سابقه الذين جعلوا المقطع هو مخرج الحرف لا الحرف ذاته، فأينما انقطع النفس فثمة موضع النطق، ف "الخليل" - مثلاً - من الذين أطلقوا على المخرج مصطلح المقطع، فضلاً عن تسميات أخرى على غرار: الجري، المحبس والمدرج...فتسمية "ابن جني" بهذا لا تستقيم إلّا على ضرب من المجاز.

ومن اللغويين المحدثين الذين عرّفوا الصوت: "تمام حسّان"، حيث نجده يقول: «...فالصوت عملية يقوم بها الجهاز النطقي، وتصحبها آثار سمعية معيّنة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت، وهو الجهاز النطقي، ومركز استقباله وهو الأذن...»⁽³⁾.

ويتفق "عبد القادر عبد الجليل" مع "تمام حسّان" في تعريفه للصوت إلى حدّ ما، حيث نجده يقول: «الصوت

(1) - جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري: لسان العرب، مج 1، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ / 2005م، مادة "صَوْتُ".

(2) - أبو الفتح عثمان بن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، تح: حسن هندواوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 1413هـ / 1993م، ص6.

(3) - تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1418هـ / 1998م، ص66.

هو الطاقة المنقولة عبر الوسط الهوائي إلى أسمعنا وأحاسيسنا، حاملة صورة الحرف إلى أذهاننا عبر ذبذباته الصوتية»⁽¹⁾.

فكلا التعريفين السابقين اشتملا على العناصر الضرورية، والتي بموجبها تتم العملية الصوتية، وهي: "مصدر الصوت" والتمثّل في الجهاز النطقي، أو الطاقة المنقولة، إضافة إلى "انتشار الصوت" والتمثّل في الوسط الهوائي الناقل للصوت من مصدر الإنتاج والإرسال إلى مركز الاستقبال، أمّا العنصر الثالث فهو: "إدراك الصوت" من خلال العملية السمعية.

وهناك تعريف آخر للصوت تجتمع فيه هذه العناصر الثلاثة، غير أنّه يعبر عن الصوت بمفهومه العام، فيشمل بهذا الصوت اللغوي والصوت غير اللغوي وفحواه: «الصوت هو الأثر السمعي الذي به ذبذبة مستمرة مطرّدة حتى ولو لم يكن مصدره جهازا صوتيا حيّا»⁽²⁾.

فكلّ ما يمكن أن يصدر ذبذبة صوتية في الطبيعة يسمى "صوتا". غير أنّ السؤال المطروح هو: متى يمكن أن نقول عن الصوت بأنه لغوي؟.

ج/ الصوت اللغوي:

إذا أردنا أن نعرّف الصوت اللغوي فإننا نقول بأنّه: «إدراك سمعي ناتج من تذبذب جزئيات الهواء الملامس للأذن بسبب حركات الجهاز النطقي»⁽³⁾.

غير أنّ هذا التعريف يكون صحيحا عندما يكون المقصود بإصدار الصوت إرسال رسالة؛ أي أن يقف وراء الصوت وعي به، و قصديّة فيه.

ولقد اشتمل المفهوم السابق للصوت اللغوي على ثلاثة عناصر متكاملة لوقوع الحدث الكلامي وهي⁽⁴⁾:

1 - حركات الجهاز النطقي: وفاعلها "المتكلّم"، وتمثّل "مصدر الصوت اللغوي"، ويفاد في دراسة هذا العنصر من "علم الأصوات النطقي".

2 - الهواء: وهو الوسط بين المتكلّم والسامع، ويمثّل "انتشار الصوت اللغوي"، ويفاد في دراسة هذا العنصر من "علم الأصوات الأكوستيكي".

(1) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 114.

(2) - سميح أبو مغلي وآخرون: دروس في علوم العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1420هـ/2000م، ص19.

(3) - خلدون أبو الهيجاء: فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، وجدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1426هـ/2006م، ص14.

(4) - المرجع نفسه، ص15.

3 - الإدراك السمعي: وفاعله "السامع"، ويمثّل "إدراك الصوت اللغوي"، ويفاد في دراسة هذا العنصر من "علم الأصوات السمعي".

وفي تعريف آخر "للصوت اللغوي" هو: «أثر سمعي يصدر طواعية واختيارا عن أعضاء النطق، وهذا الأثر عبارة عن ذبذبات تصاحبها حركات الفم بأعضائه المختلفة، تصل إلى أذن السامع فتحدث فيه تأثيرا معيّنا»⁽¹⁾. ويُعرّف كذلك بأنّه: «الحركات النطقية ملونة بألوانها الخاصّة، فهو بهذا المعنى ذو جانبين: أحدهما عضوي والآخر صوتي، أو بعبارة أخرى: أحدهما حركي والثاني تنفسي»⁽²⁾.

فجميع التعريفات السابقة "للصوت اللغوي" تصبّ في قالب واحد؛ ذلك أنّ ليس كلّ ما يصدر عن الإنسان من أصوات يصلح أن نطلق عليها بأنّها أصوات لغوية، إنّما الصوت اللغوي هو الذي يحمل معنى أو دلالة معيّنة، يعبرّ بها الإنسان عمّا يختلجه من أفكار وأحاسيس، ممّا يعني أنّ الصوت اللغوي لا يتألّف من عملية عضوية جسمية فقط - كما أشارت التعريفات السابقة - بل يتألّف أيضا من عملية نفسية إدراكية (عقلية)، وعلى هذا الأساس فإنّ عملية إصدار الصوت اللغوي في الحقيقة تتمّ بمراحل كما أشار إلى ذلك التعريف الأوّل، بداية من المرسل مرورا بالوسط الهوائي، ووصولاً إلى المتلقّي المستقبّل لرسالة المرسل، لتعود العملية عكسية من المستمع إلى المتكلّم. إذن فالصوت اللغوي ينطلق من الأحداث النفسية والعمليات العقلية التي تجري في ذهن المتكلّم قبل الكلام أو أثناءه، تليها عملية إصدار الكلام والمتمثّل في أصوات ينتجها جهاز النطق، لتنتقل بعد ذلك الموجات والذبذبات الصوتية عبر الوسط الهوائي من فم المتكلّم إلى أذن المستمع، لتتشكّل الأحداث النفسية والعمليات الإدراكية في ذهن المستمع أثناء استقباله لتلك الموجات الصوتية.

وهناك تعريف آخر للصوت اللغوي يقترب بعض الشيء ممّا جاء في التعريفات السابقة، غير أنّه يضيف لنا شيئا لم تتعرض له بقية التعريفات، وهذا هو نصّه: «هو أصغر وحدة منطوقة مسموعة يمكن الإحساس بها عند التحليل اللغوي، ولا يمكن النطق بها إلّا من خلال مقطع يكون فيه الصامت مصحوبا بالصائت، أو الصائت مصحوبا بالصامت»⁽³⁾. وفي هذا التعريف إشارة صريحة إلى أنّ الصوت اللغوي لا يكون أصغر من المقطع، وإنّما يكون كحدّ أدنى "أقلّ أشكاله"؛ أي أنّ الصوت اللغوي لا يتشكّل من صامت فحسب أو صائت، وإنّما هما معا.

(1) - مختار نويوات ومحمّد خان: العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى مشروع دراسة لسانية للدراسة في منطقة الزيان بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط1، 1425هـ/2005م، ص25.

(2) - سميح أبو مغلي: دروس في علوم العربية، ص19.

(3) - صبري المتوّلي: دراسات صوتية في تجويد الآيات القرآنية، زهراء الشرق، القاهرة، مصر، دط، 1429هـ/2008م، ص43.

2 - مفهوم الحرف:

أ/ لغة:

ورد في تفسير مادة "حَرْفٌ": «الحَرْفُ من كلِّ شيءٍ: طرفه وشفيرُهُ وحُدُّه، ومن الجبل: أعلاه المحدد (...). وحَرْفٌ لعياله يَحْرِفُ: كَسَبَ، والشيء عن وجهه: صَرْفُهُ، وَعَيْنُهُ حَرْفَةٌ: كَحَلَّهَا (...).، وحَرْفٌ في ماله بالضمِّ حَرْفَةٌ: ذهب منه شيء، والحَرْفُ بالضمِّ: حُبُّ الرِشَادِ (...) وَأَحْرَفَ: نما ماله (...)»⁽¹⁾.
إذن فالحرف من كلِّ شيءٍ: طرفه، غايته، ذروته وحده.

ب/ اصطلاحاً:

يقدم "ابن جني" في كتابه "سر صناعة الإعراب" تعريفاً اصطلاحياً للحرف، يقترب فيه إلى حد بعيد من المعنى اللغوي، وفيه يقول: «الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه»⁽²⁾.
ولعل أبرز وأهم تعريف أُعطي للحرف، هو ذلك التعريف الذي جاء به "ابن سينا" في رسالته: "أسباب حدوث الحروف"، وفيه يقول: «...والحرف هيئة للصوت عارضة له، يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدّة والثقل تميّزاً في المسموع»⁽³⁾.

وقد انتقد "ابن سينا" في هذا التعريف الكثير من الدارسين والباحثين، وقالوا بأنّ التعريف السابق يُبطل طرداً وعكساً، أمّا الطرد فلأنّ هناك هيئات عارضة للصوت يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدّة والثقل تميّزاً في المسموع، مع أنّه ليس شيء منها بحرف، وتلك الهيئات: طول الصوت وقصره وكونه مجهوراً أو خفياً أو...، وكذا كميّات أخرى بها يميّز الإنسان صوت شخص من صوت شخص آخر، وأمّا العكس فهو أنّ الحروف الصامتة البسيطة كالباء والتاء والذال والطاء آنية لا توجد إلّا في الآن - الذي هو بداية زمان الصوت - فلا تكون هيئات عارضة للصوت؛ لأنّها لو كانت كذلك لما وجدت إلّا مع وجوده، لكن هذه الحروف لا توجد مع وجود الصوت؛ لأنّها إنّما توجد في الآن الذي هو آخر زمان حبس النفس، وأوّل زمان إطلاقه، والصوت لا يوجد إلّا في زمان إرسال النفس، فإذاً هذه الحروف موجودة قبل وجود الصوت، فلا يمكن أن يقال: إنّها هيئات عارضة للصوت.

(1) - مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الموريني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1428هـ/2007م، مادة "حَرْفٌ".

(2) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص14.

(3) - أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمّد حسّان الطيّان، وبجبي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، سوريا، دط، دس، ص60.

ومن اللغويين المحدثين الذين تحدّثوا عن الحرف "تمام حسّان"، حيث يعرفه بقوله: «...أما الحرف فهو عنوان مجموعة من الأصوات يجمعها نسب معيّن، فهو فكرة عقلية لا عملية عضلية»⁽¹⁾.

وهذا التعريف يشير إلى طبيعة الحرف على أنّه مكتوب؛ لأنّه حينما يقول بأنّ الحرف ليس عملية عضلية، فإنّه بهذا ينفي النطق، فضلا عن كونه ذا طابع ذهني معنوي، فعندما يقول بأنّ الحرف فكرة عقلية، فهو هنا يستبعد الجانب المادي للحرف.

أما عن عدد حروف العربية ففي ذلك يقول الإمام "الشيرازي": «وحروف المعجم عند جميع النحويين تسعة وعشرون حرفا، إلا عند أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، فإنّها عنده ثمانية وعشرون حرفا؛ وذلك لأنّه كان لا يعدّ الهمزة حرفا منها، وكان يقول إنّ الهمزة ليس لها صورة، لأنّها لا تثبت على صفة، فإنّها تخفّف تارة بالحذف وتارة بالقلب، وتارة بالتلين»⁽²⁾. وفي هذا يقول "المبرد": «اعلم أنّ الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفا، منها ثمانية وعشرون لها صور، والحروف السبعة جارية على الألسن، مستدلّ عليها في الخطّ بالعلامات، فأما في المشافهة فموجودة»⁽³⁾.

إذن، فاللغويون الذين جعلوا حروف العربية تسعة وعشرين حرفا، فإنّهم قد اعتبروا الألف حرفا والهمزة حرفا آخر غير الألف، أما من جعلها ثمانية وعشرين حرفا فإنّه قد أسقط الهمزة واكتفى بالألف بحجة أنّها قابلة للحذف والقلب والتخفيف، سواء عن طريق الإبدال أو النقل، أو بواسطة الإسقاط التام وغيرها من وسائل تخفيف الهمز. بعد هذه التعريفات التي أتينا على ذكرها، يمكن لنا أن نتساءل فنقول: ما هي أبرز الفروق بين الصوت وبين الحرف؟. أهما شيء واحد، أم بينهما اختلاف؟.

3 - الفرق بين الصوت وبين الحرف:

في إطار تمييزه بين الصوت والحرف، أقام "تمام حسّان" موازنة توصل من خلالها إلى عقد علاقة تجمع بين الطلاب والصفوف وبين الصوت باعتباره مفهوما ماديا قابلا للملاحظة والتجربة (يمكن ملامسته)، وبين رمزه الكتابي (الحرف) باعتباره مفهوما ذهنيا معنويا؛ فالعلاقة التي تربط الطالب بالصف - عنده - هي نفسها التي تربط الصوت بالحرف، فالطالب والصوت حقيقتان ماديتان، والصف والحرف حقيقتان ذهنيّتان. ونجده يضيف قائلا

(1) - تمام حسّان: اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط4، 1421هـ / 2001م، ص129.

(2) - نصر بن علي بن محمد أبو عبد الله الشيرازي الفارسي النحوي (ابن أبي مريم): الموضح في وجوه القراءات وعللها، ج1، تح: عمر حمدان الكبيسي، إشراف: عبد الفتاح إسماعيل شليبي، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في فرع اللغة، جامعة أمّ القرى، السعودية، 1408هـ / 1987م ص162.

(3) - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: المقتضب، ج1، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، مصر، دط، 1415هـ / 1994م، ص328.

في باب تمييزه بين الصوت وبين الحرف: «الصوت جزء من تحليل الكلام، والحرف جزء من تحليل اللغة»⁽¹⁾.
ويختصر "طالب محمد إسماعيل" هذا الفرق في قوله: «الصوت هو الذي نسمعه ونحسّه، بينما الحرف هو الصورة المكتوبة التي عدّت صورة نطقية»⁽²⁾.

ويعود "تمام حسّان" مرّة أخرى ليؤكد بأنّ الصوت هو الصورة المنطوقة، وأنّ الحرف هو الرمز المكتوب لها قائلاً:
«...وإذا كان الصوت ممّا يوجد المتكلّم، فإنّ الحرف ممّا يوجد الباحث»⁽³⁾.

المطلب الثالث: مصدر الصوت ونشأته

1 - مصدر الصوت:

إنّ "مصدر الصوت" من المواضيع التي شغلت فكر العلماء قديمهم ومحدثهم، ولعلّ أهمّ من تحدّث عن مصدر الصوت من القدماء: الرئيس الطيب "ابن سينا" إذ يقول: «أظنّ أنّ الصوت سببه القريب تمّوج الهواء دفعة بسرعة، وبقوّة من أيّ سبب كان»⁽⁴⁾.

أشار "ابن سينا" من خلال هذا القول إلى مصدر أو سبب حدوث الصوت، ويتجلّى ذلك واضحاً من خلال عبارة "من أيّ سبب كان"؛ ذلك أنّ انتشار الصوت من الفم من شأنه أن يسبّب تذبذباً في الوسط الهوائي، وهذا ما عبّر عنه "ابن سينا" في القول السابق بـ "تمّوج الهواء".

كما نجد "ابن سينا" في موضع آخر من رسالته: "أسباب حدوث الحروف" يجعل لمصدر الصوت سببين رئيسين، وفي ذلك يقول: «...وللتمّوج علّتان: قرع وقلع؛ فالقرع وهو تقريب جرم ما إلى جرم مقاوم له لمزاحمته تقريباً، تتبعه مماسة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوّتها، والقلع وهو تباعد جرم ما عن جرم آخر مماس له، منطبق أحدهما على الآخر، تبعيدياً ينقلع عن مماسه انقلاعا عنيفا لسرعة حركة التباعد»⁽⁵⁾.

يتبيّن لنا من خلال هذا الكلام أنّ مصدر الصوت - حسب ابن سينا - يكون على نوعين، فإمّا أن يكون قرعاً: ولا يحدث ذلك إلّا في حالة التقارب الشديد بين المواد، أو بين جسمين متلازمين، إمّا عن طريق الاصطدام أو عن طريق الاحتكاك، أو قلعا ولا يحدث ذلك إلّا في حالة التباعد التي من شأنها أن تفرّق وتقلع المواد تفريقاً

(1) - تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص74.

(2) - طالب محمد إسماعيل: مقدّمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمّان الأردن، ط1، 1432هـ/ 2011م، ص95.

(3) - تمام حسّان: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص129.

(4) - ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص57.

(5) - المصدر نفسه، ص58.

عنيفا، بسبب شدة التباعد بين الأجسام.

ولئن كان حديث "ابن سينا" عموميا حول مصدر الصوت، فإننا نجد "أحمد مختار عمر" قد حدّد العضو النطقي، أو الأعضاء النطقية المسئولة عن إنتاج الصوت وحدوثه، وفي هذا الصدد يقول: «مصدر الصوت هو أيّ شيء يسبّب اضطرابا أو تنوعا ملائما في ضغط الهواء مثل: الشوكة الرنانة والوتر الممتدّ، وهو في أصوات اللغة أعضاء النطق، ولاسيما: الوترين الصوتيين التي تتحرّك في اتجاهات مختلفة، وبأشكال متعدّدة، وتنتج أصواتا تسبّب تنوعات في ضغط الهواء»⁽¹⁾.

2 - نشأة الصوت:

يمرّ الصوت في نشأته بمراحل عديدة، يمكن إجمالها في أربع مراحل وهي: «مرحلة حدوثه أو إصداره، مرحلة انتقاله، مرحلة سماعه ومرحلة إدراكه»⁽²⁾.

انطلاقا من هذا القول وبالعودة إلى تعريفات الصوت السابقة الذكر، يمكننا أن نختزل هذه المراحل الأربعة التي يمرّ بها الصوت - لغويا كان أم غير لغوي - في ثلاثة مراحل: فمصدر الصوت (المرسل) تقابله مرحلة الحدوث والإصدار، والوسط الهوائي الذي ينتقل بموجبه الصوت من فم المتكلّم إلى أذن المستمع، يقابله مرحلة الانتقال، أمّا مركز الاستقبال (المرسل إليه)، فتقابله مرحلة الاستماع والإدراك معا؛ أين تتحقّق الدلالة الصوتية، فيتحوّل الصوت العادي الطبيعي (الخالي من المعنى) إلى صوت لغوي.

المطلب الرابع: المصطلحات المتعلقة بعلم الأصوات:

كثيرة هي المصطلحات المتعلقة بـ"علم الأصوات"، منها ما سبق لنا وأن أشرنا إليها لضرورة منهجية، كمفهوم الصوت والفرق بينه وبين الصوت اللغوي، وكذا مفهوم الحرف والفرق بينه وبين الصوت، ومنها ما سنتحدّث عنها فيما سيأتي من البحث، أمّا هنا فسنستطرق إلى مصطلحي: الصوائت والصوامت، محاولين إبراز أهمّ الفروق القائمة بينهما بشكل موجز ومختصر.

* بين الصوامت وبين الصوائت:

تقسّم الأصوات اللغوية إلى صوامت وحركات، ويرجع الفرق بينهما إلى كيفية تكوّن الصوت في أعضاء النطق، فعند النطق يندفع هواء الزفير الصاعد من الرئتين بواسطة تأثير الحجاب الحاجز على القفص الصدري، ويمضي هواء الزفير محاولا الخروج، فعند النطق بالصوامت: «يحدث نوع من الاعتراض يعوق خروج هواء

(1) - أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، دط، 1399هـ/1979م، ص21.

(2) - أبو السعود أحمد الفخراي: البحث اللغوي عند إخوان الصفاء، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1411هـ/1991م، ص83.

الزفير، وقد يكون هذا الاعتراض كاملاً أو جزئياً، ففي كلِّ حالات النطق بالصوامت يحدث هذا الاعتراض، ومن الطبيعي أن يظل هذا الاعتراض لوقت قصير جداً ثم يزول، وتختلف الصوامت من ناحية النقطة التي يتم فيها الاعتراض؛ أي النقطة التي يصدر فيها الصوت»⁽¹⁾. وهذا ما أشار إليه "ابن جني" في تعريفه السابق للصوت.

يُفهم من خلال هذا الكلام أنّ الصوامت هي تلك الأصوات التي تحتك أثناء خروجها من الجهاز الصوتي بأحد حواجزه العضوية (المخارج الصوتية)، فيؤدّي ذلك الاحتكاك إلى انسداد جزئي أو كليّ مؤقت في موضع من الجهاز النطقي، وطبيعة هذا الانسداد وموضع الاعتراض هما اللذان يحدّدان مخرج وصفة الصوت المنطوق.

أمّا فيما يخصّ الصوائت، فإنّ عددها - في كلِّ لغة - أقلّ عدداً من الأصوات الصامتة، وتسمّى كذلك بالحركات، وفيها يقول "ابن جني": «اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاثة وهي: الفتحة والكسرة والضمة؛ فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدّموا النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة»⁽²⁾.

يتبيّن من خلال قول "ابن جني": أنّ الصوائت في اللسان العربي على قسمين:

1 - أصوات صائتة قصيرة وهي: الفتحة والضمة والكسرة.

2 - أصوات صائتة طويلة وهي: الألف والواو والياء.

ويضيف "ابن جني" قائلاً: «الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها والضمة بعد الكسرة»⁽³⁾.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: ما الذي يميّز الصوائت عن الصوامت في النظام اللغوي للعربية؟.

أثناء النطق بالحركات لا يحدث ذلك الاعتراض الذي نجده في نطق الصوامت، بل تتحدّد طبيعة الحركة عن طريق وضعية الشفتين واللسان وهما يشكّلان مجرى الهواء، على نحو يجعلنا نميّز الحركة عن الأخرى «فالضمة العربية مثلاً تنطق بأن تتخذ الشفتان وضع الاستدارة، وهي بهذا تختلف عن الفتحة والكسرة، ففيهما تتخذ الشفتان وضع الانبساط، وتختلف الفتحة عن الكسرة - أيضاً - في وضع اللسان داخل الفم، وعند النطق بالكسرة يكون

(1) - محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، ص 39.

(2) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 17.

(3) - المصدر نفسه، ص 53.

في أعلى مستوى له في الفم، وهناك عدّة حركات تختلف باختلاف درجة ارتفاع اللسان في الفم، وباختلاف المنطقة التي يتم فيها هذا الارتفاع داخل الفم في مقدّمه أو في وسطه أو في آخره»⁽¹⁾.

إذن فالصوت الصائت هو صوت ممتدّ ومستمر، لا يوجد اعتراض أو حاجز يقطع مساره، فهو صوت يجري الهواء معه طليقا حرا مع تذبذب الوترين الصوتيين، وهذا ما عبّر عنه "ابن جني" حينما قال: «... فإن اتّسع مخرج الحرف حتى لا يقطع الصوت عن امتداده واستطالته، استمرّ الصوت ممتدا حتى ينفذ، فيفضي حسيرا إلى مخرج الهزمة، فينقطع بالضرورة عندها إذا لم يجد منقطعا فيما فوقها،... والحروف التي اتّسعت مخرجها ثلاثة: الألف ثمّ الياء، ثمّ الواو»⁽²⁾.

ويلخص لنا "عبد الله القواسمة" أبرز الفروق الموجودة بين الصوامت وبين الصوائت في قوله: «تمتاز الصوائت عن الصوامت بأنّها أقلّ عددا وأكثر وضوحا في السمع وأصعب نطقا ودراسة، ويبدو هذا عند غير الناطقين باللغة الأم، كما أنّه لا يوجد لأيّ صائت مكان نطق معيّن، ويكون مجهورا فقط»⁽³⁾.

وعليه فإنّ الأصوات الصامتة في العربية هي كلّ الأصوات بعد استبعاد حروف المدّ الثلاث (الألف، الواو والياء) والحركات الثلاث (الفتحة، الضمة والكسرة)، ممّا يعني أنّ هذه الحروف الثلاثة حينما تكون مسبوقة بحركات أخرى غير مجانسة لها - مع عدم وجود بعض هذه الحالات في اللغة العربية - فهي من قبيل الصوامت لا الصوائت.

المطلب الخامس: فروع علم الأصوات

لعلم الأصوات فروع كثيرة ومتعدّدة، بل إنّ لهذه الفروع نفسها فروعاً أخرى تنطوي تحتها، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نميّز لعلم الأصوات بين نوعين من الفروع حدّد أبرزها "محمد علي الخولي" في معجمه "علم الأصوات" في التعريف السابق الذكر لهذا العلم، وبناء على هذا الكلام فإنّ لعلم الأصوات فروعاً عامّة وأخرى خاصّة، وتتمثّل الفروع العامة لعلم الأصوات في: علم الأصوات العام (الفونيتيك)، وعلم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا).

* بين الفونيتيك والفونولوجيا:

لقي مصطلح الفونيتيك ومصطلح الفونولوجيا جدلا كبيرا بين اللغويين الغربيين منهم والعرب: على مستوى

(1) - محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، ص 40.

(2) - ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 7، 8.

(3) - محمد عبد الله القواسمة: معالم في اللغة العربية، مكتبة المجتمع العربي للنشر، عمّان، الأردن، ط 2، 1424هـ / 2003م، ص 17.

المفهوم وكذا على مستوى العلاقة التي تجمع المصطلحين، وقبل الخوض في هذه الإشكالية لا بدّ أولاً من الوقوف على مفهوم هذين المصطلحين، والذي لقي قبولاً من معظم الدارسين واللغويين:

يعرّف "حلمي خليل" هذين العلمين فيقول: «الأول أي الفونيتيك، يدرس أصوات اللغة معزولة بعيدة عن البنية اللغوية، فيحدّد طبيعة الصوت اللغوي، مصدره، مواضع النطق به وصفاته المختلفة المصاحبة له، وأمّا الثاني - ويقصد الفونولوجيا - فيدرس الصوت اللغوي داخل البنية؛ أي يهتمّ هذا العلم بوظيفة الصوت وتوزيعه وعلاقة ذلك بالمعنى»⁽¹⁾.

وباختصار شديد يمكن أن تميّز بين علم الأصوات العام (الفونيتيك) وعلم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا) بأنّ الأول يختصّ بدراسة الصوت المفرد، البسيط المستقل والمنعزل عن التركيب أو السياق الكلامي، بهدف رصد الخصائص الفيزيائية والفسولوجية (العضوية) المتعلقة بالأصوات، أمّا الآخر وهو الفرع الثاني من علم الأصوات: فيهتمّ بدراسة الصوت اللغوي داخل السياق الكلامي (في بنية الكلمة)، أو بعبارة أخرى هو العلم الذي يدرس وظائف الأصوات ودورها في تغيير المعنى سواء على المستوى الصرفي أم النحوي أم الدلالي أم المعجمي، من خلال دراسة "الفونيم" و"المقطع الصوتي" و"النبر" و"التنغيم" وغيرها من التنوعات الصوتية الأخرى.

هذا بالنسبة إلى مفهوم "الفونيتيك" و"الفونولوجيا"، أمّا فيما يخصّ علاقة أحدهما بالآخر، فقد تعدّدت الآراء وتضاربت المواقف في شأن طبيعة العلاقة القائمة بين العلمين، فـ "فيرديناند دي سوسير" مثلاً من أكبر الدعاة إلى ضرورة الفصل بين العلمين لكونهما - حسب رأيه - علمين متعارضين، وفي هذا المجال يقول: «إنّ علم الفونيتيك أوّل ما استخدم للدلالة على دراسة تطور الأصوات، وينبغي أن يبقى ضمن هذا المفهوم، فلا يجوز المزج بين علمين متميّزين باستخدام تسمية واحدة لكليهما. إنّ "الفونيتيك" علم تاريخي، يحلّل الأحداث والتغيّرات ويتحرّك من خلال الزمن، أمّا "فونولوجي" فيقع خارج الزمن، لأنّ عملية النطق لا تتغيّر أبداً، فالدراستان متميّزتان ولكنهما تتعارضان. إنّ علم الصوت (فونيتيك) جزء أساس من علم اللغة، أمّا النظام الصوتي (فونولوجي) فهو علم مساعد يختصّ بالكلام فقط»⁽²⁾.

إذن فـ "دي سوسير" ميّز بين "علم الأصوات العام"، و"علم الأصوات الوظيفي"، وجعل الثاني علماً مساعداً للأوّل، وذلك من باب تفريقه بين ثنائية اللغة والكلام.

لكن في المقابل هناك من اللغويين من رفض الفصل بين ما يسمّى بـ: Phonology و Phonetics

(1) - حلمي خليل: دراسات في اللغة والمعاجم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/1998م، ص27.

(2) - فيرديناند دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، العراق، دط، 1405هـ/1985م، ص51.

لأنّ «أبحاث كلّ منهما تعتمد على الأخرى، ووُضِعَ الاثنان تحت مصطلح Phonitics أو تحت مصطلح Phonology»⁽¹⁾.

وفي العموم، وعلى الرغم من وجود فوارق بين العلمين فلا يمكن الفصل بينهما، فهما متكاملان بحيث يشكّلان كلاً موحداً، فكلاهما يعملان في مجال واحد وهو دراسة أصوات اللغة، فالفونيتيك يجمع المادة الخام والفونولوجيا يخضعها للتقعيد، وذلك باستخلاص القوانين العامة من هذه المادة (الأصوات).

هذه - إذن - هي أهمّ الفروع العامة لعلم الأصوات، وكلّ فرع منهما يتفرّع بدوره إلى فروع خاصة، وسنركّز في هذا البحث - باختصار شديد - على فروع علم الأصوات العام فقط.

1 - فروع علم الأصوات العام

يطلق على عمليتي إنتاج الكلام وتلقيه: الحدث الكلامي، وهو يفترض حضور شخصين على الأقل وهما: المرسل (الباث)، والمرسل إليه (المتلقي)؛ فالأوّل يُنتج المادة الصوتية، والآخر يستقبلها ثم يفسّرها، وبناء على هذا يمكن دراسة الأصوات من ثلاثة جوانب، يمثّل كلّ جانب منها فرعاً مستقلاً من "علم الأصوات العام" وهي:

أ/ علم الأصوات النطقي:

يختصّ هذا العلم بدراسة ثلاثة جوانب وهي⁽²⁾:

- 1 - دراسة الأصوات المنطوقة، والتفريق بينها من حيث المخرج (لثوية، شفوية،...)، أو الكيفية التي تنطق بها (انفجارية، احتكاكية،...)، وبيان صفتها (مجهورة، مهموسة،...) (ونوعها) (أنفية، فموية،...) وغيرها من التصنيفات
- 2 - الطريقة التي تتكوّن بها، والأعضاء المستخدمة في هذا التكوين.
- 3 - وظيفة الصوت المنطوق.

إذن فهو علم يدرس مخارج الأصوات وصفاتها التي تصدر عن الإنسان فقط، دون غيره من الكائنات الحيّة الأخرى، فهو بهذا المعنى يدرس الجانب التشريحي عنده.

وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أنّ جهاز النطق عند الإنسان إنّما يتألف من مجموعة من الأعضاء، بحيث يختصّ كلّ عضو منها بوظيفة بيولوجية من أجل استمرار وديمومة الحياة، وحفظ النوع الإنساني بالتميّز عن سائر المخلوقات في التكوين والضرورة؛ هذه الأعضاء التي سمّاها علماء الأصوات بأعضاء النطق هي في الحقيقة لم تُخلَق لأداء هذه الوظيفة، إنّما اختصّت بوظائف وعمليات أساسية أخرى لم يكن النطق إلّا جانباً ثانوياً في مسارها

(1) - أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص 67.

(2) - محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص 18.

الوظيفي، فالتسمية جاءت من باب تسمية الكلّ باسم الجزء، فأعضاء النطق المتمثلة في: الرئتين، الحنجرة، الوتران الصوتيان، لسان المزمار، الحلق، اللسان، اللهاة، الحنك، اللثة، الأسنان، الشفتان وتجاويف الفم والأنف، كلٌّ منها عضو له مهمة بيولوجية معيّنة، ووظيفة في التشكيل والبناء الصوتي؛ فالرئتان مثلا فضلا على ما تؤديه من دور مهم في العملية النطقية فإنّهما: «تنقلان الأكسجين إلى الدم، وتطردان ثاني أكسيد الكربون عبر عمليتي الشهيق والزفير، وما تحتويه الرئتان من الشُعَب الهوائية والحويصلات»⁽¹⁾.

إذن لكلّ عضو نطقي عند الإنسان وظيفة بيولوجية وأخرى نطقية؛ فالأولى أساسية، والأخرى ثانوية ويتألف جهاز النطق الإنساني من ثلاثة أقسام رئيسية، واجتنبنا للوقوع في الحشو والاستطراد، سنكتفي هنا بذكر هذه الأعضاء ذكرا من دون تفصيل وتدقيق. وأقسام جهاز النطق عند الإنسان هي:

1 - الجهاز التنفسي: حيث يقوم بمهمة الاستقبال والإرسال الهوائي الداخل والخارج إلى الرئتين، ويتألف من: الرئتان⁽²⁾ والقصبه الهوائية⁽³⁾.

2 - الجهاز التصويطي: يتألف هذا الجهاز من: الحنجرة⁽⁴⁾، لسان المزمار⁽⁵⁾ والوتران الصوتيان⁽⁶⁾.

3 - الجهاز النطقي: ويتألف هذا الجهاز من الأعضاء التالية: الحلق⁽⁷⁾، اللسان⁽⁸⁾ والذي ينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام: طرفه أو ذولقه، وسطه وأقصاه أو مؤخره، الحنك⁽⁹⁾ وينقسم هو الآخر إلى ثلاثة أقسام: مقدّمه أو اللثة ووسطه (الحنك الصلب أو الغار)، ومؤخره (الحنك اللين أو الرخو أو الطبق)، اللهاة⁽¹⁰⁾، التجويف الأنفي⁽¹¹⁾

(1) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، صص 23، 24.

(2) - للمزيد من التوسع: ينظر: المرجع نفسه، صص 26.

(3) - للمزيد من التوسع: ينظر: محمود عكاشة: أصوات اللغة، صص 24.

(4) - للمزيد من التوسع ينظر: محمّد عبد الله القواسمة: معالم في اللغة العربية، صص 13، 14.

(5) - للمزيد من التوسع ينظر: شرف الدّين علي الراجحي: في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، دط، 1433هـ/ 2012م، صص 29.

(6) - للمزيد من التوسع ينظر: محمّد علي الخولي: معجم علم الأصوات، صص 59.

(7) - للمزيد من التوسع ينظر: سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي: إبدال الحروف في اللهجات العربية، مكتبة الغرّاء الأثرية، السعودية، ط1 1415هـ/ 1995م، صص 92.

(8) - للمزيد من التوسع ينظر: المرجع نفسه، صص 92، 93. وأيضا: شرف الدّين علي الراجحي: المرجع السابق، صص 31.

(9) - للمزيد من التوسع ينظر: المرجع نفسه، صص 30.

(10) - للمزيد من التوسع ينظر: أحمد زرقة: أسرار الحروف، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 1413هـ/ 1993م، صص 79.

(11) - للمزيد من التوسع ينظر: سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي: المرجع السابق، صص 94.

الأسنان⁽¹⁾ والشففتان⁽²⁾.

يبدو جليا من خلال هذا التصنيف أنّ جهاز النطق عند الإنسان يمثّل جهاز إرسالٍ يمتدّ من الرئتين حتى الشفتين.

ويمكن تقسيم أعضاء النطق - المذكورة - إلى نوعين: أعضاء النطق المتحرّكة والمتمثلة في: الشفتان، اللسان الحنك اللّين، اللّهاة، لسان المزمار (يتحرك بحركة اللسان)، الحنجرة بما فيها من غضاريف، الرئتان والقصبية الهوائية، في حين أنّ الأسنان، اللثة، الحنك الصلب والحدار الخلفي للحلق فهي من أعضاء النطق الثابتة، كما يمكن القول أيضا: إنّ كلّ عضو من الأعضاء المتحركة السابقة الذكر قد يعمل وحده، دون الاشتراك مع غيره من الأعضاء المتحرّكة، أو قد يعمل مشتركا مع بعضها البعض.

وها هو "أحمد زرقة" يقسّم لنا أعضاء النطق إلى قسمين اثنين مع بعض الاختلافات، حيث يسمي الأعضاء المتحركة بـ "النواطق الإيجابية"، وهي عنده تشمل: الرئة، الحبلين الصوتيين، اللهاة، اللسان، الحنك الرخو، الأسنان السفلى والشففتين، في حين يطلق على الأعضاء الثابتة مصطلح: "النواطق السلبية" وهي عنده تشمل: الحنجرة الحلق، التجويف الأنفي، الحنك الصلب، اللثة والأسنان العليا⁽³⁾.

ف "أحمد زرقة" في هذا الموقف قد قسّم الأسنان قسمين: عليا وسفلى، وجعل الأولى من أعضاء النطق الثابتة، والأخرى من أعضاء النطق المتحركة، ويبدو أنّ هذه الرؤية قاصرة وغير دقيقة؛ فالأسنان - من وجهة نظري - ليست من أعضاء النطق المتحركة على الرغم من تحركها، بيد أنّ المسؤول عن تحريكها هو الفك (السفلي أو العلوي). وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أنّ هناك من اللغويين من اعتبر حركة عضو ما من عدمها معيارا لكون هذا العضو مباشرا أو غير مباشر «فالعضو الناطق المتحرّك هو عضو نطق مباشر، والعضو غير المتحرّك من أعضاء النطق عضو نطق غير مباشر»⁽⁴⁾.

(1) - للمزيد من التوسع ينظر: عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص41. وأيضا: سمير شريف إستيتية: الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1424هـ/2003م، صص39، 40.

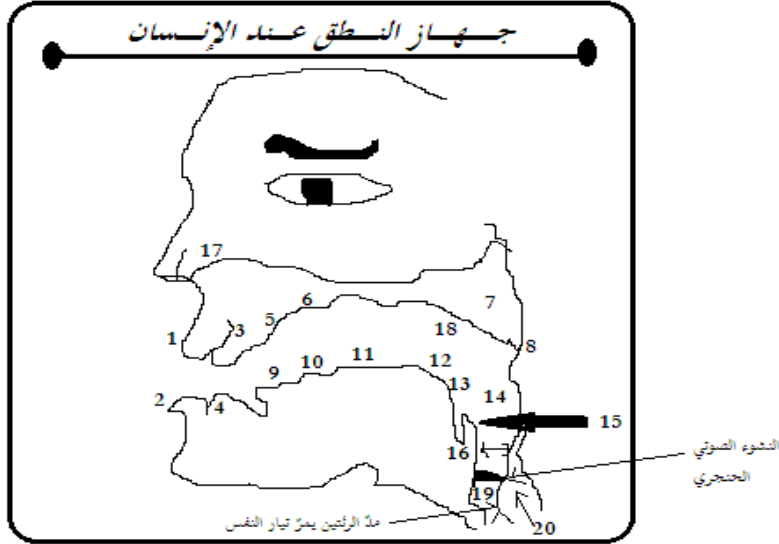
(2) - للمزيد من التوسع ينظر: نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، دط 1427هـ/2006م، صص97، 98.

(3) - أحمد زرقة: أسرار الحروف، ص75.

(4) - سمير شريف إستيتية: المرجع السابق، ص18.

وفي الأخير يمكننا أن نلخص أعضاء النطق التي يتكوّن منها الجهاز النطقي عند الإنسان في الشكل التالي⁽¹⁾:

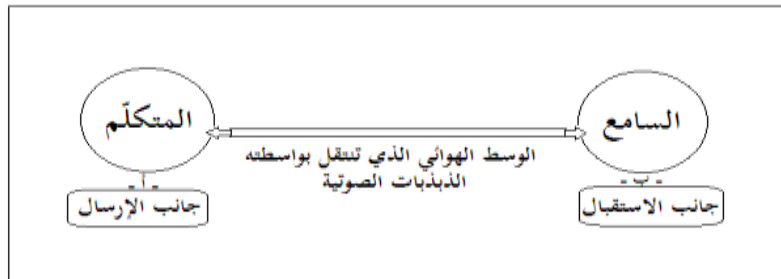
- الشكل 2 -



- 1 - الشفة العليا 2 - الشفة السفلى 3 - الأسنان العليا 4 - الأسنان السفلى 5 - اللثة 6 - الغار (الحنك الصلب) 7 - الطبقة (الحنك اللين) 8 - اللهاة 9 - ذلق اللسان 10 - مقدّم اللسان 11 - وسط اللسان 12 - مؤخّر اللسان 13 - جذر (أصل) اللسان 14 - الحلق 15 - لسان المزمار 16 - مكان الأوتار الصوتية 17 - الأنف 18 - التجويف الفموي 19 - الحنجرة 20 - القصبة الهوائية.

ب/ علم الأصوات الفيزيائي (الأكوستيكي):

يهتمّ هذا الفرع من العلوم بدراسة الأبعاد المادية أو الفيزيائية للصوت الإنساني أثناء مرحلتها الانتقالية من فم المتكلم إلى أذن السامع، هذه المرحلة تتمثل الميدان التطبيقي لحدوث الذبذبات والموجات الصوتية التي تنتقل عبر الوسط الهوائي، ينظر: الشكل 3-⁽²⁾.



(1) - صبري المتولي: دراسات صوتية في تجويد الآيات القرآنية، ص 109.

(2) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 44.

أشرنا سابقا إلى أنّ هذه العملية لا يمكن لها أن تتحقق إلّا من خلال وجود طرفين كحدّ أدنى: المتكلّم ويمثّل الجانب الإنتاجي (علم الأصوات النطقي)، والمستمع ويمثّل الجانب الاستقبالي (علم الأصوات السمعي)، والوسط الهوائي الذي تنتقل بواسطته الموجات الصوتية من فم المتكلّم (أ) إلى أذن المستمع (ب)، ويمثّل هذا الانتقال "علم الأصوات الفيزيائي". ويمكن تحديد اختصاص هذا الفرع في جانبين هما⁽¹⁾:

1 - دراسة الموجات والذبذبات الصوتية التي أحدثها المتكلّم.

2 - دراسة الوسيط الذي انتقل عبره الكلام إلى أذن السامع، أو القناة التي مرّ منها حتى وصل إلى المتلقّي.

ونشير في الأخير بأنّ "علم الأصوات الفيزيائي"، يدرس جميع الأصوات التي تصدر في الطبيعة، فهو بهذا المعنى لا يقتصر على ما هو منطوق فقط من قبل الإنسان كما هو الحال مع علم الأصوات النطقي، وإنّما يركّز على كل ما هو ذبذبة صوتية.

ج/ علم الأصوات السمعي أو الإدراكي:

يُعنى هذا العلم بدراسة «ميكانيكية الجهاز السمعي، والطرق التي تؤثر في سلوكيته وتأثيره بالأصوات التي تشكّل مادته الرئيسية، من حيث تموجاتها واستقبالها، وتحويلها إلى بركات مُرَمَّزة عبر سلسلة الأعصاب إلى الدماغ»⁽²⁾.

ولهذا الفرع من علم الأصوات العام جانبان⁽³⁾:

1 - جانب عضوي: ويتركز في دراسة فسيولوجية للأذن، وما يرتبط بها من أجهزة السمع.

2 - جانب نفسي: ويتركز في دراسة سيكولوجية الاستماع من حيث التأثير في المستمع واستجابته للمتكلّم، ومن حيث العمليات العقلية التي تجري في ذهنه لتفسير الكلام.

وعليه، فإنّ الذبذبات الصوتية التي يرسلها الجهاز النطقي، يتلقّاها الجهاز السمعي ويعمل على فكّ رموز وشفرات هذه الرسائل، وإدراكها في الدماغ من خلال اللغة المشتركة بين المتكلّم والمستمع.

وهذا الفرع من علم الأصوات لم يلق الاهتمام الكافي من لدن الدارسين، بقدر ما كان لعلم الأصوات النطقي، فالكثير من اللغويين أسقطوا هذا الفرع من مجال الدراسة الصوتية، وهذا ما ذهب إليه "كمال بشر" حيث نجده يحدّد سبب هذا الإهمال فيقول: «...ويرجع السرّ في ذلك إلى وجود صعوبات جمّة في طريق غير

(1) - محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص 19.

(2) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 73.

(3) - محمود عكاشة: المرجع السابق، ص س.

المختصين تخصصا يكفل الوصول إلى نتائج علمية صحيحة. من هذه الصعوبات - كما يرى بعضهم - احتواء هذا الفرع على ميدان ينتظم عمليات نفسية معقدة لا تدخل في حقيقة الأمر في مجال البحث اللغوي بمعناه الاصطلاحي...»⁽¹⁾.

ويخالف هذا الرأي ويعارضه بشدة "أحمد مختار عمر" الذي يرى لهذا الفرع من الصوتيات أهمية كبيرة - على الرغم من كونه لم يحقق حتى الآن تقدماً كبيراً - وعلى هذا الأساس يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند الدارسين، وذلك «لأنَّ أهمية دور السامع في العملية الكلامية لا تقلُّ عن أهمية دور المتكلم»⁽²⁾. ولأجل ذلك فضل أن يختص له فصلاً مستقلاً في كتابه "دراسة الصوت اللغوي".

ويُسمى الجهاز الذي يستقبل الذبذبات الصوتية بـ "الأذن" والتي هي: «أداة السمع أو جهاز الالتقاط الذي يتلقّى الإشارة الصوتية، ويحوّلها إلى حركة تدبّ عبر الأعصاب، وتنتقل إلى الجهاز العصبي المركزي»⁽³⁾.

ويتألف الجهاز السمعي الإنساني من ثلاثة أقسام لا حاجة لنا في هذا البحث لتفصيل فيها، وهي: الأذن الخارجية، وتشمل: (الصيوان، الصماخ والبطلة)⁽⁴⁾، والأذن الوسطى والتي بدورها تتألف من: (المطرقة والسندان والركاب)⁽⁵⁾، ثمّ الأذن الداخلية: وتنقسم إلى قسمين: (الأعلى منهما يعرف بالقنوات الهلالية، والأسفل: تعتبر القوقعة فيه من أهمّ أجزائه)⁽⁶⁾.

يضاف إلى هذه الفروع الثلاثة فرع آخر لا يقلُّ أهميّة عنها، وهو "علم الأصوات التجريبي"، فما المقصود به؟ وما الوظيفة التي يؤديها؟.

د/ علم الأصوات التجريبي (المعملي):

يُعنى هذا الفرع بالدراسات الصوتية معتمداً الأجهزة والآلات التي تقدّم مختلف التجارب على الصوت، بغية الوقوف على طبيعة مكوناته ودرجاته التباينية، ويطلق عليه كذلك: علم الأصوات المعملي، وتنحصر الآلات

(1) - كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 1421هـ / 2000م، ص44.

(2) - أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص45.

(3) - المرجع نفسه، ص46.

(4) - للمزيد من التوسع ينظر: نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص100. وأيضاً: عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص80.

(5) - للمزيد من التوسع ينظر: نور الهدى لوشن: المرجع السابق، ص101.

(6) - للمزيد من التوسع ينظر عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: مقدّمة في علم أصوات العربية، الجريسي للطباعة والتصوير، القاهرة، مصر، ط3 1424هـ / 2003م، صص54،55.

والمعدّات المخبرية في ميدان علم الأصوات التجريبي في: الآلات الفيزيائية مثل: الأوسيلوكراف (راسم الاهتزازات والذبذبات الصوتية)، جهاز الراسم الطيفي، آلة كوبر،... والآلات الفسيولوجية مثل: الكيموكراف، المجهر الحنجري (المرآة الحنجرية)، جهاز الراسم الحنجري، الأحناك الصناعية، أشعة X،... وكذا الآلات المنتجة للأصوات الصناعية⁽¹⁾.

ويقوم هذا العلم فضلا عما سبق بوظيفة مهمّة جدا ألا وهي: «الربط بين الفونيتيكا بكلّ فروعه، وبين الفونولوجيا بكلّ فروعه أيضا»⁽²⁾.

2 - موضوع علم الأصوات الوظيفي

* مفهوم الفونيم، أنواعه ووظائفه:

يعتبر "الفونيم" من بين المصطلحات الغربية التي شغلت فكر وتصوّر الكثير من علماء الغرب والعرب، ولعلّ نشأته كما تشير أغلب المصادر والكتب قد كانت على يد العالم واللغوي السوسري "فرديناند دي سوسير" ولا حاجة لنا هاهنا إلى تأريخ حياه هذا المفهوم، وتتبع مراحل نموه ونشأته، بقدر ما نحن بحاجة إلى الوقوف على ماهيته ووظيفته في النظام اللغوي. فمن المعروف بأنّ "الفونيم" هو العنصر الصوتي الرئيس الذي يشكّل موضوع علم الأصوات الوظيفي، وهو مصطلح معقدّ وعلّة تعقيدته هي: «اختلاف وجهات نظر علماء الأصوات واللغة إليه، فمنهم من نظر إليه من زاوية عضوية فسيولوجية، ومنهم من نظر إليه من الناحية السمعية ونظر إليه آخرون من جانب نفسي أو عقلي صرف، وهناك من حدّد تصوّره له بالنظر إليه من طبيعته المادية الفيزيائية، وآخرون إلى وظيفته، وهناك من كانت زاوية نظره إليه تجريدية محضة، في المقابل فضّل بعضهم أن يجمع بين بعض هذه الجوانب أو كلّها في تحديده»⁽³⁾.

ونتيجة لهذه الاختلافات والتضاربات تعدّدت المفاهيم والمصطلحات التي وُضعت للفونيم، شأنه في ذلك شأن معظم المصطلحات، صاغها علماء الأصوات كلٌّ حسب طريقته ومنهجه في البحث اللغوي، ولا نريد في هذا البحث كذلك أن نطيل الحديث، أو الوقوف على كلّ تعريف على حدة لكثرتها وتنوعها، ولدى سنختر مجموعة منها تكون بينها علائق وتواشجات، لا لأيّ غرض سوى للإيجاز والتبسيط.

(1) - ينظر: عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، صص 85، 95.

(2) - عصام نور الدّين: علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص134.

(3) - ينظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، صص 165، 183.

أ/ مفهوم الفونيم:

* عند "دي سوسير": يعرّف الفونيم قائلًا: «هو الحصيعة النهائية للانطباعات السمعية وحركات النطق، وهو الأثر المتبادل للوحدات السمعية والوحدات المنطوقة، إذن فهو وحدة مركّبة لها جدر في السلسلة المنطوقة، وآخر في السلسلة السمعية. إنّ العناصر التي نحصل عليها أولاً عند تقسيم السلسلة المنطوقة تشبه الحلقات في السلسلة، فهي لحظات لا يمكن اختصارها، كما لا يمكن دراستها خارج الوقت الذي تشغله»⁽¹⁾.

يفهم من خلال هذا التعريف أنّ تحديد "الفونيم" عند "دي سوسير" يقوم على ركيزتين أساسيتين هما: الجهاز النطقي أولاً والجهاز السمعي ثانياً، ولأجل ذلك وصف "الفونيم" بأنّه وحدة مركّبة، وكأنّه بذلك ينتقد من كان اعتماده في تحديد "الفونيم" على الجانب النطقي دون الجانب السمعي أو العكس. إذن فـ"الفونيم" في نظر "دي سوسير" هو مفهوم مركب، ولا يمكن تحديده بالاعتماد على الجانب العضوي فحسب، بل ينبغي لمن أراد تحديد هذا المفهوم أن يقف على خصائص الفونيمات الصوتية بعد تلقّيها أو سماعها؛ ذلك أنّ الاعتماد على الجانب السمعي ضروري في معرفة الوحدات الصوتية، وبدونه لا يمكن تحديدها بدقّة، ولعلّ هذا ما يؤكّده حينما يضيف قائلًا: «يقتصر عمل كثير من علماء النظام الصوتي على العملية الصوتية، أي إنتاج الأصوات عن طريق الأجهزة الصوتية (كالحنجرة والفم وغيرهما)، ويهملون الجانب السمعي، إنّ هذه الطريقة غير صحيحة، فالانطباع السمعي يصلنا بصورة مباشرة كما تصل الصورة التي تنتجها الأعضاء الصوتية، أضف إلى ذلك أنّ الانطباع السمعي هو أساس أيّة نظرية صوتية (...). إنّ الأذن تخبرنا عن الصوتين: ت، ب وغيرهما، فحتى لو استطعنا تصوير حركات الفم والحنجرة عند النطق بسلسلة من الأصوات، فإنّنا لن نستطيع أن نميّز التقسيمات الفرعية لحركات النطق، فلن نستطيع أن نعرف أين يبدأ صوت ما، وأين ينتهي الصوت الآخر؟ ولولا الانطباع السمعي ما استطعنا أن نقول على سبيل المثال إن: Fal تتكوّن من ثلاث وحدات وليس من وحدتين أو أربع وحدات...»⁽²⁾.

* عند "رومان جاكبسون": يعرّف "الفونيم" بقوله: «إنّ الفونيم هو الكيان اللغوي الوحيد من دون مضمون مفهومي، وهو ليس ذا معنى بذاته، إنّما هو أداة تساعد على التمييز بين المعاني»⁽³⁾.

ويقول أيضاً في موضع آخر: «إنّ الفونيم عنصر يساعد على إبراز المعنى إلاّ أنّه هو ذاته خُلُوٌّ من المعنى، إنّ

(1) - فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، ص58.

(2) - المرجع نفسه، صص56، 57.

(3) - رومان ياكوبسون: محاضرات في الصوت والمعنى، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/1994م، ص18.

ما يميّزه من كلّ العناصر أو المكوّنات اللغوية وبصورة أكثر عمومية من كلّ القيم السيميوطيقية هو كونه رمزا سلبيا فقط»⁽¹⁾.

وهذان التعريفان مكملان لبعضهما البعض، ومفادهما أنّ "الفونيم" هو أصغر وحدة صوتية في نظام اللغة، وقد حدّد "جاكسون" من خلال هذين التعريفين الوظيفة التي يؤديها الفونيم في الكلام، فعلى الرغم من كونه أصغر وحدة صوتية ليس له دلالة في ذاته، إلاّ أنّه قادر على تغيير المعنى، وذلك بطرق شتى سيأتي الحديث عنها في مكانها إن شاء الله.

ولعلّ هذا هو التعريف - التعريف الوظيفي - الذي لقي رواجا كبيرا وقبولا من لدن الباحثين العرب، فها هو مثلا الباحث الجزائري "مصطفى حركات" يعرّفه بقوله: «هو أصغر وحدة واردة في السلسلة الكلامية محدّدة بصفاتها المميّزة، وقد تختلف الصفات المميّزة للفونيم الواحد من لغة إلى أخرى؛ فالباء في الفرنسية توصف بالجهر لأنّ في الثنائية (pas ; bas): يفرّق الجهر بين كلمتين بينهما انعدام حرف مهموس له باقي صفات الباء في العربية يجعل هذا النوع من التقابل غير ممكن»⁽²⁾.

وإلى نفس الاتجاه يذهب "عبد القادر عبد الجليل"، حيث يعرّف "الفونيم" بأنّه: «أصغر وحدة صوتية تفرّق بين المعاني: حَلَب، حَلَب، فالجيم والحاء هما اللذان يفرّقان بين معنى التركيب الأول والتركيب الثاني»⁽³⁾.
وتعرّفه "نور الهدى لوشن" بقولها: «هو أصغر وحدة صوتية يتغيّر بها معنى الكلمة، إذا استبدلت بوحدة أخرى وهو ذو شكل صوتي ليس له معنى في ذاته، وإنّما هو ذو سمات تمييزية؛ فالفونيم وحدة صوتية وظيفية»⁽⁴⁾.

إذن فجميع هذه التعريفات تشير إلى الطابع الوظيفي للفونيم، والمتمثّل في الوظيفة التمييزية للغة، ويتّفق مع هؤلاء "حاتم صالح الضّامن"، غير أنّه يأتي بشيء جديد حول مفهوم "الفونيم"، يقول: «الفونيم أصغر وحدة صوتية مجرّدة تمايزية، لا تحمل بحدّ ذاتها أيّ معنى، يكون الحركة الثانية في الانبناء المزدوج، ويمكن عدّه مجموعة من السمات التمايزية المتّحدة فيما بينها»⁽⁵⁾.

ف "حاتم صالح الضّامن" في هذا التعريف يحدّد لنا الوظيفة التمييزية "الفونيم"، كما يشير كذلك إلى ظاهرة لغوية أهملتها التعريفات السابقة الذكر، وهي ما يعرف في اللسانيات الوظيفية لـ"أندري مارتنيه" بـ: "التقطيع المزدوج"

(1) - رومان ياكوبسون: محاضرات في الصوت والمعنى، ص143.

(2) - مصطفى حركات: اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/ 1998م، ص17.

(3) - عبد القادر عبد الجليل: التنوعات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1430هـ/ 2009م، ص33.

(4) - نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، صص123، 124.

(5) - حاتم صالح الضّامن: فقه اللغة، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص193.

والذي يبنى على مستويين أساسيين أولهما: «التقطيع على مستوى الوحدات الدالة، والتي تعرف بالمصطلح الغربي "فونيم"، وبالمصطلح العربي "لفظم"، وهي الوحدات الدالة التي تقبل التحليل إلى وحدات غير دالة وهي الفونيمات. ويقابلها في الاصطلاح العربي مصطلح الصوامم، وهي التي تمثل المستوى الثاني من التقطيع المزدوج»⁽¹⁾ وهذا ما أشار إليه "حاتم الضامن" بقوله: (يكون - أي الفونيم - الحركة الثانية...); أي يمثل المستوى الثاني من الانبناء (التقطيع) المزدوج.

و"الفونيم" مصطلح غربي قوبل في الحوض المعرفي العربي بعدة مصطلحات كما رأينا، منها: الصوتم، الصوت اللغوي، الوحدة الصوتية، الوحدة الفونيمية... الخ، وهناك من جعله مقابلاً للحرف، ومن هؤلاء "رمضان عبد التّوّاب"، يقول: «هذه الأصوات المختلفة التي يُعبّر عنها في الكتابة برمز واحد، ولا تستخدم في اللغة للتفريق بين المعاني المختلفة، هي ما يطلق عليه اسم: فونيم Phoneme = وحدة صوتية/عائلة صوتية، وفي إمكاننا نحن أن نطلق عليه اسم (حرف) مقصوداً به الرمز الكتابي»⁽²⁾.

من خلال كلّ هذه التعريفات التي أتينا على ذكرها يمكن أن نتساءل: هل أنّ "الفونيم" - فعلاً - وحدة قابلة للتجزئة إلى وحدات أصغر منها؟. وبما أنّ "الفونيم" ليس له دلالة في ذاته، ومع ذلك فهو قادر على تغيير معنى "المونيم" (الكلمة). فماذا لو استبدلنا - إذن - فونيم بفونيم آخر ولم يؤد هذا الاستبدال إلى تغيير في المعنى؟. ثمّ هل أنّ تغيير معنى المونيمات متوقف فقط على تغيير صوت بصوت آخر؟. وهل أنّ "الفونيمات" قاصرة على الصوامم دون الحركات (الصوائت)؟. أم أنّها تشملهما معاً؟. هذا وسنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها تبعا فيما سيأتي من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

ب/ الفونيم: قابل للتجزئة أم لا؟.

إنّ مسألة قابلية "الفونيم" للتجزئة من عدمها، من بين الإشكالات التي وقف عليها علماء اللغة، فمنهم من قال: بأنّ "الفونيم" قابل للتجزئة إلى وحدات أصغر، ومنهم من رفض هذا الكلام، وقال: بأنّ "الفونيم" هو في أصله أصغر وحدة في اللغة، فكيف إذن يتمّ تجزئة الوحدة الصغرى إلى وحدات أصغر منها؟! . وكلّ له حجّته في مذهبه واتجاهه، فها هو "ماريو باي" مثلاً يؤكّد على قابلية الفونيم للتحليل والتجزئة إلى وحدات ألفونية، حيث تشكّل هذه التنوعات الصوتية المتشابهة وحدة الفونيم، وعليها «يتوقّف استعمال كلّ منها أساساً على موقعه في الكلمة (أولاً - وسطاً - آخراً... الخ)، وعلى الأصوات المجاورة له (قبل علّة، قبل ساكن، بين علّتين، ملاصق لصوت

(1) - ينظر: شفيقة علوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، مؤسسة أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص19.

(2) - رمضان عبد التّوّاب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص83.

مجهور أو مهموس... الخ»⁽¹⁾.

وإلى نقيض ذلك تماماً يذهب "رومان جاكبسون"، حيث يقول بأن: «الفونيم غير قابل للتجزئة كما يعتقد البعض، فهو كيان معقد*»، فليس الفونيم؛ بل كلّ سمة من سماته المتميّزة لا يمكن اختزالها في كيان تقابلي خالص، إذ تتموضع كلّ إشارة لغوية على محورين: محور التزامن ومحور التعاقب، والفونيم هو الكيان اللغوي الأصغر الذي يتوزّع على هذين المحورين»⁽²⁾. ويشاطره في هذا الرأي "عبد القادر عبد الجليل" الذي يرى هو الآخر بأنّ "الفونيم" «أصغر وحدة صوتية غير قابلة للتجزئة، فلو أخذنا لفظة "جالس" نرى أنّها تتكوّن من: ج ا ل س، وهذه وحدات صوتية غير قابلة للتجزئة، ويسمّى كلّ واحد منها "فونيم"»⁽³⁾.

يبدو جلياً من خلال ما سبق ذكره أنّ "الفونيم" وحدة اللغة الصغرى، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال تقسيمها إلى ما هو أصغر منها؛ فهو الجزء الذي لا يتجزأ، لأنّه كلّما اجتمع أكثر من فونيم تشكّل ما يعرف بـ "الحرف". أمّا "المونيم" فهو القابل للتجزئة إلى وحدات أصغر وهي "الفونيمات" لكونه حامل للمعنى، فما لا دلالة له في ذاته غير قابل للتجزئة.

ذكرنا فيما سبق أنّ "الفونيم" ذو وظيفة تمييزية، ولكن إذا تمّ تعويض أو إحلال صوت محلّ صوت آخر، ولم ينشأ عن ذلك التعويض أيّ تغّيّر في المعنى، لا يسّمى ذلك الصوت حينها "فونيمًا"، بل هو بدل منه وعوض عنه وهذا ما يسّمه علماء الأصوات "ألوفون"، ممّا يعني أنّ "الفونيم" صوت ولكن ليس كلّ صوت بفونيم. وفي هذا الصدد يقول "ماريو باي": «أنّه لو حدث ووضعنا صوتين إحداهما مكان الآخر في كلمة ما، مع الاحتفاظ بباقي الحروف، فإذا حدث ووجد اختلاف في المعنى فهما فونيمان، وإذا لم يحدث أيّ اختلاف في المعنى نتيجة هذا التغيّر فهما فونان لفونيم واحد»⁽⁴⁾.

إذن، فالفرق بين "الفونيم" وبين "الألفون" والذي يمثّل التّأديات الصوتية المختلفة للفونيم الواحد، دون أن تؤدّي هذه التّأديات أو الصور النطقية المختلفة أو الاستعمالات المتباينة إلى تغيير في الدلالة، فرق واضح وجليّ. ونستطيع أن نضرب مثالا على ذلك باللّهجات التي تنتمي إلى لسان واحد، أو إلى بقعة جغرافية واحدة

(1) - ماريو باي: أسس علم اللغة، ص 88.

(*) - لا يقصد "جاكبسون" بمصطلح "التعقد": التركيب، بل يقصد: اختلاف وجهات وزوايا النظر إلى "الفونيم"، وتلك علّة تعقيده (ينظر تعريفات "الفونيم" من هذا البحث)، هذا فضلاً عن ضرورة اجتماع الجانب النطقي والسمعي في تحديد مفهومه (ينظر تعريف: "دي سوسير" له).

(2) - رومان ياكوبسون: محاضرات في الصوت والمعنى، ص 144.

(3) - عبد القادر عبد الجليل: التنوعات اللغوية، صص 32، 33.

(4) - ماريو باي: المرجع السابق، صص 89، 90.

أو كلاهما معا، فعلى سبيل المثال: صوت "القاف" في الجزائر: يتم تأديته بصور نطقية مختلفة؛ فينطق "ألفا" في تلمسان و"قالا" (بثلاث نقاط على القاف) في قسنطينة وسطيف، و"غينا" في الجلفة، و"كافا" أو ما شابهها في جيجل وما جاورها، دون أن يكون لهذه الصور النطقية المختلفة تأثيرا على معنى الكلمات، إذن فالفونيم: «هو الوحدة الصوتية التي تتألف من أصوات جزئية تسمى الألفونات أو التنوعات الفونيمية، حيث يمثل الفونيم المفرد نوعا يجمع تحته أفراد أسرته»⁽¹⁾.

ج/ مستويات الفونيم:

عرفنا فيما سبق من هذا البحث أثناء الحديث عن "الصوت اللغوي" وكذا عند عنصر "مفهوم الفونيم" أنّ لهذا الأخير مستويين اثنين؛ الأول "عقلي" يتمثل في إدراك دلالة الصوت في الذهن، والآخر مادي ذو وجهين اثنين: فسيولوجي (عضوي)، وآخر فيزيائي (الذبذبات والموجات الصوتية)، والذي يتحوّل بفضل السمع إلى المستوى العقلي الأول بعد ترجمة هذه الذبذبات الصوتية في المخ.

د/ وظيفة الفونيم:

يؤدّي الصوتيم (الفونيم) وظيفتين: إحداهما إيجابية، والأخرى سلبية، أمّا الإيجابية فهي: «مما يساعد على تحديد المعنى في الكلمة التي يحتوي عليها الصوتيم، والسلبية هي التي تحتفظ بالفرق بين هذه الكلمة والكلمات الأخرى، فالتاء في تاب صوتيم (فونيم) تشترك مع الصوتيمات الأخرى في تلك الكلمة لتحديد المعنى، وهذه وظيفتها الإيجابية، وإذا أبدلت هذا الصوتيم صوتيما آخر، فإنّ المعنى يتغيّر حتما مثل: عاب وتاب وباب، ويجعل الكلمة الأولى مختلفة في معناها عن معاني الكلمات الأخرى، وهذه وظيفتها السلبية»⁽²⁾.

إذن، فالفونيم حينما يشترك مع غيره من الفونيمات في تشكيل معنى مونيما؛ بحيث لا يؤدّي هذا المونيم معنى دونه، فهو بهذا قد أدّى وظيفة إيجابية، أمّا إذا أحلنا محلّه فونيمًا آخر مضادا ومخالفا له، وأدّى هذا الإحلال إلى تغيّر في المعنى، نقول عن الفونيم في هذه الحالة إنّ وظيفته سلبية.

أشار القول السابق إلى وظيفة "الفونيم" حينما يكون صامتا، غير أنّ هذه الوظيفة لا تقتصر على الصوامت فحسب، بل تتعدّها إلى الصوائت كذلك؛ فالحركات سواء كانت طويلة أم قصيرة لها دور بارز هي الأخرى في التمييز بين معاني الكلمات، فكلمة: بُر مثلا بضمّ الباء تختلف عن كلمة بَر بالفتح وتختلف عن: بِر

(1) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 113.

(2) - تحسّين عبد الرضا الوزّان: الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار دجلة ناشرون وموزّعون، عمان، الأردن ط 1، 1432هـ / 2011م، صص 282، 283.

بالكسر، فالأولى تعني القمح، والثانية تعني اليابسة والثالثة تحيل على معنى الطاعة والعمل الصالح، وما يقال عن الحركات القصيرة ينطبق كذلك على الحركات الطويلة؛ فـ "قال" مثلا يختلف معناها هي الأخرى عن "قيل" وهلم جرا. كما تعتبر كذلك "علامات الترقيم" فونيمات لها دخل في تغيير معنى العبارات من إخبار إلى استفهام إلى تقرير إلى تعجب... الخ.

هـ/ أقسام وأنواع الفونيمات في اللغة العربية:

تنقسم "الفونيمات" في اللغة العربية إلى قسمين: الفونيمات التركيبية أو القطعية، والفونيمات فوق التركيبية أو فوق القطعية على اختلاف المصطلحات والتسميات، وفيما يلي بيان لكلا القسمين:

* فونيمات رئيسية أو تركيبية:

يُقصد بها: «الوحدة الصوتية التي تكون جزءا أساسيا من الكلمات المفردة، وذلك كالباء والتاء والثاء وكذلك حركات الإعراب الطويلة والقصيرة»⁽¹⁾. أو هي: «أصغر وحدة صوتية متمثلة في أحد الصوامت أو الصوائت التي تتلفظها»⁽²⁾.

يتضح من خلال هذين التعريفين أنّ "الفونيم" إنّما سمي تركيبيا لأنه يتدخل في تركيب الكلمة المفردة ويكون جزءا منها، كما يشير إلى ذلك إلى أنّ الفونيمات التركيبية ليست قاصرة على الصوامت فحسب، بل تتعدّها إلى الصوائت كذلك، كما يمكن أن يفهم من خلال هذين التعريفين أيضا أنّ الصفات الصوتية بنوعها تعتبر من الفونيمات التركيبية، أو بتعبير آخر ظاهرة قطعية؛ مادام أنّ الصفة الصوتية جزء لا يتجزأ من الصوت اللغوي لثبوتها فيه، فالصفات اللازمة غالبا ما تكون قاصرة على الصوامت مثل الجهر، الاستفال، الانحراف... حال أفرادها عموما، في حين تكون الصفات العرضية في الصوامت والصوائت على حدّ سواء، لكن حال التركيب في الغالب، سواء كان ذلك التركيب صامتا مع صامت آخر نحو: أحكام النون الساكنة والتنوين، أم صامتا مع صائت كما هو الحال مثلا في أحكام التفخيم والترقيق في أغلب حالاته.

تتألف اللغة العربية من أربعة وثلاثين فونيمًا تركيبيا موزعة على النحو التالي⁽³⁾:

- 1 - ثلاثة فونيمات للصوائت القصيرة، وهي: الفتحة والكسرة والضمة.
- 2 - ثلاثة فونيمات للصوائت الطويلة: الفتحة الطويلة (الألف)، الكسرة الطويلة (الياء) والضمة الطويلة (الواو).

(1) - نادية رمضان النجّار: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، دط، 2004م، ص73.
(2) - أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط3، 1428هـ / 2007م، ص184.
(3) - عبد القادر عبد الجليل: علم الصرف الصوتي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1431هـ / 2011م، ص97.

3 - فونيمان لأنصاف الصوائت: الواو والياء.

4 - ستة وعشرون فونيمًا للصوائت وهي: حروف الهجاء.

وتوصف فونيمات الصوائت القصيرة بأنّها فونيمات متساوقة؛ أي قابلة للحذف أثناء تيار الكلام، وهذا لا يتحقّق في العربية الفصحى إلاّ من باب التسهيل والتيسير، أمّا بقية فونيمات اللغة العربية فهي فونيمات غير متساوقة، أمّا أشباه الصوائت (أنصاف الصوائت) وهما الواو والياء، فكما هو معلوم أنّ الواو مثلاً صوت (صامت طويل+صامت) ورمز، وتظهر في التراكيب اللغوية لتحتلّ موقعين: إحداهما موقع الأصوات الصامتة لتقوم بوظيفتها في تشكيل الصورة الدلالية وتبادل المواقع مثل: ولد=بلد، يلد=جلد، والآخر: موقع الصوائت الطويلة لتقوم بوظيفتها في تشكيل معالم الدلالة وتبادل المواقع، نحو: بُوق=بُرق، يريد=يرفد،...

* فونيمات ثانوية أو فوق تركيبية:

وهي «ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزى في الكلام - بعكس الرئيسية - فهي لا تكون جزءاً من تركيب الكلمة، وإنّما تظهر وتُلاحَظ فقط حين تُضمّ كلمة إلى أخرى، أو حين تُستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصّة ومن أمثلتها: المقطع والنبر والتنغيم»⁽¹⁾.

وسمّيت "فوق تركيبية" لأنّها لا تتدخل في تركيب الكلمة المفردة، كما هو الحال مع النوع الأول، وإنّما تتحلّى من خلال ضمّ كلمة إلى أخرى مثلها أو أكثر، وغالبا ما يرتبط هذا النوع بالتأدييات النطقية والممارسات الكلامية ولأجل ذلك سمّي هذا النوع أيضا بالتنوعات اللغوية أو السياقية.

وهناك من فضّل استعمال مصطلح "فوق القطعية" للدلالة على هذا النوع من الظواهر الصوتية، يقول: "أحمد مومن": «الفونيم الفوققطعي هو فونيم يزامن أحيانا الفونيم القطعي، وقد يكون نبرة أو نغما أو فاصلا، ويطلق عليه أيضا الفونيم الثانوي أو البروسوديم»⁽²⁾، ويقول "منصور الغامدي" في شرح المصطلح: «مصطلح يدلّ على الخصائص الصوتية التي تتجاوز الصوت نفسه»⁽³⁾.

فالنبر والتنغيم مثلا فونيمان فوق قطعيان؛ لا يتدخلان - كما أسلفنا - في تشكيل الصوت في حدّ ذاته، كما هو الحال مع الصوائت والصوائت، بل أنّ دورهما يكمن أساسا في إعطاء الصوت تلوّنا معيّنًا، إذن فهذا النوع من الظواهر لا تظهر في الكتابة وإنّما تظهر من خلال الأداء والكلام (الاستعمال اللغوي).

(1) - نادية رمضان النجار: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، ص75.

(2) - أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص184.

(3) - منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط1، 1421هـ / 2001م، ص79.

نخلص في النهاية إلى التأكيد بأنّ "الفونيم" وظائف عدّة، وأبرزها الوظيفة التمييزية، ولكن هذه الوظيفة لا يمكن "الفونيم" وهو على أصله في التجرد أن يقوم بها، فلا بدّ له أن يكون مجاورا لغيره سواء أكان هذا الأخير صامتا (صوتا/حرفا)، أم صائتا (حركة قصيرة/طويلة). كما لا بدّ من الإشارة إلى أنّ "الفونيم" قد يؤدي هذه الوظيفة ليس من خلال استبدال "فونيم" بـ "فونيم" آخر (صوتا أو حركة)، وإنما يؤديها حينما تتبادل الفونيمات مواقعها داخل بنية الكلمة الواحدة، فكلمة "دلو" وكلمة "ولد" كلاهما يتشكّلان من نفس الفونيمات، غير أنّهما يحلان دالتين مختلفتين ويرجع هذا الاختلاف إلى تبادل الفونيمات المشكلة للكلمتين السابقتين مواقعها فيهما. بعد أن تعرّفنا على "علم الأصوات" وموضوعه، وعلى مختلف المصطلحات التي يقوم عليها هذا العلم، وعلى الفروع العامة وكذا الخاصة له، سنتعرّض في آخر هذا المبحث إلى نقطة لا تقلّ أهميّة عن سابقاتها وهي: أهميّة علم الأصوات. ففيما تكمن أهميّة هذا العلم؟ وما هي أبرز المجالات التي يقوم عليها؟.

المطلب السادس: أهميّة علم الأصوات

حاول علماء الأصوات المحدثون استخلاص أهميّة الدراسات الصوتية الحديثة في المجالات التطبيقية والعملية وسنمثّل لبعضها فيما يلي⁽¹⁾:

- 1 - تسجيل نتائج الدراسة الصوتية من خلال آلات دقيقة، يمكننا من إجراء المقارنات الصوتية والوقوف على ما يحدث لها من تغيير.
- 2 - تسجيل أنماط كلامية مختلفة لبيئات متعدّدة، يمكننا من درس هذه اللغات ومعرفة تطوّر أصواتها عبر فترات زمنية متباعدة.
- 3 - لا يوجد "فقه نحو مقارن" بدون الاعتماد على الدراسة الصوتية، فهو يصف أصوات لغة ما في فترة زمنية محدّدة، ومقارنتها بأخرى في فترة زمنية محدّدة؛ يؤدي ذلك إلى ظهور علم المقارنات الصوتية.
- 4 - إنّ "علم الأصوات" يقدّم عوناً كبيراً في إجادة نطق اللغات الأصلية، وفي تعلّم نطق اللغات الأجنبية، فهو إذن يصف اللغات وأنظمتها الصوتية.
- 5 - يفيد "علم الأصوات" في تعليم الأداء السليم نطقياً، ولاسيما لذي العيوب الكلامية والأمراض النطقية، وذلك من خلال الوقوف على خصائص الصوت وتعيين مخرجه وموضع نطقه وصفته.
- 6 - يساعد "علم الأصوات" على تطوير وسائل الاتصال، كما حدث في آليات الصوت وأجهزته وكذلك في علم التليفون والتلغراف، هذا بالإضافة إلى التجارب التي تبين معايير السمع ودرجات الصمم، وتحديد استخدام الأذن

(1) - ينظر: نادية رمضان النجار: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، صص92، 94.

السليمة والمريضة عند حدوث العملية الكلامية.

7 - يقوم بدور فعّال في تعليم الصم الكلام، وذلك من خلال إشارات نطقية شفوية، كما يعلّمونهم كيفية استقبال إشارات معيّنة كرد فعل على ما قيل، وكذلك ضعاف السّمع يكتبون الخصائص النطقية للأصوات اللغوية.

إذن، فعلم الأصوات يستفاد من ثماره الكثير من العلوم الطبيعية والإنسانية تستفيد منه في: تعليم اللغات للناطقين بها وغير الناطقين، في مجال الطب، في ميدان الإعلام والاتصال، في فنّ الموسيقى ونظم الشعر، في البلاغة (جانب الفصاحة والبيان)، في علم الفلك... الخ.

المبحث الثاني: علم القراءات

المطلب الأول: مفهوم علم القراءات وموضوعه

1 - مفهوم علم القراءات:

منذ أن أصبح لمعظم الكلمات دلالتان: إحداهما لغوية والأخرى اصطلاحية، درج الباحثون في مثل موضوعنا أن يتعرفوا أولاً على معنى اللفظ في اللغة، ثم على معناه في الاصطلاح، والأصل أن يكون المعنى الاصطلاحي مرتبطاً بالمعنى اللغوي ويمت إليه.

أ/ لغة:

ورد في "اللسان" تفسير مادة "قَرَأَ" (*): «القرآن العزيز، وإِذَا قُدِّمَ عَلَى مَا هُوَ أَبْسَطُ مِنْهُ لَشْرَفِهِ (...) وَقَرَأْتُ الشَّيْءَ قُرْآنًا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض (...)»، ومعنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعاً: أي ألقيته (...). وقُرِئَ الكتاب قراءةً وقُرِئًا، ومنه سمي القرآن، وأقْرَأَهُ القرآن فهو: مُقْرِئٌ (...). واستَقْرَأَهُ: طلب إليه أن يقرأ (...). والقُرْءُ: الوقت، وقَرَأَتِ الناقة: ولدت، وأقْرَأَتِ الناقة والشاة: استقرَّ الماء في رحمها، وهي في قِرْوَتِهَا...»⁽¹⁾. إذن، فالقراءة في اللغة تحيل إلى معنى: الجمع والضم والأداء.

ب/ اصطلاحاً:

علم القراءات كغيره من المصطلحات الأخرى، لقي اختلافًا وتضاربًا كبيرًا بين العلماء حول مفهومه، فمنهم من يعرف "القراءات"، ومنهم من يعرف "علم القراءات"، وسنذكر هنا بعض هذه التعريفات التي لقيت رواجًا وقبولاً من بعض الدارسين:

* تعريف "الزركشي" (ت/794هـ): يعرف "القراءات" بقوله: «القراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كیفيتها من تخفيف وتثقیل وغيرها»⁽²⁾.

يتبين لنا من خلال هذا التعريف أنّ الإمام "الزركشي" قد عرّف القراءات لا علم القراءات، فضلاً على أنّه قد

(*) - جاء في كتاب "تاريخ القرآن": أنّ كلمة "قرآن" مأخوذة من الفعل: "قَرَأَ" ذات جذور في اللغة السريانية، هذه الأخيرة التي تعرف إلى جانب الفعل: "قَرَأَ" أيضاً الاسم: "قُرْيَانًا"، وهذا الاحتمال - إن صحّ - يقوّي بأن يكون المصطلح "قرآن" لم يتطوّر داخل اللغة العربية من المصدر المشابه في المعنى، بل أن تكون الكلمة مأخوذة عن تلك الكلمة السريانية، ومطبقة في الوقت نفسه على وزن فُعْلان... للمزيد من التوسع ينظر: تيودور نولدكه: تاريخ القرآن، ج1، تح: فريديريش شفالي، دار نشر جورج ألمز، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، صص30، 32.

(1) - ابن منظور: لسان العرب، مج1، مادة "قَرَأَ".

(2) - بدر الدّين محمّد عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، تح: أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، دط، دس ص318.

حصرها في مواضع الاختلاف فقط، وكأنه بهذا ينفي انتماء مواطن التشابه إلى القراءات، كما ركّز في تعريفه السابق على ركن واحد فقط من أركان القراءة السليمة، وهو: "موافقة الرسم العثماني" ويتّضح ذلك جلياً من خلال قوله "كتابة الحروف"، في حين أغفل إغفالاً تاماً أهمّ عناصر أصول القراءة القرآنية ألا وهي: النقل والرواية. * تعريف "البنّا الدميّاطي" (ت/1117هـ): يقول معرّفًا "علم القراءات": «هو علم يُعَلَّمُ به اتّفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السّماع»⁽¹⁾.

إذن، فد"الدميّاطي" في هذا التعريف قد اهتمّ بعلم القراءات، وليس بالقراءات كما فعل الإمام "الزركشي" مؤكّداً أنّ القراءة هي الأصل الذي يعرف به ما اختلف عنه من فروعها (الرواية والطريق)، ليكون تعريفه - بهذا - أشمل وأعمّ من تعريف "الزركشي"؛ حيث أكّد بأنّ القراءات تشمل مواطن الاتفاق والاختلاف معاً، والموجودة في الروايات والطرق، كما أنّه لم يهمل في تعريفه هذا لعنصر: النقل والرواية والسّماع.

* تعريف "عبد العظيم الزرقاني" (ت/1948هـ) يقول: «مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف، أم في نطق هيئاتها»⁽²⁾.

والإمام "الزرقاني" في هذا التعريف قد قدّم مفهوم "للقرّاءات" وهي عنده اتجاه خاص بإمام معيّن، يختلف فيه مع غيره من الأئمة الآخرين في كميّات النطق بكلام الله عزّ وجلّ، دون أن يهمل أساس القراءة وأسّها وهو الرواية والنقل، بيد أنّه قد حصر القراءات في مواطن الاتفاق - على عكس الإمام "الزركشي" - التي تُنقل عن القراءة وبين الطرق التي تنقل عن الرواية؛ وكأنّه بهذا يريد أن يؤكّد بأنّ مواطن الاختلاف والتباين لا تمتّ للقراءة بصلة لا من قريب ولا من بعيد، وفي ذلك مبالغة شديدة.

يتبيّن لنا من خلال ما سبق أنّ هناك فرقا واضحا بين "القراءات" وبين "علم القراءات":

فالقراءات: هي مذاهب الناقلين لكلام الله تعالى فيما تعلّق بكيفية أداء الكلمات القرآنية والنطق بها إمّا اتّفاقاً وإمّا اختلافاً في السّماع والرواية.

(1) - أحمد بن محمّد البنا الدميّاطي: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج1، تح: شعبان محمّد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، لبنان ومكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط1، 1407هـ/1987م، ص67.

(2) - محمّد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، تح: فوز أحمد زمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1995م، ص336.

علم القراءات: هو العلم الذي يعرف به كيفية أداء الكلمات القرآنية وطرق النطق بها اتفاقاً واختلافاً، مع نسبة كلّ طريق (وجه) إلى ناقله (صاحبه).

2 - موضوع علم القراءات:

يتبيّن لنا من خلال التعريفات السابقة بأنّ موضوع العلم هو كلمات القرآن الكريم، من حيث النطق بها وكيفية أدائها، ولأجل ذلك فلقد عُدّ هذا العلم من أشرف العلوم الشرعية التي تدور حول القرآن الكريم؛ لتعلّقه تعلقاً مباشراً بأشرف كتاب وهو القرآن، ما دامت مادته هي حروف وكلمات هذا الكتاب. أمّا فيما يخصّ واضعه ففي ذلك خلاف، فقيل أئمة القراء، وقيل "أبو عمر حفص بن عمر الدوري" رحمه الله، أمّا عن أوّل من دوّن في هذا العلم فقيل "أبو عبيد القاسم بن سلام (ت/224هـ) رحمه الله، وأمّا فيما يخصّ استمداده فمن النقول الصحيحة والمتواترة عن علماء القراءات الموصولة السند إلى رسول الله (ص).⁽¹⁾

يقول "المارغيني" في عرض بعض فوائد هذا العلم: «ولعلم القراءات فوائد كثيرة، منها: صيانة كتاب الله تعالى عن التحريف والتغيير، ومنها معرفة ما يقرأ به كلّ واحد من الأئمة القراء، ومنها تمييز ما يقرأ به وما لا يقرأ به، فكان حكم الله عزّ وجلّ فيه: الوجوب الكفائي تعلماً وتعليماً»⁽²⁾.

المطلب الثاني: مصدر القراءات ونشأتها

1 - مصدر القراءات:

القراءات القرآنية المتواترة هي جملة ما بقي من الأحرف السبعة التي نزلت على النبي (ص)، ومصدرها الوحيد هو "الوحي الربّاني" الذي نزل به "جبريل" الأمين عليه السلام على النبي (ص)، عن طريق النقل الصحيح المتواتر. قال الله عزّ وجلّ عن النبي (ص) في تلقيه القرآن والقراءات: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۗ﴾ النجم (5/3)، وليست القراءات القرآنية مأخوذة من خط عربي، أو رسم المصحف أو اجتهاد الصحابة أو التابعين، فلا مجال للرأي والاجتهاد في تحديد قرآنية الرواية ونسبة القراءات للقراء، كما قال "أبو عمرو الداني": هي نسبة اختيار ودوام ولزوم ورواية واشتهار، لا نسبة اختراع ورأي

(1) - ينظر: أبو عبد الله محمد بن شريح الزعيني الأندلسي: الكافي في القراءات السبع، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ / 2000م، ص9.

(2) - سيدي إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقر الإمام نافع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط 1415هـ / 1995م، ص17.

واجتهاد⁽¹⁾.

2 - نشأة علم القراءات:

لقد كانت بداية نزول القراءات مع نزول القرآن الكريم بمكة، حيث توجد القراءات في السور المكية ولا دليل على نزولها مرة ثانية بعد الهجرة، ولكن الحاجة لم تدع إلى استخدامها لوحدة اللغة واللهجة بمكة وما جاورها، خلافا لما حدث بعد الهجرة، حيث دخلت في الإسلام قبائل مختلفة اللهجات واللغات، هكذا نشأت القراءات، وسواء أكانت نشأتها بمكة أم بالمدينة على خلاف العلماء في ذلك، إلا أنها مرت بمراحل عديدة يتداخل بعضها في بعض حتى استقرت علما من العلوم القرآنية واللغوية، ويمكن أن نوجز هذه المراحل فيما يلي⁽²⁾:

- 1 - مرحلة تعليم جبريل للرسول(ص): جاء في حديث "ابن عباس" رضي الله عنهما قال: قال رسول الله(ص): «أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»^(*).
- 2 - مرحلة تعلم الصحابة من الرسول(ص): حيث أمر الله تعالى نبيه محمد(ص) بتعليم المسلمين وإقراءهم ما أقرأه "جبريل" عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ القيامة/18.
- 3 - مرحلة تعليم الصحابة بعضهم لبعض: وذلك بأمر من النبي(ص).
- 4 - مرحلة تعلم التابعين من الصحابة: وفيها تم توحيد المصاحف على رسم يحتمل أكثر وأغلب الأوجه الصحيحة المتواترة، نظرا لظهور الشذوذ وكثرة النزاع بين المسلمين بسبب تعدد القراءات.
- 5 - مرحلة التخصص في القراءات: وهم القراء العشر المتفق على قراءتهم.
- 6 - مرحلة التدوين في القراءات: بدأ التأليف في علم القراءات منذ عصر مبكر، حيث كان القرآن الكريم وتلاوته شغلهم الشاغل عن كل شيء، حتى كان بعضهم يفضل تعلم القرآن وتعليمه على الجهاد في سبيل الله، إلا أن المؤرخين قد اختلفوا في تعيين أيهم أول من ألف في هذا الفن^(**)، حيث قيل بأنه الإمام "أبو عبيدة القاسم بن سلام" - كما سبقت الإشارة - وقيل أن الإمام "يحيى بن يعمر" هو أول من ألف في القراءات،...

(1) - محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون: مقدمات في علم القراءات، دار عتار، عمان، الأردن، ط1، 1422هـ/2001م، ص48.

(2) - ينظر: منصور كافي: علم القراءات: مفهومه، نشأته، مصدره، أقسامه ومدارسه، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، دط، 1429هـ/2008م، صص25، 31.

(*) - أخرجه: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَزْزَنَةَ البخاري الجعفي في صحيحه(صحيح البخاري)، مج3، ج6، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، شركة الشهاب، الجزائر، دط، 1411هـ/1991م، ص100.

(**) - جاء في "الفهرست" للشيخ "الطوسي" (ت/460هـ): أن "محمد بن موسى بن أبي الصلت صاحب اللؤلؤ" قال نقلا عن "أحمد بن محمد بن موسى": «سمعت أبا بن تغلب وما أقرأ منه يقرأ القرآن من أوله إلى آخره، وذكر القراءة، وسمعت يقول: إنها الهمة رياضة...»، يعني أن التكلم =

إذن، فحركة التدوين في القراءات بدأت منذ أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، وإن كان ذلك بصورة غير دقيقة، ثم أخذت تتطور في القرن الثالث الهجري وبلغت ذروة ازدهارها في القرنين الرابع والخامس، لتتحسّر ابتداء من القرن السادس حتى القرن الثامن، وفي القرن التاسع لا نجد لهذا الفن سوى مصنّفات تكاد تعدّ على الأصابع، وبعد القرن التاسع قلّ التصنيف وكانت جهود العلماء تكاد تكون مقصورة على شرح منظومة الإمام "الشاطبي"، ولعل سبب ذلك يرجع إلى قلة المشتغلين بهذه المادة العلمية إلى عزوف الناس عن تلقيها لاستصعابهم إيّاها.

المطلب الثالث: أركان القراءة الصحيحة ومراتبها

1 - أركان القراءة الصحيحة:

يُشْتَرَطُ لصحّة القراءة ثلاثة أركان وهي⁽¹⁾:

- 1 - أن تكون متواترة بسند صحيح إلى رسول الله(ص)، ولو صحّ سندها واشتهرت؛ أي لم تصل حدّ التواتر وتلقّتها الأمة بالقبول، لحقت بالقراءة المتواترة عند كثير من القراء.
- 2 - أن توافق اللغة العربية بوجه ما، ولا يشترط أن يكون أفصح، بل لو كان فصيحاً تحقق الشرط.
- 3 - أن توافق أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالاً.

ومثال الشرط الثالث: قرأ "الكسائي وعاصم ويعقوب وخلف العاشر" قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾⁽²⁾ بالالف، وقرأها باقي القراء العشرة بدون ألف: ﴿مَلِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾⁽³⁾ الفاتحة/3، ورسم المصحف يحتمل القراءتين⁽²⁾. أمّا كلمة "احتمالاً" فالمقصود بها: «توافق الرسم ولو تقديراً؛ إذ موافقة الرسم إمّا أن تكون تحقيقاً؛ أي موافقة صريحة مثل قراءة: ﴿مَلِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ بدون "الألف" فهي توافق الرسم تحقيقاً، وقراءة: ﴿مَلِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ بـ "الألف" توافق رسم المصحف تقديراً أو احتمالاً على تقدير إثبات الألف»⁽³⁾.

= بالهمزة والإفصاح عنها مشقة ورياضة بلائمٌ، فلا بدّ من التخفيف... ويفهم من الكلام السابق أيضاً أنّ "أبان بن تغلب الربيعي أبو سعيد" قد كان متقدماً في كلّ فن من العلم والقرآن والفقه والحديث، وكان أوّل من صوّف في القراءة على الإطلاق، ودوّن علمها وجمع القراءات، غير أنّه كان من علماء الشيعة فلم يهتموا بذكره، وأغفلوا تقدّمه وريادته. لمزيد من التوسّع ينظر: أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي: الفهرست، تح: محمّد صادق آل بحر العلوم، المكتبة المرقدية للنشر والطباعة، نجف، العراق، دط، دس، ص18.

(1) - صلاح صالح سيف: العقد المفيد في علم التجويد، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط1، 1408هـ/1987م، صص92، 93.

(2) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 1430هـ/2009م، ص28.

(3) - المرجع نفسه، ص ن.

إذن فالقراءة القرآنية حتى تكون صحيحة لا بدّ أن تتوفّر فيها ثلاثة شروط مجتمعة، وأن سقوط شرط واحد منها تتحوّل القراءة الصحيحة إلى شاذة، وهذه الشروط هي: صحّة السند، ولا يكون ذلك إلا بالتواتر أو الإجماع بقبول تام على شهرة القراءة، موافقة وجهه من وجوه النحو (النصب، الرفع أو الجر) سواء كان أفصح أم فصيحاً بجمعا عليه أم مختلفاً فيه، وكذا موافقة الرسم العثماني صراحة أو تقديراً؛ أي موافقة أحد المصاحف العثمانية التي كُتبت زمن "عثمان بن عفّان" رضي الله عنه.

2 - مراتب القراءة:

تختلف أحوال الناس عند قراءتهم للقرآن، فمنهم من يتأني في قراءته ويتمهّل، ومنهم من يسرع فيها ويتعجّل، ومن هنا كانت للقراءة ثلاث مراتب وهي⁽¹⁾:

1 - التحقيق: وهو القراءة بتؤدة واطمئنان مع تدبر المعاني القرآنية، ومراعاة أحكام التجويد، ويُستحسن أن يقرأ بها المتعلّمون والمبتدئون لإقامة أسنتهم وإتقان أحكام التجويد.

2 - الحدر: هو الإسراع في القراءة مع المحافظة على قواعد التجويد ومراعاتها.

3 - التدوير: هو القراءة بحالة متوسطة بين التحقيق والحدر مع مراعاة أحكام التجويد.

ولكن هناك من يجعل للقراءة أربع مراتب، بإضافة إلى المراتب الثلاث المذكورة أعلاه، يجعلون الترتيل مرتبة أخرى من مراتب القراءة، على الرغم من أنّ الترتيل سواء كان مرتبة أم غير ذلك، إلا أنّه يبقى صفة للقراءة الملتزمة بأحكام التجويد في جميع هذه المراتب الثلاث، وفي جميع هذه الحالات فإنّ الترتيل هو: «قراءة القرآن على مكث وتفهم من غير عجل، وهو الذي نزل به القرآن، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ المزمّل/4، ومرتبة الترتيل أفضل المراتب»⁽²⁾. والترتيل بهذا المفهوم مثل: التحقيق، غير أنّ هذا الأخير يكون فيه الاطمئنان أكثر؛ «فالترتيل يكون للتدبّر والتفكير والاستنباط، والتحقيق يكون لرياضة الألسن وترقيق الألفاظ الغليظة، وإقامة القراءة وإعطاء كلّ حرف حقه من المدّ والهمز والإشباع...»⁽³⁾.

وخلاصة لما سبق، فإنّ المعيار المعتمد في تحديد مراتب القراءة هو معيار "التأنيّ والعجلة"، وعلى هذا الأساس

(1) - محمد عصام مفلح القضاة: الواضح في أحكام التجويد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط3، 1418هـ/1998م، ص11.

(2) - محمد محمود عبد الله: كيف تجوّد القرآن العظيم "أوضح البيان في أحكام تلاوة القرآن"، مكتبة القدسي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1 1417هـ/1996م، ص16.

(3) - محمد بن محمد بن الجزري: التمهيد في علم التجويد، تح: علي حسين البوّاب، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط1، 1405هـ/1985م ص49.

يتمّ الحكم على القراءة من أي مرتبة هي؟. فالترتيل والتحقيق يقاس كلّ منهما بمعياري التأني، والحدّ بمعياري السرعة أمّا التدوير فبمعياري الوسطية (بين السرعة وبين التأني)، غير أنّ جميع هذه المراتب باختلاف معاييرها تتفق في أهمّ مبدأ من مبادئ علم التجويد ألا وهو: "مراعاة أحكام قراءة القرآن الكريم؛ بإعطاء جميع الحروف حقّها ومستحقّها".

المطلب الرابع: المصطلحات المتعلقة بعلم القراءات:

1 - الخلاف الواجب والخلاف الجائز:

يتميّز "المارغيني" بين نوعين من الخلاف فيقول: «واعلم أنّ الخلاف عند القراء قسمان: خلاف واجب وخلاف جائز، فالخلاف الواجب هو خلاف القراءات والروايات والطرق، فلو أخلّ القارئ بشيء منها كان نقصاً في الرواية، والخلاف الجائز هو خلاف الأوجه المخبر فيها للقارئ، كأوجه الاستعادة وأوجه البسملة بين السورتين والوقف بالسكون والروم والإشمام وبالطول والتوسط والقصر نحو "متاب" و"العالمين" و"نَسَّعِينَ"، فبأيّ وجه أتى القارئ أجزاءً، ولا يكون ذلك نقصاً في الرواية»⁽¹⁾.

ورد في هذا القول أربعة مصطلحات لها مدلول خاص عند علماء القراءات وهي:

«كلّ خلاف ينسب لأحد الأئمة العشرة ممّا أجمع عليه الرواة عنه فهو قراءة، وصاحبها إمام، وكلّ خلاف ينسب للراوي عن الإمام فهو رواية صاحبها راوٍ، وكلّ خلاف ينسب للآخذ عن الراوي فهو طريق وإن سَقَلَ، وأمّا الأوجه فهي الصور المختلفة التي يجوز للقارئ أن يقرأ بواحدة منها دون إلزام بصورة معيّنة، ودون أن يقال عنه أنّه قد قصر في الرواية حينما اختار وجهها وترك بقية الأوجه»⁽²⁾.

مثال: بما أنّنا قد اعتمدنا في هذا البحث على رواية "ورش" عن "نافع" من طريق "الأزرق"، سنقدّم مثلاً عن هذه الرواية، نبرز من خلاله الفرق بين الخلاف الواجب وبين الخلاف الجائز.

فمعروف أنّ للإمام القارئ "نافع المدني" روايتين "قالون" و "ورش"، ولكلّ رواية طريقين "الحلواني" و"أبي نشيط" عن "قالون"، "الأصبهاني" و"الأزرق" عن "ورش"، وبما أنّ هذا البحث كان حول رواية "ورش" عن "نافع" من طريق "الأزرق" كما أشرنا، فإنّنا نقول: أنّ الأصل في القراءة القرآنية عموماً هي قراءة "نافع"، وكلّ خلاف جرى عن الأصل فهو رواية (ورش)، ثمّ إنّ كلّ خلاف عن هذه الرواية فهو طريق (الأزرق)، أمّا إذا اختار أحد القراء

(1) - سيدي إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقر الإمام نافع، ص18.

(2) - أحمد البيلي: الاختلاف بين القراءات، دار الجيل، بيروت، لبنان، والدار السودانية للكتب، الخرطوم، السودان، ط1، 1408هـ/ 1977م ص85.

وجها جائزا - بشرط أن يكون قد ثبت عن القارئ أو الراوي أو الطريق - كأن يختار وجها واحدا من المدّ (مدّ البدل مثلا): إمّا بالإشباع (ست حركات)، أو التوسط (أربع حركات)، أو بالقصر (حركتان)، ولكن بشرط أن تكون هذه الأوجه الثلاثة كلّها قد قرأ بها الإمام أو الآخذ عن الإمام أو الآخذ عن الذي أخذ عن الإمام، وفي هذه الحالة لا يسمّى تقصيرا في الرواية مادام أنّه اختار وجها جائزا، وترك بقية الأوجه الجائزة أيضا وتلك هي علة تسميته.

2 - بين المقرئ وبين القارئ:

يفرّق "المارغيني" بين المقرئ وبين القارئ فيقول: «المقرئ بضم الميم وكسر الراء: من علم القراءة أداء ورواها مشافهة، والقارئ مبتدئ ومتوسط ومنته؛ فالمبتدئ من أفرد إلى ثلاث روايات، والمتوسط إلى أربع أو خمس والمنتهي من عرف من القراءات أكثرها وأشهرها»⁽¹⁾.

3 - القراءات المقبولة:

وهي المتواترة والمشهورة والآحاد؛ فالقراءة المتواترة: هي ما رواها جمع غفير لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهى السند، وهذا النوع يشمل القراءات العشر المتواترات. ويمكن تقسيمها قسمين: القراءات السبع المتواترة، وهي قراءة كل من: "نافع المدني"، "عبد الله بن كثير المكي"، "أبو عمرو البصري"، "عبد الله بن عامر الشامي"، "عاصم بن أبي النجود الكوفي"، "حمزة بن حبيب الكوفي" و"علي بن حمزة الكسائي". والثلاث التي تليها، وهي قراءات كل من: "أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني"، "يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري" و"خلف بن هشام البزاز الكوفي". أمّا القراءة المشهورة: فهي ما صحّ سندها ولم تخالف الرسم ولا اللغة، واشتهرت عند القراء، فلم يعدّوها من الغلط ولا من الشذوذ، وهي دون القراءة المتواترة. في حين أنّ القراءة الآحاد: هي ما صحّ سندها، وخالفت الرسم أو العربية ولم تشتهر الاشتهار المذكور، وكلّ قراءة من هذه القراءات الثلاث صحيحة، ولا تدخل حيّز الشذوذ⁽²⁾.

4 - القراءة الشاذة:

وهي ما ختلّ فيها ركن من أركان القراءة الصحيحة: التواتر، موافقة الرسم العثماني وموافقة وجه من وجوه اللغة العربية، وعلى هذا الأساس يمكن أن نميّز لها بين أربعة أنواع:

(1) - سيدي إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، صص 17، 18.

(2) - ينظر: حليلة سال: القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة، دار الواضح للطباعة والنشر والتوزيع، الإمارات، ط1، 1435هـ/ 2014م، صص 42، 46.

- 1 - ما وافق الرسم والعربية ولكنه لم يصح في النقل بشكل يفيد القطع.
- 2 - ما وافق الرسم وصح نقله ولا وجه له في العربية.
- 3 - ما صحّ نقله ووافق العربية ولكنه خالف الرسم.
- 4 - ما وافق الرسم والعربية ولم ينقل البتة.

والقراءات الشاذة هي القراءات التي رويت عن الأئمة الأربعة: "الحسن البصري"، "ابن محيص"، "يحيى اليزيدي" و"الأعمش"⁽¹⁾.

من خلال ما سبق يمكن الحصول على ما يسمّى بـ: القراءات الأربعة عشر، وهي تلك التي تجمع القراءات السبع المذكورة، والثلاث التي تليها، والأربعة الشاذة.

وعليه فإنّ القراءات من حيث السند أنواع ستّة، فيلج جانب الأنواع الأربعة السابق ذكرها وهي: المتواترة والمشهورة، الآحاد والشاذة، نجد نوعان آخران هما: المؤصّوغ والمدّرج؛ «فالموضوع ما نُسب إلى قائله من غير أصل، مثال ذلك القراءات التي جمعها "محمد بن جعفر الخزامي" ونسبها إلى "أبي حنيفة"، وأمّا النوع السادس وهو ما يشبه المدرج من أنواع الحديث فهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير، كقراءة "سعد بن أبي وقاص": ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ النساء/12، قرأها: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمَّ﴾ بزيادة لفظ "من أم"، وقراءة: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ البقرة/198، قرأها: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ﴾، بزيادة لفظ "في مواسم الحج"⁽²⁾.

5 - القراءة: فرش وأصول:

لكلّ مصطلح من هذين المصطلحين مدلول خاص، ومعنى معيّن كما يلي:

أ/ الأصول: ويكون فيما: «يطرد ويكثر دورانه في القرآن الكريم، ويجري القياس عليه، وذلك النوع يسمّى الأصول مثل: الإظهار، الإدغام، الإحفاء، المدّ، الفتح والإمالة، تفخيم الراءات أو ترفيقها... وهكذا»⁽³⁾.
فالأصول بهذا المعنى هي المسائل الأساسية، والقواعد التي تنبني عليها الأحكام وتستقيم بها الألسنة، وعلى قارئ القرآن الإتيان بها كاملة غير منقوصة وإلا بطلت قراءته.

(1) - ينظر: محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون: مقدّمات في علم القراءات، ص72، وأيضاً: منصور كافي: علم القراءات، ص53.

(2) - محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، صص349، 350.

(3) - صبري الأشوح: إعجاز القراءات القرآنية (دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء)، مكتبة وهبية، القاهرة، مصر، ط1، 1419هـ/1998م ص87.

ب/ الفرش: ويكون في تلك: «الكلمات المتفرقة في القرآن الكريم، والتي يقلّ دوراتها وورودها في السور ولا يقاس عليها، وذلك مثل اختلاف القراء في القراءة: بالتذكير والتأنيث في مثل: "يقبل وتقبل"، بالتوحيد والجمع في مثل: "كتابه وكتبه"، بالتخفيف والتشديد نحو: "يكذبون ويكذبون"، بالغيب والخطاب في مثل: "يعلمون وتعلمون" بالإسكان والضمّ مثل: "قُدس وقُدس... الخ، وسمّي هذا النوع بالفرش أو بالفروع»⁽¹⁾.

إذن فهذا النوع على خلاف النوع الأول؛ ذلك أنّ وروده في القرآن محدود ومحصور إذا ما قورن بالنوع الأول، ثمّ إنّّه يجوز للقارئ في هذا النوع أن يختار أحد الأوجه الجائزة التي قرأ بها أحد القراء العشر المتفق على قراءتهم، وأن يترك بقيّة الأوجه الجائزة الأخرى، فمثلا قد يقرأ كلمة ما بالتخفيف أو بالتشديد ما دام أنّ كلا الوجهين جائزين لقراءة القرآن بهما؛ وذلك لثبوت هذه القراءة على أحد القراء العشر أو رواتهم.

6 - القراء العشر ورواتهم:

يمكننا تلخيص القراء العشر ورواتهم في الجدول التالي (2):

الرقم	القارئ	الراوي	الطريق	الوجه
1	الإمام نافع المدني(ت169هـ)	ورش(ت197هـ)	الأزرق(ت240هـ)	ابن النحاس
			الأصبهاني(ت296هـ)	ابن سيف
		قالون(ت220هـ)	أبو نشيط	ابن بويان
			الحلواني	القزاز
				ابن أبي مهران
				جعفر بن محمد
2	الإمام ابن كثير المكي(ت120هـ)	البيزي(ت205هـ)		
		قنبل(ت291هـ)		
3	الإمام أبو عمرو بن العلاء البصري(ت154هـ)	الدوري(ت240هـ)		
		السوسي(ت261هـ)		

(1) - صبري الأشوح: إعجاز القراءات القرآنية (دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء)، ص 87.

(2) - لمزيد من التوسّع ينظر: محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون: مقدّمات في علم القراءات، صص 83، 122. وأيضا: عبد الجليل غزالة: اللسانيات والإسلام والثقافة الأفريقية، دار الكتب الوطنية بنغازي، طرابلس، ليبيا، دط، 1430هـ / 2009م، صص 80، 83. وأيضا: فضيلة مسعودي: التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية قراءة نافع أمّودجا، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1429هـ / 2008م، صص 70، 76. وأيضا: شعبان محمد إسماعيل: القراءات أحكامها ومصدرها، مطابع رابطة العالم الإسلامي، السعودية، ط2، 1414هـ / 1993م، صص 67، 84.

4	الإمام ابن عامر الشامي(ت118هـ)	هشام(ت245هـ)
		ابن ذكوان(ت242هـ)
5	الإمام عاصم الكوفي(ت127هـ)	حفص(ت180هـ)
		شعبة(ت193هـ)
6	الإمام حمزة الكوفي (ت156هـ)	خلف البزاز(ت229هـ)
		خلّاد(ت220هـ)
7	الإمام الكسائي الكوفي(ت189هـ)	أبو الحارث(ت240هـ)
		الدوري(ت246هـ)
8	الإمام أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني(ت128هـ)	أبو وردان(ت160هـ)
		ابن جَمَاز(ت170هـ)
9	الإمام يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري(ت205هـ)	رؤيس(ت238هـ)
		رُوح(ت234هـ)
10	الإمام خلف بن هشام البغدادي (ت128هـ)	إسحاق(ت286هـ)
		إدريس(ت292هـ)

هذا وسنقدّم فيما يلي تعريفنا وحيزا بكلّ من "نافع" و"ورش" و"الأزرق":

1 - ترجمة "نافع" المدني:

هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم، أبو رُوَيْم، وقيل أبو الحسن الليثي مولاهم، ولد في حدود سنة سبعين وأصله من أصبهان، أحد القراء السبعة، كان أسود البشرة، حسن الخلق، فيه دعاية، عالما بوجوه القراءات والعربية، متمسكا بالآثار فصيحاً ورعاً، وكان إمام النَّاس في القراءة بالمدينة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بها، وأجمع النَّاس عليه بعد التابعين. أقرأ بها أكثر من سبعين سنة، وقرأ على سبعين من التابعين، وكان زاهدا ناسكاً، صلّى في مسجد النَّبي(ص) ستين سنة، وكان إذا تكلم يشتم من فيه رائحة المسك، فقيل له: أتتطيّب؟. فقال: لا، ولكن رأيت فيما يرى النَّائم النَّبي(ص) وهو يقرأ في فيّ، فمن ذلك الوقت أشتم من فيّ رائحة المسك، توفي نافع سنة تسع وستين ومائة⁽¹⁾.

(1) - حسن خطّاب: إتخاف حرز الأمامي برواية الأصهباني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 1408هـ/ 1988م صص13، 14.

2 - ترجمة "ورش":

هو أبو سعيد عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو المصري، ولد سنة مائة وعشرة بمصر، كان أشقر الشعر، أزرق العينين، أبيض اللون، يشبه في بياضه "الورش" وهو الأقط المصري (اللبن المحمّف)، وقد سمّاه شيخه "ورشا" لأنه كان في بياضه يشبه بياض الأقط المصري الذي كان المصريون يصنعونه في زمانه، وقيل لقصره وشدة بياضه كان يلبس ثوبا أبيضاً قصيراً، فيظهر مثل الورشان، وهو طائر أبيض مثل الحمام. قدم من مصر إلى المدينة من أجل القراءة سنة مائة وخمس وخمسين، فقرأ على نافع عدّة ختمات، ثمّ رجع إلى مصر حتّى انتهت إليه رياسة الإقراء فيها، وكان ورش عالماً بالعربية متقناً لها، توفي سنة مائة وسبع وتسعين للهجرة عن سبع وثمانين عاماً⁽¹⁾.

3 - ترجمة الأزرق:

هو يوسف بن عمرو بن يسار، أبو يعقوب الأزرق المدني ثمّ المصري، لزم ورشا مدّة طويلة، وأتقن عنه الأداء وجلس للإقراء، وانفرد عن ورش بتغليظ اللامات وترقيق الرءاءات، خلف ورشا في الإقراء بالدثار المصرية، وفي ذلك يقول: "أبو الفضل الخزاعي": أدركت أهل مصر والمغرب على رواية أبي يعقوب عن ورش لا يعرفون غيرها. توفي في حدود الأربعين ومائتين⁽²⁾.

المطلب الخامس: الأحرف السبعة للقرآن

قال الرسول(ص): «أقرأني جبريل على حرف فَرَجَعْتُهُ فلم أزلُ أَسْتَرِيدُهُ وَيَرِيدُنِي حتّى انتهى إلى سبعة أحرف»^(*). انطلاقاً من هذا الحديث فقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة - اختلافاً شديداً - على أقوال كثيرة، فمنهم من يقول: بأنّ الحرف من الألفاظ المشتركة التي تطلق في اللغة على عدّة معاني؛ ولهذا فالأحرف السبعة من المتشابه الذي لا يمكن معرفته، وهناك من قال: بأنّ الأحرف السبعة هي القراءات السبع، وقالوا: المراد بها: سبعة أوجه من وجوه المعاني التي يتضمّننها القرآن الكريم، واختلفوا - أيضاً - في هذه الوجوه، فمنهم من يقول بأنّها: الزجر والأمر والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال، وقيل أنّها: وعد ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج، وقيل أنّها: محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص وقيل أيضاً: أمر ونهي وحدّ وعلم وسرّ وظهر وبطن، وغيرها من الأقوال. وقيل بأنّ المقصود بالأحرف السبعة:

(1) - سمير شريف إستيتية: القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية منهج لساني معاصر، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، دط، 1426هـ/ 2005م، ص 167.

(2) - أبو عبد الرحمن عاشور خضراوي الحسيني: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، مكتبة الرضوان، مصر، دط، 1426هـ/ 2005م، ص 18.

(*) - الحديث رواه الإمام البخاري (سبق تخريجه).

ألفاظ مختلفة ذات معانٍ متفكّقة، وترجع إلى لغات سبع من لغات العرب، واختلفوا كذلك في تحديد هذه اللغات السبع، وقيل أيضاً المراد بها: لغات العرب اشتمل عليها القرآن مفرقةً فيه، وهي أفصح كلام العرب، وهم في ذلك لهم مذاهب شتى، وهناك من يرجع المقصود بها: إلى وجوه الاختلاف بين القراءات...⁽¹⁾.

إذن فقد اختلف العلماء في المقصود بهذه الأحرف السبعة - كما رأينا - ولكنّ كلّهم أجمعوا على أنه ليس المقصود أن يكون الحرف الواحد يُقرأ على سبعة أوجه، إذ لا يوجد ذلك إلا في كلمات يسيرة نحو: "أف، جبريل، أرجه، هيهات وهيت"، وعلى أنه لا يجوز أن يكون المراد هؤلاء السبعة: القراء المشهورين، وإن كان يظنّه بعض العوام، لأنّ هؤلاء السبعة لم يكونوا خلّقوا ولا وُجدوا، وأوّل من جمع قراءاتهم "أبو بكر بن مجاهد"⁽²⁾.

يُرجع "ابن جزري" المقصود بالأحرف السبعة إلى أمرين اثنين هما: الأوجه والقراءات⁽³⁾:

فأمّا الأوجه بدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ الحج/11، فالمراد بالحرف هنا "الوجه"؛ أي على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأنّ وعبد الله، وإذا تعيّر عليه وامتنحنه بالشدة والضّر ترك العبادة وكفر، فهذا عبّد الله على وجه واحد، فلهذا سمّى النبيّ (ص) هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفاً، على معنى: أن كلّ شيء منها وجه.

وأما القراءات، فقد روي عن "عمر بن الخطّاب" أنّه قال: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله (ص) فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله (ص)، فكادت أساوره في الصلّاة، فتبصّرت حتّى سلّم فلبّثته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ، قال أقرئنيها رسول الله (ص)، فقلت: كذبت، فإنّ رسول الله (ص) قد أقرئنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله (ص) فقلت: إنّي سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله (ص): كذلك أنزلت، ثمّ قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله (ص) كذلك أنزلت، إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه»^(*).

يمكن أن نستنتج ممّا سبق ذكره: أنّ الأحرف السبعة ليست هي القراء السبعة؛ أولاً لأنهم لم يكونوا قد وجدوا

(1) - ينظر: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي: الأحرف القرآنية السبعة، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1 1411هـ/ 1991م، صص21، 78. وأيضاً: الحافظ أبو الخير محمّد بن محمّد الدمشقي (ابن جزري): النشر في القراءات العشر، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دس، صص19، 31.

(2) - ابن جزري: المرجع نفسه، ص24.

(3) - نفسه، صص23، 24.

(*) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (المعلومات السابقة)، ص100.

بعد على رأي "ابن جزري"، وثانياً لأنّ القراء - المتفق على قراءاتهم - يفوق عددهم سبعة، ولا هي بالقراءات السبع؛ لأنّ عدد القراءات المشهورة عشرة لا سبعة، كما أنّ المقصود بالأحرف السبعة هو ليس حروف الهجاء لأنّها ثمانية وعشرون حرفاً ولا هي بسور القرآن الذي يبلغ عددها مائة وأربعة عشر سورة، ولا هي بآيات التنزيل الحكيم الذي فاق عددها ستة آلاف آية... وربما يكون المقصود بالأحرف السبعة شيئاً آخر لا علاقة له بالعدد نفسه بل بشيء آخر!

يقدم الإمام "العسقلاني" رأيه في المقصود بالأحرف السبعة، ويقترّب فيه كثيراً إلى رأي "ابن جزري" السابق الذكر، غير أنّي أراه أكثر دقة من رأي "ابن جزري"، يقول: «إنّ المقصود بأنّ القرآن الكريم قد أنزل على سبعة أحرف؛ أي على سبعة أوجه يجوز أن يقرأ بكلّ وجه منها، وليس المراد أنّ كلّ كلمة ولا جملة منه تقرأ على سبعة أوجه، بل المراد أنّ غاية ما انتهى إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة إلى سبعة، فإن قيل فإنّنا نجد بعض الكلمات تقرأ على أكثر من سبعة أوجه، فالجواب أن غالب ذلك إمّا لا يثبت الزيادة، وإمّا أن يكون من قبيل الاختلاف في كيفية الأداء، كما في المدّ والإمالة ونحوهما، وقيل ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بل المراد التسهيل والتيسير، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق السبعون في العشرات، والسبعمئة في المئين ولا يراد العدد المعين»⁽¹⁾.

لقد فصل "العسقلاني" - إذن - من خلال هذا القول في مسألة المقصود "بالسبعة" في الأحرف، وأنّ المراد ليس العدد في حدّ ذاته، وإمّا هو بغرض التخفيف على الأمة والتيسير والتهوين عليها، وتلك هي علّة تعدّد القراءات، والحكمة من ذلك أنّه يجوز للقارئ اختيار الوجه الذي يسهل عليه قراءة القرآن به، فكان من تيسير ورحمة الله تعالى بعباده أن أمر نبيّه "محمد" (ص) بأن يقرئ كلّ أمة بلغتها، فقبيلة تهمز وأخرى تحقّق، قبيلة تفتح والثانية تُمِيل، واحدة ترقّق والأخرى تفخّم... وهكذا.

وها هو "ابن مجاهد" يؤكّد ما قلناه، ولعلّ كلامه هو القول الراجح في كلّ ما قيل عن الأحرف السبعة، والمقصود بها عنده هي: لغات ولهجات القبائل كلغة قيس وتميم وقريش وغيرها، ودليل ذلك أنّ الرسول الكريم محمد (ص) كان يتلو كلمات القرآن الكريم بلهجات مختلفة تيسيراً على أهل تلك القبائل التي كان يتلو فيها آيات الذكر الحكيم، وتخفيفاً عليها ومراعاةً لللهجات المختلفة، وهذا ما جعل الصحابة يتلون آيات القرآن وسوره كلٌّ باللهجة التي سمعها على الرسول (ص) شفاهةً، ومثال ذلك واقعة "عمر بن الخطّاب" مع "هشام بن حكيم

(1) - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج9، تح: مُجِبّ الدّين الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، دط، دس، ص23.

بن حزام القرشي "...، ولما كثرت أسئلة الصحابة على الرسول(ص) فيما يخصّ اختلاف النَّاس في قراءة القرآن، قال عليه السلام: «إنَّ هذا القرآنُ أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه» رواه البخاري، وهو لا يريد بالسبعة - كما أشرنا - عددا معيَّنا، إنّما يريد كثرة الحروف واللهجات التي نزل بها تسهيلا على العرب أن ينطقوا من كلماته بلهجاتهم، ما لا يمكنهم أن ينطقوه بلغة قريش ولهجتها الخاصة، وأخذ هو نفسه(ص) يصنع ذلك تيسيرا وتسهيلا⁽¹⁾.

المطلب السادس: بين الأحرف وبين القراءات:

بناء على ما سبق يمكن القول: إنّ الأحرف هي اللغات أو الأوجه التي نزل بها القرآن، أمّا القراءات فهي كيفية أداء كلمات القرآن مع نسبة كلّ وجه لناقله من القراء أو الرواة عنهم، فهي بهذا الاعتبار: «جزء من الأحرف، وليست هي الأحرف عينها، والنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق أيضا»⁽²⁾. ويؤكد هذا الكلام "شعبان محمد إسماعيل" فيقول: «إنّ الرأي القائل بأنّ المراد بالأحرف الواردة في الحديث هي قراءات الأئمة السبعة؛ فقراءة "نافع" حرف من الأحرف السبعة، وقراءة "ابن كثير" حرف آخر منها وهكذا مع باقي قراءات الأئمة السبعة، كلّ قراءة منها حرف من الأحرف السبعة رأي باطل»⁽³⁾.

المطلب السابع: أقسام القراءات من حيث اتحاد المعنى وتعدده

تنقسم القراءات من ناحية اتحاد المعنى وتعدده قسمين هما:

1 - القراءات المتّحدة المعنى:

وهي القراءات التي اختلف لفظها واتّفق معناها، ويدخل في هذا النوع القراءات المختلفة في الأصول كالاختلاف في المدّ، وتخفيف الهمزات والإظهار والإدغام، ويدخل فيه أيضا القراءات المختلفة في الفرش أحيانا. ومن أمثلة الاختلاف في الأصول، قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ البقرة/3، قرأت "يؤمنون" بالهمز وقرأت بالإبدال، ومن أمثلة الاختلاف في الفرش قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ مِّنْهُمْ﴾ البقرة/85، قرأ "حمزة" "أسرى" بفتح الهمزة وسكون السين من غير ألف، وأمّا الباقيون من العشرة فقد قرؤوها "أسارى" بضمّ الهمزة وألف بعد السين⁽⁴⁾.

(1) - ينظر: أحمد بن موسى بن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات، تج: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1972م، ص5، 6.

(2) - منصور كافي: علم القراءات، ص19.

(3) - شعبان محمد إسماعيل: القراءات أحكامها ومصدرها، ص85، 87.

(4) - منصور كافي: المرجع السابق، ص56.

2 - القراءات المتعددة المعنى:

وهي القراءات التي اختلف لفظها ومعناها أيضا، وهذا النوع لا يوجد إلا في الفرش، بل إن غالب الفرش من هذا النوع، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ إبراهيم/30، قرأ "ابن كثير وأبو عمرو": ﴿يُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ بفتح الياء؛ أي ليضلوا هم، أي يصيرون ضلالا، وحثهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ النحل/125، وقرأ الباقون من السبعة "ليضلوا" بضم الياء، أي ليضلوا غيرهم، ولكن معنى القراءة الأولى أبلغ، لأنه قد يضل في نفسه ولا يضل غيره، أما القراءة الثانية فتفيد أنه ضالٌ مُضِلٌّ: أي أنهم ضالون لشركهم مضلون غيرهم⁽¹⁾.

فالفرق بين النوعين ببساطة أن الأول: ما اختلف فيه اللفظ واتفق المعنى، ويكون ذلك في أصول القراءة كما يكون في فرشها، أما الآخر فهو ما كان فيه تعدد في اللفظ والمعنى على السواء، وهذا النوع يكون قصرا على الفرش ولا يمس أصول القراءة.

المطلب الثامن: علاقة القراءات بالقرآن الكريم:

للعلماء في ذلك ثلاثة آراء، فمنهم من يجعل القراءات والقرآن الكريم مختلفين اختلافا تاما ومن هؤلاء الإمام "الزركشي"، وهناك من يقول بأتهما شيء واحد أمثال "محمد سالم محيسن"، ومنهم من يتوسط بين هذا وذاك كـ "شعبان محمد إسماعيل".

يرى الإمام "بدر الدين الزركشي" أهما حقيقتان متغايرتان، ودليله أن القرآن هو: الوحي المنزل على محمد (ص) للبيان والإعجاز، والقراءات - كما أسلفنا أثناء الحديث عن مفهوم القراءات - هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كفيتهما من تخفيف وتشديد وغيرهما، ولا بدّ فيها من التلقي والمشافهة؛ لأنّ فيها أشياء لا تحكم إلا بالسمع والمشافهة. ونجد "شعبان محمد إسماعيل" يردّ على "الزركشي" قائلا: «إنّ كان الزركشي يقصد بالتغاير: التغاير التام فلست معه، إذ ليس بين القرآن والقراءات تغاير تام، فالقراءات الصحيحة التي تلقّتها الأمة بالقبول ما هي إلا جزء من القرآن الكريم، فبينهما ارتباط وثيق؛ ارتباط الجزء بالكل»⁽²⁾

ولعلّ هذا ما يقصده الإمام "الزركشي" حينما يقول في موضع آخر: «ولست في هذا أنكر تداخل القراءات إذ لا بدّ أن يكون الارتباط بينهما وثيقا، غير أنّ الاختلاف على الرغم من هذا يظلّ موجودا بينهما، بمعنى أنّ كلا

(1) - منصور كافي: علم القراءات، صص 56، 57.

(2) - شعبان محمد إسماعيل: القراءات أحكامها ومصدرها، ص 24.

منهما شيء يختلف عن الآخر لا يقوى التداخل بينهما على أن يجعلهما شيئاً واحداً، فما القرآن إلا التركيب واللفظ، وما القراءات إلا اللفظ ونطقه، والفرق بين هذا وذاك واضح بيّن»⁽¹⁾.

فالإمام "الزركشي" هنا يؤكد بأن القرآن يختلف عن القراءات، ولكن في الوقت ذاته لا ينكر وجود تداخل بينهما، وأن هذا التداخل لا يعني في جميع الأحوال كونهما حقيقتين متماثلتين. وعلى هذا الأساس فإن القراءة هي تقنية التلفظ بالقرآن بطريقة تُقصد فيها الفنية قصداً.

يورد "محمد سالم محيسن" رأيه في هذه المسألة، منتقداً الإمام "الزركشي" في الوقت ذاته فيقول: «ولكنني أرى أن الزركشي - مع جلالته قدره - قد جانبه الصواب في ذلك، وأرى أن كلا من "القرآن" و"القراءات" حقيقتان بمعنى واحد، يتضح ذلك بجلاء من تعريف كلٍّ منهما، ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القراءات»⁽²⁾.

ويردّ "شعبان محمد إسماعيل" مرةً أخرى على رأي "محمد محيسن" معقباً على كلامه فيقول: «أما ما قاله الدكتور محمد محيسن في أنّهما - أي القرآن والقراءات - حقيقتان بمعنى واحد ما دام أنّ كلا منهما وحي منزل، فمردود وغير مقبول ولم يقل به أحد من علمائنا السابقين، فلا يمكن أن يقال: إنّ القرآن والقراءات حقيقتان متّحدتان؛ لأنّ القراءات على اختلاف أنواعها لا تشمل كلمات القرآن الكريم كلّها، بل هي موجودة في بعض ألفاظه فقط، فكيف يقال إنّهما حقيقتان متّحدتان»⁽³⁾.

لقد أصاب "محمد إسماعيل شعبان" في مذهبه هذا، لأنّه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نسوى بين القرآن والقراءات، ولكن هذا لا يعني أنّهما حقيقتان متغايرتان، كما أنّهما ليستا متماثلتين، فالعلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص، فليس القرآن هو القراءات عينها، وليس القراءات هي القرآن نفسه؛ ذلك أنّ جميع ألفاظ القرآن قد وردت في القراءات، ولهذا لا يمكن أن نسوى بينهما، إذن فالقراءات جزء من القرآن، وأنّ التداخل الموجود بينهما لا يعني أبداً اتحادهما وكونهما شيئاً واحداً.

(1) - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص318.

(2) - محمد سالم محيسن: القراءات وأثرها في علوم العربية، ج1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، دط، 1404هـ/ 1984م، ص10.

(3) - شعبان محمد إسماعيل: القراءات أحكامها ومصدرها، ص24.

المبحث الثالث: علم التجويد

المطلب الأول: مفهوم علم التجويد وموضوعه

1 - مفهوم علم التجويد:

أ/ لغة:

جاء في معجم "أساس البلاغة" لـ"الزمخشري" في تفسير مادة "جَوَدَ": «جَادَ فلان جُودًا، وَجَادَتِ السَّمَاءُ جُودًا، وَجَادَ المتاع جُودَةً وَجَوْدَةً، وَجَادَ الفرس جُودَةً وَجَوْدَةً، وَجِيدَ الرجل جُودًا: عَطِشَ، وَرَجُلٌ جَوَادٌ من قوم أَجَوَادٍ، وَأَجَاوَيْدَ وَجُودٍ (...)، وَرَوْضٌ جُودٌ: مَمْطُورٌ (...)، وَاسْتَجَدَّتْ الشَّيْءَ بَجُودَتِهِ: تَخَيَّرَتْهُ وَطَلَبَتْ أَنْ يَكُونَ جَيِّدًا، وَتَجَوَّدَ فِي صِنْعَتِهِ: تَنَوَّقَ فِيهَا، وَأَجَادَ الشَّيْءَ جَوْدَةً، وَأَحْسَنَ فِيهَا فَعَلَ وَأَجَادَ...»⁽¹⁾.

إذن فالتجويد في اللغة يطلق على: السخاء، العطش، انتقاء الجيد، الإتقان، تحسين الشيء وتنميته (تزيينه) والإتيان به مزخرفًا جيدًا.

ب/ اصطلاحًا:

يقول "ابن جزري" في "متن الجزرية" متحدثًا عن "التجويد":

وَهُوَ إِعْطَاءُ الْحُرُوفِ حَقَّهَا
مَنْ كُلِّ صِفَةٍ وَمُسْتَحَقَّهَا⁽²⁾.

ويعرفه "محمد عصام مفلح القضاة" بقوله: «هو علم يعرف به إعطاء كلِّ حرفٍ حقه ومستحقه مخرجًا وصفة، وقفًا وابتداءً، من غير تكلف ولا تعسف، أو إخراج كلِّ حرفٍ من مخرجه وإعطائه حقه ومستحقه؛ وحقَّ الحرف: صفاته اللازمة، ومستحقه: صفاته العارضة»⁽³⁾.

يتبين لنا من خلال ما سبق أنّ علم التجويد هو إعطاء الحرف حقه من الصفات اللازمة له، الثابتة فيه والتي لا تنفك عنه سواء أكان مفردًا أم مركبًا: كالجهر والشدة والاستفال والانحراف والتكرير والغنة... الخ، ومستحقه من الصفات العارضة؛ تلك التي تعرض عن الحرف حينًا، وتنفك عنه حينًا آخر (غير ثابتة فيه) مثل: التفخيم والترقيق الإظهار، الإدغام، الإقلاب، الإخفاء... الخ.

بناءً على ما سبق فإنّ التجويد ينقسم إلى جانبين: نظري وتطبيقي، فالجانب النظري هو معرفة القواعد والضوابط

(1) - جار الله محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، تح: مزيد نعيم وشوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/1998م، مادة "جَوَدَ".

(2) - محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف (ابن جزري): منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، تح: أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط4، 1427هـ/2006م، ص3.

(3) - محمد عصام مفلح القضاة: الواضح في أحكام التجويد، ص9.

التي وضعها علماء التجويد كمخارج الحروف وصفاتها، وأحكام المدّ والهمز والتفخيم والترقيق والوقف والابتداء وغيرها، والجانب العملي: ويتمثل في إحكام النطق بحروف القرآن وإتقان كلماته وتحسين ألفاظه، ولا يتحقق ذلك - كما أسلفنا - إلا بإخراج كلّ حرف من مخرجه، وإعطائه حقه من الصفات اللازمة، ومستحقّه من الصفات العارضة، وحكم الأوّل: «فرض كفاية، وحكم الآخر: الوجوب العيني»⁽¹⁾.

عرفنا فيما مضى من هذا البحث: أنّ الترتيل مرتبة من مراتب قراءة القرآن، بل إنه أفضل تلك المراتب على اختلاف العلماء في ذلك، وهناك من يجعل للترتيل في حدّ ذاته مراتب على أنّه من مرادفات التلاوة أو القراءة القرآنية، وهناك أيضا من العلماء من يجعل الترتيل رديف التجويد، وهذا خطأ شائع «فالترتيل والتجويد تربطهما علاقة وثيقة وجوهريّة تتمثّل في أنّ التجويد جزء من الترتيل؛ لأنّ الترتيل يشمل عليه وعلى معرفة الوقف»⁽²⁾، فقد جاء في كتاب "النشر": أنّ الإمام "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه وأرضاه "سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلْ آلْفُرْقَانَ تَرْتِيلاً﴾ المزمّل/4، فقال: «الترتيل: تجويد الحروف ومعرفة الوقوف»⁽³⁾.

2 - موضوع علم التجويد:

إنّ موضوع علم التجويد هو الكلمات القرآنية من حيث إحكام حروفها وإتقان النطق بها، وبلوغ الغاية في تحسينها وإجادة التلقّظ بها، وقد أضاف بعضهم: "الحديث النبوي الشريف"، فجعلوه مع القرآن موضوعا لعلم التجويد ليكون بذلك موضوع هذا العلم: «الكلمات القرآنية والأحاديث النبويّة، فحينئذ يجب في قراءة الحديث ما يجب في قراءة القرآن، من إجادة التلاوة وإحكام الأداء، ولكن الجمهور على أنّ موضوع علم التجويد هو القرآن فحسب»⁽⁴⁾.

وإذا كان "القرآن الكريم" هو الموضوع والمصدر الأساس التي تقوم عليه قواعد وأحكام وضوابط هذا العلم، ففيما تكمن إذن الموضوعات التي يعالجها؟ وما هي الفائدة من ذلك؟. وقبل الإجابة عن هذا السؤال لا بدّ أولا من وقفة سريعة على واضع هذا العلم، وعلى فضله وثمرته، استمداده ومسائله، ثمّ عن حكمه في الشرع.

(1) - محمد عصام مفلح القضاة: الواضح في أحكام التجويد، ص10.

(2) - عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، الجريسي للطباعة والتصوير، القاهرة، مصر، ط1 1425هـ/2004م، ص7.

(3) - ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج1، ص209.

(4) - محمود خليل الحصري: أحكام قراءة القرآن الكريم، دار البشائر الإسلامية، دب، ط4، 1999م، ص25.

أ/ واضعه:

من الناحية العملية: سيّدنا رسول الله(ص)، لأنه نزل عليه القرآن من عند الله تعالى مجوداً، وتلقاه صلوات الله وسلامه عليه من الأمين "جبريل" عليه السلام كذلك، وتلقته عنه الصحابة وسمعته من فيه الشريف كذلك وتلقاه من الصحابة التابعون كذلك، وهكذا إلى أن وصل إلينا عن طريق العلماء متواتراً، ولا ينكر هذا إلا مكابر أو معاند. وأما الواضع له من ناحية قواعده وقضاياه العلمية ففيه خلاف: فقيل: "أبو الأسود الدؤلي"، وقيل "أبو عبيد القاسم بن سلام"، وقيل "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، وقيل غير هؤلاء من أئمة القراءة واللغة⁽¹⁾.

بناء على هذا الكلام فإنّ حكم هذا العلم في شريعتنا السمحاء هو: «فرض كفاية علمًا، وفرض عين على كلّ مسلم ومسلمة عملاً امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْفُرْقَانَ تَرْتِيلًا﴾ المزمل/4»⁽²⁾.

ويتحدّث "ابن جزري" عن حكم "علم التجويد" قائلاً⁽³⁾:

وَالْأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لَازِمٌ	مَنْ لَمْ يُصَحِّحِ الْقُرْآنَ آتَمٌ
لِأَنَّهُ بِهِ الْإِلَهُ أَنْزَلَا	وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلَا
وَهُوَ أَيْضًا حَلِيَّةُ التَّلَاوَةِ	وَزِينَةُ الْأَدَاءِ وَالْقِرَاءَةِ.

ب/ ثمرته وفائده:

إنّ أدنى فوائد هذا العلم: صون اللسان عن اللحن ومنعه من الميل عن جادة الصواب أثناء قراءة آي القرآن الكريم، لكي ينال القارئ رضا ربّه، وتحقق له السعادة في الدنيا والآخرة، قال بعضهم: "من يحسن التجويد يظفر بالرشيد"، ولا يمكن أن يتحقّق صون اللسان عن اللحن، وإتقان التجويد إلّا بأربعة أمور: «الأوّل: معرفة مخارج الحروف، الثاني: معرفة صفاتها، الثالث: معرفة ما ينشأ لها بسبب التركيب من الأحكام والرابع: رياضة اللسان وكثرة التكرار»⁽⁴⁾.

ج/ نسبته واستمداده:

هو أحد العلوم الدّينية المتعلّقة بالقرآن الكريم، بل هو أشرف العلوم لتعلّقه بأشرف الكتب وهو القرآن الكريم، وعلى هذا الأساس فإنّ استمداده من القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْفُرْقَانَ تَرْتِيلًا﴾ المزمل/4

(1) - عبد الفتاح السيّد عجمي المرصفي: هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، مج1، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، السعودية، ط2، دس، ص46.

(2) - محمّد الصادق قمحاوي: البرهان في تجويد القرآن ويليّه رسالة في فضائل القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، دط، دس، ص5.

(3) - ابن جزري: منظومة المقدّمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، ص3.

(4) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص23، 24.

والسنّة النبوية الشريفة، كما جاء من كيفية قراءة رسول الله (ص)، ثمّ كيفية قراءة الصحابة من بعده والتابعين وأتباعهم، وأئمّة القراءة إلى أن وصل إلينا بالتواتر. أمّا فيما يخصّ مسأله، فهي قضايا وقواعده جميعا التي وضعها علماء القراءة والتجويد، والتي يعرف من خلالها على جزئيات هذا العلم نحو: أحكام النون الساكنة والتنوين، أحكام المدّ والمهمز وغيرها.

وبعد هذه الجولة المختصرة حول علم التجويد، ننتقل الآن إلى الموضوعات التي يعالجها هذا العلم.

المطلب الثاني: موضوعات علم التجويد

يتناول "علم التجويد" الذي يمكن أن نطلق عليه أيضا "فن الأداء القرآني" أو "علم أصوات القرآن الكريم" ثلاثة موضوعات أساسية هي⁽¹⁾:

* **مخارج الأصوات (الحروف) العربية:** وهي المواضيع التي تتولّد فيها هذه الصفات، ويتحدّد فيها أهمّ ملاحظها الفارقة.

* **صفات الأصوات العربية مفردة:** مثل: الجهر والمهمس والشدّة والرخاوة والإطباق والانفتاح وغيرها.

* **صفات الأصوات العربية مركّبة:** مثل: الإدغام، الإخفاء، الترقيق، التفخيم... الخ.

فمعرفة مخرج الصوت وصفته هو الأساس الذي يقوم عليه "علم التجويد" مادام أنّه يعني: "إعطاء الحرف حقه ومستحقّه من حيث المخرج والصفة، سواء أكانت هذه الأخيرة مفردة أم مركّبة"، كما سنرى ذلك لاحقا إن شاء المولى عزّ وجلّ. فما هو المقصود بالمخرج الصوتي والصفة الصوتية؟ وما الفرق بين الاثنين؟. ثمّ ما الفائدة من وراء معرفة مخرج الصوت وصفته المميّزة؟.

1 - المخرج الصوتي:

أ/ مفهومه في اللغة:

جاء في تفسير مادة "خَرَجَ" باب الجيم فصل الخاء: «الخُرُوجُ: نقيض الدُّخُولِ، خَرَجَ يَخْرُجُ خُرُوجًا وَمَخْرَجًا فهو خَارِجٌ وَخُرُوجٌ وَخَرَّاجٌ، وقد أَخْرَجَهُ وَخَرَّجَ به. قال "الجهوري": قد يكون المخرج: موضع الخروج، يقال: خَرَجَ مَخْرَجًا حَسَنًا، وهذا مَخْرَجُهُ...»⁽²⁾.

فالمخرج: مكان الخروج وموضعه، فحينّ أين خرج الشيء ويخرج فذاك هو مخرجه وموضع صدوره أو حدوثه.

(1) - عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: ترتيب القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص14.

(2) - ابن منظور: لسان العرب، مج2، مادة "خرج".

ب/ مفهومه في الاصطلاح:

يقول "صبري المتولي" معرّفًا إيّاه: «هو مكان خروج الصوت اللغوي، حيث يلتقي عضوان من أعضاء النطق، فتحدث درجة معيّنة من الاعتراض على هواء الزفير القادم من الرئتين، فإذا كان الاعتراض تاما خرج الصوت الشّدِيد (الانفجاري)، وإن كان الاعتراض ناقصا خرج الصوت الرخو (الاحتكاكي)، وإن كان الاعتراض متوسطا خرج الصوت المتوسط (بين الشّدِيد والرخو)»⁽¹⁾.

ويعرّفه "محمد البرازي" قائلا: «هو موضع النطق أين يكون فيه انحباس الهواء وحجزه عن المرور كليًا أو جزئيًا بأحد الحواجز الموجودة في الحلق أو الفم كاللهاة أو اللسان أو الشفتين»⁽²⁾.

وإلى شيء من هذا القبيل يذهب أيضا "مصطفى حركات" حيث يعرف المخرج بأنّه: «النقطة التي يحدث فيها أقصى تضيق للفم»⁽³⁾.

وجميع هذه التعريفات تشير إلى وجود اعتراض للهواء (النفس) الصاعد من الرئتين في طريقه إلى الفم، وكأنّ في ذلك إشارة ضمنية إلى أنّ الصوت الذي يحدث دون اعتراض لا يخرج له، ولا حيز ينتمي إليه كما هو الحال مع الصوائت، وهذا ما أكّده "الخليل" الذي أطلق عليها تسمية "الأصوات الهوائية" كما سنفصل لاحقا بإذنه تعالى، وبقدر اقتراب العضوين المسؤولين عن إصدار الصوت وحدوثه بقدر ما يكون الصوت قويا والعكس بالعكس. بيد أنّ التعريف الذي قدّمه "مصطفى حركات" السابق الذكر ينقصه شيء من الدقة، فالمخرج هو نقطة التقاء عضوين ما مسؤولين عن إنتاج صوت معيّن، وليس بالضرورة أن يكون هذا التضيق محصورا على مستوى الفم دون غيره، إذ أننا ننطق "العين" أو "القاف" مثلا من دون أن يكون للفم دخل في ذلك؛ فالأولى حلقيّة والأخرى هوية.

ولعلّ "محمود عكاشة" في تعريفه للمخرج يفصل أكثر من سابقه في هذا الاعتراض فيقول: «مخرج الصوت هو المكان الذي يلتقي فيه العضو المتحرّك بالعضو الساكن من أعضاء النطق»⁽⁴⁾.

أشار "محمود عكاشة" هو الآخر في هذا التعريف إلى مسألة اعتراض الهواء من طرف العضوين المسؤولين عن إصدار الحروف، ويتجلّى ذلك واضحا من خلال قوله: "يلتقي فيه العضو المتحرّك بالعضو الساكن"، وإذا كان

(1) - صبري المتولي: دراسة صوتية في تجويد الآيات القرآنية، ص 43.

(2) - مجد محمد الباكر البرازي: فقه اللغة العربية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1407هـ/ 1987م، ص 44.

(3) - مصطفى حركات: اللسانيات العامة وقضايا العربية، ص 15.

(4) - محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص 100.

هذا الكلام مقبولاً إلى حدّ ما؛ أي أنّه ينطبق على معظم الأصوات العربية، كذلك الأصوات التي يشترك في تكوينها طرف اللسان مثلاً مع الثنايا (الأسنان) العليا أو السفلى، أو مع كلاهما كما هو الحال مع الأصوات: "ط، د، ت، ز، س، ص، ظ، ذ، ث"، فإنّ ما هو غير مقبول: أنّ هذا الوصف لا ينطبق على جميع الأصوات؛ فـ "الباء" العربية مثلاً: تتشكّل بانطباق الشفتين (الشفة السفلى والشفة العليا)، وهما كما رأينا من أعضاء النطق المتحرّكة.

ج/ كيفية معرفة مخرج الحرف:

يمكن معرفة مخرج الحرف بالنطق به: «ساكناً أو مشدّداً، مع إدخال الهمزة عليه، فحيث ينقطع الصوت فتمّ مخرج الحرف»⁽¹⁾.

2 - الصفة الصوتية:

أ/ مفهومها في اللغة:

جاء في تفسير مادة "وصف": «وصف المهر والناقة ونحوهما، يصف وصفاً ووُصُوفاً: أجاد السير وجدّ فيه والصغير المشي وصفاً: أطاقه، والشيء وصفاً وصيفةً: نعته بما فيه، والطبيب الدواء: عينه باسمه ومقداره، والخبر: حكاها (...)، والصفة: الحالة التي يكون عليها الشيء من حلية ونعته: كالسواد والبياض والعلم والجهل...»⁽²⁾. فالصفة في اللغة تطلق على معان كثيرة منها: الشيء الجيد المتقن، النعت الحقيقي الذي لا زيف فيه، التعيين والتقدير، الحكيم، والتعير بسبب عيب خلقي أو خلقي... الخ.

ب/ مفهومها في الاصطلاح:

يقدم لنا "مصطفى رجب" تفرقة بسيطة بين النفس والصوت والحرف وصولاً إلى الصفة، مبيّناً بذلك المراحل التي يمكننا من خلالها الوصول إلى صفة الحرف، فيقول: «يراد بالصفة كيفية تولّد الحرف وخروجه من مخرجه، وذلك لأنهم يسمّون الهواء الخارج من الرئة إن خرج بطبعه دون أن يحتكّ بأوتار الصوت (نقّساً)، فإن وجّه الإنسان بإرادته هذا الهواء إلى أوتار الصوت الموجودة في الحنجرة فاحتكّ بها وحدث له تموج وتذبذب مسموع فإنهم يسمّونه حينئذ (صوتا)، ثمّ هذا الهواء المصحوب بهذه التموجات الصوتية يتوجّه إلى مقطع من مقاطع الفم أو الحلق؛ أي إلى حيز محدّد منها، فإذا قرّبه وانحصر فيه تولّد الحرف، ثمّ الكيفية التي يكون عليها مرور هذه التموجات الصوتية الممزوجة في النفس بذلك المقطع هي ما تسمّيه بـ (صفة الحرف)، فبالمخرج إذا تعرف ماهية

(1) - محمد عصام مفلح القضاة: الواضح في أحكام التجويد، ص 29.

(2) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط 4، 1426هـ / 2005م، مادة "وصف".

الحرف ويتولّد شكله ويتحدّد، وبالصفات يحصل التمييز بين الحروف، وخاصة تلك التي تتحدّد مخارجها أو تتقارب»⁽¹⁾.

إذن يتبيّن لنا من خلال هذا الكلام أنّ الصفة الصوتية هي الكيفية أو الكيفيات التي تظهر في الحرف أثناء حدوثه في مخرجه، فتميّزه عن غيره من الحروف عمّا اشترك منها معه في موضع النطق، وتمثّل تلك الكيفيات في أمرين أساسيين هما: «تحديد طريقة مرور النّفس في المخرج عند النطق بالصّوت، وتحديد حالة الوترين الصوتيين في أثناء ذلك»⁽²⁾.

ج/ أنواع الصفات الصوتية:

يمكن أن نقسّم الصفات الصوتية باعتبار اللّزوم والعروض إلى قسمين:

* القسم الأول: الصفات الذاتية اللازمة للحرف: بحيث لا تنفكّ عنه مطلقاً، سواء أكان ساكناً أم متحركاً بأيّة حركة.

* القسم الثاني: الصفات العرّضية: وهي التي تعرض للحرف حيناً وتفارقه حيناً آخر.

هذا وقد اختلف العلماء قديماً وحديثاً في عدد الصفات الذاتية، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، فالصّحيح المختار عند "ابن جزري" أنّها سبعة عشر صفة، وقد اقتفى أثره جمهور من أتى بعده من العلماء، فعُدّوها سبعة عشر أيضاً. وتنقسم الصفات الذاتية بحسب التقابل وعدمه إلى قسمين: قسم له صّد وهو خمس صفات وضدّه كذلك، وقسم لاضدّ له وهو سبع صفات، وسيأتي التفصيل في كلّ هذا في مكانه المناسب إن شاء الله تعالى.

د/ فوائد معرفة صفات الحروف:

إنّ لمعرفة صفات الحروف فوائد كثيرة وجليّة، يمكن تلخيصها فيما يلي⁽³⁾:

1 - تمييز الحروف المشتركة في المخرج، إذ لولاها لكانت تلك الحروف حرفاً واحداً، فمن ذلك: الطاء المهملة فلولا انفرادها بالاستعلاء والإطباق والجهر لكانت تاءً لاتفاقها في المخرج، والذال المعجمة لولا الاستفال والانفتاح اللذان فيها لكانت ظاءً معجمة، لاتفاقها في المخرج أيضاً، والحاء المهملة والهاء والتاء لولا اختلافهنّ في المخرج لكُنّ حرفاً واحداً لاتفاقهنّ في الصفات.

2 - تحسين لفظ الحروف المختلفة في المخرج.

(1) - مصطفى رجب: دراسات لغوية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دب، ط1، 1429هـ / 2008م، ص254.

(2) - غانم قّدوري الحمد: ظواهر لغوية في القراءات القرآنية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ / 2006م، ص9.

(3) - عبد الفتّاح السيّد عجمي المرصفي: هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، مج1، ص77.

3 - معرفة قوي الحروف من ضعيفها، ليعلم ما يجوز فيه الإدغام وما لا يجوز.

هـ / العلاقة بين الصفة وبين المخرج:

إنّ الأصوات إذا كانت يجمعها حيز صوتي واحد؛ أي أنّها تشترك في مخرج واحد، فإنّها في هذه الحالة تضلّ بحاجة إلى أساس آخر يفرّق بين كلّ واحد منها، وبين الآخر في نطاق المخرج الواحد، وهنا يأتي دور الصفات التي تتّصف بها الأصوات، والتي تعتبر: «الأساس السمعي للتفريق بينها، وهذه الصفات نفسها تختلف من حيث الأساس الذي تنبني عليه، فقد يكون التبويب مبنياً على أساس طريقة التدخّل في مجرى الهواء الرئوي الذي يعتبر المادة الأولى للكلام»⁽¹⁾. إذن فالعلاقة بينهما هي علاقة بين: «ذات الصوت المادية المحسوسة، وصفاته التي تشكّل الملامح المميّزة له، وخاصة إذا كانت المجموعة المعيّنة من الأصوات تنتمي إلى مخرج واحد، فعلى سبيل المثال: الأصوات/ز، س، ص/ هي مجموعة الصغير، ولكن تتميز [ز] بالجهر و [س] بالهمس و [ص] بالإطباق»⁽²⁾.

المطلب الثالث: مفهوم اللحن، أقسامه وحكمه

1 - مفهوم اللحن:

أ/ لغة:

ورد في لسان العرب في تفسير مادة "لَحَنَ": «اللحن: من الأصوات المصوغة الموضوعة، وجمعه: ألحان ولحُونٌ، ولحَنَ في قراءته: إذا غَرَدَ وطَرَبَ فيها بألحانٍ، وفي الحديث: "اقرأ القرآن بلحُون العرب"، وهو ألحْن النَّاسِ: إذا كان أحسنهم قراءة أو غناءً، واللحنُ واللحنُ واللحانةُ واللحانيةُ: ترك الصواب في القراءة والنشيد (...). ورجل لاجِحٌ ولحَانٌ ولحَانَةٌ ولحْنَةٌ: يُحْطِئُ (...). والتلحينُ: النخطة، ولحَنَ الرجل يَلْحَنُ لِحْنًا: قال له قولاً يفهمه عنه ويخفى على غيره، لأنّه يميله بالتورية عن الواضح المفهوم، ومنه قولهم: لَحَنَ الرجل: فَهُوَ لِحْنٌ: إذا فهم وفطن لما لا يظن له غيره (...). قال "ابن الأثير": اللحنُ: الميل عن جهة الاستقامة، يقال: لَحَنَ فلانٌ في كلامه: إذا مال عن صحيح المنطق، وأراد أنّ بعضكم يكون أعرف بالحجّة وأفطن لها من غيره، واللحن بفتح الحاء: الفطنة، قال "ابن الأعرابي": اللحن بالسكون: الفطنة والخطأ سواء، قال وعامة أهل اللغة في هذا على خلافه، قالوا: الفطنة بالفتح والخطأ بالسكون، قال "ابن الأعرابي": واللحن أيضا بالتحريك: اللغة، وقد روي أنّ القرآن نزل بلحنٍ قريش أي بلغتهم (...). ولحَنَ لِحْنًا: فَطِنَ لِحْنَتِهِ وانتبه لها، ولأَحَنَ النَّاسِ: فاطنهم...»⁽³⁾.

(1) - تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، صص 67، 68.

(2) - صبري المتولّي: دراسات صوتية في تجويد الآيات القرآنية، ص 83.

(3) - ابن منظور: لسان العرب، مج 7، مادة "لَحَنَ".

وفي العموم يمكن أن نُجمل مادة "حَنَ" أربعة معاني لغوية، وذلك بالعودة إلى هذا التعريف وهي:

1 - الغناء والطرب 2 - الخطأ في اللغة والإعراب 3 - الفطنة والنباهة 4 - اللغة أو اللهجة.

ب/ اصطلاحاً:

يُعرّف اللحن بأنّه: «الخطأ في قراءة القرآن الكريم، والميل عن الصواب في التلاوة، وهو على قسمين: جليّ

وخفيّ»⁽¹⁾.

2 - أقسام اللحن وحكمه:

ينقسم اللحن كما أشرنا إلى قسمين اثنين هما⁽²⁾:

أ/ اللحن الجليّ:

وهو ما كان بسبب مخالفة القواعد العربية، كاستبدال حرف بحرف، أو حركة بحركة، وسمّي جليّاً لاشتراك

علماء التجويد وغيرهم من المثقفين في إدراكه، وحكمه: التحريم اتفاقاً.

ب/ اللحن الخفيّ:

وهو ما كان بسبب مخالفة قواعد التجويد، كترك الغنة وقصر الممدود، وسمّي خفياً لاختصاص علماء

التجويد بإدراكه دون غيرهم، وحكمه: التحريم على الراجح، وقيل الكراهية.

المطلب الرابع: الفرق بين علم التجويد وبين علم القراءات:

يمكن تحديد الفرق بين هذين العلمين في النقاط التالية⁽³⁾:

1 - "علم القراءات" ينفرد عن "علم التجويد" بدراسة الفرشيات أو الفروع كما يسمّيها بعضهم، وذُكِرَ بعض

الكتّاب لها في كتب التجويد بَحُورٌ منهم واستعارة من "علم القراءات".

2 - ينفرد "علم التجويد" بدراسة الحروف وصفاتها، ولا يُعنى "علم القراءات" بذلك.

3 - يشترك العلمان في دراسة بعض الأبواب كالإدغام والإظهار والتفخيم والترقيق والفتح والإمالة ونحو ذلك

ولكن "علم التجويد" يُعنى ببيان حقيقة هذه المسمّيات وأحكامها دون النظر إلى من قرأ بها، أمّا "علم القراءات"

فيعنى بنسبة كلّ حكم إلى من قرأ به، إذن فـ "علم القراءات" يبحث في الصورة اللفظية للكلمة القرآنية، أمّا

(1) - محمد أحمد معبد: الملخص المفيد في علم التجويد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، دب، دط، دس، ص10.

(2) - أحمد محمود عبد السميع الشافعي: الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/ 2000م
صص14، 15.

(3) - منصور كافي: علم القراءات، صص18، 19.

"علم التجويد" فيبحث في الصورة الصوتية للحرف الهجائي القرآني؛ فالقراءة لفظ والتجويد أداء.

المطلب الخامس: علاقة علم التجويد بعلمي: القراءات والأصوات

إنّ تجويد القرآن العظيم يمثّل علم أصوات إسلامي، فهو يقوم على مجموعة من المعارف الصوتية الوظيفية ذات الطبيعة التدريبية، والتي تُخلّف قراءة دينية دقيقة وعميقة التحوّلات، فـ "علم التجويد" بهذا يجمع بين جمالية الإلقاء وعلمية الممارسة للقواعد الصوتية الوظيفية، ممّا يجعله يمثّل "نظرية صوتية إسلامية خاصّة" في بناء القواعد الصوتية المشكّلة لنسق القراءات، فالتجويد ينطلق بهذا المعنى من تعبير صوتي يحدّده المقام القرآني، لأنّه يتمركز حول قدرات وإنجازات المقرئ صوتياً، بغية الوصول إلى جمالية سامية للذكر الحكيم، ويساعد الإمام الجيّد بـ "علم التجويد" و "علم الأصوات الحديث" على بروز التحليل العقلي الموضوعي والتعليل السليم والإنجاز الدقيق من وراء الكلمات القرآنية، وذلك من خلال نطقها من مخارجها الصحيحة تبعاً لصفاتهما السليمة المعروفة، لذلك فإنّ "علم التجويد" يبرز بدقّة ممارسات صوتية متينة في إنجاز قراءة بعض السور والآيات الكريمة⁽¹⁾.

وفي الختام يمكن القول: إنّ الكثير من علماء اللغة قد أجمعوا على أنّ علوم اللغة العربية قد نشأت في أحضان القرآن الكريم، بل كان السبب الأول في نشأتها فكانت قيمة الدرس من قيمة المدرّس، فقد وقف علماء اللغة على الظواهر الصوتية في القرآن الكريم، وحاولوا معرفة أسرارها وقواعدها، فتارة تعزى للغات العرب وتارة إلى قانون صوتي كالتخفيف والهمز وغيره، وحيناً إلى تأثير البيئة الفسيولوجية لجهاز النطق، ومن بين الظواهر التي درسوها وأعلنوا عن مواقفهم فيها نجد: الإمالة والإدغام وغيرهما⁽²⁾.

كما درس القدماء الصوت كمدخل لغيره من أبواب الإدغام والقلب والإبدال، فهو وسيلة لغاية، فقد اعتنوا بالأصوات عناية فائقة، وذلك لأهميتها في تلاوة القرآن وما يتطلّب ذلك من معرفة مخارج الحروف وطريقة نطقها ووصفها، وما يحتاج إليه القارئ من أحكام التفخيم والترقيق والإشمام، كما التفت العلماء القراء إلى المهموس والمجهور من الأصوات، وكذلك الإطباق والاستعلاء والاستفحال وغيرها⁽³⁾.

وقد كان لدخول الأعاجم في الإسلام انعكاس مباشر على ظهور اللحن بأنواعه المختلفة وخاصة اللحن الصوتي، حيث استفحل الأمر على ألسن العرب فكان خطره شديداً وعلى القرآن أشدّ خطراً، والأخطر من

(1) - ينظر: عبد الجليل غزالة: اللسانيات والإسلام والثقافة الأفريقية، صص 72، 77.

(2) - آمنة شنتوف: الظواهر الصوتية في قراءة حمزة الزيات - دراسة وصفية وظيفية -، إشراف: خير الدين سيّب، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم اللغة الحديث، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، السنة الجامعية: 1430هـ - 1431هـ / 2009م - 2010م، ص 23.

(3) - المرجع نفسه، ص 24.

الأميرين جميعاً أن يظهر اللحن على ألسنة القراء، وهذا ما دفع العلماء إلى المسارعة من أجل صيانة العربية والحفاظ على لغة القرآن وحسن أدائها، حيث أجمع القراء على عدم صحّة الصلاة وراء من لا يحسن القراءة، وعدّوا القراءة من غير تجويد لحناء، ووصفوا القارئ بها لاحقاً⁽¹⁾.

وعليه فإذا كان الصوت هو موضوع علم الأصوات ومدار اهتمامه، فإنّه يشكّل المادة الخام التي يقوم عليها علمي: القراءات والتجويد، وعلى أساسها يستنبطان القواعد والأحكام الخاصة بهما؛ إذن فالصوت هو النقطة المشتركة، إذ يشكّل همزة وصل بين هذه العلوم الثلاث.

وبعد هذا العرض الخاص بعلم الأصوات وعلاقته بعلمي: القراءات والتجويد، لابدّ من نبذة مختصرة حول النموذج التطبيقي في هذا البحث، وهو سورة المائدة. نحاول فيها التعرف على هذه السورة، وكذا مختلف المواضيع التي اشتملت عليها.

(1) - آمنة شنتوف: الظواهر الصوتية في قراءة حمزة الزيات - دراسة وصفية وظيفية -، صص 24، 25.

المبحث الرابع: حول سورة المائدة

المطلب الأول: نص سورة المائدة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴿١﴾ احْتَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَمِ إِلَّا مَا يُتْبَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ
 مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا
 الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيَّةَ وَلَا ءَأَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ بَصُلًا مِّن رَّبِّهِمْ
 وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعِقَابِ ﴿٣﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا ءَاهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ءَ وَالْمُنْخَفِةُ
 وَالمَوْفُودَةُ وَالمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن
 تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْكِمَ ذَٰلِكُمْ يَسْئُؤُا الْيَوْمَ يَبْسُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِّن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْا
 الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا مِّمَّنْ اضْطُرَّ
 فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا حِلٌّ لَهُمْ قُلْ حِلٌّ لَّكُمْ
 الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَاكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ
 عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا بِاسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥﴾ الْيَوْمَ حِلٌّ لَّكُمْ
 الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ ءَاثَرُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالمُخَصَّنَاتُ مَنِ
 الْمُؤْمِنَاتِ وَالمُخَصَّنَاتُ مَنِ الَّذِينَ ءَاثَرُوا الْكِتَابَ مِّن قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ الْجُورَهُنَّ
 مُخْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِحِينَ وَلَا تُتَّخَذِ تَخْذِي أَعْدَائِكُمْ وَكُفْرُكُمْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي
 الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا فُتِمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ
 وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنْتُمْ جُنُبًا
 فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ
 تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ
 عَلَيْكُمْ مِّن حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧﴾

وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَّفَقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْإِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا إِبْعِدُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ءُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَىٰ اللَّهُ بَلِيَّتُوكُلِّ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِن أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ فَرْضًا حَسَنًا لَّأَكْفِرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٥﴾ فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَتَنسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٧﴾ يَتَأَهَّلُ الْكُتُبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكُتُبِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿١٨﴾ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٩﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَرَسُولُهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٢﴾ يَتَأَهَّلُ الْكُتُبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ بَشَرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَإِذْ قَالَ

مُوسَى لِقَوْمِهِ يَفْقَهُمْ إِذْ جَعَلَ عَلَيْكُمْ اِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا
 وَعَاطَبَكُم مَّا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٠﴾ يَفْقَهُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا
 لَكُمْ وَلَا تَزِدُّوا عَلَيَّ أَدْبَارَكُمْ بِتَنفِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّي وَإِنَّا لَنُذْخِلُهَا
 لَنْ نُدْخِلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿١٦١﴾ قَالَ رَجُلَيْنِ
 يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ
 اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٦٢﴾ قَالُوا يَمْوَسِيٰنَا إِنَّا لَنُذْخِلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا بِأَذْهَبَ
 أَنْتَ وَرَبُّكَ بِفِتْنَةٍ إِنَّا هَلْفَنَّا فَكُفِّرُوا بَعَدُوكَ ﴿١٦٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦٤﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى
 الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦٥﴾ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ
 يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٦٦﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ
 لِتَفْتِنَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيْ إِلَىٰ إِلَيْكَ لِأَفْتِنَكَ إِنَِّّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٧﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ
 بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٦٨﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ
 أَخِيهِ فَفَتَلَهُ بِأَصْبَحٍ مِنَ الْخَلْسِرِيِّ ﴿١٦٩﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِيهِ
 سُوءَ أَخِيهِ قَالَ يُورِيَّتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سُوءَ أَخِي فَاصْبَحَ مِنْ
 الْغَدَمِيِّينَ ﴿١٧٠﴾ مِن آجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي
 الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ
 جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِن كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿١٧١﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ
 الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
 وَأَرْجُلُهُمْ مِّن خَلْفٍ أَوْ يُنْقَبُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ يَأْتِيهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَقْوَىٰ اللَّهِ وَابْتِغَاؤِ إِلَيْهِ لِتُوسِّلَهُ لِيَجْهَدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٧٤﴾ إِنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
 مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٥﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ

عَذَابٌ مُّهِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةِ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءَ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٧﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٨﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزِنَكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَفُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذُرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْثِقَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٠﴾ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّخْتِ إِنْ جَاءَكُمْ بِأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضَ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ بِأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْفِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِطِينَ ﴿١١١﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْثِقَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَالْأَخْشَاءُ وَلَا تَخْشَوْا فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ فِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كِبَارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْثِقَ لَهُمُ الظُّلْمُونَ ﴿١١٣﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آءَابِئِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَعَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١١٤﴾ وَلِيُحْكَمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْثِقَ لَهُمُ الْقُلُوبُ وَالْأَفْئِدَةُ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْتُكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١١٥﴾ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا

تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ؛ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاغْلَمَ أَنْتُمْ يُرِيدُ
اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٥٦﴾ أَبْحَكُمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ
وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوفُونَ ﴿٥٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى
أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
﴿٥٨﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشِي أَنْ تُصِيبَنَا دَآيِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ
يَأْتِيَ بِالْبَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصِبحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا بِهِ أَنفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴿٥٩﴾ يَقُولُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا
خَاسِرِينَ ﴿٦٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَزِيدُ مِنْكُمْ عَسَ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ؛ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ
غَيْبٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا الَّذِينَ يُفِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٦٢﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٦٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا
دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ ءَاثَرُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ
﴿٦٥﴾ قُلْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ هَلْ تَنفَمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ مِن قَبْلِ وَأَنْ
أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦٦﴾ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَاةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ؕ وَوَلَّيْكَ شَرًّا مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ
السَّبِيلِ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا جَاءَوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ؕ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦٨﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتَ لَيْسَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتَ
لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ
يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنمِئُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طَغَيْنَا
وَكَفَرْنَا وَأَلْفَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْفَيْلِمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا

اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا
لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَا لَهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٥٧﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَأَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ بَرِّهِمْ وَمِنْ نَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ ءُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ
مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٥٨﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ بِمَا بَلَّغْتَ
رِسَالَاتِهِ ءَ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ فُلْ يَأْتِ أَهْلَ الْكِتَابِ
لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُفَيْمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنَ رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصِرِيُّونَ مِنْ ءَمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفَ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَكُمْ
رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيفًا كَذَّبُوا وَفَرِفًا يَفْتَلُونَ ﴿٦٢﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ بِنْتًا
فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٣﴾ لَقَدْ
كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ ءَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْبَارٍ
﴿٦٤﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا
يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٥﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٦﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ءَهُمْ صِدْقَةٌ كَانُوا
يَاكُلُونَ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَبْنَى يَوْفُكُونَ ﴿٦٧﴾ فُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٨﴾ فُلْ يَأْتِ أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا
فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ
السَّبِيلِ ﴿٦٩﴾ لَعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا
عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ بَعَلُوهُ لَبِيسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾
تَبَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِيسَ مَا فَدَمْتُ لَهُمْ ءَأَنْفُسُهُمْ ءَأَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي
الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا لَهُمْ ءَأَوْلِيَاءَ

وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَاسِفُونَ ﴿٤٦﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ
 أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ فِيسِيَّسِينَ
 وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
 الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا كُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٨﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَقْمَعُ أَنْ يَدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٤٩﴾ فَأَثْبَهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا
 جَنَّتِ تَجْرِي مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ وَاللَّهُ يَكْفُرُ بِالْمُشْرِكِينَ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ءُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ
 اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٢﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا
 وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ مِمَّا قَالْتُمْ وَلَكِنْ
 يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ بِكَبْرَتِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَلْعَمُونَ
 أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَبِيَّةٍ مِمَّا لَمْ يَجِدْ بِصِيَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَبْرَةٌ
 أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْبَبُوا إِلَيْكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ ﴿٥٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْزَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ
 الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوفِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ
 فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُضِدَّكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ عَلَى
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَعَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 ثُمَّ اتَّقَوْا وَعَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَنَكُمْ
 اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ مِمَّنْ إِبْتَدَىٰ بَعْدَ
 ذَلِكَ قَلْبَهُ عَدَابُ آيِمٍ ﴿٥٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَفْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ
 مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدِيًّا بَلِيغَ الْكَعْبَةِ أَوْ
 كَبْرَةٌ طَعَامَ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ
 فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٦٠﴾ أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعًا لَّكُمْ

وَلِلسِّيَّارَةِ وَحَرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٠٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ
 الْكَعْبَةَ الْكُبَىٰ أَلْبَيْتَ الْحَرَامِ فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَيْدَ ذَلِكَ لِيَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ
 يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٧﴾ إِبْرَاهِيمُ عَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
 وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٠٩﴾ قُلْ لَا
 يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِيهِ الْبُحُورُ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 تُفْلِحُونَ ﴿١١٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا
 حِينَ يُنزَلُ الْفُرْقَانُ تَبَدَّدَتْ لَكُمْ عَبَا اللَّهِ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١١١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ
 أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١١٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١١٣﴾ وَإِذَا فِيلٌ لَّهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا
 يَهْتَدُونَ ﴿١١٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا إِهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ
 مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَبَيْنَيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا
 حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ إِنَّنِي ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ أَحْرَارٍ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ
 ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِنُوهَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَنَّ بِاللَّهِ إِنْ
 إِرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١١٦﴾
 فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحْفَا إِثْمًا فَتَاخَرَا يَفُومَنِي مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَّيْنَ
 فَيُقْسِمَنَّ بِاللَّهِ لَشَهَدَتْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتِيهِمَا وَمَا بِعَدْتَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١١٧﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ
 أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا
 يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
 عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ
 بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ
 وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّىٰ مِنَ الطِّيبِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ
 الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَبْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣٧﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ
-امْنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١٣٨﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ قَالُوا
نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٤٠﴾ قَالَ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا
وَءَايَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٤١﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ
مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٢﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَآلِيَّيَ الْإِهْتِي مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا
لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ فُلْتُهُ بِفَقْدِ عِلْمَتِهِ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَظِيمُ
الْغُيُوبِ ﴿١٤٣﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا
دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّفِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٤٤﴾ إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ
فِي أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤٥﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ
الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٤٦﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٧﴾ ﴿١٤٧﴾ صدق الله العظيم.

المطلب الثاني: لمحة عامة حول سورة المائدة

1 - التعريف بالسورة الكريمة:

سورة المائدة إحدى السور القرآنية، وهي مدنية بناء على المشهور من أن المدني «ما نزل بعد الهجرة
ولو في مكة (...)»، وآياتها مائة وعشرون في العد الكوفي، ومائة واثنان وعشرون في العد الحجازي، ومائة وثلاثة
وعشرون في العد البصري»⁽¹⁾.

وفضلاً عن تسمية هذه السورة العظيمة بالمائدة فإن لها تسميات أخرى، ذكرها صاحب "التحرير
والتنوير" فقال: «تسمى أيضاً سورة العقود؛ إذ وقع هذا اللفظ في أولها، وتسمى أيضاً سورة المنقذة؛ لأنها تنقذ

(1) - أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مج2، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2001، صص

صاحبها من أيدي ملائكة العذاب (...)، وتسمى أيضا سورة الأخيار نسبة إلى تلك الفئة من الناس التي لا تفي بعهود الله تعالى⁽¹⁾، وأضاف الإمام "القرطبي" (ت: 671هـ) اسما خامسا يطلق على هذه السورة وهو «المبعثرة»⁽²⁾. جاء في "الجامع" للإمام "القرطبي" أنّ "أبو ميسرة" قال: «المائدة من آخر ما نُزل، ليس فيها منسوخ، وفيها ثمان عشر فريضة ليست في غيرها، وهي: ﴿وَالْمُنْخِيفَةَ وَالْمَوْفُودَةَ وَالْمُتَرَدِّيَةَ وَالنَّطِيحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّضْبِ وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْمِ﴾ الآية/4، و﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ الآية/5، و﴿وَطَعَامَ الَّذِينَ ءَاثُوا الْكِتَابَ﴾، و﴿وَالْمُخَصَّنَاتُ مِنَ الَّذِينَ ءَاثُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الآية/6، وتام الطهور: ﴿إِذَا فُتِمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية/7 و﴿وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةَ﴾ الآية/40، و﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ إلى قوله: ﴿عَزِيزٌ ذُو نِقَامٍ﴾ الآية/97، و﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ الآية/105، وقوله تعالى ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾ الآية/108⁽³⁾.

وهذه الفرائض الثمانية عشر التي أتينا على ذكرها هي التي تميّز هذه السورة عن سواها من السور الأخرى ولاسيما المدنية منها، كونها موضوعات وتشريعات لم يأت لها ذكر إلا في هذه السورة، ونجد الإمام "القرطبي" يضيف إلى هذه الفرائض خاصة أخرى تؤكد تميّز سورة المائدة عن سائر السور القرآنية، فيقول: «...قُلْتُ: وفريضة تاسعة عشر، وهي قوله جلّ وعزّ ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ المائدة/60، ليس للأذان ذكر في القرآن إلا في هذه السورة، أمّا ما جاء في سورة الجمعة فمخصوص بالجمعة، وهو في هذه السورة عام لجميع الصلوات»⁽⁴⁾.

هذا وقد اشتملت سورة المائدة على جميع مقاصد الشريعة الإسلامية، أو ما يعرف بالكليات الخمس حيث توزّعت هذه الأخيرة على مستوى السورة كالاتي:

حفظ العرض (الآية 6)، حفظ النفس (الآية 34)، حفظ المال (الآية 40)، حفظ الدين (الآية 56) وحفظ

(1) - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج6، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1404هـ/ 1984م، ص 69.

(2) - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان، ج7، نج: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ/ 2006م، ص 243.

(3) - المرجع نفسه، ص 244.

(4) - نفسه، ص ن.

العقل (الآية 92).

2 - سبب التسمية:

يقول "محمد حسين سلامة" متحدثاً عن علّة تسمية السورة بالمائدة: «وقد سمّيت بهذا الاسم لورود ذكر المائدة فيها، حين طلب الحواريون(*) من عيسى عليه السلام آية تدلّ على صدق نبوّته»⁽¹⁾. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٦﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَاباً لَّا أَعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

3 - فضلها وعظمتها:

من الأمور التي لا يمكن أن يختلف فيها اثنان حقيقة تساوي سور القرآن الكريم في إعجازها وبيانها وعظمة فضلها، فكُلّها تتماثل في كونها كلام للبارئ عزّ وجلّ ثناؤه، غير أنّ بعضها قد يتفاوت في عظمتها عن البعض الآخر، كأن تمثل سورة قلب القرآن وتعادل أخرى ثلثه أو نصفه وهلمّ جرا، ولعلّ ما يوضح عظمة هذه السورة التي نحن بصدددها: بروتة ناقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لما نزلت هذه السورة عليه، وهو راكب على ظهرها فعجزت عن حمله، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على هيبة القرآن وعظمة هذه السورة الكريمة، ففي الحديث الذي رواه الإمام "أحمد" (ت/241هـ) بسند صحيح عن "عبد الله بن عمرو بن العاص" رضي الله عنهم قال: «أُنزِلَتْ سورة المائدة على رسول الله (صلّى) وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها»⁽²⁾.

(*) - خلصاء الأنبياء عليهم السلام وصفوهم (...)، وهم الذين أخلصوا وثقوا من كلّ عيب (...)، وقيل لأصحاب عيسى عليه السلام "الحواريون" للبياض، لأنهم كانوا قصّارين (...)، ولأنهم كانوا خلصاء عيسى وأنصاره (...)، وإنّما سموا حواريين لأنهم كانوا يغسلون الثياب؛ أي يجوّرونها وهو التبييض، ... مزيداً من التوسع ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مج3، مادة "حوّز".

(1) - محمد حسين سلامة: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ/2002م، ص 83.
(2) - أخرجه: الحافظ أبو عبد الله أحمد بن حنبل في مسنده، ج2، رقم الحديث:6643، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية دط، 1419هـ/1998م، ص 504.

وما يدلّ على فضل ومكانة هذه السورة الكريمة أيضاً، ما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي: «أنّ رجلاً من اليهود قال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين لو علينا أنزلت هذه الآية ﴿إِلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة/4، لآخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال له عمر بن الخطاب، إيّ لأعلم أيّ يوم أنزلت هذه الآية؛ أنزلت يوم عرفة في يوم الجمعة»⁽¹⁾. وفي رواية: «...فقال عمر إيّ لأعلم أيّ مكان أنزلت، أنزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة»⁽²⁾.

4 - مرتبتها:

أ/ في المصحف:

احتلّت سورة المائدة المرتبة الخامسة حسب ترتيبها في المصحف الشريف، وجاءت مسبوقه بفاتحة القرآن، سورة البقرة، آل عمران، النساء، وجعلت هذه السورة مسبوقه بسورة الأنعام «مع أنّ سورة الأنعام أكثر منها عدد آيات، لعلّ ذلك لمراعاة احتمال هذه السورة على أغراض تشبه ما اشتملت عليه سورة النساء، عونا على تبيان إحداهما للأخرى في تلك الأغراض»⁽³⁾.

ب/ في النزول:

لقد ذهب العلماء مذاهب شتى حول آخر سورة أنزلت على الرسول(ص)، فلقد جعل الإمام "الزركشي": «سورة البقرة هي أول سورة مدنية أنزلت، تليها الأنفال (...). أمّا سورة المائدة فهي آخر سورة مدنية أنزلت على النبي (ص) بعد سورة التوبة، ومنهم من يقدّم المائدة على التوبة ويجعلها آخر سورة أنزلت»⁽⁴⁾. فـ "الزركشي" حكم على سورة المائدة بأنّها آخر سورة أنزلت قياساً على كون الآية الثالثة منها قد نزلت في يوم عرفة كما أشرنا.

أمّا "سيّد قطب" فيرى أنّ سورة المائدة قد نزلت «بعد سورة الفتح دفعة واحدة، فيما عدا الآية الثالثة منها والتي نزلت في حجّة الوداع في السنة العاشرة، علماً أنّ سورة الفتح كما تذكر الرواية أنّها قد نزلت في الحديبية في

(1) - أخرجه: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي في سننه (سنن الترمذي)، تح: صدي جميل العطار، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله (ص)، باب: ومن سورة "المائدة"، رقم الحديث 3054، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/2002م، ص 866.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، مج3، ج5، كتاب المغازي، باب حجّة الوداع، (المعلومات السابقة)، ص127.

(3) - ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج6، ص72.

(4) - ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص194.

العام السادس من الهجرة...»⁽¹⁾.

فواضح من خلال كلام "سيد قطب" أنّ سورة المائدة ليست هي آخر سورة نزلت على الرسول الكريم (ص). رأينا في السابق أنّ العلماء قد اختلفوا في تاريخ نزول السورة الكريمة، وكذا في مرتبة نزولها، وقال أكثرهم أنّ السورة نزلت في طريق الرسول(ص) إلى حجة الوداع من السنة العاشرة، وذلك لاشتمالها على آيات قيل إنّ الرسول(ص) قرأها خلال خطابه أثناء حجة الوداع، غير أنّ "محمد عابد الجابري" يناقض هؤلاء، حيث يرجّح نزول السورة عقب صلح الحديبية (6هـ)، وأنّ ما ورد في الآيات الأولى منها لا «يرتبط بحجة الوداع التي جرت في السنة العاشرة بل بـ "عمرة القضاء" المنصوص عليها في صلح الحديبية، والتي حُدِّدَ تاريخها العام المقبل؛ أي السنة السابعة للهجرة، وبناء عليه فتاريخ نزولها هو السنة السابعة، وما ورد فيها من ذكر لشعائر الحج ومن المحرّمات،... كان بمناسبة عمرة القضاء وليس بمناسبة حجة الوداع»⁽²⁾.

ويذهب إلى نفس هذا الاتجاه "ابن عاشور" الذي يرجّح بدوره نزول السورة بعد صلح الحديبية، لكنّ نزولها - حسب رأيه - كان بعد سورة الممتحنة، والتي نزلت بعد رجوع الرسول (ص) إلى المدينة من صلح الحديبية ويقول أيضا: «وهي أيضا متأخرة عن سورة براءة، لأنّ براءة تشتمل على كثير من أحوال المنافقين، وسورة المائدة لا تذكر من أحوالهم إلاّ مرّة، وذلك يُؤدِّدُ بأنّ النفاق حين نزولها قد انقطع، أو خضّدت شوكة أصحابه، وإذ قد كانت سورة براءة نزلت في عام حجّ أبي بكر بالنّاس؛ أعني سنة تسع من الهجرة»⁽³⁾.

ويضيف قائلاً عن مرتبة سورة المائدة حسب تسلسل نزولها: «وقد عدّت السورة الحادية والتسعين في عدد السور على ترتيب النزول»⁽⁴⁾.

وسواء أكانت سورة المائدة آخر السور القرآنية نزولاً أم لا، وسواء أكان نزولها في السنة السابعة أو العاشرة للهجرة - على اختلاف العلماء في ذلك - فإنّ ما لا يمكن الاختلاف فيه هو أنّ سورة المائدة من أواخر السور نزولاً، وأنّ نزولها لم يكن دفعة واحدة، بل نزلت متفرقة وفي أوقات وأماكن مختلفة.

5 - تصنيفها:

قسّم العلماء سور القرآن إلى أربعة أقسام، خصّصوا لكلّ قسم منها اسماً معيّناً، وهي: الطّوال، المُؤن

(1) - سيد قطب: في ظلال القرآن، مج2، ج5، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط32، 1423هـ/2003م، ص832.

(2) - محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ج3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1431هـ/2010م، ص352، ولمزيد من التوسع ينظر: ص354 من هذا الكتاب.

(3) - ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج6، صص71، 72.

(4) - المرجع نفسه، ص72.

المثاني والمفصل، وقد كان تقسيم القرآن الكريم إلى هذه الأقسام الأربعة باعتبار معيار "الطول والقصر"، وعلى هذا الأساس صُنفت سورة المائدة ضمن القسم الأول، يقول "الزرقاني": «فالطَّوَال سبع سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، فهذه ستة، واختلفوا في السابعة أهي الأنفال وبراءة معا لعدم الفصل بينهما بالبسملة أم هي سورة يونس»⁽¹⁾.

6 - وجه التناسب بينها وبين ما قبلها من وجود:

اشتركت سورة المائدة مع ما قبلها من السور القرآنية في عدّة مواطن يمكن حصر بعضها في النقاط التالية:

1 - اشتملت سورة النساء على عدّة عقود: صريحاً وضمناً؛ فالصريح: عقود الأنكحة والصدّاق والحلف والمعاهدة والأمان، والضمني: عقود الوصية والوديعة والوكالة والإجارة، كما مهّدت هذه السورة لتحريم الخمر، لِتُحَرِّمَهَا سورة المائدة بعدها البتّة، فكانت متممة لشيء ممّا قبلها⁽²⁾.

2 - إنّ معظم سورة المائدة في محاجة اليهود والنصارى مع ذكر شيء عن المنافقين والمشركين، وقد تكرّر هذا الذكر في سورة المائدة، وأطيل به في آخرها، ووجه تقديم النساء وتأخير المائدة: أنّ الأولى بُدئت بـ: "يا أيّها النّاس" وفيها الخطاب بذلك في مواضع، وهذا أشبه بالتنزيل المكي، والثانية بـ: "يا أيّها الذين آمنوا"، وفيها الخطاب بذلك في مواضع، وهذا أشبه بالتنزيل المدني المتأخر عن الأول⁽³⁾.

3 - ختم الله تعالى سورة النساء بالأمر بالتوحيد والعدل بين العباد، ثمّ جاءت سورة المائدة لتأكيد ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾⁽⁴⁾ المائدة/1، وهذا يدل على مناسبة فاتحة سورة المائدة بخاتمة التي قبلها⁽⁴⁾.

4 - تشترك سورة المائدة مع السور الطوال التي جاءت قبلها في موضوعات شتى، الرابط بينها جميعاً هو: هذا الهدف الأصيل الذي جاء القرآن كلّهُ لتحقيقه، وهو: «إنشاء أمة، إقامة دولة وتنظيم مجتمع على أساس من عقيدة خاصة وتصوّر معين وبناء جديد...الأصل فيه إفراد الله - سبحانه - بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان وتلقي منهج الحياة وشريعتها ونظامها وموازينها وقيمها منه وحده بلا شريك»⁽⁵⁾.

(1) - الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص 286.

(2) - أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مج2، ج6، ص 256.

(3) - المرجع نفسه، ص ن.

(4) - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 186.

(5) - سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج2، ج5، ص 825.

5 - على الرغم من تقارب الموضوعات التي تعالجها السور الطوال الثلاث السابقة مع الموضوعات التي تعالجها هذه السورة، غير أنه يبقى لكلّ سورة «شخصيتها ووجودها وظلالها وأسلوبها الخاص في معالجة هذه الموضوعات والزوايا التي تعالجها منها، والأضواء التي تسلطها عليها، ونوع المؤثرات الموحية المصاحبة للعرض؛ بحيث تتميز "شخصية" كلّ سورة تماما، ويبرز طابعها الخاص»⁽¹⁾.

ويحدّد "سيد قطب" الطابع البارز لسورة المائدة قائلا: «هو طابع التقرير والحسم في التعبير، سواء في تلك الأحكام الشرعية التي تقتضي بطبيعتها التقرير والحسم في القرآن كلّ، أو المبادئ والتوجيهات التي قد تتخذ في غير هذه السورة صورا أخرى، ولكنّها في هذه السورة تقرّر في حسم وصرامة في أسلوب التقرير الدقيق، وهو الطابع العام المميّز لشخصية السورة من بدئها إلى منتهاها»⁽²⁾.

المطلب الثالث: مواضيع سورة المائدة

اهتمّت سورة المائدة كسائر السور المدنية الأخرى بجانب التشريع والعقائد على غرار سورة البقرة والنساء والأنفال، فقد تضمّن سياق هذه السورة أحكاما شرعية متنوعة منها: ما يتعلّق بالحلال والحرام من الذبائح والصيد، ومنها ما يتعلّق بالحلال والحرام فترة الإحرام وفي المسجد الحرام، ومنها ما يتعلّق بالحلال والحرام من النكاح، ومنها ما تعلق بالزّدة وأحكام الطهارة، وحدّ السرقة والبغي والإفساد في الأرض، ومنها ما تعلق بالقضاء وإقامة العدل فيه، ومنها ما يتعلّق بالخمير والميسر والأنصاب والأزلام، ومنها ما يتعلّق بالكفارات في قتل الصيد مع الإحرام وفي اليمين، ومنها ما يتعلّق بالوصية عند الموت، ومنها ما يتعلّق بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام من الأنعام، ومنها ما يتعلّق بشريعة القصاص في التوراة، ومنها ما تعلق بحكم تارك العمل بشريعة الله، كما تناولت السورة الكريمة قصّة بني آدم كترميز إلى الصراع العنيف بين قوى الخير وبين قوى الشر؛ حيث قتل "قابيل" أخاه "هابيل"، فكانت أوّل جريمة بشعة تحدث على وجه الأرض، وتناولت كذلك قصّة المائدة وهي معجزة "عيسى بن مريم" عليهما السلام، فضلا عن مناقشة السورة الكريمة لليهود والنصارى في عقائدهم الزائفة؛ حيث نسبوا إلى الله تعالى ما لا يليق به - سبحانه - ونقضوا العهود والمواثيق، وحرفوا التوراة والإنجيل... لتلتقي بذلك «شرائع الله بشعائره في سياق السورة بلا حاجز ولا فاصل! كلّ ذلك حزمة واحدة في سورة واحدة يمثّل معنى "الدين" كما أراده الله وكما فهمه المسلمون أيام أن كانوا مسلمين»⁽³⁾، وإلى جوار هذه الأحكام الشرعية المنوعة يجيء الأمر بالطاعة

(1) - سيد قطب: في ظلال القرآن، مج2، ج5، ص 833.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

(3) - نفسه، ص 825.

والتقيّد بما شرعه الله وما أمر به، والنهي عن التحريم والتحليل إلّا بإذنه، تأكيداً منه سبحانه وتعالى أنّ هذا كلّهُ هو «الدّين القيم»، وأنّ الإقرار به كلّهُ هو «الإيمان»، وأنّ الحكم به كلّهُ هو «الإسلام»، وأنّ الذين لا يحكمون بما أنزل الله هم الكافرون، الظالمون، الفاسقون... وأثمّهم - إذن - يتتغون حكم الجاهلية ولا يتتغي حكم الجاهلية المؤمنون المسلمون»⁽¹⁾.

وفيما يلي عرض وجيز لأبرز موضوعات هذه السورة الكريمة:

1 - أحكام الذبائح والصيد والإحرام:

استهلّ نص السورة ببناء متبوع بأمر ربّاني دال على وجوب القيام به، وهو الوفاء بالعقود. هذه الأخيرة التي تحيل في معناها الواسع على كلّ «ضوابط الحياة التي قرّرها الله، وفي أولها عقد الإيمان به، ومعرفة حقيقة ألوهيته سبحانه، ومقتضى عبوديته لألوهيته، هذا العقد الذي تنبثق منه، وتقوم عليه سائر العقود وسائر الضوابط في الحياة»⁽²⁾. وهذه العقود هي تلك: «العهد التي بين العبد والربّ تعالى، وبين العبد وأخيه، والوفاء بها بعدم نكثها والإخلال بمقتضاها»⁽³⁾. ثمّ شرع سبحانه يفصّل الأحكام التي أمر بالإيفاء بها، وبدأ بما يتعلّق بضرورات معاشتهم حيث أحلّ الله لعباده أكل البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية التي ورد ذكرها في سورة الأنعام^(*) وألحق بها الضبأ وبقر الوحش ونحوهما، باستثناء ما حرّمه عليهم وهم محرّمون بالحجّ أو العمرة أو كلاهما، أو هم داخلون في أرض الحرم، وهذه حدود الله فلا يجب على المحرم تعديها وذلك «بجعل الحرام حلالاً باصطياده أو أكله لما حرّمه المولى عزّ و جل، فلا يحلّ الصيد لمن كان في أرض الحرم ولو لم يكن محرماً ولا للمحرم بالحجّ أو العمرة وإن كان في خارج حدود الحرم؛ بأن نوى الدخول في هذا النسك، وبدأ بأعماله كالتلبية وليس المخيط...»⁽⁴⁾، وهذه المحرّمات على عشرة أنواع: أولها: الميتة وهي «البهيمة التي تموت حتف أنفها»⁽⁵⁾؛ أي من دون تذكية أو قتل. والدم وخصّ هنا المسفوح منه؛ أي «المائع (السائل) الذي يسفح ويراق من الحيوان وإن جمد بعد ذلك، بخلاف

(1) - سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج2، ج5، ص 825.

(2) - المرجع نفسه، صص 835، 836.

(3) - أبو ذرّ القلموني: كلمات القرآن الكريم في كتاب أيسر التفاسير للجزائري، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، ط1، 1430هـ/ 2009م، ص152.

(*) - الكباش والنعجة (الضأن)، التيس والعنزة (المعز)، الجمل والناقة (الإبل)، الثور والبقرة (البقر). ينظر: سورة الأنعام، الآية: 143 و 144.

(4) - أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مج2، ج6، ص257.

(5) - أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي: تفسير النسفي المسمّى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، مج1، تح: سيّد زكريّا، مكتبة نزار مصطفى الباز، دب، دط، دس، ص267.

ما هو جامد في أصله كالطحال والكبد⁽¹⁾، وتحريم لحم الخنزير لما فيه من «الضرر والاستقذار لملازمته للقاذورات ورغبته فيها، فضلا عن أنّ أكله يوَلِّد الديدان الشريطية، وأنّ لحمه أعسر اللحوم هضمًا لكثرة الشحم في أليافه العضلية»⁽²⁾. وكذا "ما أهلّ لغير الله به" أي «رفع الصوت لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه»⁽³⁾، فذلك محرّم قطعًا بلا خلاف، يضاف إلى هذه الأنواع - أيضا - الأصناف التالية:

المنخقة وهي التي: «تختنق: إمّا في وثاقها، وإمّا بإدخال رأسها في الموضع الذي لا تقدر على التخلص منه، فتختنق حتى تموت»⁽⁴⁾، **والموقوذة** وهي التي: «تُرْمى أو تُضرب بحجر أو عصا حتى تموت من غير تذكية»⁽⁵⁾. **والمتردية** هي التي: «سقطت من جبل أو سقطت في بئر تردّيًا تموت به، والحكمة واحدة»⁽⁶⁾. أمّا **النطيحة** فهي من «ماتت بسبب نطح أختها لها بقرونها أو رأسها»⁽⁷⁾، وما "أكل السبع" أي: «ما عدا عليها أسد أو فهد أو نمر أو ذئب أو كلب، فأكل بعضها فماتت بذلك، فهي حرام وإن كان قد سال منها الدماء، ولو من مذبحها فلا تحلّ بالإجماع»⁽⁸⁾. إلّا ما ذكّيتم؛ أي: «ما أدركتم فيه الروح مستقرّة فذكّيتموه بذبحه أو نحره، فأتمّموه إمّاة شرعية قصد أكله»⁽⁹⁾، وما ذبح على النَّصب: أي «ما ذبح على الأصنام المنصوبة التي تمثّل إلها أو زعيما أو عظيما، ومثلها ما ذبح على أضرحة الأولياء وقبورهم وعلى الجان»⁽¹⁰⁾.

هذا فضلا عن سلسلة التحريمات التي استُهلّت بها هذه السورة، والتي لها علاقة بشعائر الإحرام كمناسك الحجّ وسائر فرائض الدّين الإسلامي من حلال وحرام، وحدوده التي لا عفو فيها ولا سماحة، وكذا حرمة قتال المشركين في الشهر الحرام، ويقصد به هنا "ذو القعدة، ذو الحجة، محرّم ورجب"، كما أمر - سبحانه وتعالى - بعدم

(1) - أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مج2، ج6، ص260.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

(3) - النسفي: تفسير النسفي المسنّى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، مج1، ص 267.

(4) - الطبري: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج3، تح: بشار عواد معروف وعصام فارس الحراستاني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/ 1994م، ص 14.

(5) - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان، ج7، ص 270.

(6) - ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج6، ص 91.

(7) - القلّموني: كلمات القرآن الكريم في كتاب أيسر التفاسير للجزائري، ص 153.

(8) - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، مج2، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ومكتبة دار الريان، الجزائر، ط1، 1423هـ/ 2002م، ص891.

(9) - القلّموني: المرجع السابق، ص س.

(10) - المرجع نفسه، ص ن.

منع الهدي وهو «ما يهدى إلى الكعبة من الأنعام ليذبح هنالك قصد التوسعة على العباد بشئ الطرق كالأخذ بالغضب، الذبح، السرقة، والحبس،...»⁽¹⁾، ويدخل في هذا التحريم ذوات القلائد وهي "البُذُنْ وغيرها"، وخصّ المقلّد بالذكر «ما كان معيّنًا في عنقه من الأنعام بجبل أو غيره ليعرف فلا يتعرض له أحد، لأنّه أكرم الهدي وأشرفه»⁽²⁾، كما حرّم قتال قاصدي البيت الحرام لزيارته تقرّبًا من المولى عزّ وجلّ، أو طلبًا للريح في التجارة ورضًا من الله يحول بينهم وبين عقوبته في الدنيا، لئلا يحلّ بهم ما حلّ بغيرهم في عاجل دنياهم، وهذا كلام ينطبق على المشركين كما تشير إلى ذلك الروايات.

وقد حتم ربّ العزّة سلسلة هذه المحرمات بتحريمه الاستقسام بالأزلام والتي كان أهل الجاهلية يستحلونها والمقصود بالأزلام قطعة خشبية على هيئة السهم، كان العرب في الجاهلية يستحلونها، وهي ثلاثة كُتِبَ على أحدها "أمرني ربّي" وعلى الثاني "نهاني ربّي"، والثالث عُفِلَ ليس عليه شيء، فإذا أراد أحدهم سفرا أو غزوا أو زواجا أو بيعا أو نحو ذلك حرّك هذه الأزلام، فإن خرج له الزلم المكتوب عليه "أمرني ربّي" مضى لما أراد وتفاءل وإن خرج المكتوب عليه "نهاني ربّي" أمسك عن ذلك ولم يمض فيه، وإن خرج العُفِلَ الذي لا كتابة عليه أعاد الاستقسام، وهذه من الخرافات والأوهام التي لا يركن إليها إلاّ من كان ضعيف العقل، ومن تمّ أبطل ذلك دين العقل والبصيرة، كما أبطل التطيّر والكهانة والعرافة وسائر خرافات الجاهلية، وقد استنّت بعض جهّال المسلمين بسنة مشركي الجاهلية، حيث تراهم يستقسمون بالسّبح وغيرها، ويسمون ذلك استخارة أو فألا، فيقتطعون طائفة من حبّ السّبحة، ويحرّكونها حبة بعد أخرى؛ يقولون (افعل) على واحدة، (لا تفعل) على الثانية، ويكون الحكم الفصل للحبة الأخيرة، وليس هذا هو المقصود بالاستخارة التي حدّثنا عليها رسولنا الكريم محمد (ص)، والعجيب من كلّ هذا وذاك أنّ بعض الدجالين قد جعلوا الاستقسام من قبيل الاستخارة، وجعله بعضهم من قبيل القرعة المشروعة، وكلّ ذلك ضلال إذ لا بيّنة فيه ولا سلطان.

والخلاصة أنّ كلّ ما أتينا على ذكره محرّم، وكلّ محرّم ممّا سبق فسق وخروج عن طاعة الله ورغبة عن شرعه إلى معصيته، إلاّ لمن كان مضطرا فدعته الضرورة إلى انتهاك ما حرّمه الله عزّ وجلّ كالمخمصة (المجاعة) مثلا؛ لأنّ الإباحة هنا للضرورة وهي صيانة النفس من الهلاك والموت، وهي تقدّر بقدرها؛ «فمن اضطرّ إلى أكل شيء ممّا دُكِرَ، فأكل في مجاعة لا يجد فيها غيره، وهو غير مائل إليه لذاته، ولا جائز فيه متجاوز قدر الضرورة، فإنّ الله

(1) - أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مج2، ج6، ص 258.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

غفور مثله لا يؤاخذة عليه، وهو رحيم به يرحمه ويحسن إليه»⁽¹⁾.

2 - أحكام الحلال والحرام في النكاح:

بعد أن فرغ الله سبحانه وتعالى من عرض أحكام الذبائح، شرع في عرض أحكام النكاح، وما تعلق بها من حلال وحرام، وفي الآية الخامسة يبيّن ذلك؛ حيث أحلّ الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين نكاح المحصنات (الحرائر) من المؤمنات، ونكاح الحرائر من الذين أوتوا الكتاب من قبلهم و هم اليهود والنصارى «إذا أتوا أزواجهم من محصناتهم المؤمنات أو غيرهنّ (من اليهود والنصارى) مهورهنّ، وتقييد الحلّ بإتيان المهور لتأكيد الوجوب لا لاشتراطه في الحلّ، وتخصيص الحرائر بالذكر للحديث على ما هو الأولى منهّنّ، لا لأنّ من عداهنّ لا يحلّ، إذ نكاح الإماء المسلمات صحيح بالاتفاق، وكذا نكاح الإماء الكنانيات عند "أبي الحنيفة"⁽²⁾.

ويبقى الاستثناء القرآني قائما، ودلالته هنا: الانتقال ممّا هو حلال إلى ما هو حرام؛ أي أنّ الله سبحانه وتعالى شرع لعباده المؤمنين النكاح بالمحصنات العفيفات، لكن بشرط يعتبر انتفاؤه انتهاك لحرمة الله تعالى وهو شرط العقّة في الزوج، أي يجب أن يكون «محصنا حافظا لفرجه من الزنا ولا يكون مسافحا، كأن يأتي بالفاحشة ثمّ يجاهر بها، ولا متخذ أخدان والمقصود بذلك إتيان الفاحشة سرا مع صاحب أو صاحبة له، كما هو الحال في الجاهلية»⁽³⁾.

وخلاصة ذلك أنّ المحصنات حلّ للمحصنين والمحصنين حلّ للمحصنات حال كونكم قد آتيتموهنّ أجورهنّ فعلا، والتزمت به حال كونكم أعمّاء من الرّنا "جهرا وسرا"، إذ المقصد من الزواج أن يكون الرجل محصنا والمرأة محصنة؛ يُعْفُ كلّ منهما الآخر ويجعله في حصن يمنعه من الفاحشة على أي وجه كانت، فلا يزني الرجل جهرة ولا سرا باتخاذ صاحبة خاصة به، ولا تكون المرأة كذلك، ومن ينكر شرائع الإسلام التي من جملتها ما بيّن هنا من الأحكام المتعلقة بالحلّ والحرمة، ويمتنع عن قبولها فقد حبط عمله الصالح، وبطل ثوابه وخسر في الآخرة ما أعدّه الله للمؤمنين من الجزاء العظيم على الإيمان الصحيح؛ وهو إيمان الإذعان والعمل.

3 - أحكام الصلاة والطهارة:

في ظلّ الحديث عن الطّيّبات من الطعام والطّيّبات من النساء يجيء ذكر الصلاة وأحكام الطهارة للصلاة وفي ذلك لفظة أولا إلى لون آخر من الطّيّبات؛ «طّيّبات الروح الخالصة، وهو لون يجد فيه قلب المؤمن ما لا يجده

(1) - أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مج2، ج6، ص 264.

(2) - المرجع نفسه، ص 267.

(3) - نفسه، ص ن.

في سائر المتاع؛ متاع اللقاء مع الله في جوّ من الطهر والخشوع والنقاء»⁽¹⁾، فلمّا فرغ سبحانه وتعالى من الحديث عن متاع الطعام والزواج، ارتقى إلى متاع الطهارة والصلاة، استكمالا لألوان المتاع الطيبة في حياة الإنسان، والتي بها يتكامل وجوده ويتأكد كيانه في هذه الحياة، وهي ثانياً لأنّ أحكام الطهارة والصلاة كأحكام الطعام والنكاح، كأحكام الصيد في الحلّ والحرمة، كأحكام التعامل مع الناس في السلم والحرب، كبقية الأحكام الأخرى في هذه السورة الكريمة كلّها «عبادة لله، وكلّها دين لله، فلا انفصام في هذا الدّين ولا شقاق»⁽²⁾.

إنّ الصلاة لقاء مع الله ووقوف بين يديه سبحانه، ودعاء مرفوع إليه ونجوى وإسرار، فلا بدّ لهذا الموقف من استعداد، لا بدّ من تطهر جسدي يصاحبه تهيمٌ روحي ومن هنا كان الوضوء عند الحدث الأصغر، وكان الاغتسال عند الحدث الأكبر (الجنابة سواء أكانت بالمباشرة أم بالاحتلام)، وكان التيمّم حال توفر شروطه، وما هو إلّا استعاضة عن الوضوء والغسل، والذي من شأنه أن يحقّق الشطر الثاني والأقوى من الطهارة وهو الجانب الروحي؛ ذلك أنّ الوضوء والغسل «ليس مجرد تنظيف للجسد بقدر ما هو محاولة مزدوجة لتوحيد نظافة الجسم وطهارة الروح في عمل واحد، وفي عبادة واحدة يتوجّه بها المؤمن إلى ربّه»⁽³⁾.

وحكمة الله في هذا عظيمة وجليلة، فسبحانه وتعالى حينما أوجب الطهارة على عباده المؤمنين، ليس ذلك من أجل إخراجهم أو حملهم على المشقّة بالتكاليف، وإنّما يريد أن يطهّهم وأن ينعم عليهم بهذه الطهارة، وأن يقودهم إلى الشكر على النعمة ليضاعفها لهم ويزيدهم منها.

4 - وجوب إقامة العدل:

من جملة الأوامر الربانية التي ألزم بها الله عباده المؤمنين: العدل بين الناس، وذلك بأن تنشط للقيام بالقسط حركاتهم الظاهرة والباطنة، وأن يكون ذلك القيام لله وحده لا لغرض من الأغراض الدنيوية، وأن يكون القيام بالعدل على القريب والبعيد والصديق والعدوّ، دون أن يحملهم في العدل بغض كما يفعل من لا عدل عنده ولا قسط، بل كما يشهدون لوليّهم لا بدّ أن يشهدوا عليه، وكما يشهدون على عدوّهم أن يشهدوا له أيضا ولو كان كافرا أو مبتدعا، فإنّه يجب العدل فيه وقبول ما يأتي به من الحقّ، لأنّه حق لا لأنّه قائله، ولا يرد الحقّ لأجل قوله فإنّ هذا ظلم للحقّ، وكلّما كان الحرص على العدل والاجتهاد في العمل به، كان ذلك أقرب لتقوى القلوب فإن

(1) - سيّد قطب: في ضلال القرآن، مج2، ج6، ص 848.

(2) - المرجع نفسه، ص 849.

(3) - نفسه، ص 850.

تمّ العدل كملت التقوى⁽¹⁾.

5 - موثيق وعقود الله تعالى:

من سلسلة عقود الله عزّ وجل أيضاً، والتي تبينها الآيات من 12 إلى 28، ما أخذه على أهل الكتاب من موثيق، حيث أمر "اليهود والنصارى" بأداء الصلاة على وجهها، وإعطاء الصدقات المفروضة عليهم تزكية لنفوسهم وتطهيراً لها، والإيمان بالرسول التي أرسلها إليهم ونصرتهم وتعظيمهم وتبجيلهم، فلمّا كان نقضهم لهذه الموثيق نزل عليهم عقابه - سبحانه - في الدنيا بضروب الدّلة والمسكنة، وفي الآخرة بالخزي والعذاب، فقد عاقب اليهود بعدّة عقوبات كانت الأولى هي: «اللّعنة والطرّد والإبعاد من رحمته تعالى، فلمّا لم يقوموا بالعهد الذي أخذ عليهم، أغلقوا بذلك على أنفسهم أبواب الرحمة»⁽²⁾، والثانية بأن جعل قلوبهم «غليظة لا تجدي فيها المواعظ، ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يرغبهم تشويق، ولا يزعجهم تخويف، وهذا من أعظم العقوبات على العبد، أن يكون قلبه بهذه الصفة التي لا يفيد الهدى والخير إلّا شراً»⁽³⁾، والثالثة أنّه سبحانه وتعالى ابتلاهم بتحريف الكلم عن مواضعه، ويكون ذلك بإحدى اثنين: «إمّا بتحريف الألفاظ؛ بالتقديم والتأخير والزيادة والنقصان، وإمّا بتحريف المعاني؛ بحمل الألفاظ على غير ما وُضِعَتْ له، وكلّ منهما قد وقع في التوراة وغيرها من كتبهم»⁽⁴⁾، والرابعة أنّهم نسوا طائفة من التوراة لأنّهم «فقدوه عندما أحرق البابليون هيكلهم وخربوا عاصمتهم وسبوا من بقي منهم حيّاً، فلمّا عادت إليهم الحرّية جمعوا ما كانوا قد حفظوه من التوراة ووعوه وعملوا به»⁽⁵⁾، والخامسة: أنّهم ابتلوا بالخيانة المستمرّة، منهم «قوم لا وفاء لهم ولا أمان، فمن نقض عهد الله ومثاقه، فكيف يرجى منه وفاء؟. وكيف يطمع منه في أمانة»⁽⁶⁾.

ولما كان مسلك النصارى مثل مسلك اليهود في نقض موثيق الله وعدم الوفاء بعهوده، كان عقابهم شديد من فوق سبع سموات، فقد كان نسيانهم لِقَدْرٍ عظيم من كتابهم سبباً في تفرّقهم في الدّين، وإشباع شهواتهم فكان عقابه تعالى بأن «سلّط بعضهم على بعض، وصار بينهم من الشرور والإحن ما يقتضي بغض بعضهم بعضاً

(1) - ينظر: عبد الرحمن بن ناصر السّعودي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المتّان، تح: عبد الرحمن بن معلاً اللويحق، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، ص 203.

(2) - المرجع نفسه، ص 204.

(3) - نفسه، ص ن.

(4) - أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مج2، ج6، ص 275.

(5) - المرجع نفسه، ص ن.

(6) - نفسه، ص 276.

ومعاداة بعضهم بعضاً إلى يوم القيامة»⁽¹⁾.

كما نجد في هذه الآيات قصّة بني إسرائيل مع "موسى" عليه السّلام الذي أنقذهم من ظلم فرعون وجبروته، وأخرجهم من ذلك البلد (مصر) الظالم أهلها أحراراً بعد أن كانوا عبيداً لفرعون، ومع ذلك كانوا يعصون أوامره؛ فقد خالفوه لما طلب منهم أن يدخلوا الأرض المقدّسة، مع الاستعداد لقتال من يحاول قتالهم من أهلها فأبوا أن يفعلوا ما أمرهم، وتمردوا واعتذروا بضعفهم وقوّة أهل تلك البلاد (بنو عناق) الذين وصفوهم بالجباية، وحاولوا الرجوع إلى مصر وأصروا على العناد والتمرد، ولم تغن عنهم عظات سيّدنا "موسى" عليه السّلام ولا حتّى عظات "يوشع بن نون" و"كالب بن يُفنة"، وهما رجلاّن منهم أنعم الله عليهما بنعمة التقوى والخوف منه سبحانه وتعالى، وبلغ بهم الحدّ إلى تقليل الأدب مع المولى عزّ وجلّ حينما قالوا "لموسى": "اذهب أنت وربك الذي أمرك بالدخول إلى الأرض المقدّسة فقاتلا الجبارين، وأخرجهم من تلك الأرض، وإنا هنا قاعدون منتظرون، فكان عقاب الله عزّ وجلّ بأن حرّم عليهم «تحرّماً فعلياً لا تكليفاً شرعياً - الأرض المقدّسة - مدّة أربعين سنة يسبّرون فيها في بئرة تائهين متحيّرين لا يدرون أين مصيرهم»⁽²⁾.

6 - الفساد في الأرض (الحسد والقتل):

بعد أن ذكر الله تعالى حسد اليهود للرسول (ص) وإعراضهم عن دعوته لهم، على الرغم من قيام الأدلة ووضوح البراهين الدالة على صدقه، وكثرة الآيات المؤكّدة لنبوته (ص)، بل وصل بهم الحدّ إلى أن ييسط بعضهم أيديهم لقتله (ص) وصحابته. ذكر هنا قصّة بني آدم كترميز للصراع العنيف القائم بين قوى الشر وبين قوى الخير، وأنّ الحسد والبغض متجدّر وعريق في نفوس بني آدم، فهما كما يصفهما "الطاهر بن عاشور" أوّل جريمة ظهرت في الأرض، بل أنّها سبب قوي في تفشي أبشع جريمة على وجه الأرض، ألا وهي جريمة القتل.

لقد كان حسد "قاييل" لأخيه "هايبيل" نتيجة قبول الرب "القريان هايبيل" (*) وعدم قبوله من الآخر، دَفْع الأوّل إلى قتل أخيه وارتكاب أوّل جريمة بشعة في حقّ الإنسانية، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على النكت بعهود الله وعدم الوفاء بها، «فجزاء الناكث وثواب الوافي، خبر ابني آدم؛ هايبيل وقاييل وما آل إليه أمر المطيع

(1) - عبد الرحمن بن ناصر السّعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان، ص 204.

(2) - ينظر: أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مج 2، ج 6، صص 282، 286.

(*) - تذكر الروايات أنّ ما تقرّب به هايبيل إلى ربّه طمعا في رحمة ونيل مغفرته هو: الغنم؛ حيث كان صاحب غنم فقرّب أكرمها وأسمّنها وأحسنها عنده عن طيب نفس منه، على نقيض أخيه قاييل، الذي كان صاحب حرث وزرع؛ فقرّب شرّ ما يملك وأرداه غير طيّبة به نفسه...، وكما تذكر الرواية فإنّ من علامات معرفة قبول القريان: أنّ ناراً كانت تجيء من السماء فتأكل القريان المقبول وتدع غير المقبول، وكلّ هذا من الأخبار الإسرائيلية التي ليس لها مستند يوثّق به. ينظر: المرجع نفسه، ص 288.

منهما ربّه الوافي بعهده، وما إليه صار أمر العاصي منهما ربّه الخاطر الناقض لعهده»⁽¹⁾. حدث كلّ هذا على الرغم من تحذير "هاثيل" أخاه "قاييل" ووعظه على الكفّ عمّا سيصدره تجاهه، ليس خوفاً منه أو جبناً في نفسه، وإنما خوفاً من الله تعالى وتقواه، وقد كان في هذا القول اللين «ما يفتأ الحقد ويهدئ الحسد ويسكن الشرّ ويمسح على الأعصاب المهتاجة، ويرد صاحبها إلى حنان الأخوة وبشاشة الإيمان وحساسية التقوى»⁽²⁾.

ومع ذلك لم يرتدع ولم يزجر، بل ضلّ عازماً نفسه جازماً القيام بالجُرم حتى طوعت له نفسه قتل أخيه فباءً بإثم المقتول وإثمه معاً، وكان من الذين خسروا دنياهم وآخرتهم، ليكون بذلك قد سنّ هذه السنّة لكلّ قاتل يقتل من بعده النفس التي حرّمها الله إلّا بالحق.

ولما كان جناية ابن آدم القاتل لأخيه ظلماً بظلم حكّم الله عزّ وجلّ على بني آدم أنّه «من قتل منهم نفساً مؤمنة بغير نفس قتلتها فاستحقّت القودَ بها والقتل قصاصاً، أو بغير فساد في الأرض بحرب الله ورسوله، وحرب المؤمنين فيها، فكأنما قتل الناس جميعاً فيما استوجب من عظيم العقوبة من الله جلّ وعزّ، ومن حرّم قتل من حرّم الله عزّ ذكره قتله على نفسه، فلم يتقدم على قتله، فقد حيينّ الناس منه بسلامتهم منه وذلك إحياءه إياها»⁽³⁾.

7 - آيات في حدود الله تعالى:

أ/ الحرابة:

ذكر الله سبحانه وتعالى في السورة الكريمة حدّ قطاع الطريق المحاربين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ المائدة/35، فقيل أنّ الإمام مخيّر فيهم بين هذه الأمور، وعليه أن يفعل ما تقتضيه المصلحة، ويحصل به النكاية، وقيل أنّ هذه العقوبة مرتّبة بحسب الجريمة، فإنّ جمعوا بين القتل وأخذ المال جُمع لهم بين القتل والصلب، وإن قتلوا ولم يأخذوا مالا قُتلوا ولم يصلّبوا، وإن أخذوا مالا ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف (اليمنى والرجل اليسرى)، وإن أخافوا الناس ولم يقتلوا ولا أخذوا مالا نُفوا من الأرض، فلا يتركون بأوون في بلد حتى تظهر توبتهم، أو يُجسسون كما قاله بعضهم⁽⁴⁾.

(1) - الطبري: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج3، ص 72.

(2) - سيّد قطب: في ضلال القرآن، مج2، ج6، ص 876.

(3) - الطبري: المرجع السابق، صص 76، 77.

(4) - ينظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير اللطيف المتأن في خلاصة تفسير القرآن، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية، ط1، 1422هـ/ 2001م، صص 156، 157.

ب/ السرقة:

بيّنت الآية 40 من هذه السورة الكريمة حدّ من تعدّى على أموال غيره من دون علمه أو رضاه، وهو: «قطع يده من الكوع، وحسمها في الزيت لتتسد العروق ويقف الدّم»⁽¹⁾، وقد وضعت السنّة النبوية قيوداً وشروطاً يُلتزمُ بها قبل الشروع في تطبيق هذا الحدّ على الجاني وهي: «أن يكون المال المسروق من حرزٍ، فليس فيه الحدّ، وأن يبلغ المال المسروق النصاب المقدر بربع دينار أو ثلاثة دراهم أو ما يساوي أحدهما، فلو كان المسروق دون ذلك فليس فيه قطع أيضاً»⁽²⁾.

إن الحكمة من هذه الشروط: ألا تقطع اليد في شيء مسروق تافه لا قيمة له، ولا يستحق مثل هذه العقوبة أصلاً، أما عن الحكمة من قطع يد السارق فمن أجل الحفاظ على أموال الناس وترهيباً للسارق ولغيره ليرتدع السارق، إذا علموا أنهم ستقطع أيديهم إذا سرقوا، فإذا حدث وعاد السارق إلى السرقة «قُطعت رجلاه اليسرى، فإن عاد قيل تُقطع يده اليسرى ثمّ رجلاه اليمنى، وقيل: يُجس حتى الموت، إلا من تاب وأصلح الأعمال والعيوب فإنّ الله رحيم بعباده غفور لذنوبهم»⁽³⁾.

ج/ القصاص:

هذه المسائل من جملة الأحكام الموجودة في التوراة، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والرتانيون والأحبار، حيث أوجب الله عليهم فيها أنّ: النفس - إذا قُتلت - تقتل بالنفس، بشرط العمد والمكافأة، والعين تقلع بالعين، والأذن تؤخذ بالأذن والسنّ ينزع بالسنّ، ومثل هذه ما أشبهها من الأطراف التي يمكن الاقتصاص منها بدون حيف، أمّا الاقتصاص في الجروح فالأصل فيه أن يفعل به كما فعل، فمن جرح غيره عمدا اقتص من الجراح جرحاً مثل جرحه للمجروح: حدّاً وموضعا وطولاً وعرضاً وعمقاً، وليعلم أنّ ما شرع لمن جاء قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه، فإن عفا المتعدّي عليه على المتعدّي في القصاص في النفس أو الجروح، كأن يصله حقّه قبل الاقتصاص مثلاً، فإنّ ذلك كفارة للعافي والجاني معاً، والله تعالى أحقّ وأولى بالعفو عن حقّه، فهو يكفّر عن العافي ذنوبه، لأنّه كما عفا عمّن جنى عليه أو على من يتعلّق به، فإنّ الله يعفو عن زلّاته وجنایاته⁽⁴⁾.

(1) - عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير اللطيف المتّان في خلاصة تفسير القرآن، ص 209.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

(3) - نفسه، ص ن.

(4) - ينظر عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المتّان، صص 211، 212.

د/ الخمر والميسر وغيرهما:

أكد الله سبحانه وتعالى في الآيتين (92 و93) من هذه السورة على تحريم الخمر والميسر، بل جعلهما مقترنتان بعبادة الأصنام ورجس من عمل الشيطان، كما أمر المولى عزّ وجل في الآيتين السابقتين باجتناهما وجعل الاجتناب من الفلاح، وإذا كان الاجتناب فلاحا ومفازة، فإنّ الارتكاب خيبة وخسارة، لما ينتج عنهما من وقوع العداوة والتباغض والتدابير والتحاسد من أصحاب الخمر والقمار، وما يؤدّيان إليه من الصدّ عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلوات والمحافظة على أدائها، ولقد جمع الله تعالى الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أولا ثمّ أفردهما آخرا لأنّ «الخطاب مع المؤمنين، وإنّما نهاهم عمّا كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر، وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر، وإظهار أنّ ذلك جميعا من أعمال الجاهلية وأهل الشرك، فوجب اجتنابه بأسره، ثمّ أفردهما بالذكر ليري أنّ المقصود بالذكر "الخمر والميسر" وقوله: ﴿وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ اختصاص للصلاة بين الذكر، كأنّه قيل و"عن الصلاة خصوصا"»⁽¹⁾.

8 - تحريف التوراة والإنجيل:

كما تناولت سورة المائدة كذلك مسألة مناقشة أهل الكتاب في عقائدهم الزائفة، فبعد أن ذكر سبحانه وتعالى مسارعة اليهود في الإثم والعدوان وأكل السحت، ذكر هنا أفضح مخازيهم وأقبحها: تجرؤهم على ربّهم ووصفهم أيّاه بما لا يليق به وليس من صفاته؛ حيث نعتوه بالبخیل، كما وصفوه بالفقير وهم الأغنياء، وعبروا عن البخل بقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ المائدة/66، منكرين بذلك كثرة صفحه عنهم، وعفوه عن عظيم جرمهم فعاقبهم من فوق سبع سماوات بأن جعلهم أبخل النّاس وأقلّهم إحسانا، ولعنهم بطردهم من رحمته التي وسعت كلّ شيء، وفرّق بين قلوبهم فجعل العداوة واقعة بين فرقهم بعضهم في بعض دائما، لأنّهم لا يجتمعون على حقّ فضلا على أنّهم كلّما عقدوا أسبابا ليكذبوا بها رسوله "محمد" (ص)، ويبرمون أمورا ليحاربونه بها أبطلها الله وردّ كيدهم عليهم، وأحاق مكرهم السيّء بهم⁽²⁾.

كما تناولت السورة - أيضا - تحريف أهل الكتاب للتوراة والإنجيل، ونقض العهود والمواثيق. فأما اليهود فقد أخذ الله عليهم أن: «يؤحدوه ولا يشركوا به شيئا، حيث أرسل إليهم رسلا ليصدّقوهم فيما جاؤوهم به من لدن

(1) - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الرّمحشري الخوارزمي: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج7، تح: خليل مأمون شيخا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1430هـ/2009م، ص 308.

(2) - ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مج2، صص 978، 979.

رَبِّهِمْ، بيد أَنَّهُمْ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ أَوْلِيائِكَ الرَّسُلِ بِمَا يَخَالِفُ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ: مِنْ شَرَائِعِ اللَّهِ وَمَشَاقِ التَّكْلِيفِ عَصَوْهُ وَعَادَوْهُ؛ فَكَذَّبُوا فَرِيقًا مِنَ الرَّسُلِ، كَتَكْذِيبِهِمْ "مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ"، وَ"عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ" وَ"مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ" عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَقَتَلُوا فَرِيقًا مِنَ الرَّسُلِ أَيْضًا كَقَتْلِهِمْ "زَكَرِيَّا" وَ"يَحْيَى" عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَظَنُّوا أَنْ لَا يَقَعُ بِهِمْ عِقَابٌ وَلَا يَحِيقُ بِهِمْ عَذَابٌ مِنْ جَزَاءِ تَكْذِيبِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ وَقَتْلِهِمْ إِيَّاهُمْ، فَعَمُوا عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى، وَصَمُّوا عَنْ اسْتِمَاعِ صَوْتِ الْحَقِّ، فَخَالَفُوا أَحْكَامَ التَّوْرَةِ بِأَفْعَالِهِمُ السَّيِّئَةِ، ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حِينَ تَابُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ إِنَّ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ عَمَّوْا وَصَمُّوا مَرَّةً ثَانِيَةً، فَعَادُوا إِلَى الْفَسَادِ وَاقْتِرَافِ الْآثَامِ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ مَا يَعْمَلُونَ، فَيَجَازِيهِمْ وَفِي أَعْمَالِهِمْ: جَلِيلُهَا وَدَقِيقُهَا»⁽¹⁾.

فَقَدْ كَانَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنْ طَرَدَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ وَاسِعِ رَحْمَتِهِ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ "دَاوُدَ" فِي الزُّبُورِ؛ فَمَسَخَهُمْ قَرْدَةً وَعَلَى لِسَانِ "عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ" فِي الْإِنْجِيلِ؛ فَمَسَخَهُمْ خَنَازِيرَ، وَكَانَ ذَلِكَ الطَّرْدُ وَالْمَسْخُ بِسَبَبِ عَصْيَانِهِمْ لِأَوْامِرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاعْتِدَائِهِمْ عَلَى أَحْكَامِ الدِّينِ وَشَرَائِعِهِ - كَمَا أَسْلَفْنَا - وَبِسَبَبِ تَمَادِيهِمْ فِي فِعْلِ الْمُنْكَرِ وَعَدَمِ نَهْيِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا عَنْهُ⁽²⁾.

وَأَمَّا النَّصَارَى فَقَدْ كَفَرُوا بِاللَّهِ تَعَالَى بِسَبَبِ اعْتِقَادِهِمُ الزَّائِفَ وَأَقْوَابِلَهُمُ الْبَاطِلَةَ، فَقَدْ قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ، فَخَاطَبَهُمُ الْمَسِيحُ بِأَنْ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ رَبِّهِ وَرَبِّهِمْ وَتَوْحِيدِهِ، لِأَنَّهُ مِنْ يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا فِي عِبَادَتِهِ، أَوْ فِيمَا هُوَ خَاصٌّ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ الْإِلَهِيَّةِ، فَإِنَّ مَا وَاهِ النَّارُ وَمَا لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَحَدٍ يَنْصُرُهُمْ أَوْ يَنْقُذُهُمْ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ، وَكَذَلِكَ بِسَبَبِ ادِّعَائِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ أَحَدٌ ثَلَاثَةَ آلِهَةٍ: هُوَ الْمَسِيحُ وَمَرْيَمُ، وَمَا فِي الْوُجُودِ مِنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ، لَا وَلَدٌ وَلَا شَرِيكَ لَهُ؛ فَهُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، إِلَّا مِنْ تَابٍ وَأُنَابٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَثِيرٌ الْمَغْفِرَةُ وَاسِعٌ الرَّحْمَةُ. وَنَجِدُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَيْضًا إِبْطَالًَ لِلْأَكَاذِيبِ الَّتِي تَدَّعِي أَلُوْهِيَّةَ سَيِّدِنَا "عِيسَى" وَأُمَّهُ، فَقَدْ أَثْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّ سَيِّدَنَا "عِيسَى" مَا هُوَ إِلَّا رَسُولٌ مِنْ جِنْسِ الرَّسُلِ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ قَبْلِهِ، وَمَضُوا بَعْدَمَا أَدَّوْا رِسَالَتَهُمْ وَبَلَّغُوا مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ، وَأُمَّهُ "مَرْيَمُ" كَثِيرَةُ الصَّدَقِ مَعَ اللَّهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى، فَالْمَسِيحُ وَأُمَّهُ كَانَا لِحْمًا وَدَمًا كَسَائِرِ الْبَشَرِ، يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ وَيَشْرَبَانِ وَيَبُولَانِ وَيَتَغَوَّطَانِ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ مِنْ صِفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَلَيْسَتْ مِنْ صِفَاتِ الْإِلَهَةِ⁽³⁾.

(1) - مُحَمَّدُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَزَائِرِيُّ: تَوْجِيهَاتُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، ج 4، مَوْسُئَةُ الْمَعَالِي لِلنَّشْرِ وَالْإِعْلَامِ، دَب، دَط، دَس، ص 25.

(2) - يَنْظُرُ: الْمَرْجِعُ نَفْسَهُ، ص 30.

(3) - نَفْسُهُ، ص 25، 26.

9 - كفارة اليمين:

اليمين تختلف باختلاف النية والقصد، فحينما يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ مِنْ أَيْمَانِكُمْ﴾ المائدة/91، وفي هذه الآية إشارة إلى "يمين اللغو" وهي: «الأيمان التي حلف بها المُسْمِئُ من غير نية ولا قصد أو عقدها يظن صدق نفسه فبان بخلاف ذلك»⁽¹⁾. وهذا النوع لا يُؤْتَمُّ صاحبه، ولكن لا بدّ على الإنسان أن يحتز عن الحلف بالله كاذبا وعن كثرة الأيمان، أمّا إذا حلف الإنسان وهو عازم على حلفه، عاقدا عليه قلبه، فإنّ في ذلك إثم ووزر على فاعله، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا كُنْ يُوَاخِذُكُم بِمَا عَفَدْتُمْ الْأَيْمَانَ﴾ المائدة/91، وعلى الإنسان أن يكفّر عن ذنبه هذا بإحدى الطرق الثلاثة المذكورة في الآية السابقة وهي:

1 - إطعام عشرة مساكين من الطعام الذي يطعم به عياله وأهله. 2 - كسوتهم. 3 - عتق رقبة مؤمنة.

فمتى فعل واحدة من هذه الثلاثة، فقد انحلت يمينه، هذا ومن لم يستطع القيام بواحدة منها فعليه بصيام ثلاثة أيام، فإنّ ذلك كفيل بتكفير الذنوب ومحوها، فعلى كلّ حالف أن يحفظ يمينه عن الحنث فيه «إلا إذا كان الحنث خيرا، فتمام الحفظ: أن يفعل الخير، ولا يكون يمينه عرضة لذلك الخير»⁽²⁾.

10 - الافتراء على الخالق:

حرّم الله عزّ وجلّ على عباده أشياء وأحلّ لهم أخرى، وترك أشياء من غير نسيان رحمة منه عليهم، وأمر عباده أن لا يسألوا عنها، فحرّموا على أنفسهم ما أحلّه الله لهم، وأحلّوا ما حرّمه، فكانوا من الكافرين بأنعم الله تعالى، يقول "الطبري": «ما بحر الله بحيرة ولا سيّب سائبة ولا وصل وصيلة ولا حمى حاميا، ولكنكم الذين فعلتم ذلك أيّها الكفرة، فحرّمتموه افتراء على ربّكم»⁽³⁾.

فقد قيل أنّ من عادة العرب: «أنّ الناقة إذا تابعت اثنتي عشرة إناثا ليس فيها ذكر سُيِّبَتْ، فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فهي (السائبة)، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقّ أذنّها (بُجِرَ أذنّها بشقّ كبير)، ثمّ خُلِّيَ سبيلها مع أمّها في الإبل فلم يركب ظهرها ولم يُجِرَّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف - كما فعل بأمّها - فهي البحيرة ابنة السائبة. والوصيلة: أنّ الشاة إذا نتجت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن

(1) - عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المتان، ص 221.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

(3) - الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج3، ص 185.

ليس فيهنّ ذكر جعلت وصيلة، قالوا: وصلت، فكان ما ولدت بعد ذلك لذكورهم دون إناثهم، إلا أن يموت منها شيء فيشتركون في أكله ذكورهم وإناثهم. والحامي: أنّ الفحل؛ أي الحمل، إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهنّ ذكر حُمي ظهره ولم يُركب، ولم يُجَزَّ وبره، ويخَلِّي في إبله يضرب فيها لا ينتفع به بغير ذلك»⁽¹⁾.

11 - الوصية عند الموت:

وبيان هذا الحكم الذي تضمّنته الآيات الثلاث (من الآية 108 إلى الآية 110): أنّه على من أحسّ بدنو أجله وأراد أن يوصي لأهله بما يحضره من المال، أن يستحضر شاهدين عدلين من المسلمين إن كان في الحضر، ويسلّمهما ما يريد أن يسلمه لأهله غير الحاضرين، وأما إذا كان ضاربا في الأرض (مسافرا)، ولم يجد مُسَلِّمَيْن يُشْهَدُهُمَا ويسلّمهما ما معه، فيجوز أن يكون الشاهدان من غير المسلمين. فإن ارتاب المسلمون - أو ارتاب أهل الميّت - في صدق ما يبلغه الشاهدان وفي أمانتهما في أداء ما استحفظا عليه، فإنهم يوقفونهما بعد أدائهما للصلاة - حسب عقيدتهما - ليحلفا بالله أنّهما لا يتوخيان بالحلف مصلحة لهما، ولا لأحد آخر ولو كان ذا قرى، ولا يكتمان شيئا ممّا استحفظا عليه، وإلا كانا من الآثمين وبذلك تُنقَدُ شهادتهما، فإن ظهر بعدها أنّهما ارتكبا إثم الشهادة واليمين الكاذبة وخيانة الأمانة، قام أولى اثنين من أهل الميّت بوراثته، من الذين وقع عليهم هذا الإثم بالحلف بالله أنّ شهادتهما أحقّ من شهادة الشاهدين الأولين، وتُنقَدُ الشهادة الثانية. وهذه الإجراءات أضمن في أداء الشهادة بالحقّ، أو الخوف من ردّ إيمان الشاهدين الأولين ممّا يحملهما على تحريّ الحقّ⁽²⁾.

وقد جعل المولى عزّ وجلّ الأقارب أولى الناس في الوصية لحكمة عظيمة وجليلة وذلك لأنّهم «أعلم بأحوال الميّت، وبما هو أصلح وهم له أنصح»⁽³⁾.

وختم الله تعالى هذه الآيات بالدعوة إلى تقوى الله وخشيته والشعور بمراقبته المستمرة لخلقه وعباده، والطاعة لأوامره، وهي دعوة عامة لكلّ البشر لأنّ الله لا يهدي الفاسق عن طريقه لا إلى الخير ولا إلى الهدى.

12 - معجزات سيّدنا "عيسى بن مريم" عليهما السلام:

إنّه المواجهة بما كان من نعم الله على "عيسى بن مريم" وأمّه من تأييده بروح القدس في مهده، وهو يكلم الناس من غير موعد الكلام؛ يُبرئ أمّه من الشبهة التي أثارها ولادته على غير مثال، ثمّ وهو يكلمهم في الكهولة يدعوهم إلى الله، وروح القدس "جبريل عليه السلام" يؤيّد ههنا وهناك، ومن تعليمه الكتاب والحكمة وقد

(1) - ينظر: محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ج3، ص 364.

(2) - ينظر: سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج2، ج7، ص 993.

(3) - الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج7، ص 313.

جاء إلى هذه الأرض لا يعلم شيئاً، فعلمه الكتابة وعلمه كيف يحسن تصريف الأمور، كما علمه التوراة التي جاء فوجدها في بني إسرائيل، والإنجيل الذي آتاه إياه مصدقاً لما بين يديه من التوراة، ثم من إبتائه خارق المعجزات التي لا يقدر عليها بشر إلا بإذن الله، فإذا هو يصور من الطين كهيئة الطير بإذن الله، فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله لا ندري كيف؟. لأننا لا ندري إلى اليوم كيف خلق الله الحياة؟. وكيف يبعث الحياة في الأحياء، وإذا هو يرى المولود أعمى - بإذن الله - حتى لا يعرف الطب كيف يرد إليه البصر، ولكن الله الذي يهب البصر أصلاً قادر على أن يفتح عينيه للنور، ويرى الأبرص بإذن الله لا بدواء - والدواء وسيلة لتحقيق إذن الله في الشفاء - وصاحب الإذن قادر على تغيير الوسيلة، وعلى تحقيق الغاية بلا وسيلة، وإذا هو يحيي الموتى - بإذن الله - وواهب الحياة أول مرة قادر على رجوعها حين يشاء، ثم يُدكرُه بنعمة الله عليه في حمايته من بني إسرائيل، إذ جاءهم بهذه البينات كلها فكذبوه، وزعموا أن معجزاته هذه الخارقة سحر مبین! ذلك أنهم لم يستطيعوا إنكار وقوعها - وقد شهدتها الألوفا - ولم يريدوا التسليم بدلالاتها عنادا وكبرا، حمايته منهم فلم يقتلوه كما أرادوا ولم يصلبوه، بل توفاه الله ورفعاه إليه... كذلك يذكره بنعمة الله عليه في إلهام الحواريين أن يؤمنوا بالله ورسوله، فإذا هم مستسلمون يشهدونه على إيمانهم وإسلامهم أنفسهم كاملة لله⁽¹⁾.

فضلا عن هذه المعجزات، هناك خارقة أخرى أيد الله بها عبده ونبیه "عيسى" عليه السلام، وشهد بها الحواريون؛ هؤلاء الذين أصرّوا على "عيسى بن مريم" بأن ينزل عليهم ربّه مائدة من السماء، على الرغم من أنهم رأوا ما رأوا من المعجزات، إلا أنهم أبوا إلا أن يطلبوا خارقة جديدة تطمئن بها نفوسهم، ويعلمون منها أنه صدقهم ويشهدون بها له لمن ورائهم، فكان من امتنان الله على "عيسى بن مريم" أن استجاب لدعائه بإنزاله مائدة من السماء لتكون آية ودلالة معجزة باهرة وحقّة قاطعة منه سبحانه وتعالى على صدق نبوة "عيسى" عليه السلام⁽²⁾.

(1) - ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، مج2، ج7، صص 997، 998.

(2) - المرجع نفسه، ص 998.

الفصل الثاني:

مخارج الحروف وصفاتها المميّزة

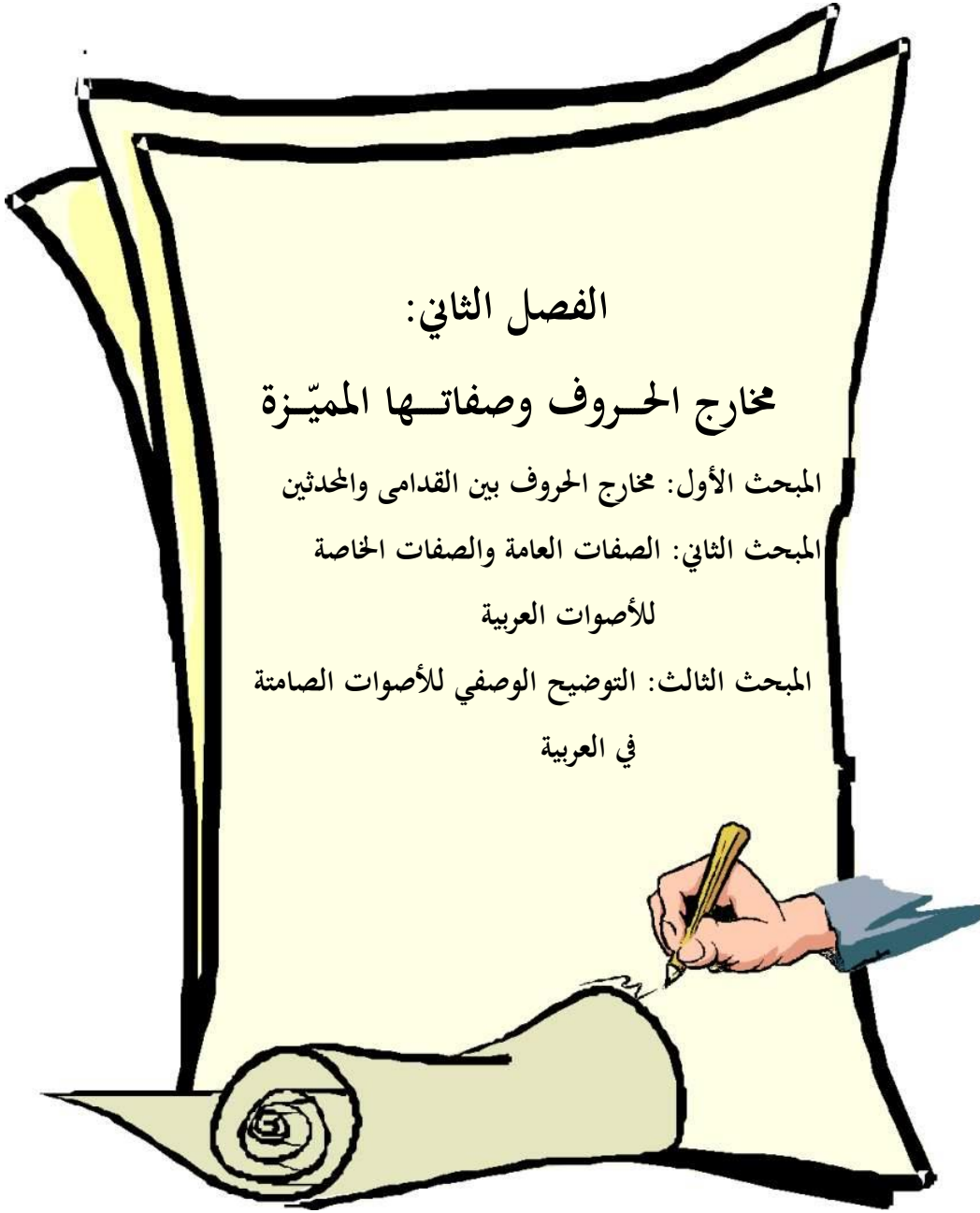
المبحث الأول: مخارج الحروف بين القدامى والمحدثين

المبحث الثاني: الصفات العامة والصفات الخاصة

للأصوات العربية

المبحث الثالث: التوضيح الوصفي للأصوات الصامتة

في العربية



الفصل الثاني: مخارج الحروف وصفاتها المميّزة:

المبحث الأول: مخارج الحروف بين القدامى والمحدثين:

إنّ موضع النطق عند القدماء - كما رأينا - هو ما يعرف بمخرج الحرف أو المدرج أو المحبس...، وكلّها تجمعها مجموعة واحدة تسمى: "الحيز الصوتي"، تكلم عن ذلك كل من "الخليل بن أحمد الفراهيدي" و"سيبويه" و"ابن جني" و"ابن جزري" وغيرهم، مصنّفين الأصوات العربية على أساسها، فكان لكل واحد منهم أبجديته الصوتية، وكان للمحدثين أيضا مثلهم أبجدية خاصة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّه قد يُفهم من خلال عبارة "موضع النطق": أنّ العضو المسؤول عن إصدار الصوت وإنتاجه هو عضو واحد، وهذا التصوّر يبدو قاصرا وغير دقيق؛ فقد يشترك في أغلب الأحيان عضوان أو أكثر في إحداث الصوت، وذلك بأن يكون موضع النطق هو نقطة الالتقاء بين الأعضاء المساهمة في صناعة الصوت وتشكيل هيئته البنائية.

بناء على ما سبق، فقد اختلف علماء الأصوات في تحديد عدد مخارج الحروف عند الإنسان؛ فمنهم من جعلها ثمانية مخارج، وآخرون قالوا: إنّها عشرة أو إحدى عشر مخرجا، في حين هناك من عدّها أربعة عشر مخرجا، وكان للبعض الآخر بأن حدّد عددها في ستة عشر مخرجا، وقال جمهور القراء والنحويين أنّها سبعة عشر مخرجا.

وفيما يلي عرض لأشهر الأبجديات والتصنيفات الصوتية التي وضعها علماؤنا القدامى والمحدثون:

المطلب الأول: مخارج الحروف عند علماء الأصوات القدامى

1 - عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت/175هـ):

لقد استطاع "الخليل بن أحمد الفراهيدي" بفضل سلامة ذوقه ورهافة حسّه وسمعه، أن يتوصّل إلى نتائج غير مسبوقه، فمن أهمّ ما استطاع الوصول إليه: وضع ترتيب جديد للأصوات العربية على أساس مخرجها، مخالفا به الترتيب الأبجدي المألوف الذي نقله العرب عن غيرهم من الساميين الذين ابتكروه، وعلى هذا الأساس بنى معجمه الرائد "العين"؛ حيث قسّم الأصوات حسب مخرجها مبتدئا بأصوات الحلق، ومنتها عند أصوات الشفتين. وقد ذكر لنا "الليث بن المظفر" تلميذ "الخليل" في مقدّمة هذا المعجم، تلك الطريقة التي تعرّف من خلالها أستاذه على مخارج الأصوات، فقال: «وإنّما كان ذواقة إياها أنّه كان يفتح فاه بالألف، ثمّ يُظهر الحرف نحو: أب، أث، أخ، أع، أغ، فوجد "العين" أدخل الحروف في الحلق فجعلها أوّل الكتاب، ثمّ ما قرّب منها

الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم»⁽¹⁾، لأجل ذلك سمى معجمه "العين" لأنها أقصى الحروف مخرجا، وهي أول الحروف في المعجم، وبناء على هذا فقد جاء ترتيب "الخليل" لحروف الهجاء على النحو التالي: «ع ح ه خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م، و ا ي ء»⁽²⁾.

يتضح من خلال ما سبق أنّ "الخليل" قد صنّف الأصوات العربية على ثمانية مخارج، وجعل المخرج التاسع لحروف الجوف، أو كما يسمّيها بـ "الأصوات الهوائية"، وفي هذا يقول "الليث" على لسان أستاذه: «قال الخليل: فالعين والحاء والهاء والغين حلقية لأنّ مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان لأنّ مبدأها من اللهاة، والجيم والشين والضاد شجرية لأنّ مبدأها من شجر الفم؛ أي مخرج الفم، والصاد والسين والزاي أسلية لأنّ مبدأها من أسلة اللسان؛ وهي مستدقّ طرف اللسان، والطاء والذال والتاء نطعية لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى، والظاء والذال والثاء لثوية لأنّ مبدأها من اللثة، والراء واللام والنون ذلقية لأنّ مبدأها من ذلق اللسان؛ وهو تحديد طرقي ذلق اللسان، والفاء والباء والميم شفوية/ شفوية لأنّ مبدأها من الشفة، والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد، لأنها هوائية في الهواء لا يتعلّق بها شيء، فنُسب كلّ حرف إلى مدرّجته وموضعه الذي يبدأ منه»⁽³⁾.

إذن فقد رتبّ "الخليل" الأصوات العربية وفق الصورة السابقة طبقا لقانون صوتي وهو أنّ هذه الحروف حسبها بعضها أدخل من بعض، أو ما يعرف بحيز أسبق من حيز، ولعلّ هذا ما نلمسه من خلال قوله "ثمّ ما قرّب منها الأرفع فالأرفع"، مع الإشارة هنا إلى أنّ كلّ مخرج من المخارج الثمانية أو التسعة التي وضعها "الخليل" تمثّل حيزا صوتيا، وأنّ الحيز التاسع والذي تضمّن حروف الجوف والهمزة، إنّما وصف أصواته بالهوائية لأنّ لا حاجز يعترض النفس أثناء النطق بها، باستثناء الهمزة التي تراجع عنها - فيما بعد - واعترف بأنها تخرج من أقصى الحلق، قائلا: «وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق...»⁽⁴⁾.

وفي الحقيقة تعدّ الطرق التي اختبر بها "الخليل" الأصوات ليعرف مخرجها، أول محاولة علمية حققت نجاحا علميا في مجال الدرس اللغوي عامة والصوتي على وجه التحديد، وفتحت الطريق أمام الكثير من العلماء في الدراسات الصوتية، فمنهم من وافقه فيما توصل إليه من نتائج، ومنهم من اختلف معه في بعضها. ويبقى القدماء

(1) - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، الرشيد للنشر، بغداد، العراق، دط 1401هـ/ 1981م، ص47.

(2) - المصدر نفسه، ص48.

(3) - نفسه، ص58.

(4) - نفسه، ص52.

معذورين فيما بلغوه من نتائج، وفيما عجزوا عن تحقيقه في وصف أعضاء النطق الداخلية التي لا تراها العين المجردة، لاعتمادهم على الملاحظة المباشرة ولفقدان الأجهزة العلمية الحديثة، ولعلّ هذا هو السبب الرئيس الذي جعل علماء الأصوات القدامى يختلفون في تحديدهم لمخارج الأصوات.

2 - عند "سيبويه" (ت/180هـ):

قام "سيبويه" في كتابه الرائد "الكتاب" بدراسة صوتية دقيقة مخالفا فيها تصوّر أستاذه "الخليل"، حيث ميّز بين أصول الأصوات العربية وبين فروعها المستحسنة والمستهجنة، كما كان أكثر توسّعا في تحديده لمخارج الأصوات، يقول "سيبويه" في أصول أصوات اللغة العربية: «هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها، ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها، فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا: الهمزة، الألف الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء، الكاف، القاف، الضاد، الجيم، الشين، الياء، اللام، الراء، النون، الطاء، الدال، التاء، الصاد، الزاي، السين، الظاء، الذال، الناء، الفاء، الباء، الميم والواو»⁽¹⁾.

ويضيف قائلا في الأصوات المستحسنة ممّا هي فرع من أصل: «وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هنّ فروع وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتُسْتَحْسَنُ في قراءة القرآن والأشعار وهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم، يُعْنَى بلغة أهل الحجاز في قولهم: الصلّاة والزكّاة والحياة»⁽²⁾.

فالنون الخفيفة هي النون غير المشدّدة، والهمزة التي بين بين هي الهمزة المسهلة (النطق بالهمزة بينها وبين الحرف المجانس لحركتها)، والإمالة المحضة أي الإمالة الكبرى، والشين التي كالجيم مثل كلمة: "جيهان"، والصاد الشبيهة بالزاي مثل الزراط من (السرّاط)، وألف التفخيم هي التي تتبع ما قبلها في التفخيم إن كان حقّه التفخيم. وكان لـ "سيبويه" حديث عن الحروف المستهجنة في العربية كذلك، حيث نجده يقول: «وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة من تُرْتَضَى عربيته، ولا تُسْتَحْسَنُ في قراءة القرآن ولا في الشعر وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالطاء، والباء التي كالفاء»⁽³⁾.

(1) - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه): الكتاب، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ودار الرفاعي الرياض، السعودية، ط2، 1402هـ/1982م، ص431.

(2) - المصدر نفسه، ص432.

(3) - نفسه، ص ن.

وهذه الحروف جميعها يرى أنّها تصدر من ستة عشر مخرجا، وفي هذا يقول: «فللحلق منها ثلاثة؛ فأقصاها مخرجا: الهمزة والهاء والألف، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء، وأدناها مخرجا من الفم: الغين والحاء، ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا، ومّا يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف، ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء، ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فُويَّق الثنايا(*) مخرج النون، ومن مخرج النون غير أنّه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء، ومّا بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والذال والتاء، ومّا بين طرف اللسان وفُويَّق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد، ومّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والتاء، ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العُلَى مخرج الفاء، ومّا بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو، ومن الخياشم مخرج النون الخفيفة»⁽¹⁾.

فـ"سيبويه" كان أكثر توسّعا ودقّة في تحديده لمخارج الأصوات من أستاذه "الخليل"، إذ جعل أصوات العربية 16 مخرجا خاصا، تتضمّن أربعة مخارج عامة، وهي: الحلق الذي قسّمه إلى ثلاثة أقسام هي: أقصاه فأوسطه ثمّ أدناه، أمّا اللسان فجعل له عشر مخارج خاصة، سواء كان اللسان فيها بأقسامه المتعدّدة هو العضو الوحيد المسؤول عن إصدار الصوت، أم بمشاركة أعضاء أخرى معه من قبيل: الحنك بكلّ أقسامه، الثنايا العليا أو السفلى أو كلاهما معا،... أمّا المخرج العام الثالث فهو: الشفتان سواء كان بانطباقهما أو بمشاركة الثنايا في إصدار الصوت، ليكون بهذا التجويف الأنفي أو كما يعرف أيضا بالخيشوم المخرج العام الرابع، والمسؤول عن إصدار النون الخفيفة؛ أي الساكنة.

هذا بالنسبة إلى "سيبويه"، أمّا "ابن جني" (ت/392هـ)، فتجدر الإشارة هنا إلى أنّه قد اتّفق مع "سيبويه" اتفاقا تامّا في تحديد الأصوات العربية، والتمييز بين ما هو أصل منها وما هو بالفرع المستحسن أو المستهجن، كما اتّفق معه كذلك في تحديد مخارج الحروف عددا وموضعا، مع بعض الفروقات الطفيفة كتفصيل "ابن جني" مثلا في مخرج "الضاد" حيث يقول: «ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلّا أنّك إنّ شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر»⁽²⁾، وكذا في مخرج "اللام" حين يقول:

(*) - الأسنان (العليا أو السفلى).

(1) - سيبويه: الكتاب، ج4، صص433، 434.

(2) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص47.

«ومن حافة اللسان من أذناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فويق الضاحك والناب والرابعة والثنية مخرج اللام»⁽¹⁾.

3 - عند "ابن جزري" (ت/833هـ):

أما "ابن جزري" فقد حصر مخارج الأصوات في سبعة عشر مخرجا، في المقدمة التي وضعها في "علم التجويد"، ولم يختلف في تصنيفه هذا عن تحديد "سيبويه" لمخارج الحروف، غير أنه أضاف مخرجا آخر ضمّنه حروف المدّ الثلاثة، وهو مخرج الجوف، يقول⁽²⁾:

مَخْرَجُ الْحُرُوفِ سَبْعَةٌ عَشْرٌ	عَلَى الَّذِي يَخْتَارُهُ مَنِ اخْتَبَرَ
لِلْجَوْفِ: أَلِفٌ وَأَخْتَاهَا، وَهِيَ	حُرُوفٌ مَدٌّ لِّلْهَوَاءِ تَنْتَهِي
تُؤَمُّ لِأَفْصَى الْحَلْقِ: هَمْزٌ هَاءٌ	وَمِنْ وَسَطِهِ: فَعَيْنٌ حَاءٌ
أَذْنَاهُ: عَيْنٌ خَاوُّهَا، وَالْقَافُ	أَفْصَى اللَّسَانِ فَوْقُ، ثُمَّ الْكَافُ
أَسْفَلُ، وَالْوَسْطُ: فَجِيمُ الشَّيْنِ يَا	وَالضَّادُ: مِنْ حَافَتِهِ إِذْ وَلِيَا
الْأَضْرَاسَ مِنْ أَيْسَرَ أَوْ يُمْنَاهَا	وَاللَّامُ أَذْنَاهَا لِمُنْتَهَاهَا
وَالنُّونُ مِنْ طَرَفِهِ تَحْتُ اجْعَلُوا	وَالرَّاءُ: يُدَانِيهِ لَطَهْرٌ أَذْخَلُ
وَالطَّاءُ وَالذَّالُ وَتَا: مِنْهُ وَمَنْ	عُلْيَا الشَّيْنَايَا، وَالصَّفِيرُ: مُسْتَكْرِبٌ
مِنْهُ وَمِنْ فَوْقِ الشَّيْنَايَا السُّفْلَى	وَالظَّاءُ وَالذَّالُ وَتَا: لِلْعُلْيَا
مِنْ طَرَفَيْهِمَا، وَمِنْ بَطْنِ الشَّفَةِ	فَالْقَافُ مَعَ أَطْرَافِ الشَّيْنَايَا الْمَشْرِفَةِ
لِلشَّفَتَيْنِ: الْوَاوُ بَاءٌ مِيَمٌ	وَعُنَّةٌ: مَخْرَجُهَا الْحَيْشُومُ.

إذا أردنا أن نشرح هذا النظم، قلنا: إنّ "ابن جزري" قد جعل للأصوات العربية سبعة عشر مخرجا، كان الجوف أوّل هذه المخارج؛ وهو مخرج للألف وأختها؛ أي "الواو والياء" المدّيتان، ثمّ قسّم مخرج الحلق كما قسّمه سابقه إلى ثلاثة أقسام؛ فجعل أقصاه: مخرج "الهمزة والهاء"، ووسطه: مخرج "العين والحاء"، أمّا أذناه فكان مخرج "الغين والحاء"، وجعل للسان أقساما أيضا، فجعل أقصاه "للّقف"، وما فوقه من الحنك الأعلى، وأسفله "للّكاف"، أمّا وسط اللسان مع الحنك الأعلى - دائما - فهو مخرج "الجيم، الشين والياء"، و"الضاد" مخرجها حافة اللسان عند محاذاته للأضراس من جانبيهما الأيمن والأيسر، وحافة اللسان من أذناها إلى منتهى طرف

(1) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص47.

(2) - ابن جزري: منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، ص1، 2.

اللسان هو مخرج "اللام"، وبمشاركة طرف اللسان مع ما فوق الثنايا ينتج صوت "النون"، وحينما يكون طرف اللسان مائلا على ظهره يكون حرف "الراء"، أما "الطاء والذال والتاء" فيتم إنتاجهم حينما يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا، والتي هي نقطة التقاء الثنايا العليا بالثة، أما أصوات "الزاي والسين والصاد" وهي ما عبّر عنها "ابن جزري" في النظم السابق بكلمة (الصّفير)، فتصدر حينما يعتمد طرف اللسان على فوق الثنايا السفلى، وإذا كان معتمدا على الثنايا العليا من جانبيها الأيمن أو الأيسر، أو كلاهما معا نتج "الطاء والذال والتاء". ولباطن الشقّة السفلى مع أطراف الثنايا العليا دور في إحداث صوت "الفاء"، أما حينما تنطبق الشقّة العليا مع السفلى فإنه يتم إصدار ثلاثة أصوات هي: "الباء والميم والواو"، والخيشوم مصدر الغنة لصوتين اثنين هما: "النون والميم" الساكنتين.

المطلب الثاني: مخارج الحروف عند علماء الأصوات المحدثين:

يكاد يجمع علماء اللغة العربية المحدثون على أنّ مخارج الأصوات العربية الفصحى عشرة مخارج، يقوم بإنتاجها الجهاز النطقي، وفقا لما توصلت إليه التجارب المخبرية، والتي استعانت في وصف هذه المخارج على أجهزة حديثة، فكان هذا الوصف يتميّز بالدقة والعلمية. وفي هذا الصدد يقول: "حاتم صالح الضّامن": «وبيننا وبين قدامى اللغويين من العرب خلاف في عدد المخارج للأصوات العربية، وفي تحديد مخارج بعض الأصوات، فعندنا الآن أن: 1- الأصوات الشفوية هي: ب م و، 2- والشفوية الأسنانية هي: ف، 3- والأسنانية هي: ذ ظ ث 4- والأسنانية اللثوية هي: د ض ت ط ز س ص، 5- واللثوية هي: ل ر ن، 6- والغارية هي: ش ج ي، 7- والطبقيّة هي: ك غ خ، 8- واللّهوية هي: ق، 9- والحلقية هي: ع ح، 10- والحنجرية هي: ء ه، هذا هو رأي المحدثين من علماء الأصوات، في مخارج الأصوات العربية الفصحى مؤسسا على نتائج التجارب الصوتية في المعامل وغيرها»⁽¹⁾.

فالمخرج الأول يتم إنتاج الأصوات التي تندرج ضمنه بانطباق الشفتين (الشقّة العليا و الشقّة السفلى)، والمخرج الثاني باعتماد الأسنان العليا على الشقّة السفلى، والمخرج الثالث باشتراك الأسنان مع طرف اللسان، في حين يجتمع كل من الأسنان واللثة مع طرف اللسان ومقدمه في إصدار الأصوات السبعة التي تندرج تحت الحيز الرابع، أما أصوات المخرج الخامس فيشارك في إنتاجها اللثة وطرف اللسان، أما أصوات المخرج السادس فيشارك في إنتاجها الغار (الحنك الصلب) مع مقدّم اللسان، أما مشاركة الطبقة (الحنك اللين) ومؤخر اللسان فينتجان أصوات المخرج السابع، وبمشاركة اللهاة ومؤخر اللسان يتم إنتاج الصوت اللهوي الوحيد في العربية، وهو "القاف"

(1) - حاتم صالح الضّامن: فقه اللغة، ص170.

والذي أدرجه المحدثون في المدرج الثامن، أما "العين والحاء" المدرجة ضمن المخرج التاسع تتحكّم في إحداثها تجاوير الحلق، أما "الهاء والهمزة" فيكون للوترين الصوتيين والحنجرة الدور الأساس في إصدار هذين الصوتين.

المطلب الثالث: أوجه الاتفاق والخلاف بين علماء الأصوات القدامى والمحدثين:

يمكن إبراز أهمّ مواطن الاتفاق والاختلاف بين علماء الأصوات القدامى فيما بينهم، وبينهم وبين المحدثين

في النقاط التالية:

1 - استعمل قدامى الصوتيين مصطلح "الحرف" للدلالة على "الصوت"، على عكس المحدثين من علماء الأصوات الذين اعتمدوا على مصطلح "الصوت" للدلالة على النفس الصاعد من الرئتين.

2 - اقتفى كل من "سيبويه" و"ابن جني" وغيرهم من اللغويين أثر "الخليل"، الذي اعتمد في تصنيف الأصوات العربية على الأساس الصوتي، مخالفين له في عدد المخارج الصوتية، وكذا نسبة بعض الأصوات إلى مدارجها.

3 - وُفق "الخليل" في إدراج الصوائت في حيّز واحد، وهو حيّز الجوف أو كما يصطلح عليه "الأصوات الهوائية"، لعدم وجود أيّ اعتراض لها أثناء خروجها، غير أنّه جعل "الهمزة" هاوية هي الأخرى، وفي ذلك خلط بين الصوائت والصوائت، شأنه في ذلك شأن من جاء بعده أمثال: "سيبويه" ومن سار على نهجه، والذي نجده هو الآخر يضمّ "ألف المدّ" مع "الهمزة" و"الهاء" في مخرج أقصى الحلق، وهذا الأمر لا يستقيم؛ ف "الألف" من الحركات التي لا يخرج لها، بل يخرج الهواء أثناء النطق بها حرّاً طليقا دون أن يكون هناك حاجز يعوق مساره.

4 - اتفق "الخليل" مع من جاء بعده من علماء الأصوات (سيبويه، ابن جني، ابن جزري،...) في وصف أربعة مخارج فقط، وهي كما في اصطلاح "الخليل": الحروف الأسلية (ص س ز)، الحروف النطعية (ط د ت)، الحروف اللثوية (ر ل ن)، والحروف الشفوية (ف ب م)، أما بقية المخارج فكان "الخليل" مجملا فيها، في حين كان غيره مفصّلا.

5 - جعل "الخليل" مخرج الحلق الخمسة حروف مرتّبة ترتيبا صوتيا بعضها أدخل من بعض وهي: (ع ح ه خ غ) بهذا الترتيب، في حين جعلها "سيبويه" و"ابن جني" وغيرهما على ثلاثة أقسام: "الهمزة والحاء وألف المدّ" لأقصى الحلق، "العين والحاء" لأوسطه، أما: "العين والحاء" فلأدناه.

6 - اختلف "سيبويه" مع "ابن جزري" في مخرج "التجويف الأنفي"، أو ما يعرف بـ: "الخيثوم"؛ ففي حين جعله الأول مخرج "للنون الخفيفة"، جعله الآخر مخرجا لـ "النون والميم الخفيفتين" (الساكنتين).

7 - كما اختلف معه في مخرج أصوات الصفيير (ص س ز)، حيث كان أدقّ فيه من وصف "سيبويه" له، فبينما جعله هذا الأخير من طرف اللسان مع ما فويق الثنايا، فصّل "ابن جزري" أكثر وجعلها من طرف اللسان مع ما

فويق الشايات السفلى، كما فصل كذلك في مخرج "الضاد" الذي جعلها تخرج من الحافة الخلفية للسان عند محاذاة الأضراس من الجانب الأيسر أو الجانب الأيمن، وليس من الجانبين معا، كما ذكر ذلك "سيبويه" في الوصف السابق ذكره.

8 - جعل القدماء "الهاء" و"الهمزة" من أقصى الحلق عدا "ابن سينا" الذي جعلها من الحنجرة، وهو في ذلك يتفق مع علماء الأصوات المحدثين. يقول: «أما الهمزة فإنها تحدث من حفز^(*) قوي من الحجاب، وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة^(**) الطهرجالي^(***) الحاصر زمانا قليلا لحفز الهواء، ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معا⁽¹⁾».

9 - بدأ القدماء بالحروف الحلقية وانتهوا إلى الحروف الشفوية، على عكس المحدثين الذين ابتدءوا بالأصوات الشفوية وانتهوا إلى الأصوات الحنجرية. يقول "عبد القادر عبد الجليل": «إن متجه القوم في عملية الترتيب الصوتي متجه تصاعدي؛ أي أنه يبدأ من أقصى الحلق إلى الشفتين، في حين أنّ رؤية المحدثين للتوزيع الصوتي رؤية تنازلية؛ أي أنهم يتدثون من الشفتين إلى أقصى الحلق⁽²⁾».

10 - اختلف علماء الأصوات في تحديد مخارج الحروف عددا، جعلها "الخليل": ثمانية مخارج، و"سيبويه" و"ابن جني": ستة عشر مخرجا، و"ابن جزري": سبعة عشر مخرجا. في حين جعلها المحدثين عشرة أو إحدى عشرة مخرجا، وذلك بإضافة المخرج "الغاري الطبقي" المسؤول عن إصدار "الألف المدية" عند قلة من اللغويين المحدثين، ويعود سبب هذا الاختلاف أساسا إلى الإجمال في المخرج عند بعضهم، والتفصيل الدقيق عند البعض الآخر.

11 - يشبه تقسيم "سيبويه" للأصوات الحلقية إلى حد بعيد تقسيم المحدثين لها، فقد استطاع "سيبويه" أن يصف الأصوات الحلقية وصفا دقيقا، وذلك بتقسيمه لها - كما ذكرنا - إلى ثلاثة أقسام يماثل آراء المحدثين في هذا الاتجاه، فخصص "الهمزة والألف والهاء" لأقصى الحلق وهو منطقة الحنجرة عند المحدثين، وجعل وسط الحلق "للعين والحاء" وهو منطقة الحلق عند المحدثين، في حين كان أدنى الحلق "للغين والحاء" وهو منطقة الطبق عند

(*) - معناه الميل، ودفع من أسفل إلى أعلى.

(**) - يقاوم الوتران الصوتيان خروج الهواء أسفلهما، وقد التصق لغلغ فتنحة الحنجرة التي بينهما.

(***) - هو غضروف بالحنجرة، إلى جانب الغضروف الدرقي، وكذا الذي لا اسم له... لمزيد من التوسع: ينظر: ابن سينا: رسالة أسباب

حدوث الحروف، صص 58، 71.

(1) - المصدر نفسه، ص 72.

(2) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 128.

علماء الأصوات المحدثين، وهذا يعني أنّ المحدثين يضعون "الغين" و"الخاء" قبل "القاف"، ويعتبرونها من الأصوات التطبيقية تماما مثل القدماء الذين يجعلون أدنى الحلق قبل "القاف"، وهذا الوصف الدقيق للمخارج الصوتية تمكّن من التوصل إليه دون آلية حديثة كما ذكرنا سالفًا.

12 - جمع المحدثون صوت "الضاد" مع الأصوات الأسنانية اللثوية، في حين جعلها القدماء في كلّ مرّة تخرج بطريقة مغايرة للأخرى.

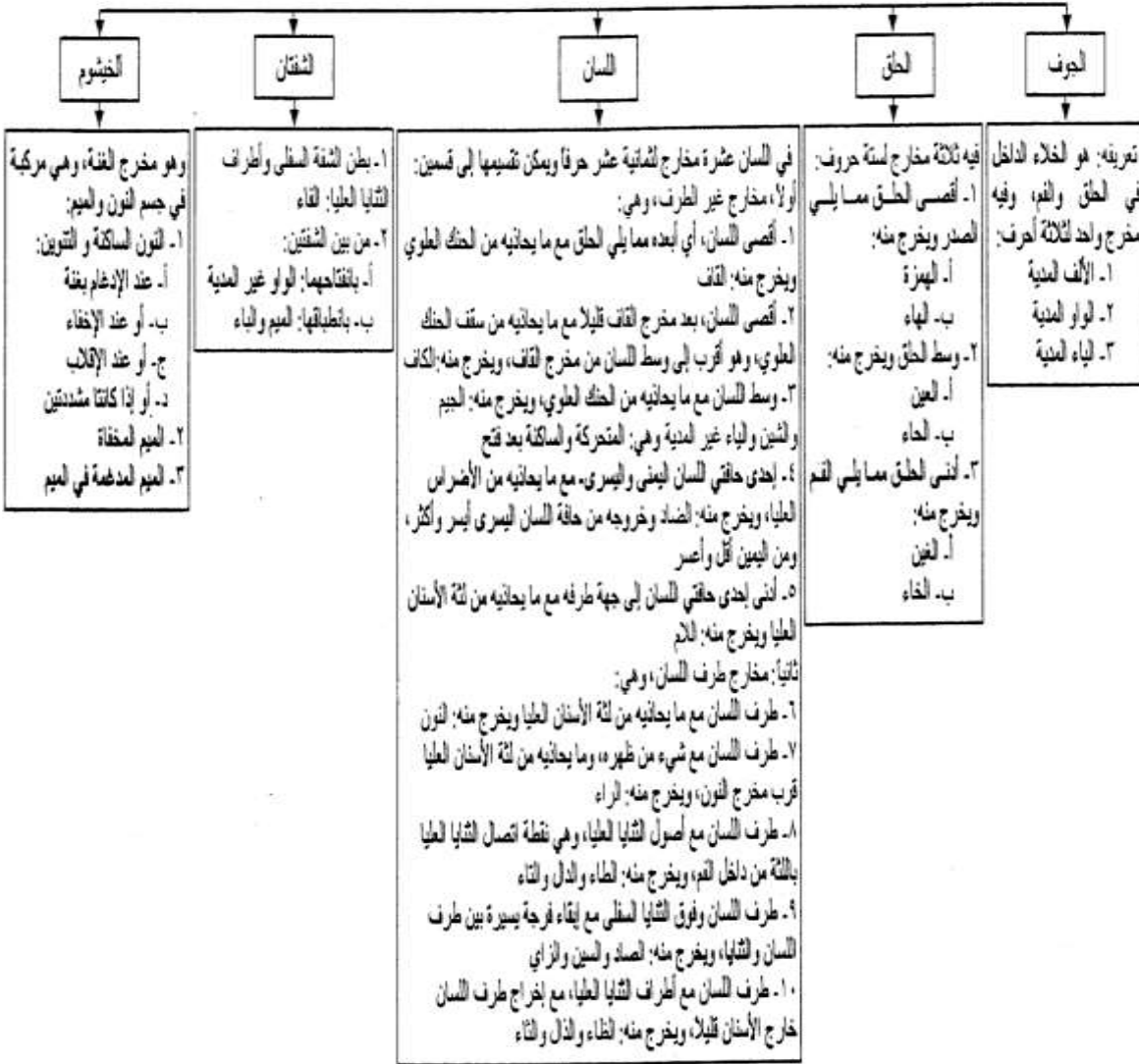
13 - جمع المحدثون الأصوات: (الضاد، الدال، الطاء، التاء، الزاي، السين والصاد) في مخرج واحد، وهو المخرج: الأسنان اللثوي، في حين فصل فيها "سيبويه" ومن بعده، فجعل "للضاد" مخرجا خاصا، و"للدال والطاء والتاء" مخرجا خاصا، ولأصوات الصغير الثلاثة "الزاي والسين والصاد" مخرجا خاصا أيضا.

14 - حدّد القدماء مخرج "التجويف الأنفي" المسؤول عن إصدار صوتي: "النون والميم الساكنتين"، وذلك على خلاف بينهم كما أسلفنا، أمّا المحدثون فلم يشيروا إليه، بحسب علمنا واطّلاعنا.

15 - اتّفق علماء الأصوات قديمهم وحديثهم على تحديد مخارج الأصوات الشفوية.

المطلب الرابع: مخطط مختصر لمخارج الحروف في اللغة العربية:

يوضح المخطط التالي المخارج العامة للأصوات العربية، وما يتفرع عنها من مخارج خاصة كما يلي⁽¹⁾:



(1) - عماد علي جمعة: أحكام التلاوة والتجويد الميسرة، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1425هـ/ 2004م، ص9.

المبحث الثاني: الصفات العامة والصفات الخاصة للأصوات العربية:

يقول "عمر بن ربيعة" في أحد أبياته الشعرية:

وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ⁽¹⁾

وأنشده "علي بن الجنيد بن فريدي" قائلا:

وَاسْتَبَدَّتْ مَدَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ⁽²⁾

ولو أنّ هذا الأخير كان قد أعطى للحروف حقها ومستحقها من المخارج والصفات، لما ألتغ في نطقه لـ: "الراء" "ذالاً"، إذن فاللثغة من عيوب النطق، وهي: «تحوّل اللسان من حرف إلى حرف، فاللثغة التي تعرض للسين تكون تاء، والتي تعرض للقاف فإنّ صاحبها يجعلها طاء، وأما التي تقع في اللام فمنهم من ينطقونها باء، ومنهم من يجعلون النطق بها كافا، والتي تقع في الراء فهي أربعة أشكال: فالأول يجعل الراء ياءً، والثاني يجعلها غينا، أما الثالث فذالاً، والرابع ظاءً»⁽³⁾.

ولعلّ من أهمّ الحلول التي يمكن للمتكلّم أن يتخلّص من خلالها من عيوب النطق: إخراج الحرف من مخرجه، وإعطائه ما يستحقّ من صفاته اللازمة فيه أو العارضة عنه، فأما عن المخارج فقد ذكرناها، وأما عن الصفات فيها هو "ابن جزري" يوجزها لنا في النظم التالي⁽⁴⁾:

صِفَاتُهَا: جَهْرٌ وَرِخْوٌ مُسْتَفِيلٌ	مُنْفَتِحٌ مُصَمَّتَةٌ، وَالضَّدُّ قُلٌّ
مَهْمُوسُهَا: فَحْتُهُ شَخْصٌ سَكَّتْ	شَدِيدُهَا لَفْظٌ: أَحَدٌ قَطٍ بَكَتْ
وَبَيِّنٌ رِخْوٌ وَالشَّدِيدُ: لِيْنٌ عُمَرُ	وَسَبْعٌ غُلُوٌّ: خُصَّ ضَعْفٌ قِظٌ حَصَرُ
وَصَادٌ صَادٌ طَاءٌ ظَاءٌ: مُطْبِقَةٌ	وَفَرٌّ مِنْ لُبٍّ: الْخُرُوفُ الْمَذْلَقَةُ
صَفِيرُهَا: صَادٌ وَزَائِيٌّ سِينٌ	قَلْقَلَةٌ: قُطْبٌ جَدٌّ، وَاللَّيْنُ
وَإِوَاءٌ سَكَّنًا، وَأَنْفَتَحَا	فَبَلْهُمَا، وَالْأَنْحِرَافُ: صُحْحَا
فِي اللَّامِ وَالرَّاءِ، وَبِتَكْرِيرٍ جُعِلَ	وَلِلتَّفَشِّي: الشَّيْنُ، ضَادًا: اسْتَطْلَ

وفي هذا النظم إشارة إلى الصفات العامة التي يشترك فيها مجموعة من الأصوات، بنوعيتها: اللازمة

(1) - عمر بن أبي ربيعة: الديوان، دار القلم، بيروت، لبنان، دط، دس، ص53.

(2) - ينظر: أبو عثمان بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، مج1، ج1، تح: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/2003م، ص32.

(3) - محمد كريم الكوازي: الفصاحة في العربية المفاهيم والأصول، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ/2006م، ص143.

(4) - ابن جزري: منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، صص2، 3.

والعرضية، كما اشتمل على الصفات الخاصة بصوت دون آخر، والتي تقتصر في أغلب الأحيان على الصفات العرضية دون اللازمة.

المطلب الأول: الصفات الصوتية اللازمة

تنقسم الصفات الذاتية (الثابتة) بحسب التقابل وعدمه إلى قسمين: قسم له ضدّ وهو خمس صفات ضدّ خمس، وآخر لا ضدّ له، وهو سبع صفات.

فالصفات الخمس المتضادة هي: الجهر وضدّه الهمس، الشدّة وضدّها الرخاوة، الاستعلاء وضدّه الاستفال الإطباق وضدّه الانفتاح، الإذلاق وضدّه الإصمات، فتلك عشر صفات، والصفات التي لا ضدّ لها سبعة وهي: الصّفير، القلقلة، اللّين، الانحراف، التكرير، التفشّي والاستطالة.

فتكون جملة الصفات سبعة عشر صفة، وعلى هذا الأساس لا يكون التوسط بين الشدّة والرخاوة صفة - على الرغم من ذكرها في النظم السابق - وهذا هو مذهب "ابن جزري" ومن حذا حذوه، ثمّ إنّ كلّ حرف من حروف الهجاء لا بدّ أن يتّصف بخمس صفات من العشر المتضادة؛ وذلك بأن يأخذ صفة واحدة فقط من كلّ صفتين متضادتين، فلا يمكن أن يأخذ الحرف صفتين متضادتين معاً، كأن يكون الحرف مجهوراً مهموساً في آن واحد، أمّا غير المتضادة فقد يتّصف منها بواحدة، وقد يتّصف بصفتين، وقد لا يتّصف منها بشيء، فحينئذ لا تقلّ صفات أيّ حرف عن خمس صفات ولا تزيد عن سبع.

أولاً: الصفات المتضادة في العربية:

1 - الجهر والهمس:

أ/ تعريفهما في اللغة:

* الجهر لغة:

جاء في "اللسان العرب" في تفسير مادة "جَهَرَ": باب الرء فصل الجيم: «الجَهْرَةُ: مَا ظَهَرَ، وَرَأَهُ جَهْرَةً: لم يكن بينهما سِتْرٌ (...)، يقال: جَهَرَ بالقول: إذا رفع به صوته فهو جَهِيْرٌ (...)، وَجَهَرَ الشَّيْءُ: عَلَنَ وَبَدَأَ (...). والجهر: العلانية (...)، وأمرُ جُجَهْرٍ: أي واضح بيّنٌ (...)، ورجلٌ مُجْهَرٌ بكسر الميم: إذا كان من عادته أن يجهر بكلامه...»⁽¹⁾. إذن فالجهر في اللغة: الإعلان والظهور، والصوت القويّ الشديد الوضوح.

* الهمس لغة:

ورد في "اللسان" في تفسير مادة "هَمَسَ": باب السين، فصل الهاء: «الهَمْسُ: الخفيّ من الصوت والوطء

(1) - ابن منظور: لسان العرب، مج3، مادة جَهَرَ.

والأكل (...)، ويقال: هَمَسَ وصَهَ؛ أي امشِ خَفِيًّا واسكْت (...)، والهمس: الكلام الخفي لا يكاد يفهم (...). قال شَمْرٌ: الهَمَسُ من الصوت والكلام ما لا غور له في الصدر، وهو ما همس في الفم (...). وتُسمى الأسد هَمُوسًا لأنَّه يَهْمِسُ هَمَسًا؛ أي يمشي مشيًا بَخْفِيَّة، فلا يُسْمَعُ صوت وطئه...»⁽¹⁾.

وعليه فإنَّ الهمس في معناه اللغوي يدل على الستر والخفاء في كلِّ شيء.

ب/ تعريفهما في الاصطلاح:

يعرّفهما "ابن جني" بقوله: «الصوت المجهور حرف أُشْبِعَ الاعتماد في موضعه، ومُنِعَ النفس أن يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت، والمهموس حرف أُضْعِفَ الاعتماد في موضعه حتّى جرى معه النَّفس»⁽²⁾. يتّضح من خلال هذا التعريف الذي أتى به "ابن جني" الأساس المعتمد للتمييز بين الجهر وبين الهمس، وهو وضع الوتران الصوتيان، ففي حالة تقاربهما أو التقائهما، فإنَّ الهواء الصاعد من الرئتين عبرهما يساهم في تذبذبهما ممّا يُصدر ذلك صوتًا مسموعًا، وهذا ما يقصده "ابن جني" بكلمة: الاعتماد، والذي لا يجري معه النفس إلّا إذا انقضى (انفراج الوترين)، أمّا إذا مرَّ الهواء دون أن يحدث ذبذبة على مستوى الوترين الصوتيين نتيجة تباعدتهما سُمع حينها صوت مهموس، وهذا هو المقصود بـ "ضعف الاعتماد"، والذي يسمح بجران النفس دون عائق يكون هنالك.

ج/ حروفهما:

لقد اختلف القدامى والمحدثون في تحديد حروف الجهر والهمس؛ إذ جعل القدامى للجهر 19 حرفًا، وللهمس عشرة أحرف. يقول "ابن جني": «اعلم أنّ للحروف في اختلاف أجناسها انقسامات، فمن ذلك انقسامها في الجهر والهمس، وهي على ضربين: مجهور ومهموس، فالمهموسة عشرة أحرف وهي: الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والصاد والتاء والسين والثاء والفاء، ويجمعها في اللفظ قولك: "ستشحتك خصفه"، وباقي الحروف وهي تسعة عشر حرفًا مجهور»⁽³⁾.

ويحدّدها "سيبويه" قائلاً: «فأمّا المجهورة فالهمزة، والألف والعين والغين، والقاف والجيم والياء، والصاد واللام والنون، والراء والطاء، والدال والزاي والظاء والذال، والباء والميم والواو، فذلك تسعة عشر حرفًا»⁽⁴⁾.

(1) - ابن منظور: لسان العرب، مج4، مادة هَمَسَ.

(2) - ابن جني: سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص60.

(3) - المصدر نفسه، ص ن.

(4) - سيبويه: الكتاب، ج4، ص434.

أما المحدثين فجعلوا للهمس اثني عشر وحدة صوتية، وذلك بإضافة صوتي "الطاء" و"القاف" المجهورتان عند القدماء لتصبح الأصوات المهموسة هي: ف/ث/ت/ط/س/ص/ش/ك/خ/ق/ح/ه/، مجموعة في قولهم: "فحثة شخص سكت" + "القاف والطاء". أما الأصوات المجهورة فهي: 15 وحدة صوتية بعد استبعاد حروف الهمس وهي: ب/م/ذ/ظ/د/ز/ض/ن/ل/ر/ي/ج/غ/و/ع/، ووحدة صوتية واحدة لا هي بالمجهورة ولا هي بالمهموسة وهي: "الهمزة"، والتي اعتبرها القدامى كـ: "سيويه" و"ابن جني" من أصوات الجهر، يقول: "عبد القادر عبد الجليل": «لقد وصف القدامى صوت الهمزة بأنه من الأصوات المجهورة، بناء على اعتقادهم في شدة الحبسة الهوائية المصاحبة لإنتاج هذا الصوت ولا حرج ولا تثريب عليهم، بيد أنّ التجارب الحديثة برهنت على أنّ صوت الهمزة من الأصوات اللامجهورة واللامهموسة»⁽¹⁾.

وعليه فإنّ الوتران الصوتيان أثناء حدوث صوت "الهمزة"، لا يكونان لا في حالة التقارب (الجهر)، ولا في حالة التباعد (الهمس)، وإنّما يتخذان وضعية وسطية.

وأصوات العربية بعضها مجهور ولا نظير له من المهموس، وبعضها مهموس ولا نظير مجهور له، والبعض الآخر أزواج من مجهور ومهموس، فمن الأوّل: أصوات: الباء، الجيم، الراء، اللام، الميم، النون، الواو، الياء والطاء ومن الآخر: الشين، الصاد، الفاء، القاف، الكاف والهاء، ومن الثالث: التاء، الدال، الذال، الحاء، العين، الخاء الغين، السين، الزاي، الضاد والطاء، وأما الهمزة فهي لا مهموسة ولا مجهورة⁽²⁾.

وقد تتفاوت الحروف في الجهر والهمس، «فبعض المجهورة أجهر من بعض، وبعض المهموسة أهدس من بعض والذوق يُعرّفك ذلك»⁽³⁾.

د/ طرق معرفة الصوت المجهور:

ذكر "إبراهيم أنيس" ثلاث تجارب لاختبار جهر الصوت، هي⁽⁴⁾:

1 - حين نضع الأصبع فوق تفاحة آدم، ثمّ نطق بصوت من الأصوات وهو ساكن مثل «ب» نشعر باهتزازات الوترين الصوتيين شعورا لا يحتمل الشكّ.

2 - وكذلك حين نضع أصابعنا في آذاننا، ثمّ نطق بنفس الصوت وهو ساكن، نحسّ برنّة الصوت في رؤوسنا.

(1) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 125.

(2) - المرجع نفسه، ص 123.

(3) - الشيرازي: الموضّح في وجوه القراءات وعللها، ص 172.

(4) - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة نضفة مصر، مصر، دط، دس، صص 21، 22.

3 - والتجربة الثالثة: هي أن يضع المرء كفه فوق جبهته في أثناء نطقه بالصوت موضع الاختبار، فيحسن برنين الصوت، وكذلك الرنين هو أثر ذبذبة الوترين الصوتيين.

2 - الشدّة والرخاوة:

تُصنّف أصوات العربية في التراث الصوتي العربي، وذلك بالنظر إلى درجة اعتراض الهواء (النفس الصاعد من الرئتين) إلى ثلاثة أنواع:

* الشدّيدة، ويسمّيها كثير من المحدثين: الانفجارية، ولها تسميات أخرى مثل: الأصوات المؤقتة أو الآنية أو اللحظية أو الوقفية...

* الرخوة، ويسمّيها كثير من المحدثين: الاحتكاكية.

* المتوسطة؛ أي بين الشديدة والرخوة، وتسمّى كذلك بالبينية أو المائعة أو السائلة، وفيما يأتي تفصيل في هذه الأنواع:

* الأصوات الشديدة/ الانفجارية:

أ/ تعريفها في اللغة:

جاء في تفسير مادة "شَدَدَ": «الشِدَّةُ بالكسر: اسم من الإشداد، وبالفتح: الحُمْلَةُ في الحرب، والشُدُّ: العدُو، وفي النَّار: ارتفاعها، والتقوية والإيثاق، واشتَدَّ: عَدَا (...)، والشَّدِيدُ: الشُّعَاعُ والبخيل والأسد (...)، وأشدُّ إِشْدَادًا: إذا كانت معه دابة شديدة...»⁽¹⁾. وعليه فإنّ كلّ شيء فيه قوّة وشجاعة ومتانة فهو شديد، وسمّيت الحرب بالشدّة لما فيها من قوة وبسالة وشجاعة.

ب/ تعريفها في الاصطلاح:

عرّف "ابن جني" الصوت الشديد بقوله: «هو الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه»⁽²⁾، وإلى نفس الاتجاه يذهب "سيبويه"، ومعنى هذا الكلام أنّ اعتراض الهواء عند النطق بالأصوات الانفجارية يكون اعتراضاً تاماً، بحيث لا يُسمح بمرور الهواء الصاعد من الرئتين بالمرور بسبب انطباق العضوين المسؤولين عن إصدار ذلك الصوت فترة من الزمن، ثمّ بعد ذلك يحدث انفراج مفاجئ للعضوين، فيندفع الهواء المحبوس فيما دونهما بقوّة محدثاً صوتاً انفجارياً.

من هنا يمكن القول بأنّ الأصوات الشديدة(الانفجارية) إنّما تتكوّن من اجتماع أمرين: «فأما الأوّل: فهو حبس

(1) - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة شَدَدَ.

(2) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص60.

النفس الخارج من الرئتين حسباً تاماً في موضع ما من آلة النطق، فينضغط الهواء خلف ذلك الموضع، والثاني: إطلاق النفس المضغوط بانفصال العضوين انفصالاً سريعاً، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً»⁽¹⁾. ويمكن تلخيص هذا الكلام في الترسمة التالية:

الحبس التام (قطع النفس) ← زوال الاعتراض (العائق) ← اندفاع الهواء (الانفجار)

ج/ حروف الانفجار:

اختلف اللغويون القدماء والمحدثون في تحديد عدد الأصوات الشديدة، فبينما هي عند علماء العربية القدماء: الهمزة، القاف، الكاف، الجيم، الطاء، الدال، الباء والتاء مجموعة في قولهم (أجدت قطبك) أو (أجدك قطبت)، فهي عند علماء الدرس الصوتي الحديث كما برهنت عليه التجارب المخبرية: الباء، الدال، التاء، الطاء الضاد، الكاف، القاف والهمزة⁽²⁾؛ أي أنّها نفسها مع بعض الفروق؛ فالجيم مثلاً عند القدماء صوت شديد، أمّا عند المحدثين فهي من الأصوات المتوسطة، وصوت الضاد عند القدماء رخو، أمّا عند المحدثين فشديد. ويوضّح "عبد القادر عبد الجليل" موضع الاعتراض في الأصوات الانفجارية كما يلي⁽³⁾:

* الشفتان: حيث تنطبق بشكل تام، وفيهما ينتج صوت "الباء".

* الأسنان العليا ومقدّمة اللثة: حين التقاء طرف اللسان بها، وفي هذا الموضع تتكوّن الأصوات: "التاء"، "الدال" "الضاد" و"الطاء".

* أقصى الحنك الأعلى (السقف العلوي للفم) حين يلتقي به أقصى اللسان، وعند هذا الموضع يتكوّن صوت "الكاف".

* أدنى الحلق مع اللهاة: حين يلتقي بها أقصى اللسان، وفي هذا الموضع يتكوّن صوت "القاف".

* الحنجرة (انطباق الوترين الصوتيين)، وعند هذا الموضع تتولّد "الهمزة" القطعية.

د/ الطريقة العملية لمعرفة الصوت الانفجاري:

يقدم الباحث "محمود عكاشة" في كتابه "أصوات اللغة" الكيفية التي تتمكّن من خلالها معرفة الصوت الانفجاري، وتمييزه من الصوت الاحتكاكي، ويكون ذلك: «بوضع ورقة في الكفّ، ثمّ تقريبها من الفم، ثمّ النطق مثلاً بكلمة "تكلم"، حينها ستلاحظ أنّ الورقة تحركت قليلاً بسبب نفخة الهواء التي صاحبت نطق صوت

(1) - غانم قّدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عتار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1425هـ/ 2004م، ص108.

(2) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص150.

(3) - المرجع نفسه، ص143.

"الكاف" في الكلمة السابقة»⁽¹⁾.

* الأصوات الرخوة/ الاحتكاكية:

أ/ تعريفها في اللغة:

ورد في "المعجم الوسيط" في بيان تفسير مادة "رَخَوٌ": «رَخَا العيش وغيره رَخَاءً: اتَّسع فهو رَخَوٌ (...). والرَّخَاءُ: سعة العيش وحسن الحال (...). والرَّخَاءُ: الريح اللَّيِّنة (...). والرَّخو: الهشُّ اللَّيِّن من كلِّ شيء...»⁽²⁾. إذن فالرخاوة في اللغة تحيل على معنى: الليونة والهشاشة والرطوبة.

ب/ تعريفها في الاصطلاح:

عرّف "ابن جني" الصوت الرخو بقوله: «هو الذي يجري فيه الصوت...»⁽³⁾.

ويفهم من خلال هذا التعريف أنّ الصوت الذي يوصف بالرخاوة، أو كما يسمّى كذلك بالاحتكاك، أنّ النفس فيه يكون مستمرا دون انقطاع لعدم وجود اعتراض تام له (أي اعتراضه جزئي) في موضع النطق، ممّا يُسمح بالقول بأنّ الأصوات الاحتكاكية إنّما تتشكّل بأن يُضَيَّقَ مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع، ويمرّ من خلال منفذ ضيّق نسبيا، محدثا في خروجه احتكاكا جانبيا مسموعا.

ج/ حروف الاحتكاك:

اختلف اللغويون في الحروف الاحتكاكية شأنهم في ذلك شأن اختلافهم في الحروف الانفجارية، فقد اتّفقوا في عددها واختلفوا في بعض الحروف، ولاسيما "العين" و"الضاد"؛ إذ استبعد القدامى صوت "العين" لأنهم وصفوه بالتوسّط، فهو بهذا عند علماء الدرس الصوتي القديم بين الشدّة والرخاوة، يقول "سيبويه": «...وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى التردّد فيها لِشَبَهَها بالحاء»⁽⁴⁾، ويشاطره الرأي "أبو عمرو الداني"، حيث نجده يذهب مذهب "سيبويه" في تصنيفه للأصوات الرخوة مستبعدا صوت العين، يقول: «الأصوات الرخوة ثلاثة عشر صوتا يجمعها قولك: خس حظ شص هنز ضغث فذ»⁽⁵⁾.

وإلى نفس الاتجاه ذهب "إبراهيم أنيس" على الرغم من أنّه من المحدثين، فقد ربّّب في كتابه "الأصوات

(1) - محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص100.

(2) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة رَخَوٌ/ رَخَا.

(3) - ابن جني: سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص62.

(4) - سيبويه: الكتاب، ج4، ص435.

(5) - أبو عمرو بن سعيد الدّاني الأندلسي: التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قّدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1

1421هـ/ 2000م، ص106.

اللغوية": الأصوات الاحتكاكية حسب درجة رخاوتها مستبعدا في ترتيبه صوت العين، يقول: «والأصوات الرخوة في اللغة العربية كما تبرهن عليها التجارب الحديثة مرتبة حسب نسبة رخاوتها: س، ز، ص، ش، ذ، ث، ظ، ف ه، ح، خ، غ»⁽¹⁾.

غير أنّ إبراهيم أنيس " قد استبعد صوت "الضاد" من حروف الاحتكاك، لأنّ الضاد صوت انفجاري في المنظور الحديث، في حين أنّه صوت رخو عند القدامى فيكون بهذا قد حصر الأصوات الاحتكاكية في "اثني عشر" صوتا، متفقا مع القدامى في استبعاده لصوت "العين"، ومختلفا معهم - في الوقت ذاته - في استبعاده لصوت "الضاد".

وفي العموم، فإنّ الأصوات الاحتكاكية في الدرس الصوتي الحديث: 13 صوتا وهي: ف/ذ/ث/ظ/ز/س/ص/ش/خ/غ/ع/ح/ه/، وذلك باستبعاد صوت "الضاد" الانفجاري، وإضافة صوت "العين" الاحتكاكي.
* الأصوات المتوسطة/ المائعة:

يعرّف "صلاح صالح سيف" التوسط فيقول: «اعتدال جريان الصوت مع الحرف بعدم انحباسه، وهو بين الشدّة والرخاوة؛ أي فلا ينحبس الصوت كما في الشدّة، ولا يجري كجريانه في الرخاوة»⁽²⁾.
وقد حصر علماء الأصوات المحدثين أصوات التوسط في أربعة وهي: (اللام والنون والميم والراء)، وأضاف إليها القدامى صوت "العين"، وعدّوه صوتا متوسطا أيضا.
ويمكن أن نقسّم الأصوات المائعة بحسب طريقة خروجها، والأعضاء المشاركة في تشكيلها إلى ثلاثة أقسام، هي⁽³⁾:

- 1 - الأصوات الجانبية أو المنحرفة أو الحافية، ويمثّل هذا القسم في العربية صوت: "اللام".
- 2 - الأصوات المكرّرة أو التردّدية، ويمثّل العربية الفصحى في هذه المجموعة صوت: "الراء".
- 3 - الأصوات الأنفية أو الغنّاء: ويمثّل صوتا "الميم" و"النون" العربيّتين هذه المجموعة الصوتية. وسيأتي فيما بعد - إن شاء الله - تفصيل وصفي لهذه الأصوات.

ونختتم هاتين الصفتين بقول "ابن جزري"، الذي يجمع فيه بين الأصوات الشديدة والأصوات الرخوة والأصوات المتوسطة، فيقول: «والمتوسطة بين الشدّة والرخاوة خمسة يجمعها قولك: "لن عمر"، وأضاف بعضهم إليها "الياء"

(1) - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص26.

(2) - صلاح صالح سيف: العقد المفيد في علم التجويد، ص69.

(3) - ينظر: عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، صص145، 146.

و"الواو"، والمهموسة كلّها غير التاء والكاف رخوة، والمجهورة الرخوة خمسة: الغين والضاد والطاء والذال المعجمات والراء، والمجهورة الشديدة يجمعها قولك: "طبق أجد" (1).

3 - الإطباق والانفتاح:

* الإطباق:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في تفسير مادة "طَبَّقَ": «الطَّبَّقُ: غطاء كلِّ شيء، والجمع أطباق، وقد أَطَبَّقَهُ وطَبَّقَهُ فأنطَبَّقَ وتَطَبَّقَ: غَطَّاهُ وجعله مُطَبَّقًا (...)، والطَّبَّقُ: كلُّ غطاء لازم على الشيء (...)، والسموات الطَّبَّاقُ: سميت بذلك لمطابقة بعضها بعضاً؛ أي بعضها فوق بعض، وقيل لأنَّ بعضها مُطَبَّقٌ على بعض (...)، وطَبَّقَ الغيث الأرض: ملأها وعمَّها...» (2)، وعليه فإنَّ الإطباق في اللغة يعني الإلصاق.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يقول "ابن جني" في الإطباق: «أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مُطَبَّقاً له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سيناً، والطاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنَّه ليس من موضعها شيء غيرها تنزل الضاد إذا عدت الإطباق إليه» (3).

إذن فالإطباق صفة من الصفات المميزة بين الأصوات التي تشترك في أكثر من صفة، فلولا الإطباق مثلاً لكانت "الطاء" "دالا" لاشتراكهما في الجهر والشدة والإصمات والقلقلة، وقس على ذلك مع باقي أصوات الإطباق.

وقد شاع عند الدارسين المحدثين أنَّ الإطباق هو: «ارتفاع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك وتقعّر وسط اللسان» (4)، أو هو: «ظاهرة يرتفع فيها مؤخّر اللسان إلى الحنك الأعلى، آخذاً شكلاً مقعراً ممّا يزيد من حجم تجويف الفم، ويضيق من حجم تجويف الحلق أثناء إخراج الصوت فيسمع الصوت مفتحماً، والأصوات المطبقة أربعة هي: الصاد والضاد والطاء والطاء» (5).

(1) - ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 202.

(2) - ابن منظور: لسان العرب، مج 5، مادة طَبَّقَ.

(3) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 61.

(4) - محمود فهمي حجّازي: مدخل إلى علم اللغة، ص 58.

(5) - وفاء كامل فايد: الباب الصربي وصفات الأصوات دراسة في الفعل الثلاثي المضغف، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 1، 1422هـ / 2001م صص 18، 19.

يتبين لنا من خلال هذه التعريفات التي سقناها، أنه لا خلاف بين قدامى الصوتيين والمحدثين في الأصوات المطبقة عددا وحروفا.

يشير "فوزي الشايب" إلى أيّ الأصوات المطبقة أطبق من الأخرى، فيقول: «الطاء أقوى الأصوات المطبقة إطباقا، وذلك بسبب انطباق اللسان على الحنك انطباقا تاما، تليها في قوة الإطباق الضاد، ثم الصاد، وتأتي الطاء في آخر القائمة، فهي أضعف الأربعة إطباقا»⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة هنا إلى نقطة مهمة، وهي أنّ المقصود بالإطباق غير الطبق، فمصطلح الإطباق يختلف في معناه عن مصطلح الطبق؛ إذ أنّ: «الأول يشير إلى الصفة التي تحدثنا عنها، والثاني يشير إلى المخرج وهو الجزء اللين من الحنك الأعلى، حيث مخرج الكاف والغين والحاء، فهذه الأصوات هي أصوات طبقية، ولكنها ليست مطبقة»⁽²⁾. ف: "الغين" مثلا في الفصحى صوت طبقى؛ بمعنى أنّ مخرجها من منطقة الطبق ولكنه ليس صوت مطبق، على عكس "الطاء" مثلا الذي هو صوت مطبق، ولكنه ليس صوتا طبقيا.

* الانفتاح:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في تفسير مادة "فَتَحَ": «فَتَحَ بين الخصمين فَتْحًا: قضى (...). يُقال: فَتَحَ على القارئ: لَقْنَهُ ما نسيه فقرأه والمغلق: أزال إغلاقه (...). وانْفَتَحَ الباب مُطَاوِعُ فَتَحَهُ، والشَيْءُ عن الشَيْءِ: انكشف عنه (...). واستَفْتَحَ الباب: فتحه وطلب فتحه، والْفَتَّاحُ: النَّصْرَةُ، والْفَتَّاحُ: اسم من أسماءه تعالى...»⁽³⁾.

وعليه فإنّ الانفتاح في كلّ شيء: الافتراق.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يعرّفه "سيبويه" فيقول: «كلّ ما سوى ذلك من الحروف، لأنّك لا تُطَبِّقُ لشيءٍ مِنْهُنَّ لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى»⁽⁴⁾.

والمقصود بـ: "كلّ ما سوى ذلك من الحروف": أنّ حروف الانفتاح هي جميع حروف الهجاء المتبقيّة، بعد استبعاد حروف الإطباق الأربعة المذكورة سابقا، لأنّك أثناء النطق بهذه الأصوات يتجافى اللسان عن الحنك

(1) - فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1425هـ/ 2004م، ص72.

(2) - غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، صص116، 117.

(3) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة فَتَحَ.

(4) - سيبويه: الكتاب، ج4، ص437.

ويتحاشاه، فلا ينطبق عليه تاركاً المجال للهواء الصاعد - من الرئتين - منفتحة دون اعتراض تام، وعليه فإنّ الانفتاح هو: «عدم انحصار الصوت بين وسط اللسان والحنك عند النطق بالحرف لانفتاح ما بينهما، سواء انطبق الحنك على أقصى اللسان أم لا، وحروفه كلّ ما عدا الأربعة المطبقة، وكلّ حروف الاستفالة منفتحة»⁽¹⁾.

ويجمعها "محمد عصام مفلح القضاة" في التركيب التالي: «من أخذ وجد سعة فزكا حق له شرب غيث»⁽²⁾.

4 - الاستعلاء والاستفال:

* الاستعلاء:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في تفسير مادة "عَلَوُ": «عَلَا الشَّيْءُ عَلُوًّا: ارتفع فهو عَلِيٌّ وَعَلِيٌّ (...)، ويقال: عَلَا فلان في الأرض: تكبّر وتجبرّ (...)، وَعَلَى الشَّيْءِ: رفعه وجعله عاليًا، واعتَلَى الشَّيْءُ: ارتفع (...)، واستَعَلَى النهار: ارتفع، وفلان تدرّج في الارتفاع (...)، والعُلَا: الرفعة والشرف (...). وَعَلَى الكتاب: عنوانه...»⁽³⁾.

فالاستعلاء في معناه اللغوي هو الارتفاع والسّموّ.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

عرّف "ابن جني" الاستعلاء فقال: «أن تتصعد في الحنك الأعلى فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وأمّا الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها، والحروف المستعلية على هذا سبعة وهي: الخاء والغين والقاف والضاد والطاء والصاد والظاء، وما عدا هذه الحروف فمنخفض»⁽⁴⁾.

وهذا تعريف مفصّل لصفتين متضادتين هما: الاستعلاء والاستفال، حيث بيّن "ابن جني" فيه: طبيعة اللسان أثناء النطق بالأحرف السبعة المستعلية، وطبيعته أثناء النطق بقيّة الحروف الذي أطلق عليها مصطلح "الانخفاض" ويعني بذلك ما يعرف بالاستفال، كما أشار "ابن جني" في هذا التعريف إلى طبيعة العلاقة القائمة بين الإطباق والاستعلاء، وهي علاقة عموم وخصوص؛ ذلك أنّ كلّ مطبق مستعلٍ، وليس كلّ مستعلٍ مطبق، إذن فالاستعلاء عام يشمل الإطباق، والإطباق أخصّ منه (علاقة احتواء).

ويقدم لنا الشيخ "محمد خليل الحصري" تفرقة أخرى بين الإطباق وبين الاستعلاء، فيقول: «الاستعلاء ارتفاع

(1) - محمد بن إبراهيم الحمد: فقه اللغة مفهومه، موضوعاته، قضاياه، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1426هـ/ 2005م ص111.

(2) - محمد عصام مفلح القضاة: الواضح في أحكام التجويد، ص47.

(3) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة عَلَا (عَلَوُ).

(4) - ابن جني: سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص62.

اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى، وحروفه سبعة مُجمعت في قولهم "خُصَّ ضَعُطٌ قِظٌ" (*).⁽¹⁾ فكلاهما فيه ارتفاع، غير أنّ الإطباق أبلغ من الاستعلاء؛ لأنّ اللسان معه يرتفع إلى الحنك الأعلى حتى ينطبق عليه كلّ أو جزؤه، في حين أنّ الاستعلاء فيه ارتفاع للسان دون أن ينطبق على الحنك الأعلى.

ويحدّد "ابن جزري" أقوى الحروف استعلاء وأضعفها استغلا فيقول: «وهي حروف التفخيم على الصواب، وأعلها الطاء، كما أنّ أسفل المستغلة الياء، وقيل حروف التفخيم هي حروف الإطباق، ولا شك أنّها أقواها تفخيماً»⁽²⁾، ويبدو أنّ "محمد بن إبراهيم الحمد" يخالف "ابن جزري" في أشدّ الحروف استعلاء، حيث يقول: «الاستعلاء هو أن يستعلي اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى، وحروفه سبعة (خ ص ض غ ط ق ظ) وأشدها استعلاء القاف»⁽³⁾، بيد أنّ "ابن جزري" في مذهبه هذا - حسب ما أراه - كان أكثر حجّة وإقناعاً من مذهب "محمد بن إبراهيم الحمد"؛ بمعنى أنّ "الطاء" هي أشدّ الحروف استعلاء من غيرها، وذلك لأنّها من حروف الإطباق، بل وهي في مقدّمة حروف الإطباق لشدّة التصاقها بسقف الحنك، هذا فضلاً عن كونها مستعلية، فقد جمعت صفتين قويتين في الوقت ذاته، في حين أنّ "القاف" هي حرف مستعل ولا إطباق فيه.

* الاستغلا

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في تفسير مادة "سَقَل": «سَقَلٌ سُفُولًا وَسَقَالًا وَسُقَالَةً: ضِدٌّ عَلَاً، ويقال: سَقَلِ فِي الشَّيْءِ: نَزَلَ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى أَسْفَلِهِ، وَسَقَلِ فِي عِلْمِهِ وَخُلُقِهِ: قَلَّ حِطُّهُ فِيهِ، فَهُوَ سَاقِلٌ (...) سَقَلٌ سُقَالَةٌ: خَسَّ وَنَدَلَّ، وَسَقَلَهُ: خَفَضَهُ وَأَرْسَلَهُ مِنْ أَسْفَلٍ، وَتَسَقَّلَ: انْحَطَّ...»⁽⁴⁾. فالاستغلا في اللغة بمعنى: الانخفاض.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يعرّفه الشيخ "محمود خليل الحصري" قائلاً: «هو انخفاض اللسان عند خروج الحرف عن الحنك إلى قاع الفم وحروفه اثنتان وعشرون حرفاً، وهي ماعدا حروف الاستعلاء السبعة»⁽⁵⁾.

(*) - "خُصَّ": البيت من القصب، "ضَعُطٌ": ضيق، "قِظٌ": فعل أمر من قاط بالمكان: إذا أقام فيه؛ والمراد: اقع من الدنيا بمثل ذلك، ولا تعترّ بزخارفها. محمود خليل الحصري: أحكام قراءة القرآن الكريم، ص 90.

(1) - المرجع نفسه، ص ن.

(2) - ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج 1، صص 202، 203.

(3) - محمد بن إبراهيم الحمد: فقه اللغة مفهوماً، موضوعاته، قضاياها، ص 111.

(4) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة "سَقَل".

(5) - محمود خليل الحصري: المرجع السابق، ص 91.

إذن فالفرق بين الاستعلاء والاستفال جليٌّ وواضح، فالتباين بينهما قائم على ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف أو انخفاضه، فما ارتفع اللسان معه فهو مستعلٍ، وما انخفض معه فمستفل. ونشير هنا إلى أنه إذا كان الاستعلاء أعمّ من الإطباق، فإنّ الانفتاح أعمّ من الاستفال؛ ذلك أنّ كلّ مستفل منفتح، وليس كلّ منفتح مستفل، لأنّ "القاف" و"الغين" و"الخاء" مثلاً منفتحة، ولكنّها مستعلية (غير مستفلة).

5 - الإذلاق والإصمات:

* الإذلاق:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في "لسان العرب" في تفسير مادة "ذَلَقَ"؛ باب القاف فصل الذال: «الذَلَقُ: حَدُّ الشَّيْءِ، وَحَدُّ كُلِّ شَيْءٍ ذَلَقُهُ، وَذَلَقُ كُلِّ شَيْءٍ: حَدُّهُ (...).»، والذَلِيقُ: الفصيح اللسان (...). وَذَلَقُ كُلِّ شَيْءٍ وَذَوَلَقُهُ: طرفه...»⁽¹⁾.
فالإذلاق في اللغة إذن: الطرف والحدّ.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يُعرّف "الإذلاق" بأنّه: «سرعة النطق بالحرف بسهولة ويسر لخروجه من طرف اللسان والشفافة، أو هو الاعتماد على ذلق اللسان والشفافة، أو هو خروج الحرف بسهولة ويسر»⁽²⁾.
إذن فالإذلاق: هو الخفة في الكلام به بسهولة ويسر، من غير تكلفة أو ثقل يكون هنالك.

ج/ حروف الإذلاق:

حروف الإذلاق ستّة جمعها العلماء في قولهم: "فر من لب"، يقول "ابن جني": «...ومنها حروف الذلاقة وهي ستة: اللام والراء والنون والفاء والباء والميم، لأنّه يُعتمَدُ عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه»⁽³⁾.
وهذه الحروف الستّة يقال لها كذلك: «الحروف الذلق بضمّ الذال وسكون اللام، وكذلك الحروف المذلقة، وإنّما سمّيت هذه الحروف بالذلاقة لخروج بعضها من ذلق اللسان، وبعضها من ذلق الشفتين»⁽⁴⁾.
ف"الفاء" و"الميم" و"الباء" مخرجها من ذلق الشفّة، في حين أنّ "الراء" و"النون" و"اللام" من ذلق اللسان ويؤكد هذا "حسام سعيد النعيمي" حينما عبّر على قول "ابن جني" السابق، وذلك حينما صرّح بأنّ حروف

(1) - ابن منظور: لسان العرب، مج5، مادة "ذَلَقَ".

(2) - السيّد أحمد عبد العقّار: الكلمة العربية كتابتها ونطقها، ج2، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، ط2، 1426هـ/2006م، ص24.

(3) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص64.

(4) - مصطفى رجب: دراسات لغوية، ص259.

الإذلاق المذكورة سابقاً إنّها سمّيت كذلك لأنّه يُعتمدُ عليها بذلق اللسان، فيقول: «وواضح أنّ ثلاثة منها يُعتمدُ عليها حقّاً بطرف اللسان، أمّا الثلاثة الباقية فهي حروف شفوية لا شأن لطرف اللسان على الإطلاق في إخراجها، ويعد عندي أن يكون "ابن جني" قد غفل عن هذا، وأرى أنّه أراد التغليب؛ فكأنّهم حين وجدوا اللام والراء والنون من طرف اللسان جعلوا الاسم لها، وضمّوا إليها الفاء والميم والباء، أمّا لمْ غلبوا ذلق اللسان على الشقّة في التسمية، فيبدو لي أنّ معنى الذلاقة في الأصل هو الذي دعا إلى ذلك، فقد جاء في "اللسان"، إنّما سمّيت هذه الحروف ذلقاً لأنّ الذلاقة في المنطق إنّما هي بطرف أسلة اللسان والشففتين، وهما مدرجتا هذه الحروف الستة»⁽¹⁾.

لا يجوز الخلط بين الأحرف الذلقية مخرجا، والمذلفة صفة؛ فالأولى: لا تخرج إلّا من ذلق اللسان، أمّا الأخرى: فمنها ما يخرج من ذلق اللسان، ومنها ما يخرج من ذلق الشقّة كما ذكرنا، ففي «صفة الذلاقة شمول وعموم، وفي مخرج الذلاقة تضيق وتحديد، والاتفاق في الاسم لا يوقع في اللبس عند التفرقة بين الصفة والمخرج»⁽²⁾.

* الإصمات:

أ/ الإصمات في اللغة:

ورد في "القاموس المحيط" في تفسير مادة: "صَمَت" باب التاء فصل الصاد: «الصَمْتُ والصُّمُوتُ والصُّمَاتُ: السُّكُوت، كالإصمات والتَّصْمِيْتُ، ورماء بِصُمَّاتِهِ؛ أي بما صَمَتَ منه (...)، والمصمّت: الذي لا جوف له، وباب وفُئِلٌ مُصَمَّتٌ: مُبْهَمٌ (...)، وثوب مُصَمَّتٌ: لا يخالط لونه لونٌ...»⁽³⁾.
فالإصمات في اللغة: المنع، يقال: صمت فلان؛ أي سكت ومنع نفسه من الكلام...

ب/ الإصمات في الاصطلاح:

هو: «ثقل الحرف عند النطق به لخروجه بعيدا عن طرف اللسان والشففتين، أو هو امتناع الحروف المصمّنة عن أن تختصّ ببناء كلمة في لغة العرب، وحروفه اثنان وعشرون حرفا، وهي الحروف المتبقّية من حروف الهجاء بعد استبعاد حروف الإذلاق»⁽⁴⁾.

يفهم من خلال هذا التعريف أنّه لا توجد في العربية كلمات مكوّنة من أربعة أو خمسة أحرف أصلية جميع

(1) - حسام سعيد النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد للنشر، العراق، دط، 1400هـ/ 1980م، ص323.

(2) - صبحي الصّالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1430هـ/ 2009م، صص283، 284.

(3) - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة "صَمَت"

(4) - السيّد أحمد عبد الغفّار: الكلمة العربية كتابتها ونطقها، ج2، ص24.

حروفها مصممة، بل لا بد أن يكون فيها حرف أو أكثر من حروف الذلاقة، وإلا فذلك دليل قاطع على عجمتها في الغالب، وأتت كلمة دخيلة على العربية وليست منها، يقول "ابن جني": «...فمتى وَجَدْتَ كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من بعض هذه الأحرف الستة - أي المذلفة - فاقض بأنّه دخيل في كلام العرب، وليس منه (...). مثل: العَسَجْدُ...»⁽¹⁾. ويضيف "مصطفى رجب" سببا مقنعا يمنع تركيب كلمة عربية من الأصوات المصممة فقط دون المذلفة، فيقول: «وعلة ذلك أنّ حروف الإصمات صعبة على اللسان، وحروف الإذلاق سهلة عليه، فمنعوا انفراد حروف الإصمات واشتروا أن يكون معها حرف أو أكثر من حروف الإذلاق لتعادل خفة المذلق ثقل الصمت»⁽²⁾.

✓ التراكم الصوتي في سورة المائدة:

هذا وسنقتصر هنا بدراسة تطبيقية لصفتي الجهر والهمس، وصفتي الشدة والرخاوة، ويوضح الجدول أسفله كيفية توزيع صفتي الجهر والهمس وصفتي الانفجار والاحتكاك وما بينهما، بغرض معرفة أي الصفات أكثر سيطرة من الأخرى على مستوى سورة المائدة كما يأتي:

الرقم	الحرف	الصوت المحجور	الصوت المهموس	الصوت المنفجر	الصوت المحتك	الصوت المانع (المتوسط)	عدد مرّات دورانه	نسبة دورانه
1	الألف	x					1626	13,41%
2	الباء	x		x			403	3,32%
3	التاء		x	x			506	4,17%
4	الثاء		x		x		57	0,47%
5	الجيم	x					90	0,74%
6	الحاء		x		x		170	1,40%
7	الخاء		x		x		85	0,70%
8	الذال	x		x			230	1,90%
9	الذال	x		x			182	1,50%
10	الراء	x				x	387	3,19%
11	الزاي	x			x		60	0,50%
12	السين		x		x		237	1,95%
13	الشين		x		x		68	0,56%
14	الصاد		x		x		90	0,74%
15	الضاد	x		x			53	0,44%
16	الطاء		x	x			62	0,51%
17	الظاء	x			x		26	0,21%

(1) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، صص 64، 65.

(2) - مصطفى رجب: دراسات لغوية، ص 259.

الفصل الثاني: مخارج الحروف وصفاتها المميزة

الرقم	الحرف	الصوت المجهور	الصوت المهموس	الصوت المنفجر	الصوت المحتك	الصوت المانع (المتوسط)	عدد مرّات دورانه	نسبة دورانه
18	العين	×			×		320	2,64%
19	الغين	×			×		47	0,39%
20	الفاء		×		×		252	2,08%
21	القاف		×	×			273	2,25%
22	الكاف		×	×			362	2,99%
23	اللام	×				×	1616	13,32%
24	الميم	×				×	1005	8,29%
25	النون	×				×	1080	8,90%
26	الهاء		×		×		521	4,30%
27	الواو	×					825	6,80%
28	الياء	×					808	6,66%
29	الهمزة			×			688	5,67%
	المجموع	16	12	08	13	04	12129	100%

ملاحظات هامشية:

1 - مجموع عدد أصوات سورة المائدة هو: 12129 صوت.

2 - نلاحظ من خلال هذا الجدول أنّ عدد حروف العربية 29 حرفاً، لأنّ هناك من اللغويين من جعلها 28 حرفاً، ومنهم من جعلها 29 حرفاً كما أشرنا سابقاً، والهمزة المتحدّث عنها هنا هي همزة القطع فقط دون الوصل، أمّا الألف المتحدّث عنها في هذا المقام فهي الألف المدّية وكذا همزة الوصل التي تشبهها في الرسم والخطّ، وفي محاولة للجمع بين عدد دوران همزة القطع في سورة المائدة، وبين عدد دوران الألف فيها نجد: 2314 مرّة، بنسبة: 19,08%.

3 - بلغ عدد الأصوات المجهورة في سورة المائدة: 8758 صوت، وذلك بنسبة: 72,21%، في حين بلغ عدد الأصوات المهموسة: 2683 صوت فقط، وذلك بنسبة: 22,12%. وانفردت الهمزة بصفة "لا مهموسة ولا مجهورة"، حيث بلغ عدد دوراتها في نصّ السورة: 688 مرّة بنسبة 5,67%.

فقد غلب على سورة المائدة المواضيع التالية: التبشير والإنذار، الوعد والوعيد، الترغيب والترهيب، الأمر والنهي، التحليل والتحريم... وكلّها مسائل تحتاج إلى صوت معلن يترك له أثراً عند المتلقّي، كما أنّ مواضيع التحريم ومواطن الافتراء على الله من المواضيع التي تنبني في أساسها على الجهر في الخطاب عموماً؛ وكلّ هذه الأمور تدلّ على قوّة مضمون سورة المائدة.

يقول "مصطفى صادق الرافعي" في وصف قوّة أو ضعف الصوت، ومدى تأثير ذلك على السياق العام: «إذا

اشتدت فأمواج البحر الزاخرة، وإذا لانت فأنفاس الحياة الآخرة»⁽¹⁾. بل إنَّ المتحكم الأوّل في إيقاع النص مهما كان نوعه هو طبيعة الأصوات وإعجاز نظمها وطريقة توزيعها، فكلّ ذلك من شأنه أن يثير انفعالات في نفس المتلقي: «فتكون ذات إيقاع قوي إذا كانت نسبة الأصوات ذات الجرس القوي غالبية عليها، وتكون ذات إيقاع رخو إذا كانت نسبة الأصوات اللينة والضعيفة غالبية عليها»⁽²⁾.

وباختصار يمكن تفسير طغيان الجهر على الهمس في هذه السورة كما أشار إلى ذلك "يوسف عمر لعساكر" يرجع أساسا إلى أنّ: «أيّ نص لغوي لا بدّ أن تحتلّ فيه الأصوات المجهورة الصدارة في الكثرة، وإلا فقدّ هذا النصّ عنصره الموسيقي، وبما أنّ القرآن الكريم يمتاز بميزة خاصة في جانبه الصوتي وصل إلى حدّ الإعجاز، فلا بدّ أن تحتلّ الأصوات المجهورة فيه الصدارة في الجانب الكمي»⁽³⁾.

4 - الأصوات المنفجرة في سورة المائدة: 2577 صوت، وذلك بنسبة: 29,35 %، أمّا الأصوات المحتكة فقد بلغ عدد دوراتها: 2115 مرّة بنسبة: 24,09 %، لتأخذ بهذا الأصوات المائة (المتوسطة) الصدارة بنسبة: 46,56 %، لتكررها: 4088 مرّة على مستوى هذه السورة الكريمة.

وما يزيد معنى قوّة مضمون السورة الكريمة تقوية وتأكيذا: طغيان الأصوات الشديدة عن الأصوات الرخوة، فإنّ ذلك يدلّ على أنّ الكلام المستعمل في هذه السورة كلام يغلب عليه طابع الشدّة والحدة، لما فيه من تحريم نحو: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكَ أَلْمِيتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ﴾/4 و﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾/98، وهي نحو: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾/51 و﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾/97، وزجر وترهيب نحو: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنَبَّأُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾/35، وقوله أيضا: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ

(1) - مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تح: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، ط4، دس، ص30.

(2) - أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن الكريم. دراسة في النظم المعنوي والصوتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ومطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1412هـ/1992م، ص307.

(3) - يوسف عمر لعساكر: الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته (جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجاً) - دراسة لغوية دلالية - ، إشراف: محمد العبد إريتمة، رسالة معدة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: دراسات لغوية نظرية، جامعة الجزائر (بن يوسف بن خدة)، 2004م/2005م، ص155.

اللَّهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿40﴾، وتهديد وتخدير مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾/75، وأيضا قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنَّهُ مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ بَمَنْ يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾/117، ووعيد بعد وعد في مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾/11، ومثل ذلك قوله أيضا: ﴿بِمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ بَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾/13، ونداء وأمر في نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾/1 و﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾/69... الخ.

أمّا عن سيطرة الأصوات المائعة عن الأصوات الشديدة والرخوة فلا تُها أنسب الأصوات في هذا المقام، لأنّها تحمل: «دلالات النهي والنفي والتنبيه والاستفهام ومقارعة الحجّة بالحجّة، وتفنيذ مزاعم القوم وإقناع الخصوم بالأدلة الواضحة والحجج المقنعة»⁽¹⁾، وكلّها معاني موجودة في نصّ سورة المائدة أشرنا فيما مضى إلى بعضها وسيتمّ فيما سيأتي إن شاء الله من هذا البحث تناول بقية المسائل.

وتجدد بنا الإشارة هنا إلى أن صوت "اللام" المائع هو أكثر الأصوات إلى جانب الألف دورانا على مستوى سورة المائدة. ومعلوم أنّ من صفات "اللام" الانحراف والجانبية، وفي هذا المعنى ما يتناسب مع مضمون السورة الكريمة، فهي تؤكد على انحراف مزاعم القوم انحرافا حقيقيا عن جادة الصواب وعن الفطرة السليمة، كما نجد "اللام" في مواضع كثيرة في نصّ سورة المائدة ممدودة بالألف والذي يعدّ من الصوائت الطويلة المجهورة، لكي يسمعوا جيّدا الجواب المنكر لأقوالهم المنحرفة وافتراءاتهم الزائفة.

ثانيا: الصفات التي لا ضدّ لها في العربية

1 - الصفيّر

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في تفسير مادة "صَفَرٌ": «الصَّفِيرُ هو الصَّوْتُ بالفم والشففتين (...)، والصَّفَرُ: داءٌ في البطن يُصَفَّرُ منه الوجه (...)، والصَّفِيرُ: من الصَّوْتِ بالدواب: إذا سَقَيْتَ (...) وصَفَرَ الطائرُ يَصْفِرُ صَفِيرًا أي مَكَا...»⁽²⁾.

(1) - يوسف عمر لعساكر: الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته (جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجاً) - دراسة لغوية دلالية -، ص 156.

(2) - ابن منظور: لسان العرب، مج 3، مادة صَفَرٌ.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

الصفير هو: «صوت زائد يخرج من بين الشفتين عند النطق بالصاد والسين والزاي، وهو صوت شبيه بصوت الطائر»⁽¹⁾.

وإنما سميت حروف الصفير كذلك لأنك «تسمع لها عند النطق بما صوتا يشبه صوت بعض الطيور، فالصاد مثلا تشبه صوت الأوز، والزاي مثلا تشبه صوت النحل، والسين مثلا تشبه صوت الجراد، وأقوى هذه الأحرف الثلاثة حرف الصاد لما فيه من استعلاء وإطباق»⁽²⁾.

ويشاطر "صبري المتوَلِّي" "الراجحي" في كون "الصاد" أقوى أصوات الصفير، حيث يجعل حروف الصفير على مراتب متفاوتة: الأولى لصوت "الصاد" لإطباقها واستعلائها، الأخرى لصوت "الزاي" لجهرها، في حين تحتلّ "السين" المرتبة الثالثة لعمسها⁽³⁾. أمّا "سعاد عبد الحميد" فتحدد درجات الصفير من زاوية أخرى قائلة: «أقوى ما يكون - أي الصفير - في المشدّد نحو: (الصَّالِحِينَ)، ثمّ الساكن نحو (اصْبِرُوا)، ثمّ المتحرّك نحو (صَبَّرَ)، وهذه الدرجات تنطبق على بقية الصفات»⁽⁴⁾.

ويطلق "ابن جزري" على هذه الأصوات الثلاثة مصطلح "الأسلية"؛ لأنّها تخرج من أسلة اللسان وهو مستدقّه، وهو نفس المصطلح الذي استخدمه "الخليل" في مخارجه الثمانية كما رأينا في السابق.

2 - القلقلة:

أ/ تعريفها في اللغة:

يجيل المعنى اللغوي للفظ "القلقلة" على التحرك والاضطراب فـ: «قَلَقَلَ فِي الْأَرْضِ: ضَرَبَ فِيهَا، وَالشَّيْءُ: حَرَكَهُ وَالْحَزَنُ دَمَعُهُ: أَسْأَلُهُ، وَتَقَلَّقَلَ: تَحَرَّكَ فِي الْبِلَادِ، وَتَقَلَّبَ فِيهَا...»⁽⁵⁾.

ب/ تعريفها في الاصطلاح:

يقول "سيبويه": «واعلم أنّ من الحروف حروفا مُشْرِئَةً ضُعِطَتْ من مواضعها، فإذا وَقَفَتْ خرج معها من الفم صُؤَيْتٌ، وَنَبَا اللسان عن موضعه وهي حروف القلقلة»⁽⁶⁾.

(1) - صلاح صالح سيف: العقد المفيد في علم التجويد، ص71.

(2) - شرف الدّين على الراجحي: في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، ص48.

(3) - صبري المتوَلِّي: دراسات صوتية في تجويد الآيات القرآنية، ص72.

(4) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص92.

(5) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة "قَلَقَلَ".

(6) - سيبويه: الكتاب، ج4، ص174.

فالققلقة بهذا المعنى: «اضطراب المخرج عند النطق بالحرف ساكنا حتى يُسمع له نبرة قويّة، وحروفها خمسة مجموعة في قوله (قطب جد)، والسبب في هذا الاضطراب والتحريك شدة حروفها لما فيها من جهر وشدة، فالجهر يمنع جريان النفس، والشدة تمنع جريان الصوت، فاحتاجت إلى كلفة في بيانها، ومراتب الققلقة ثلاثة، أعلاها الطاء وأوسطها الجيم وأدناها الباقي»⁽¹⁾.

فهذا التعريف الذي أتينا على ذكره تعريف جامع مانع؛ أشار إلى معنى الققلقة، حروفها، سبب حدوثها ومراتب حروفها من حيث ققلقتها، فالاضطراب الذي يلحق حروفها مصدره الأساسي هو اجتماع في كل حرف منها صفتين قويّتين هما الشدة (الانفجار) والجهر، ولا يمكن حصول الققلقة إذا لم تتوفر في الحرف هذين الصفتين، غير أنّ الاستثناء حاصل في "الطاء" و"القاف" لسقوط صفة الجهر فيهما، فهما مهموسان في الدرس الصوتي الحديث كما أسلفنا، ومع ذلك فإنّ الققلقة فيهما حاصلة.

كما أشار التعريف السابق كذلك إلى أنّ حروف الققلقة خمسة، غير أنّنا نجد "المبرد" مثلا في "المقتضب" يضيف إلى الخمسة حرف "الكاف" قائلا: «واعلم أنّ من الحروف حروفا محصورة في مواضعها، فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه وهي حروف الققلقة، وإن تفقدت ذلك وجدته فمناها: "القاف" و"الكاف" إلا أنّها دون "القاف"، لأنّ حصر القاف أشدّ، وإمّا تظهر هذه النبرة في الوقف، فإنّ وصلت لم يكن لأنّك أخرجت اللسان عنها إلى صوت آخر، فحلّت بينه وبين الاستقرار، وهذه المقلقة بعضها أشدّ حصرا من بعض»⁽²⁾.

فالققلقة حسب "المبرد" تكون في الوقف أشدّ وأبين منها حين الوصل.

وفي التعريف السابق للققلقة يختمه "فهمي علي سليمان" بذكر أيّ الحروف الخمسة أشدّ وأعلى قلقة من غيرها، حيث جعل "الطاء" أقواها، غير أنّنا نجد "مصطفى رجب" مثلا في كتابه "دراسات لغوية" يخالفه حينما يقول متحدثا عن حروف الققلقة: «...وهي أقوى في القاف ثمّ في الطاء ثمّ في الجيم ثمّ في الباء ثمّ في الدال، ويجب ألاّ تزيد الققلقة إلى حدّ أن تنقلب إلى حركة، والققلقة صفة لازمة لهذه الحروف الخمسة في حال سكوتها»⁽³⁾.

إذن جعل "مصطفى رجب" صوت "القاف" أعلى الأصوات قلقة، يليه صوت "الطاء" مخالفا بذلك "فهمي علي سليمان"، غير أنّ مذهب هذا الأخير - حسب ما أراه - هو الأقرب للصواب أكثر من مذهب "مصطفى رجب"؛ فمعروف أنّ الققلقة من الأصوات القوية لاجتماع صفتي الجهر والشدة في حروفها، ومعروف

(1) - فهمي علي سليمان: المنير الجديد في أحكام التجويد، دار النصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 1410هـ / 1990م، ص56.

(2) - المبرد: المقتضب، ج1، ص332.

(3) - مصطفى رجب: دراسات لغوية، ص261.

كذلك أنّ صوت "الطاء" أقوى من صوت "القاف"، لأنّ الأوّل يجتمع فيه هو الآخر - فضلا عن شدّته - صفتين قويتين هما صفتا "الإطباق والاستعلاء"؛ فكلّ ما هو مطبق مستعل كما سبقت الإشارة، غير أنّ في "القاف" استعلاء من دون إطباق.

أمّا عن موضع القلقلة فإنّ للعلماء في ذلك مذهبين⁽¹⁾:

الأوّل: يرى بعضهم أنّ القلقلة لا تكون إلّا عند الوقف، وهذا يعني أنّك إذا وصلت إلى صوت آخر يشغلك عن إتباع الحرف الأوّل (أي المقلقل) صوتا.

الثاني: ذهب كثير من العلماء إلى القول: إنّ من أهمّ شروط حصول القلقلة سكون حروفها بغضّ النظر عن موضع وقوعها وسطا أو تطرفا، غير أنّ هناك إجماع على أنّ الصوت المقلقل يكون في حالة الوقف عليه أبين من عند الوصل به.

ج/ أقسام وأنواع القلقلة:

يمكن أن نصنّف القلقلة إلى نوعين مختلفين، وذلك باعتبار موقع الحرف المقلقل من الكلمة هما⁽²⁾:

* القلقلة الكبرى: وهي الحاصلة في نهاية الكلم المنتهية بأحد تلك الأصوات.

* القلقلة الصغرى: وهي الحاصلة عند وجودها إحداها في وسطها.

فإذا وقع الحرف المقلقل متطرفا في آخر الكلمة، وكان موقوفا عليه وساكنة سُمّيت حينها قلقلة كبرى، وإن وقع في وسط الكلمة وكان ساكنة سُمّيت قلقلة صغرى.

د/ علّة القلقلة:

يقول "خليل إبراهيم العطية": «أنّ العرب إنّما قلقل الأصوات الخمسة السالفة الذكر بإضافة صوت لين قصير عليها أو "صويت" كما سمّاه سيويوه، حرصا منهم على إظهار ما في هذه الأصوات من جهر، فلا ينالها شيء من الهمس»⁽³⁾.

هـ/ مراتب ودرجات القلقلة:

بناء على ما سبق يمكن أن نميّز للقلقلة بين ثلاث مراتب⁽⁴⁾:

(1) - غانم قدّوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 120.

(2) - خليل إبراهيم العطية: في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق، دط، 1403هـ / 1983، ص 59.

(3) - المرجع نفسه، ص ن.

(4) - ينظر: مصطفى رجب: دراسات لغوية، ص 261. وأيضا: عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، دط، 1429هـ / 2008م، ص 58.

- 1 - تكون في الحرف المشدّد الموقوف عليه نحو: "الحَقُّ"، وتسمّى أقوى درجات القلقلّة.
- 2 - تكون في الحرف الساكن الموقوف عليه نحو: "وَعِيدٌ"، وتسمّى أوسط درجات القلقلّة.
- 3 - تكون في الحرف الساكن غير الموقوف عليه نحو: "أَفْتُطْعِمُونَ"، وتسمّى أقلّ درجات القلقلّة.

3 - اللين:

أ/ تعريفه في اللغة:

يحيل المعنى اللغوي للين على السهولة واليسر: «لأنّ الشيء ليناً وليّناً: سهلاً وانقاد فهو لينٌ وليّنٌ (...).»⁽¹⁾ ويقال: ألانَ للقوم جناحه: أخذهم بالملاطفة (...). واستلانَ العيش: رآه ليناً أو عدّه أو وجده ليناً...»⁽¹⁾.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

اللين هو: «إخراج الحرف بعد كلفة على اللسان، وحروف اللين: الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما نحو: حَوْفٌ وبيّتٌ»⁽²⁾.

بناء على هذا يمكن القول: إنّ حرف اللين هو حرف المدّ الساكن، المتحرك ما قبله بحركة لا تناسبه (من غير جنسه)، ويسقط من هذا الاعتبار الألف مجانسة حركة الفتح لها؛ فهي حرف مدّ لا لين.

4 - الانحراف:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في تفسير مادة "حَرْفَ": «حَرْفَ عنه حَرْفًا: مَالَ وَعَدَلَّ، ولعياله: كسب لهم من كلّ حرفة وجهة والشيء عن وجهه حَرْفًا: صَرْفَهُ وَغَيْرَهُ (...).»⁽³⁾ وحَرْفَ فلانٌ في ماله: ذهب منه شيء (...).»⁽³⁾ والحَرْفَ: مال، ويقال: انْحَرَفَ مِرَاجَهُ: مال عن الاعتدال وإلى فلان: مال إليه، وعن فلان: انصرف...»⁽³⁾.

فالانحراف في معناه اللغوي إذن هو: الميل عن الشيء والعدول عنه.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يقول "سيبويه": «ومنها (المنحرفُ) وهو حرف شديد جرى فيه الصّوت لانحراف اللسان مع الصّوت، ولم يعترض على الصّوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو "اللام"، وإن شئت مددت فيها الصّوت، وليس كالرّخوة؛ لأنّ طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع "اللام"، ولكن من ناحيتي

(1) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة لَيّن.

(2) - صبحي الصّالح: دراسات في فقه اللغة، ص 283.

(3) - مجمع اللغة العربية: المصدر السابق، مادة حَرْفَ.

مستدق اللسان وفُوَيْقَ ذلك»⁽¹⁾.

إذن فصفة الانحراف - على مذهب "سيبويه" - من الصفات المفردة والخاصة بصوت واحد وهو "اللام"، ولكن هناك الكثير من اللغويين والعلماء من يجعلها صفة لصوتين هما "اللام" و"الراء" معا، ومن هؤلاء الشيخ "الحصري" الذي يعرّف الانحراف بأنه: «الميل بالحرف عن مخرجه حتى يتصل بمخرج غيره، وهو صفة لازمة لحرفين اللام والراء، وإتّما وُصِفَا بالانحراف لأنّهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتّصلا بمخرج غيرهما؛ فاللام فيها انحراف وميل إلى طرف اللسان، والراء فيها انحراف إلى ظهر اللسان جانِحَةً قليلا إلى جهة اللام»⁽²⁾.

5 - التكرير:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في "صحاح الجوهري" في تفسير مادة "كزّز": باب الراء فصل الكاف: «الكزّ بالفتح: الحبلُ يُصْعَدُ به على النخلة (...)، والكزّة: المرّة (...). والجمع الكزّات (...). والكزّ: الرجوع (...). وكزّزت الشيء تَكْرِيرًا وتكزّزًا (...). وتكزّز الرجل في أمره أي تَرَدَّدَ (...). وكزّزته عني: أي دفعته ورددته...»⁽³⁾. إذن فالتكرار في اللغة بمعنى: إعادة الشيء مرة بعد أخرى.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يعرّفه "داود عبده" فيقول: «ويسمى أيضا التردّد، وهو سمة يتّصف بها صوت واحد وهو الراء، وسميت الراء صوتا تكررنا؛ لأنّ طرف اللسان يضرب أصول الأسنان العليا أو اللثة ضربات متكررة عند نطقها»⁽⁴⁾. يتّضح من خلال هذا التعريف أنّ صفة التكرار أو كما تسمى كذلك "التكرير" صفة مفردة خاصة بصوت واحد وهو "الراء"، وتكمن علّة تسميته بالمكزّر لتكرار ضربات وطرقات اللسان على الثنايا العليا أو اللثة بشكل متتابع ومستمر، ويشتدّ هذا التكرار حالة تشديد أو إدغام "الراء"، وفي هذا يقول "محمد بن إبراهيم الحمد": «التكرير هو ارتعاد رأس اللسان عند النطق بالحرف، وحرفه الراء فقط، وأكثر ما يظهر تكريره إذا كان مشدّدا نحو: مرّةً، وكزّةً»⁽⁵⁾.

(1) - سيبويه: الكتاب، ج4، ص435.

(2) - محمود خليل الحصري: أحكام قراءة القرآن الكريم، صص 103، 104.

(3) - إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4 1410هـ/1990م، مادة كزّز.

(4) - داود عبده: دراسات في علم أصوات العربية، ج2، دار جرير للنشر والتوزيع، دب، دط، 1431هـ/2010م، ص43.

(5) - محمد بن إبراهيم الحمد: فقه اللغة مفهومه، موضوعاته، قضاياها، ص112.

6 - التفشّي:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في تفسير كلمة "التفشّي": «فَشَوَ: يقال: فَشَّتْ عليه ضَيْعَةٌ: إذا انتشرت عليه أمره لا يدري بأيها يبدأ (...) وَتَفَشَّتْ القَرْحَةُ: اتَّسَعَتْ (...), وقد فَشَّتْ أُنْعَامُهُمْ فَشَاءً، وَمَشَتْ مَشَاءً: كَثُرَتْ...»⁽¹⁾.
إذن فالتفشّي في الشيء: الانتشار والاتساع والكثرة.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يعرّفه "محمد بن إبراهيم الحمد" مبيّنا حروفه واختلاف العلماء في ذلك بقوله: «وهو كثرة انتشار خروج الهواء بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق بالحرف، وحرف التفشّي هو الشين فقط على المشهور، وبعضهم يجعله في الضاد والثاء والفاء، وبعضهم يقول: إنّ في الصاد والسين تفشّيًا أيضًا، وكلّ ذلك غير مجمع عليه»⁽²⁾.

7 - الاستطالة:

أ/ تعريفها في اللغة:

جاء في "أساس البلاغة" في تفسير مادة: "طَوَّلَ": «تَطَاوَلَ: مَمَدَدَ قائما لينظر إلى بعيد (...). وَأَطَالَتِ المرأة: وَكَدَّتْ طَوَالًا (...), وَطَوَّلَ له: أمهله (...). وله عليه طَوُّلٌ: فَضْلٌ (...), وهو يَتَطَاوَلُ على النَّاسِ وَيَسْتَطِيلُ، وله عليهم تَطَاوُلٌ وَاسْتِطَالَةٌ، وَاسْتَطَالَ بنو فلان علينا: قتلوا أكثر ممّا قتلنا...»⁽³⁾.
فالاستطالة في اللغة تحيل على: الامتداد، التمهيل، التطاول، الكثرة،...

ب/ تعريفها في الاصطلاح:

جاء في "النشر": «الحرف المستطيل هو الضاد؛ لأنه استطال عن الفم عند النطق به حتّى اتّصل بمخرج اللام، وذلك لما فيه من القوّة بالجهر والإطباق والاستعلاء»⁽⁴⁾.
فالاستطالة بهذا صفة مفردة لا ضدّ لها، وهي صفة خاصة ولازمة "للضاد" المعجمة، بيد أنّ بعضهم يقول بأنّ: «الشين مستطيلة لأنّها تفشّت واستطالت حتّى خالطت أعلى الثنتين»⁽⁵⁾.

(1) - الزمخشري: أساس البلاغة، مادة فَشَوَ.

(2) - محمد بن إبراهيم الحمد: فقه اللغة مفهومه، موضوعاته، قضاياها، ص 112.

(3) - الزمخشري: المصدر السابق، مادة طَوَّلَ.

(4) - ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 205.

(5) - محمد بن إبراهيم الحمد: المرجع السابق، ص س.

هذه إذن هي الصفات التي تحدّث عنها علماء الأصوات، وعددها سبعة عشر - كما ذكرنا -؛ عشرة منها متضادة (خمسة ضدّ خمس)، وسبعة أخرى لا ضدّ لها، وهذا وسنضيف إليها فيما سيأتي بعض الصفات الأخرى غير هذه المذكورة، تحدّث عنها بعض اللغويين وعلماء الأصوات، ثمّ نتقل بعدها إلى الصفات العارضة، والمتمثلة هنا في أحكام النون الساكنة والتنوين، وكذا أحكام الميم الساكنة، وهي صفات خاصة بتجويد آي القرآن الكريم.

*** الغنة (الأنفية):**

"النون" و"الميم" صوتان أنفيان لا يخرجان من الفم، وإمّا مخرجهما هو الأنف، والدليل على ذلك أنّك لو أمسكت بأنفك عند النطق بهما لما ظهر الصوت، ولهذا تسمع مع صوت "النون" و"الميم" غنة تتبعهما عند النطق بهما؛ فهما بهذا صوتان أنفيان يخرجان من الخيشوم، والأنفية: «سمة تميّز الأصوات التي يتسرّب الهواء عند نطقها من الأنف (من فتحة في مؤخر الفم) من الأصوات الأخرى، فهذه السمة هي التي تميّز "الميم" من "الباء" و"النون" من "الدال"»⁽¹⁾.

يبدو أنّ هذا الكلام فيه نوع من الارتباك، فصحيح أنّ "الأنفية" هي سمة تساهم في التمييز بين الأصوات التي تشترك في عدد من الصفات، ولكنني أرى أنّ هذه السمة ليست هي مطلقا التي تتدخل في التفريق بين "الميم" و"الباء"، أو بين "النون" و"الدال" كما جاء في التعريف السابق، فقبل أن نميّز بين "الميم" و"الباء" مثلا من خلال صفة الغنة؛ فإنّ "الباء" تميّز عن "الميم" بكون الأولى انفجارية، في حين أنّ الأخرى متوسطة. كما أنّ "الباء" تميّز عن "الميم" أيضا بأنّها مقلقلة، بينما في المقابل تميّز "الميم" عن "الباء" بأنّها أنفية، وإن كان هذا التمثيل مقبولا إلى حدّ ما، فإنّ ما هو غير مقبول ولا معقول هو: أنّ صفة "الأنفية" هي التي تميّز "النون" عن "الدال" وهذا خطأ - من وجهة نظري - ف"النون" تميّز عن "الدال" فضلا عن صفة الأنفية بعدّة صفات أخرى؛ ف"الدال" شديدة و"النون" متوسطة، "الدال" مصمّمة في حين أنّ "النون" مذلقة، وكان من الأولى به أن يقول مثلا: أنّ الأنفية سمة تميّز "النون" عن "اللام" مثلا، فذلك يكون منطقيا أكثر؛ لأنّ "النون" تميّز عن "اللام" بأنّها أنفية، و"اللام" تميّز عن "النون" بكونها منحرفة، ولولا الغنة والانحراف لكانت "النون" لاما، و"اللام" نونا، هذا فضلا عن اشتراكهما في المخرج الصوتي. إذن فالغنة صفة لازمة لـ "النون" و"الميم" «والنون أغنّ من الميم، ويلحق بالنون التنوين»⁽²⁾.

أمّا عن مراتب الغنة فسنخصّص لها مكانا في مبحث "التفخيم والترقيق" إن شاء المولى عزّ وجلّ.

(1) - داود عبده: دراسات في علم الأصوات العربية، ج2، ص43.

(2) - محمد عصام مفلح القضاة: الواضح في أحكام التجويد، ص52.

* الهت / المهتوتة:

اختلف علماء العربية في أي الأصوات تنطبق عليها هذه الصفة، حيث أطلقوها على أصوات ثلاثة؛ جعلها "الخليل" لصوت "الهمزة" «لأنَّ الهتَّ عنده هو الصوت الشديد، فسَمَّاهَا كذلك لخروجها من الصدر كالتَهَوِّع فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد»⁽¹⁾. وأطلقها كلٌّ من "سيبويه" و"ابن جني" على صوت "الهاء"، يقول: "ابن جني": «ومن الحروف المهتوت وهو الهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء»⁽²⁾، في حين جعلها آخرون أمثال "ابن الحاجب" صفة لصوت "الياء"، غير أنَّ «الأكثر تحقيقاً أنَّ هذه الصفة جديدة بالهمزة لشدَّتها أكثر من صوتي الهاء والياء»⁽³⁾.

* الخفاء:

يقول "حاتم صالح الضَّامن": «الحروف الخفية هي الهاء، وحروف المدِّ واللين (الألف، الواو الساكنة التي قبلها ضُمَّة، والياء الساكنة التي قبلها كسرة)، وإمَّا سُمِّيت بالخَفِيَّة لِأَنَّهَا تَخْفَى فِي اللفظ إِذَا اندرجت بعد حرف قبلها، ولفظها في هذا خفي بين حرفين أو بعد حرف أو حروف هواء»⁽⁴⁾.
وأشدَّ درجات "الخفاء" «حروف المدِّ واللين، وورودها بعد "الهمزة" وكذلك قبلها والثانية أشدَّ خفاءً، وعلى هذا فإذا جاور حرف مدِّ ولين "الهمزة" خُفِيَ معها لضعفه وبُعد مخرجها»⁽⁵⁾.
وأما الحرف الرابع وهو: "الهاء": «فتتقوى بالصلة وبالإشباع والحركة المصاحبة لها»⁽⁶⁾.

* الهاوي:

هو: «الصوت اللين الذي يتسع فيه تجويف الفم وهو "الألف»⁽⁷⁾.

وغيرها من الصفات الكثيرة والمتعددة.

بعد هذا العرض الخاص بالصفات الصوتية اللازمة بنوعيتها، أمكن للسائل أن يتساءل فيقول: أيّ هذه

(1) - الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص52.

(2) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص64.

(3) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص281.

(4) - حاتم صالح الضامن: فقه اللغة، ص180.

(5) - أبو العباس أحمد بن عمّار المهدي: في توجيه القراءات شرح الهداية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1427هـ/2006م ص224.

(6) - أحمد بن أحمد بن محمّد عبد الله الطويل: فنّ الترتيل وعلومه، ج2، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ومكتبة الملك فهد الوطنية للنشر الرياض، السعودية، ط1، 1420هـ/1999م، ص593.

(7) - منصور بن محمّد الغامدي: الصوتيات العربية، ص92.

الصفات أقوى من الأخرى؟.

يجيب "عبد البديع النيرباني" على هذا السؤال فيقول: «واعلم أنّ القوة في الحرف تكون بالجهر وبالشدّة وبالإطباق والتفخيم والتكرير وبالاستعلاء وبالصفير وبالاستطالة وبالغنة وبالتفشي (...).، فهذه الصفات يقوى الحرف وبعدها يضعف، وكلّما تكررت فيه الصفة القويّة كان أقوى للحرف، وكذلك إذا تكررت في الحرف الصفة الضعيفة كان أضعف»⁽¹⁾.

ويمكن في الأخير أن نقسم الأصوات العربية من حيث قوتها وضعفها وتوسطها إلى الأقسام التالية⁽²⁾:

- 1 - الأصوات الأقوى: الطاء، الضاد، الظاء والقاف من حيث الإنجاز والصفة.
 - 2 - الأصوات القوية: الجيم، الدال، الصاد، الغين، الراء والزاي من حيث الانجاز والصفة.
 - 3 - الأصوات المتوسطة الصفات والإنجاز: الهمزة، الألف، الباء، التاء، الخاء، الذال، العين والكاف.
 - 4 - الأصوات الضعيفة: السين، الشين، اللام، الواو والياء.
 - 5 - الأصوات الأضعف صفة وإنجازاً: التاء، الخاء، النون، الميم، الفاء والهاء.
- ولأنّ المجال ضيق لا يتسع لتطبيق جميع هذه الصفات (الصفات غير المتضادة) على سورة المائدة، ارتأيت أن أكتفي بصفة واحدة وهي صفة القلقلة.

✓ تطبيقات حول ظاهرة القلقلة في سورة المائدة:

قمنا بدراسة إحصائية لصفة القلقلة في سورة المائدة، سواء حدثت هذه الصفة من خلال الوقف أو حال الوصل، وسنلخص في الجدول أسفله هذه الدراسة، ولكن من خلال اختيار بعض مواضع هذه الصفة على مستوى السورة الكريمة وذلك لكثرتها؛ فلا يمكن في هذا البحث استيعاب جميع هذه الحالات:

الحرف المقلقل	عدد دورانه في سورة المائدة	نسبة دورانه	بعض نماذجه من سورة المائدة	موقع الحرف المقلقل من الكلمة	نوع القلقلة	درجة القلقلة
			﴿ذَالِكُمْ يَسْئَلُ﴾/4، حال الوقف على القاف بالسكون لا الوصل.	متطوّفاً	كبرى	أوسطها

(1) - عبد البديع النيرباني: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سورية، ط1، 1427هـ/2006م ص88.

(2) - عبد الجليل غزّالة: اللسانيات والإسلام والثقافة الأفريقية، ص83.

الفصل الثاني: مخارج الحروف وصفاتها المميزة

أقلها	صغرى	وسطاً	﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾/9	17,39 %	32 مرة	القاف
أقلها	صغرى	وسطاً	﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾/68			
أقواها	كبيرة	متطرفاً	﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾/85، حال الوقف على القاف المشددة.			
أقلها	صغرى	وسطاً	﴿وَيُقْسِمَنَ بِاللَّهِ﴾/108.			
أوسطها	كبيرة	متطرفاً	﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَايِبِ﴾/7، حال الوقف على القاف بالسكون لا الوصل.	9,24 %	17 مرة	الطاء
أوسطها	كبيرة	متطرفاً	﴿شُهَدَاءَ بِالْفِسْطِ﴾/9، حال الوقف على الطاء بالسكون لا الوصل.			
أقلها	صغرى	وسطاً	﴿لَيْسَ بِسَطِّ إِلَى يَدِكَ لِتَفْتَانِي﴾/30.			
أقلها	صغرى	وسطاً	﴿وَنَنْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا﴾/86.			
أقلها	صغرى	وسطاً	﴿وَتَطْمِئِنُّ فُلُوبُنَا﴾/115.			
أوسطها	كبيرة	متطرفاً	﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾/3، حال الوقف على الباء بالسكون لا الوصل.	37,50 %	69 مرة	الباء
أوسطها	كبيرة	متطرفاً	﴿مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾/16، حال الوقف على الباء بالسكون لا الوصل.			
أقلها	صغرى	وسطاً	﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾/20.			
أقلها	صغرى	وسطاً	﴿وَتُبْرِكُ الْأَكْمَةُ وَالْأَبْرَصَ﴾/112.			
أوسطها	كبيرة	متطرفاً	﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾/118، حال الوقف على الباء بالسكون لا الوصل.			
أقلها	صغرى	وسطاً	﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾/10.	5,43 %	10 مرات	الجيم
أقلها	صغرى	وسطاً	﴿مِنَ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا﴾/34.			
أقلها	صغرى	وسطاً	﴿رِجْسٍ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾/92.			
أقلها	صغرى	وسطاً	﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾/111.			

الخصوص قد ورد في جميع حالاته قبل الآية (40) وبعد الآية (72) فقط، ويمكن تفسير هذا التباين والطغيان: يكون أغلب أحكام التحليل والتحريم، ومواطن الافتراءات والإدعاءات الباطلة على الله عزّ وجلّ وأنبيائه كـ"عيسى بن مريم"، ومواطن التهديد والوعيد والترهيب والأوامر والنواهي والنداءات قد تركزت خلال هذه الآيات المذكورة، وكلّها مواضع تتناسب مع قوة صفة القلقلّة.

4 - من خلال الجدول السابق يتبيّن أنّ عدد مواضع القلقلّة في سورة المائدة هو: 184 موضعا.

5 - جميع حروف القلقلّة وردت في هذه السورة، ولكن بدرجات متفاوتة كما هو موضح في الجدول أعلاه، غير أنّ صوت الباء قد عرف سيطرة وطغيانا أكثر من غيره من الأصوات المقلقلّة، ويمكن تفسير هذا الطغيان: بأنّ صوت "الباء" يدلّ على: «بلوغ المعنى في الشيء بلوغا تاما...»⁽¹⁾.

فالعقابُ مثلا عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾/3، حال الوقف على "الباء" واقع على كلّ نفس تعدّت حدود الله، واستحلّت لنفسها ما حرّمه الله عليها.

والقلقلّة في "مَبْسُوطَاتًا" عند قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾/66؛ فـ "الباء" المقلقل هنا يدلّ على بلوغ سعة وفضل الله عزّ وجلّ في نعمته ورزقه بلوغا تاما، فهو وحده مُقسّم الأرزاق والنعم.

كما أنّ القلقلّة في "تُبْرِي" عند قوله تعالى: ﴿وَتُبْرِي الْأَكْمَةَ﴾/112؛ فـ "الباء" المقلقل هنا يدلّ على بلوغ قدرته عزّ وجلّ في الشفاء بلوغا تاما لا شك ولا ريب فيه.

وقس على ذلك في جميع حالات "الباء" المقلقل في سورة المائدة.

6 - وقوع القلقلّة وسطا أكثر من وقوعها طرفا؛ وقعت وسطا حسب ما أسفرت عليه نتائج الدراسة الإحصائية: 137 مرّة وذلك بنسبة: 74,46%، ومتطرّفة: 47 مرّة بنسبة: 25,54%، ووقوعها صغرى أكثر من وقوعها كبرى، ووقوعها في أقلّ درجاتها أكثر من وقوعها في أوسطها وأقواها. من خلال هذا الكلام يمكن أن نتحصّل

على المعادلة التالية:

$$\boxed{\text{وسطا} = \text{صغرى} = \text{أقلّ درجاتها} = 137}$$

ومعنى هذه المعادلة: أنّ القلقلّة حينما تكون وسطا لا تكون إلّا صغرى (137=137)، أمّا حينما تكون متطرّفة لا تكون إلّا كبرى (47=47). وأمّا عن درجاتها فأقلّها أكثر من أوسطها وأقواها - كما أسلفنا - لأنّها حينما تكون صغرى لا تكون إلّا في أقلّ درجاتها (عدد حالات أقلّ درجاتها هو: 137 بنسبة: 74,46%)، أمّا

(1) - تحسين عبد الرضا الوّازن: الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، ص188.

حينما تكون كبرى؛ فإما أن تكون [وسطا(42 مرة في سورة المائدة) أو أقوى(5 مرّات في سورة المائدة)] بنسبة 25,54%؛ ففُسِّمَت القلقلة الكبرى (أي 47 مرّة) على قسمين: 42 حالة وسطا و5 حالات للأقوى، ثمّ إنّ العجيب في الأمر أنّ الأقوى في الدرجة كانت في كلّ حالاتها "وقفا"، وعلى حرف واحد وهو: "القاف"، وفي كلمة واحدة وهي "الحقّ" المشدّدة.

7 - يلاحظ كذلك من خلال الجدول السابق أنّ حرف "الجيم" لم يقع إلّا وسط الكلمة، وهذا يعني أنّ القلقلة فيه صغرى لا كبرى، وأما عن درجة القلقلة فيه فهي مقتصرة على أقلّ درجاتها فقط.

* القلقلة: الأداء والدلالة

إنّ العلاقة وطيدة بين أداء القلقلة وفق أحكام التلاوة ودلالاتها المقصودة؛ فالنبر(*) الذي يظهر لأصوات القلقلة حين النطق بما يعدّ زيادة في بنية الكلمة، وهذه الزيادة في المبنى تستدعي بالضرورة زيادة في المعنى، استنادا إلى القاعدة اللغوية المشهورة، وبعبارة أخرى: «إنّ هذا النبر الذي يضاف إلى أصوات القلقلة يدلّ على قيمتها الصوتية الزائدة عن مثيلاتها من أصوات اللغة، فهذا الصوّيت يضيف إليها مدّة زمنية في نصف صوت، فضلا عن خاصيتها الانفجارية»⁽¹⁾.

كثرت مواضع القلقلة في سورة المائدة، ولا يسعنا في هذا البحث استيعاب كلّ هذه المواضع، ولأجل ذلك اخترنا بعضها محولين إبراز مدى علاقة الأداء بالدلالة في تلاوة النص القرآني (سورة المائدة):

❖ قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَزْدَدُ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾/56.

وقعت القلقلة في هذه الآية في كلمة "يَزْدَدُ"، مع حرف "الدال" المتطرف؛ وهي هنا تدلّ على معنى الحركة والتحوّل والانتقال من حال إلى حال مخالف للأول ومغاير له وهو: الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان، وقد تدلّ القلقلة هنا أيضا على عدم الاستقرار على حال واحد، إذ يمكن إسقاط الكلمة على من كانوا كافرين ثمّ أسلموا بعد كفرهم ثمّ ارتدوا وعادوا إلى الكفر مرّة أخرى. يقول "خالد قاسم بني دومي" في هذا السياق: «إنّ القلقلة في

(*) - مصطلح يدلّ على الضغط على مقطع صوتي معين، أو كلمة معيّنة، أو جملة معيّنة، قصد إبرازها والتأكيد عليها، وسيتمّ التفصيل فيه حال الحديث عن الظواهر السياقية (فوق التركيبية).

(1) - خالد قاسم بني دومي: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، وجدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن ط1، 1427هـ / 2006م، ص134.

"يَرْتَدِدُ" توحى بالمحاولة والحركة وتكلف الارتداد وإكراه النفس عليه، وهي أمور يتميز بها الكفار⁽¹⁾.

وفي الكلمة فكٌ للإدغام - على مقرأ الإمام "ورش" - وهذا ما يزيد الكلمة تفلقلا وحركة وجهرا.

ونشير هنا أيضا إلى أنّ كلمة "يَرْتَدِدُ" في الآية السابقة فيها قلقلة كبرى، وتكرارٌ لحرف "الذال"، ممّا يوحي بأنّ "الارتداد" عن الإسلام قد يكون فيه تكرار، وهذا من شأنه أن يوسّع دائرة الكفر، يقول: "محمد شملول" مشيرا إلى هذه الفكرة: «القلقلة وخاصة الكبرى تعطي معنى واسع للكلمة؛ لأنّ الكلمة تعتبر كأنّها زادت حروفها حرفا أو تعطي تأكيدا للكلمة؛ لأنّ تكرار الحرف يؤكّد المعنى، وذلك حسب السياق»⁽²⁾.

❖ قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾/79، في الآية قلقلة كبرى في كلمة "الحق" مع صوت "القاف" حال الوقف عليه، والقلقلة هنا في أقوى درجاتها؛ لأنّ الحرف المقلقل الموقوف عليه وقع متطرّفا ومشدّدا، وكلّ هذه الأمور توحى بشيء من القوّة؛ فالقلقلة في هذه الآية تدلّ على خروج أهل الكتاب عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال، وفي هذا الخروج حركة واضطراب وانتقال من حال إلى حال؛ فأهل الكتاب "تجاوزوا الحدّ في اتّباع الحق" (*)، كماخرجهم للمسيح "عيسى بن مريم" من حيّز النبوة إلى مقام الألوهية، وجعله إلهًا من دون الله اقتداءً بأسلافهم الذين ضلّوا من قبلهم؛ فجمعوا بذلك بين الضلال وبين الإضلال.

❖ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْجَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾/92. وقعت القلقلة في هذه الآية عند حرف واحد وهو "الجيم" في موضعين اثنين هما: كلمة "رِجْسٌ" والقلقلة فيها صغرى، وكلمة "فَاجْتَنِبُوهُ" والقلقلة فيها صغرى أيضا، وفي كلاهما اضطراب وحركة وتحوّل من حال إلى آخر؛ ففي الرجس تحوّل من طهارة إلى نجاسة، وهو من عمل الشيطان الذي يغوي النفس البشرية ويجدّتها على تعاطي الخمر ولعب الميسر كي يشغل العقل ويذر المال فيما لا يرضي الله تعالى، وبذلك يحوّل النفس من نفس طيّبة عفيفة طاهرة زكيّة ونقيّة، إلى نفس خبيثة قدرّة ونجسة. كذلك كلمة "فَاجْتَنِبُوهُ" فهي فعل أمر يدلّ على معنى التحوّل من شيء إلى آخر، وهو هنا يوحي بدلالة الترك والابتعاد عن

(1) - خالد قاسم بني دومي: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص180.

(2) - محمد شملول: إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، تقلم: على جمعة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1 1427هـ/2006م، ص214.

(*) - قال الإمام "القرطبي" في سياق حديثه عن إفراط أهل الكتاب في سيدنا "عيسى" عليه السلام: «غُلُوُّ اليهود قولهم في عيسى: ليس وُلْدَ رَشْدَةٍ (وُلْدُ زَنًا)، وغُلُوُّ النصارى قولهم: إنّه إله». ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان، ج8، ص103.

الخمر والميسر والأنصاب والأزلام؛ ففي الاجتناب دعوة الإنسان إلى الانتهاء عن فعل شيء ما، دأومَ على فعله والقيام به.

❖ قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾/96. يقول: "خالد قاسم بني دومي": «إنّ الأداء الصّحيح لقوله تعالى "لنبلوكم" وفق ما يقتضيه حكم القلقلة يوحي بأنّ هذا الابتلاء ليس ابتلاءً محضاً، بل ابتلاءً مشفوعاً بالطف والرحمة، فالذي يظهر من نطقها أنّها تأتي بمثابة تنفيس أو تخفيف للابتلاء، وهذه الدلالة لم تكن لتتحقق لولا النبر المصاحب لنطق الباء في الكلمة، وهي دلالة تصدق على جميع ألفاظ الابتلاء الواردة في القرآن الكريم»⁽¹⁾.

ويمكن أن نسقط هذا الكلام على كلمة "يَبْلُوكُمْ" الواقعة في الآية السابقة من سورة المائدة كما يلي:

إنّ الابتلاء في الآية مقتصر على الشيء القليل لا الكثير، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَشْتَعِي مِّنَ الصَّيْدِ﴾ وبذلك تكون هذه المحنة يسيرة، تخفيفاً منه سبحانه وتعالى ولطفاً بعباده، ويكمن موضع هذا الابتلاء في قدرة هؤلاء المخرمون على تناول الصيد: صغيره ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾ وكبيره ﴿رِمَاحُكُمْ﴾ بكلّ سهولة ويسر؛ لأنّه إذا أصبح غير مقدور عليه بيدي ولا برُمح، فلا يبقى لهذا الابتلاء حينها أية قيمة أو فائدة. ثمّ إنّ النبر الذي يظهر في صوت "الباء" الساكن في كلمة "يَبْلُوكُمْ" يترتب عليه مدّة زمنية أطول، ويمكن تفسير ذلك حسب سياق هذه الآية بامتداد هذا الابتلاء على طول مدّة وجود الإنسان وهو محرماً في الحجّ.

❖ قال الله تعالى: ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ﴾/112، حيث وقعت القلقلة هنا في موضعين مع حرف واحد وهو "الباء"، وفي كلاهما تدلّ على معنى التحوّل والانتقال من حال إلى حال، ففي الإبراء تحوّل من: مرض أو علة ما إلى شفاء وصحة، وهي من معجزات الله تعالى التي أظهرها على يد سيّدنا "عيسى" عليه السلام حيث امتنّ عليه بأية عظيمة، وهي إبراء الأكمه وهو الأعمى حلقةً المطموس البصر، فيشفيه بأن يعيد له بصره بقدرته وجلاله، وإبراء الأبرص وهو: من ظهر ببدنه بياض لفساد مزاجه، فيشفيه من هذا المرض بإذنه تعالى ومشيتته.

❖ يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ فُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾/115.

(1) - خالد قاسم بني دومي: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص 135.

وقعت القلقلة في هذه الآية في ثلاثة مواطن، "الطاء" في كلمة "تَطْمِئْنَ" "الذال" في "قَدْ" و"القاف" في "صَدَقْتَنَا"، فأما كلمة "تَطْمِئْنَ" فالقلقلة فيها صغرى تدلّ على معنى التحوّل والاضطراب، فرغم ظهور البيّنات والمعجزات ظلّ الطلب مستمرّاً حتى يؤمن المستعدّ للإيمان؛ وفي ذلك تحوّل من كفر إلى إيمان أو يزداد الذين آمنوا إيماناً؛ وفي ذلك تحوّل من الإيمان إلى ما هو أشدّ وأبلغ منه إيماناً.

أما "الذال" في "قَدْ" فهو موضع النبر، ودلالته هنا التأكيد مطلقاً. وأما "القاف" في كلمة "صدقتنا" ففيها قلقلة صغرى أيضاً، وهي تحيل على معنى التحوّل والاضطراب، ومعنى الكلمة أنّ في النفس والقلب شكّ وريب، ولا بدّ من معجزة خارقة - معجزة المائدة - تُحوّل هذا الشكّ إلى يقين، وكأنّ تقدير الكلام هو: "ونعلم علماً يقينياً أنّك قد صدقتنا في دعواك النبوة، فزداد إيماناً بك وعلماً برسالتك، ونكون من الشاهدين لك بها ولله بوحدايته.

المطلب الثاني: الصفات الصوتية العرضية

إنّ الصفات العرضية كما ذكرنا هي تلك الصفات التي قد يكتسبها الحرف في سياق كلامي ما ويفقدها في سياق آخر؛ بمعنى أنّ هذه الصفات غير ثابتة في الحرف، وهو إمّا يكتسبها حينما يكون بمحاذاة حرف معيّن أو حركة معيّنة أو كلاهما معاً، ما إن يحدث تغيير في هذا الحرف أو تلك الحركة أو كلاهما حتّى تسقط منه صفته العرضية، ويمكن أن نستدلّ على هذا النوع: بأحكام النون الساكنة والتنوين، وكذا أحكام الميم الساكنة، إضافة إلى هذه الصفات هناك صفة أخرى لا تقلّ أهميّة عن هذه الصفات المذكورة، ألا وهي صفة "التفخيم والترقيق"، فكثير من العلماء واللغويين يدرجون مبحث "التفخيم والترقيق" ضمن الصفات الصوتية المتضادة وآخرون يدرجونه ضمن الظواهر الصوتية الوظيفية، وفي الحقيقة إنّ: "التفخيم والترقيق" صفتان صوتيتان متضادتان، وهما في الوقت ذاته ظاهرتان فونولوجيتان، ولأجل ذلك فإنّه تمّ تأجيل هذا المبحث ضمن الظواهر الصوتية.

أولاً: أحكام النون الساكنة والتنوين

قبل التعرّض لأحكام "النون الساكنة" و"التنوين" الخاصة بتلاوة آيات القرآن الكريم، لابدّ من وقفة سريعة على تعريف كلّ من "النون الساكنة" و"التنوين"، وأبرز الفروق القائمة بينهما:

* **النون الساكنة:** هي: «النون الخالية من الحركة، ويتوقف النطق بها على حسب الحرف الآتي بعدها»⁽¹⁾.

* **التنوين:** هو: «نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم لفظاً ووصلاً، وتفارقه في الخطّ والوقف، وعلامته: الضمّتان

(1) - حسام الدّين سليم الكيلاني: البيان في أحكام تجويد القرآن، دون دار النشر، السعودية، دط، 1419هـ/ 1999م، ص60.

أو الفتحان أو الكسرتان»⁽¹⁾.

وأما الفرق بين النون الساكنة والتنوين فيوضحه الجدول التالي⁽²⁾:

الفرق	النون الساكنة	التنوين
الأول	حرف أصلي، تثبت لفظاً وخطاً	زائد عن الأصل، يثبت لفظاً دون الخط
الثاني	تثبت وصلاً ووقفاً	يثبت في الوصل دون الوقف
الثالث	تأتي في الأسماء والأفعال والحروف	لا يكون إلا في الأسماء
الرابع	تكون متوسطة ومتطرفة في الكلمة	لا يأتي إلا في آخر الكلمة (متطرفاً فقط)
الخامس	أحكامها تأتي في كلمة أو كلمتين	أحكامه لا تأتي إلا في كلمتين

ويختصر لنا "ابن جزري" أحكام الحروف المهجائية مع "النون الساكنة" و"التنوين" في النظم التالي⁽³⁾:

وَحُكْمُ تَنْوِينٍ وَتُونٍ يُلْقَى
 إِظْهَارٌ، إِدْغَامٌ، وَقَلْبٌ، إِخْفَا
 فَعِنْدَ حَرْفِ الْخَلْقِ أَظْهَرُ، وَأَدْغِمُ
 فِي اللَّامِ وَالرَّاءِ لَا بَعْنَةَ لَزِمُ
 وَأَدْغِمُنْ بَعْنَةً فِي: يُومُنُ
 وَالْقَلْبُ عِنْدَ الْبَاءِ بَعْنَةٌ، كَذَا
 إِخْفَا لَدَى بَاقِي الْحُرُوفِ أُخْدَا.

إذن فقد حدّد "ابن جزري" من خلال هذه الأبيات الأربعة: الأحكام الأربعة الخاصة بالنون الساكنة والتنوين، كما بيّن الحروف الخاصة بكلّ حكم، وبيّن ما ينقسم من هذه الأحكام، وما تلحقه الغنة منها وما لا تلحقه، وإليك الآن تفصيل ذلك:

1 - الإظهار:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في تفسير مادة "ظَهَرَ": «ظَهَرَ الشَّيْءُ ظُهُورًا: تَبَيَّنَ وَبَرَزَ بَعْدَ الْخَفَاءِ، وَعَلَى الْحَائِطِ وَنَحْوِهِ: عَلَاهُ، وَعَلَى الْأَمْرِ: اطَّلَعَ (...)، وَالظُّهُرُ: خِلَافُ الْبَطْنِ...»⁽⁴⁾.

فالإظهار في معناه اللغوي يحيل على الوضوح والبيان والجلال.

(1) - حسام الدين سليم الكيلاني: البيان في أحكام تجويد القرآن، ص 60.

(2) - ينظر: أحمد محمود عبد السميع الشافعي: الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم في القراءات السبع، ص 28، وسعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص 170.

(3) - ابن جزري: منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، ص 7.

(4) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة "ظَهَرَ".

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

الإظهار هو: «إخراج كلّ حرف من مخرجه من غير غنة في الحرف المظهر، وذلك إذا جاء بعدهما - أي النون الساكنة أو التنوين - أحد هذه الأحرف الستة (أ، هـ، ع، ح، غ، خ)، وتسمّى حروف الحلق لأنّها تخرج منه، وهذه الحروف الستة مجموعة في أوائل هذه الكلمات: أخي هاك علما حازه غير خاسر»⁽¹⁾.
فواضح من خلال هذا التعريف أنّ الإظهار إنّما سمّي كذلك لظهور النون الساكنة أو التنوين عند ملاقاته أحد هذه الحروف الستة، أمّا تسميته بالحلقّي لكون جميع حروفه تخرج من مخرج واحد وهو: "الحلق"، سواء أكان ذلك من أقصاه أو من وسطه أو من أدناه.

ج/ علة الإظهار:

قال العلماء أنّ العلة في إظهار "النون الساكنة" و"التنوين" عند ملاقاته هذه الأحرف هي: «بُعْدُ مَخْرَجِ النون والتنوين عن مخرجها؛ لأنّ النون والتنوين يخرجان من طرف اللسان، والحروف الستة تخرج من الحلق، اثنان من أقصاه، واثنان من وسطه، واثنان من أدناه، فليس بين النون الساكنة والتنوين وبين هذه الأحرف تقارب أو تجانس حتّى يسوغ إدغامهما، أو إخفاءهما عندهما، فوجب حينئذ إظهارهما عند ملاقاته هذه الأحرف»⁽²⁾.
فبعد المخرج بين "النون الساكنة" و"التنوين"، وبين الحروف الحلقية المجاورة لها يدعو إلى النطق بهما مظهرتان من غير إدغام أو إخفاء يكون هنالك.

د/ كفيته:

يكون الإظهار بالنون الساكنة أو التنوين نطقاً واضحاً من غير غنة ظاهرة، بدون فصل أو سكت مع إعطائها زمناً متوسطاً بين الشدّة وبين الرخاوة⁽³⁾.

هـ/ مراتب الإظهار:

مراتب الإظهار ثلاثة وهي: «عليها عند "الهمزة" و"الهاء"، ووسطى عند "العين" و"الحاء"، ودنيا عند "الغين" و"الخاء"»⁽⁴⁾، شأنها في ذلك شأن أقسام الحلق الثلاثة.

(1) - محمد محمود عبد الله: كيف تجوّد القرآن العظيم أوضح البيان في أحكام تلاوة القرآن، ص 18.

(2) - محمود خليل الحصري: أحكام قراءة القرآن الكريم، ص 171.

(3) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص 173.

(4) - محمود خليل الحصري: المرجع السابق، ص س.

ملاحظات:

1 - إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين: "همزة"، فإنّ الإمام "ورش" رحمه الله ينقل حركة "الهمزة" إلى الساكن قبلها؛ أي إلى النون الساكنة أو التنوين، فيزول بذلك سكوتها وهذا ما يعرف بالنقل، والذي سيتمّ التفصيل فيه عند الأحكام المتعلقة بظاهرة الهمز إن شاء الله تعالى.

2 - تقع "النون الساكنة" مع حروف الإظهار في كلمة واحدة وفي كلمتين، أمّا التنوين مع حروف الإظهار فلا يكون إلا في كلمتين⁽¹⁾.

✓ تطبيقات الإظهار الحلقي في سورة المائدة:

كان للإظهار الحلقي في سورة المائدة دورانا كبيرا، قمنا بدراسة إحصائية له على مستوى هذه السورة، وفي الجدول التالي بياناً لهذه الدراسة، ونظرا لكثرة نماذجه في سورة المائدة فلا يمكن لهذا البحث أن يتّسع لجميعها، ولأجل ذلك ارتأينا أن نختار بعضها كما هو موضّح في الجدول أسفله:

نسبة دورانه	عدد مرّات دورانه	مرتبة الإظهار الحلقي	موضعه		بعض نماذج الإظهار الحلقي في سورة المائدة	الحرف المظهر
			في كلمتين مع			
			التنوين	النون الساكنة		
%35,72	35 مرة	يا		×	﴿لَانَ آرَادَ﴾/19.	الهمزة
			×		﴿عَدَابُ أَلِيمٍ﴾/38، 75، 96.	
			×		﴿أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ أَقْبَلًا﴾/76 حال الوصل لا الوقف.	
				×	﴿مِنَ أَوْسَطٍ﴾/91.	
				×	﴿أَنْ أَقُولَ﴾/118.	
%33,67	33 مرة	علي		×	﴿الْأَنْهَرُ﴾/13، 87، 121.	الهاء
				×	﴿مِّنْهُ﴾/7، 97.	
				×	﴿عَنْهُمْ﴾/14، 44، 121.	

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 63، 64.

الفصل الثاني: مخارج الحروف وصفاتها المميزة

					x	﴿يَنْهَيْهِمْ﴾/65.		
				x		﴿إِنْ هَذَا﴾/112.		
68مرة		عدد مرّات دورانها	الممرّات الأولى					
69,39%		نسبة دورانها						
18,37%	18 مرّة	وسطى			x	﴿الْأَنْعَمُ﴾/2.	العين	
			x			﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾/28.		
				x		﴿مِنْ عَذَابٍ﴾/38.		
			x			﴿مَثُوبَةً عِنْدَ﴾/62.		
				x		﴿فَبِإِنْ عَثِرَ﴾/109.		
6,12%	6 مرّات	وسطى		x		﴿مِنْ حَرَجٍ﴾/7.	الحاء	
			x			﴿قَرَضًا حَسَنًا﴾/14.		
				x		﴿وَإِنْ حَكَمْتَ﴾/44.		
			x			﴿شَعْنٍ حَتَّى﴾/70.		
			x			﴿عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾/103.		
24مرة		عدد مرّات دورانها	الممرّات الثانية					
24,49%		نسبة دورانها						
3,06%	3 مرّات	ذيا	x			﴿مَخْمَصَةٍ غَيْرَ﴾/4.	الغين	
			x			﴿مَعْلُولَةٌ غَلَّتْ﴾/66.		
				x		﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾/108.		
3,06%	3 مرّات	ذيا			x	﴿وَالْمُنْحَنِفَةُ﴾/4.	الحاء	
				x		﴿مِمَّنْ خَلَقَ﴾/20.		

				x		﴿مِنْ خَلْفِي﴾/35.	
6 مرّات	عدد مرّات دورانها	المرتبة الثالثة					
%6,12	نسبة دورانها						

ملاحظات هامشية:

1 - عدد مرّات ورود الإظهار الحلقي في سورة المائدة هو: 98 مرّة، حيث وُجِدَت جميع حروفه في هذه السورة ولكن بدرجات متفاوتة، كما وضّحته العملية الإحصائية المبين نتائجها في الجدول أعلاه.

2 - اجتمع في "الهمزة" وهي إحدى حروف الإظهار الحلقي في جميع حالات ورودها في سورة المائدة حكمان عند الإمام "ورش" رحمه الله، وهما: الإظهار الحلقي والنقل؛ لكون الحرف السابق للهمز سكون، وهو هنا لا يخرج عن إحدى اثنتين: النون الساكنة أو التنوين بإحدى الحركات الثلاث؛ إذن فقد حدث نقل حركة الهمز إلى النون الساكنة أو التنوين، ولأجل ذلك رسمت في المصحف متحرّكة عند مجاورتها للهمز (همزة القطع لا الوصل).

3 - يبدو من خلال إحصاء حروف الإظهار الحلقي في سورة المائدة دال على قوّة مضمون السورة الكريمة؛ وذلك لكثرة دوران الحروف الأقوى إظهاراً من غيرها (الهمزة والهاء) كما رأينا من خلال الجدول، بل إنّ مرتبة الإظهار العليا هي التي سيطرت على بقية المراتب الأخرى.

فـ"الهمزة" تدلّ على معنى «الجوفية، وما هو وعاء للمعنى»⁽¹⁾، وفي ذلك ما يتناسب مع طغيان "الهمزة" في سورة المائدة، ويمكن تفسير ذلك: بأنّ قلوب الكفار والمنافقين جوفاء خالية من الإيمان بالله تعالى، والدليل على ذلك أنّه سبحانه وتعالى كلّما أظهر لهم على يد نبيّ من أنبيائه معجزة أو آية استنكروها وطالبوا بأخرى، وما يزيد هذا المعنى تأكيداً ما يشير إليه صوت "الهاء"، الذي شهد هو الآخر سيطرة واضحة إلى جانب "الهمزة" على مستوى السورة الكريمة، إذ يدلّ على معنى «التلاشي أو على تمكّن المعنى تمكناً تَظَهَّرُ»⁽²⁾؛ فقلوب هؤلاء ميّنة متلاشية لا تؤثر فيها آية، ولا تستميلها معجزة!؟

4 - نشير إلى ظاهرة صوتية مهمّة وقعت في سورة المائدة، والتبست مع ظاهرة الإظهار الحقيقي (الحلقي) وهي: نقل "ورش" لحركة همزة الوصل إلى النون الساكنة أو التنوين قبلها، وهذا في الحقيقة ليس إظهاراً لأنّ هذا الأخير

(1) - تحسين عبد الرضا الوّزان: الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، ص188.

(2) - المرجع نفسه، 189.

إثما يحدث مع همزة القطع لا مع همزة الوصل، ومن أمثله في سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿مَسٍ إِتْبَعَ﴾/18

﴿بِمَسٍ إِبْتَدَى﴾/96، ﴿عَلِيمٌ﴾/100 حال الوصل، ﴿إِنْ إِرْتَبْتُمْ﴾/108،... الخ.

5 - من خلال العملية الإحصائية والجدول أعلاه يتبين لنا أنّ كلّ من: "الهمزة" و"الحاء" و"العين" لم تقع في سورة المائدة مع النون الساكنة في كلمة واحدة، بل وقعت في جميع حالاتها في كلمتين مع النون الساكنة أو مع التنوين، على عكس باقي الحروف التي وقعت في كلمة واحدة وفي كلمتين سواء مع النون الساكنة أم مع التنوين.

الإظهار الحلقي: الأداء والدلالة:

سنكتفي في هذا المقام بإيراد بعض الأمثلة - نظرا لكثرتها وضيق مساحة البحث - من أجل إبراز علاقة الأداء القرآني لهذه الظاهرة الصوتية بدلالته داخل السياق القرآني (سورة المائدة) كما يلي:

❖ قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكَ أَلْمِيَّةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ

وَالْمُنْحَنِفَةُ﴾. الإظهار الحلقي هنا في كلمة واحدة وهي كلمة "المنحنقة"، وذلك مع النون الساكنة المتلوة بحرف "الحاء" المظهر، ولعلّ للإظهار الصوتي هنا نصيب من اسمه في الدلالة، فالمنحنقة هي البهيمة التي ظهر عليها أثر الخنق والذي دعا إلى موتها، فدخلت بذلك دائرة التحريم؛ بغض النظر - طبعا - عن سبب الخنق، إن كان متعمدا عن قصد أو بشكل غير إرادي، وبغض النظر إن كان هذا الخنق صادر عن إنسان ما، أو أنّه صادر عن البهيمة ذاتها كأن تخنق إمّا في وثاقها، أو أن تُدخَلَ رأسها في الموضع الذي لا تقدر على التخلص منه فتختنق حتى الموت.

وبالعودة إلى الآية ذاتها يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿بِمَسٍ اضْطُرَّ بِ مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ

عَاقِبُورٌ رَّحِيمٌ﴾/4. حيث وقع الإظهار الحلقي هنا في كلمتين: "مخمصة غير"، وذلك مع التنوين المتبوع بحرف

"الغين" المظهر، ويمكن تفسير دلالة الإظهار في هذا السياق بخلوه من الغنة أثناء أدائه؛ فعدم وجود الغنة التي تستغرق مدّة معيّنة توحى بعدم وجود مسافة زمنية، أو أنّ الأمر يتمّ فوراً وعلى وجه السرعة، فسلسلة المحرّمات الواردة في هذه الآية قد استثنيت من تحريمها من أصابته المجاعة، وفي هذه الحالة تدعوه الضرورة إلى الإسراع والتعجيل في أكلها على ألا تكون في نفسه ملدّة أو رغبة في تناولها، وتكمن الحكمة في إسقاط حكم التحريم على من أصابته المجاعة خشية أن يصيبه الضرر، أو أن يساهم في قتل النفس التي حرّم الله قتلها بسبب الجوع، فسبحانه وتعالى يعلم حاجة عبده المضطر وافتقاره إلى ذلك، فيتجاوز عنه ويغفر له.

❖ قال الله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾/7.

لا توجد مسافة أو غنة بين كلمة "مِنْ" وكلمة "حَرَجٍ" في الآية السابقة، لأنّ بعد النون الساكنة حرف من حروف الخلق وهو "الحاء"، وهذا يدلّ على وضوح رخص الله تعالى وجلالتها، ممّا يُغني الإنسان عن قطع مدّة يفكّر فيها ماذا سيفعل وبما سيقوم، فالله سبحانه وتعالى لا يريد أن يجعل أو أن يُظهر على عباده فيما شرعه لهم من رخص وأحكام أدنى ضيق وأقلّ مشقّة، لأنّه تعالى غنيّ عنهم رحيم بهم، فلا يشرع لهم إلّا ما فيه الخير والمنفعة.

❖ قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَزْدِيدُ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ بَسُوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُ؛ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ

غَلِيْمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ﴾/56. ورد "الإظهار الحلقي" في هذه الآية في

ثلاث مواضع كلّها توحى بمعنى الاتّصال وعدم الانفصال، وها هو "محمد شملول" يوضّح هذا المعنى ويؤكّد ما

ذهبنا إليه فيقول: «عدم وجود الغنة في الإظهار وهي التي تستغرق مدّة من التلاوة يعني أنّ الأمر يأتي بدون

زمن؛ أي بسرعة فائقة، ممّا يفسّر أنّ هذه الكلمة والكلمة التي تليها ملتصقتان تماما، ولا يوجد أيّ فاصل

بينهما»⁽¹⁾. فالاتّصال واضح في قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾، فالإظهار هنا

وقع فيه التتوين مع "العين" وهو يدلّ على عدم وجود انفصال أو مسافة زمنية بين التتوين والصوت

الحلقي(العين)، لعدم وجود الغنة التي تتطلّب مدّة من الزمن، وهذا من شأنه أيضا أن يوحى بمعنى التضامن

والتكامل والتآزر ووضع اليد في اليد، فهم قوم أذلة على المؤمنين عاطفين عليهم رحماء بهم، أعزة على الكافرين

أشداء غلاظّ عليهم. يقول الشيخ "السعدي" مفسّرا قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

الْكٰفِرِينَ﴾ وموضحا معنى التضامن والاتّصال فيقول: «فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم ونصحهم لهم ولينهم

ورفقهم وأرأفتهم ورحمتهم بهم، وسهولة جانبهم وقرب الشيء الذي يطلب منهم، وعلى الكافرين بالله المعاندين

لآياته المكذّبين لرسله؛ أعزة قد اجتمعت همهم وعزائمهم على معاداتهم، وبدلوا جهدهم في كلّ سبب يحصل به

الانتصار عليهم»⁽²⁾. وما يقال على هذا المثال ينطبق على قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ﴾

فالإظهار هنا وقع في كلمتين ممّا يوحى بالتصاقهما وفيه إظهار للتتوين عند الـ"العين"، وكلمتي: "واسع" و"عليم"

(1) - محمد شملول: إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، ص203.

(2) - عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان، ص214.

من أسماء الله تعالى، وهي أسماء قطعية لا خلاف ولا انفصال بينها، يقول الشيخ " السعدي " في موضع آخر موضّحاً هذا الكلام: «أي واسع الفضل والإحسان، جزيل المنن، قد عمّت رحمته كلّ شيء، ويوسع على أوليائه من فضله، ما لا يكون لغيرهم لكنّه عليم بمن يستحقّ الفضل فيعطيه، فإلله أعلم حيث يجعل رسالته أصلاً وفعراً»⁽¹⁾.

❖ يقول الله عزّ وجلّ في محكم تنزيله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا

إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَبُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾/75.

لا توجد غنة أو مسافة بين النون الساكنة والحرف المظهر "الهمزة" في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ﴾، فهو أمر قطعي؛ أي أنّ الله سبحانه وتعالى ليس متعدّد بل هو وحده لا شريك له؛ إله جميع الكائنات وسائر الموجودات ومن ادّعى أو افتري غير ذلك فله العذاب الأليم من الله تعالى، وهذا ما يؤكّده قوله عزّ وجلّ: ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَبُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، حيث وقع الإظهار هنا في موطنين: النون الساكنة مع "الماء" في كلمة واحدة وهي "منهم"، والتنوين مع "الهمزة" في كلمتين في "عذاب أليم"، وكلاهما يحملان معنى واحد وهو: الفورية والسرعة لعدم وجود الغنة في أدائهما، فلا عذر لذلك المتعدّي بعد النهي الربّاني إلّا الحكم عليه بفورية العذاب الموجه والمؤلم.

❖ قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ

وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ بَمَنْ إِعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ قَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾/94، وقد وقع الإظهار هنا في كلمتين: بين التنوين و"الهمزة" ليدلّ على معنى الالتصاق والسرعة لعدم وجود الغنة، ومعنى ذلك أنّه من تعرّض للصيد بعد هذا الإعلام والتوضيح والإنذار فله عذاب فوري مؤلم وموجع.

❖ قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَفَّا إِثْمًا فَخَارَٰنِ يَفُومَلِٰسٍ مَّفَامَهُمَا﴾/109.

وكما سبقت الإشارة فإنّ للإظهار نصيب من اسمه في تحقيق الدلالة وتحديدّها، حيث وقع هنا في كلمتين: "فإن عُثِرَ"؛ النون الساكنة مع صوت "العين"، وإذا أردنا أن نلتمس معنى الإظهار في هذه الآية لا بدّ من الإحاطة بالسياق التي وقعت فيه؛ فمعنى الآية: أنّه متى ظهر وتحقّق وحصل الاطلاع على أنّ الشهيدين الحالفين استحقّقاً إثمًا بكذبٍ في الشهادة، أو بالخيانة أو بكتمان شيء من التركة في حال ائتمانهما عليها، أو كتمانٍ في

(1) - عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المتان، ص214.

الشهادة، فالواجب حينئذٍ أن تُردَّ اليمين إلى الورثة؛ بأن يقوم رجلان آخران مقامهما من أولياء الميت الوارثين له وهذان الرجلان الوارثان ينبغي أن يكونا من أقرباء الميت؛ بمعنى أنهم يملكون الأولوية والأحقية التامة بإرثه إن لم يمنع من ذلك أي مانع.

❖ قال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾/112.

جاء الإظهار هنا في كلمتين: النون الساكنة مع "الهاء"، ويمكن استظهار دلالة في هذا المقام من خلال تكذيب طائفة من بني إسرائيل للمعجزات التي جاء بها سيدنا "عيسى" عليه السلام، على الرغم من ظهور البراهين ووضوح الأدلة والحجج القاطعة على نبوته ورسالته من الله عزّ وجلّ، إلا أنهم اتهموه بالسحر، وقالوا ما هذه الخوارق والبيّنات التي جئتنا بها إلا سحر ظاهر!.

2 - الإدغام

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في المعجم الوسيط: «الإدغام: إدخال الشيء في الشيء، يقال: أدغم اللّجاء في فم الدّابة، وأدغم الحرف في الحرف (...)، والأدغم: الأسود الأنف، ومن يتكلم قبيل أنفه، ودغم الحُرّ والبرّذ، ودغم الغيث الأرض: غمّرها...»⁽¹⁾. فالإدغام في اللغة هو: الإدخال والمزج، وهو من الألفاظ المتضادة.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يعرّف "الكيلاني" الإدغام مبيّنا مفهومه، أقسامه وحروفه فيقول: «هو إدخال حرف ساكن في حرف متحرك، بحيث يصيران حرفا واحدا مشدّدا، والإدغام قسمين: قسم بغنة وقسم بغير غنة، والإدغام لا يكون إلا من كلمتين، وحروف الإدغام بقسميه ستة مجموعة في أحرف: "يرملون"»⁽²⁾.

إذن فالإدغام لا يحصل إذا كان في كلمة واحدة، ولأجل ذلك فإنّ النون الساكنة لا تُدغم في «الواو والياء إذا اجتمعا في كلمة واحدة، فإن حصل ذلك امتنع الإدغام ويسمى إظهارا مطلقا(شادا)، لعدم تقيده بالحلقي أو الشفوي (...)، ولم يقع في القرآن إلا في أربع كلمات: ﴿الدُّنْيَا﴾ البقرة/85، ﴿صِنَوَان﴾ الرعد/4، ﴿فِنَوَان﴾ الأنعام/99، ﴿بُنَيْس﴾ الصف/4، وتظهر "النون" عند هذين الحرفين لثلا يلتبس بالمضاعف، وهو ما تكرر أحد أصوله مثل: "صَوَان"، "الدُّنْيَا"، فلو أدغمت لما فرّق السامع بين ما أصله النون، وبين ما أصله التضعيف

(1) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة دغم.

(2) - حسام الدين سليم الكلاي: البيان في أحكام تجويد القرآن، ص65.

وكذلك للمحافظة على المعنى، إذ لو أدغمت لأعطيت معنى آخر»⁽¹⁾.

ج/ أصل الإدغام:

الأصل في الإدغام أن يُدخَلُ الحرف الأول الساكن في الثاني المتحرك في المثليين، ويحوّل الأول الساكن إلى لفظ الثاني ويدغم فيه، وقد يكون الأول متحركاً فيسكّن ويدغم في الثاني، وقد يدغم الثاني في الأول في بعض الحالات إلاّ أنّه ليس أصلاً في الإدغام⁽²⁾.

كما أنّ أصل الإدغام أن: «يؤثر الأقوى مخرجا أو صفة في الآخر، فيصبغ عليه بعض الصفات أو كلّها»⁽³⁾.

د/ علّة الإدغام:

يقول "عبد البديع النيرباني" في معرض حديثه عن علّة الإدغام: «إنّ السبب الرئيسي الذي يدعو إلى الإدغام هو التخفيف، لأنّ اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه، ثمّ عاد مرّة أخرى إلى المخرج بعينه ليلفظ بحرف آخر مثله صعب عليه ذلك»⁽⁴⁾.

يفهم من خلال هذا الكلام أنّ علّة الإدغام تكمن في الجنوح نحو التسهيل والتخفيف والنفور من الاستثقال في النطق، ويكون ذلك لضرب من التماثل أو التجانس أو لضرب من التقارب في المخرج الصوتي، وهذا ما سيتمّ التفصيل فيه أكثر خلال الحديث عن أنواع الإدغام من حيث العلّة.

هـ/ كفيته:

يمكن إيجاز كفيته الإدغام في نقطتين أساسيتين هما⁽⁵⁾:

- 1 - إذا كان الحرفان متماثلين^(*)، فيدغم الأوّل في الثاني.
- 2 - أمّا إذا كان متقاربين^(**) أو متجانسين^(***)، فيتمّ قلب الحرف الأوّل حرفاً مماثلاً للثاني، ثمّ يتمّ الإدغام.

(1) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص 175.

(2) - عبد الله بوخلخال: الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط 1420هـ / 2000م، ص 7.

(3) - مختار نويوات ومحمد خان: العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص 41.

(4) - عبد البديع النيرباني: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، ص 103.

(5) - سعاد عبد الحميد: المرجع السابق، ص 176.

(*) - التماثل: اتحاد الحرفين المدغمين خطأ ومخرجا وصفة.

(**) - التجانس: اتحاد الحرفين المدغمين مخرجا واختلافهما صفة، أو العكس.

(***) - التقارب: تقارب الحرفين المدغمين مخرجا أو صفة أو هما معا.

و/ أنواع الإدغام:

يمكن أن نقسّم الإدغام باعتبار ظهور الغنة، وعدمها إلى نوعين أو قسمين:

* الإدغام بغنة:

وهو أن يقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من هذه الأحرف الأربعة والتي هي: "الياء" و"النون" و"الميم" و"الواو" المجموعة في كلمة (ينمو) أو (يومن)، فإذا: «وقع حرف من هذه الأحرف بعد النون الساكنة بشرط أن تكون النون في كلمة، والحرف بعدها في الكلمة التي تليها، أو وقع حرف من هذه الأحرف بعد التنوين ولا يكونان إلاّ في كلمتان، وجب أن تدغم النون والتنوين في هذا الحرف مع الغنة»⁽¹⁾.

ويطلق علماء التجويد على هذا النوع من الإدغام: "الإدغام الناقص"؛ أي الذي «لم يستكمل التشديد لأنّ الغنة منعت من كماله، أو يسمّى بذلك لذهاب الحرف وهو النون والتنوين، وبقاء صفته وهي الغنة»⁽²⁾. أمّا عن سبب إدغام النون الساكنة والتنوين مع هذه الأحرف، فتحصرها الباحثة "سعاد عبد الحميد" في ثلاثة أسباب يتمّ التفصيل فيها لاحقاً إن شاء الله تعالى، وهي⁽³⁾:

1 - التماثل مع "النون".

2 - التجانس مع "الميم" في مخرج الغنة وفي جميع الصفات، وكذا التقارب النسبي في المخرج.

3 - التقارب النسبي مع "الواو" و"الياء" في المخرج، وكذا التقارب في الصفة. فإذا كان الحرفان من عضو واحد، وفصل بينهما مخرج أو أكثر، أو كان من عضوين مختلفين فإنّ المسوغ للإدغام يكون التقارب النسبي.

* الإدغام بغير غنة:

وهو أن يقع بعد النون الساكنة أو التنوين أحد هذين الحرفين: "اللام" و"الراء"، فإذا وقع أحد هذين الحرفين بعد "النون" بشرط أن يكونا في كلمتين، أو بعد التنوين ولا يكونان إلاّ في كلمتين «وجب إدغام النون أو التنوين في اللام والراء إدغاما كاملا بغير غنة، بأن يُبدل كلّ من النون الساكنة أو التنوين لاما ساكنة عند اللام وراء ساكنة عند الراء، ويدغم فيما بعده إدغاما تاما»⁽⁴⁾.

ويطلق علماء التجويد على هذا النوع من الإدغام اسم: "الإدغام الكامل/التام"، وذلك «لعدم وجود الغنة

(1) - محمود خليل الحصري: أحكام قراءة القرآن الكريم، ص173.

(2) - المرجع نفسه، ص174.

(3) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص176.

(4) - محمود خليل الحصري: المرجع السابق، ص176.

الفصل الثاني: مخارج الحروف وصفاتها المميّزة

التي تمنع من كمال التشديد، أو لذهاب الحرف المدغم وصفته معا»⁽¹⁾.

ويحدّد "ابن جزري" علّة إدغام النون الساكنة والتنوين مع "اللام" و"الراء" بقوله: «قربهما من مخرجهما، لأنّهنّ من حروف طرف اللسان، فتمكّن الإدغام وحسّن لتقارب المخارج، وذهبت الغنة لأنّ حقّ الإدغام ذهب لفظ الحرف الأوّل بكليته وتصييره بلفظ الثاني»⁽²⁾.

أمّا فيما يخصّ أنواع الإدغام من حيث الحركة والسكون، وكذا من حيث العلّة والسبب، فسيتمّ الحديث عنها في مكانها بإذنه تعالى، وذلك لكونها خاصة بجميع حروف الهجاء، وغير مقتصرة على "النون" الخيشومية والتنوين، كما هو الحال مع الإدغام الناقص والإدغام الكامل (التام).

✓ تطبيقات الإدغام الناقص والتام في سورة المائدة:

بعد الدراسة الإحصائية التي قمنا بها، وذلك من خلال استخراج جميع حالات الإدغام في سورة المائدة مع النون الساكنة والتنوين (الإدغام الناقص + الإدغام الكامل)، قمنا بعدها بدراسة انتقائية لبعض نماذج هذه الظاهرة الصوتية على مستوى هذه السورة الكريمة نظراً لكثرتها وتعدّدها، والجدول أسفله يوضّح ذلك:

الحرف المدغم	بعض نماذجه من سورة المائدة	موضعه في كلمتين مع		نوع الإدغام			علّة الإدغام			عدد مرّات دورانه	نسبة دورانه
		النون الساكنة	التنوين	الإدغام بغنة (الناقص)	الإدغام بغير غنة (التام)	التمائل	التجانس	التقارب			
الياء	﴿غَرَابًا يَبْحَثُ﴾/33.	×	×	×				×		40 مرة	%24,85
	﴿بَلَنَ يَضْرُوكَ﴾/44.	×		×				×			
	﴿مَنْ يَزْتَدِدُ﴾/56.	×		×				×			
	﴿أَنْ يُوَفَّعَ﴾/93.	×		×				×			
الراء	﴿غَبُورٌ رَّحِيمٌ﴾/4، 36، 41، 76، 100.		×		×			×		12 مرة	%7,45
	﴿مِنْ رَبِّكَ﴾/66، 69، 70.		×		×			×			

(1) - محمود خليل الحصري: أحكام قراءة القرآن الكريم، ص 177.

(2) - ابن جزري: التمهيد في علم التجويد، ص 155، 156.

		x			x			x	﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾/3.	
		x			x		x		﴿أَبْدَأْ رَضِيَ﴾/121.	
%24,85	40 مرة		x			x		x	﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾/14.	الميم
			x			x	x		﴿شَرُّ مَكَانًا﴾/62.	
			x			x	x		﴿رَجَسَ مِنْ﴾/92.	
			x			x	x		﴿شَهِدًا مَا دُمْتُ﴾ /119.	
%16,77	27 مرة	x			x		x		﴿كَبَّارَةً لَّهُمْ﴾/47.	اللام
		x			x			x	﴿مَنْ لَعَنَهُ﴾/62.	
		x			x		x		﴿فِي مَا لِلنَّاسِ﴾/99.	
		x			x		x		﴿عَذَابًا لَّا أَعَذِّبُهُ﴾ /117.	
%23,60	38 مرة	x				x	x		﴿هُدًى وَنُورًا﴾/46، 48.	الواو
		x				x	x		﴿هَزُورًا وَلَعِبًا﴾/59، 60.	
		x				x	x		﴿طَغَيْنَا وَكُفْرًا﴾/ 68.	
		x				x	x		﴿إِلَٰهَةً وَاحِدَةً﴾/73.	
%2,48	4 مرات			x		x		x	﴿لَسْ نَدْخُلَهَا﴾/22، 24.	النون
				x		x		x	﴿مِنْ النِّعَمِ﴾/95.	
				x		x		x	﴿أَنْ نَأْكُلَ﴾/113.	
يـرـمـلـون										

ملاحظات هامشية:

1 - عدد مرّات ورود الإدغام (الناقص + التام) في سورة المائدة: 161 مرّة.

2 - ورود جميع حروف الإدغام (يرملون)، ولكن بدرجات متفاوتة كما هو واضح من خلال الجدول أعلاه.

3 - سيطرة "الإدغام الناقص" على "الإدغام الكامل" في نص السورة كما يلي:

* عدد حالات الإدغام الناقص: 122 حالة، بنسبة: 75,78%.

* عدد حالات الإدغام الكامل: 39 حالة، بنسبة: 24,22%.

وقد يوحى هذا الطغيان في سورة المائدة بنقص إيمان أهل الكتاب بالله تعالى أولاً، وبكتبه السماوية ثانياً وبرسله وأنبيائه ثالثاً؛ إذ أنّ أفعالهم وأقوالهم تؤكد هذا الكلام وتتمنه، فهم لم يؤمنوا بآيات الله ومعجزاته الخارقة، فضلاً عن عقائدهم الزائفة حيث نسبوا إلى الله - جلّ جلاله وعظم سلطانه - ما لا يليق به، ونقضوا عهوده ومواريثه، وبلغ بهم الحدّ إلى تحريف التوراة والإنجيل، بل عصوا وعادوا كلّ رسول جاء إليهم بما يخالف شهوات أنفسهم من شرائع الله ومشاق التكليف؛ فكذبوا فريقاً منهم كتكذيبهم لـ "موسى بن عمران"، المسيح "عيسى بن مريم"، وخاتم الأنبياء والرسول "محمد بن عبد الله" عليهم أفضل الصلوات وأزكى التسليم، وقتلوا فريقاً آخر من الرسل كقتلهم لـ "زكريا" و"يحيى" عليهما السلام، وغيرها من الأفعال والأقوال التي تثبت ضعف الإيمان ونقصه.

4 - في الآية "97" من سورة المائدة ورد إدغام ناقص مع النون الساكنة، بغرض تحقيق التماثل حيث حُرّكت فيه النون ولم تسكّن، وعلّة ذلك اجتناب التقاء الساكنين (الساكن الأول: النون الساكنة، والساكن الثاني: لام التعريف). قال تعالى: ﴿مِنَ النُّعْمِ﴾/97.

5 - وردت في سورة المائدة حالة شاذة للإدغام، وهو ما يطلق عليه تسمية "الإظهار المطلق" أو "الإظهار الشاذ" وهو وقوع حرف الإدغام بعد النون الساكنة في كلمة واحدة مما يوجب امتناع الإدغام، وذلك في لفظ: "الدنيا" في قوله تعالى: ﴿...لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾/43؛ النون الساكنة مع "الياء".

* الإدغام (الناقص + التام): الأداء والدلالة:

يقول "محمد شملول" بشأن دلالة الإدغام مع النون الساكنة أو التنوين بنوعيه: الناقص والتام: «إنّ الإدغام الناقص بغنة يحتوي على مسافة زمنية، تساعد في إبراز المعنى من ناحية أنّه يوجد امتداد، أو طول أو اتّساع المعنى أو عدم العجلة... الخ، أمّا في حالة الإدغام الكامل بدون غنة فإنّ هذا يساعد في إبراز المعنى، بأنّه لا توجد مسافة زمنية وبالتالي فإنّ الأمر قطعي وبدون زمن... وتعتبر الكلمتان ملتصقتين التصاقاً كاملاً وبدون أيّ

فاصل بينهما»⁽¹⁾. ولتوضيح هذه الدلالة نسوق الأمثلة والنماذج التالية:

❖ قال تعالى: ﴿يَأْهَلْ أَلِكْتَبِ فَذُ جَاءَكُمْ رَسُولَنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى بَثْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ

تَفُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَذُ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾/21.

وقع الإدغام في هذه الآية في ثلاثة مواضع، وهو في جميعها إدغام ناقص بغنة وهذا يوحي بمعنى الامتداد والطول، ففي قوله تعالى: «بَثْرَةٍ مِّنَ» وقع الإدغام الناقص فيه بين التنوين و"الميم" وفي هذا الإدغام مسافة زمنية تدلّ على طول مدّة انقطاع الرسل؛ فبين سيدنا "عيسى" عليه السلام وآخر رسول أرسل، وهو سيدنا "محمد" (ص) مدّة طويلة قدرت كما جاء في "صفوة التفاسير" ب: «خمسائة وستون سنة»⁽²⁾، وهناك خلافات كثيرة في مدّة هذه الفترة التي انقطع فيها الرسل، جمعها "ابن كثير" في "تفسير القرآن العظيم"⁽³⁾. ولا شأن لنا في هذا المقام في هذه الخلافات، لأنّ ما هو متفق عليه أنّ مدّة انقطاع الرسل مدّة طويلة وممتدّة، وهذه الدلالة تتناسب مع الإدغام الناقص الذي يستغرق نطقه مسافة زمنية بسبب الغنة التي تلازمه.

وما يقال أيضا على هذا الموضوع ينطبق على قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾

أو ﴿بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾؛ ففي كلاهما إدغام ناقص بين التنوين و"الواو"، فمن صفاته (ص) أنّه أرسل مبشّراً ونذيراً في الآن نفسه للناس أجمعين وسيظلّ كذلك إلى يوم الدين - أي بشيراً ونذيراً - فهو لم يبشّر أصحابه (ص) فقط، ولم ينذر المشركين والكفار فحسب، بل إنّ بَشَارَتَهُ وَنَذَارَتَهُ ممتدّة منذ حملته (ص) لرسالة الإسلام إلى يوم البعث شاملاً بما كلّ البشر، إذن فدلالة الإدغام هنا هي: ديمومة التبشير والإنذار واستمراريتهما.

❖ قال تعالى: ﴿قَالُوا يَلْمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا فُؤْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا

مِنْهَا...﴾/24.

وهو كلام قوم "موسى بن عمران" عليه السلام، الذي أمرهم بدخول الأرض المقدّسة آمنين مطمئنّين بأمر من الله تعالى، مع الاستعداد لقتال من يقاتلهم من أهلها، إلّا أنّهم لما غلب عليهم الضعف والذل واضطهاد المصريين لهم وظلمهم إيّاهم، أبوا وتمردوا واعتذروا بضعفهم وقوّة أهل تلك البلاد (بنو عناق) وقالوا: إنّنا لن ندخل هذه الأرض على طول وجود هؤلاء الجبارين فيها، وفي ذلك ما يتماشى مع دلالة الإدغام الناقص بغنة، الواقع في هذه

(1) - محمد شملول: إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، صص 210، 211.

(2) - محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج 1، ج 6، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط 4، 1402هـ/1981م، ص 335.

(3) - ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 924.

الآية بين النون الساكنة والنون المتحركة، والذي يستدعي النطق به مسافة زمنية محددة.

❖ قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾/28.

وقع الإدغام في هذه الآية في موضع واحد، وهو هنا إدغاما ناقصا بين التنوين و"الياء"، وهو إدغام يستلزم النطق به مع الغنة، التي تستغرق فترة من الزمن؛ وفي ذلك ما يتوافق مع طول فترة تحريم الله تعالى على بني إسرائيل ومنعهم للدخول إليها (الأرض المقدسة) مدة أربعين سنة يتيهون في الأرض متحيرين لا يدرون إلى أين مصيرهم، كما يمكن أن نفسر دلالة الإدغام هنا بالنظر إليه على أنه إدغام ناقص، فعلى الرغم من طول فترة التحريم هذه إلا أنها فترة محدودة لها بداية ونهاية (أربعين سنة)؛ بمعنى أن الله سبحانه وتعالى لم يمنع على بني إسرائيل الدخول إلى الأرض المقدسة على طول هذه الحياة.

❖ يقول الله عز وجل: ﴿بِمَسِّ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾/41.

يظهر هنا الإدغام الكامل بين "التنوين" و"الراء"، وهو إدغام بغير غنة؛ دليل على عدم وجود انفصال بين كلمة (عَفُورٌ) وكلمة (رَحِيمٌ)، فالله جلّ جلاله غافر الذنب واسع المغفرة، وهذه من أسمائه وصفاته سبحانه التامة فيه، فالإدغام هنا يوحي بمعنى القطعية، وهو أيضا إدغام كامل وفي ذلك دلالة على أنّ صفتي: المغفرة والرحمة تامتان في الذات الإلهية، فلا يمكن لأيّ بشر على وجه الأرض أن تضاهي مغفرته ورحمته مغفرة ورحمة الخالق عزّ وجلّ؛ فلا بدّ أن يشوب النقص مغفرة ورحمة العبد مهما كان متساعحا عفواً.

❖ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوفِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾/93.

للإدغام نصيب من اسمه في الدلالة، فكما أشرنا أنّ الإدغام يعني الإدخال، وهذا يتناسب مع الإدغام الناقص الواقع بين النون الساكنة و"الياء" في الآية السابقة عند قوله تعالى: ﴿أَنْ يُوفِعَ﴾، فمعلوم أنّ الشيطان حريص كلّ الحرص على إدخال وزرع العداوة والبغضاء بين أولئك المؤمنين الذين أقدموا على شرب الخمر ولعب القمار، وصرفهم عن ذكر الله وعن الصلاة لذهاب عقولهم وأموالهم جرّاء فعلهم لهذه الفواحش.

❖ قال الله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنَّهُ مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾/117.

وقع الإدغام في هذه الآية في ثلاثة مواضع: الإدغام الناقص عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ﴾ النون الساكنة مع "الباء" و﴿أَحَدًا مِّنْ﴾ التنوين مع "الميم"، والإدغام الكامل عند قوله تعالى: ﴿عَذَابًا لَّا يَعْذِبُهُ﴾ التنوين مع "اللام". فالإدغام الناقص هنا يدلّ على: الاستمرارية والامتداد والطول؛ أي أنّ الله سبحانه وتعالى وعد الحواريين بتنزيل المائدة وتوعدهم بالعذاب الشديد الذي لا مثيل له على طول وامتداد الحياة الدنيا، إذا ما استمروا في كفرهم وعدم تصديقهم لآياته ومعجزاته سبحانه وتعالى. أمّا فيما يتعلّق بالإدغام الكامل فإنّ الكلمتين الواقع بينهما هذا الإدغام متصلتان اتصالاً تاماً من الناحية النطقية، ومن الناحية الدلالية لعدم وجود الغنة بينهما، حيث تقرأ كلمة واحدة هكذا: "عَذَابًا لَّا"، ممّا يوحي بفورية وقطعية وقوع العذاب الشديد، وأنّه قائم وواقع لا محالة.

❖ قال المولى عزّ وجلّ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ بِهِمْ﴾/119.

جاء الإدغام هنا ناقصاً بين التنوين و"الميم" ليدلّ على الامتداد والطول أيضاً، حيث يخبرنا الله سبحانه وتعالى على لسان "عيسى بن مريم" ردّ هذا الأخير على سؤال ربّه مبرئاً نفسه، إذ قال لربّه أنّ مراقبته لقومه قد استمرّت على طول وامتداد فترة وجوده بينهم، لتستمرّ بعد موته مراقبته لهم وحده سبحانه وتعالى، ويتناسب هذا المعنى مع غنة الإدغام الناقص التي يترتّب عليها أثناء النطق به مسافة زمنية تقدّر بحركتان.

3 - الإقلاب:

أ/ تعريفه في اللغة:

جاء في "المعجم الوسيط" في تفسير مادة "قَلَبَ": «قَلَبَ الشَّيْءَ قَلْبًا: جَعَلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ، أَوْ يَمِينَهُ شِمَالَهُ، أَوْ بَاطِنَهُ ظَاهِرَهُ، وَيُقَالُ قَلَبَ الْأَمْرَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ: اخْتَبَرَهُ، وَقَلَبَ التَّاجِرُ السَّلْعَةَ: تَبَصَّرَهَا (...). والانقلاب: تحوّل الشيء عن وجهه...»⁽¹⁾. فالإقلاب في اللغة هو: تحوّل الشيء، وانتقاله من حال إلى حال.

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

الإقلاب هو: «جعل النون الساكنة أو التنوين ميماً مخففة مع الغنة عند حرف الباء»⁽²⁾.

يفهم من خلال هذا التعريف أنّ "الباء" إذا سبقت بنون ساكنة أو تنوين قلباً "ميماً ساكنة"، ثمّ يتمّ إخفاء هذه الميم مع إظهار الغنة بمقدار حركتين، والغنة هنا صفة لـ "اللميم" كما رأينا، ويكون إخفاء "الميم" بإضعافها

(1) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة "قَلَبَ".

(2) - يوسف أبو العدوس: المهارات اللغوية وفنّ الإلقاء، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ/2007م، ص119.

وذلك بتقليل الاعتماد على مخرجها وهو الشفتان.

ج/ سبب التسمية:

سمي إقلابا لما فيه من قلب "النون" و"التنوين" "ميما"، ويسمى إخفاء شفويا لفظا؛ لأنّ النون الساكنة والتنوين بعد قلبها "ميما" ووقوع "الباء" بعدهما، وإخفائها فيها يكونان شبيهان بـ "الميم الساكنة" التي بعدها، وهو الإخفاء الشفوي⁽¹⁾، والذي سيأتي الكلام عنه فيما سيأتي من هذا البحث بإذنه تعالى.

د/ علة الإقلاب:

يكن سبب الإقلاب في اتّفاق "الميم" و "النون" في الغنة والجهر، واتّفاق "الميم" و"الباء" في المخرج الشفوي فلما «وقعت النون قبل الباء ولم يمكن إدغامها فيها لبعدها المخرجين، ولا أن تكون ظاهرة لشبهها بأخت الباء وهي الميم أبدلت منها لمؤاخاتها النون والباء»⁽²⁾، وقد يكون السبب في ذلك أيضا: «سهولة النطق بالنون الساكنة والتنوين بقلبها ميما وإخفائها في الباء فهو أيسر من الإظهار والإدغام»⁽³⁾.

ونشير أخيرا إلى أنّ الإقلاب كالإظهار، يقع في كلمة وفي كلمتين مع النون الساكنة، أمّا مع التنوين فلا يقع إلّا في كلمتين.

✓ تطبيقات الإقلاب في سورة المائدة:

الإقلاب مع النون الساكنة والتنوين لا يقع إلّا مع حرف واحد ووحيد وهو حرف "الباء"، ولأجل ذلك فحالاته قليلة في جميع السور مهما كان طولها، بل وينعدم وجوده في الكثير من سور القرآن، والجدول أسفله يوضّح جميع حالات (19 حالة) ورود هذه الظاهرة في سورة المائدة وذلك لقلتها:

الرقم	نماذج الإقلاب في سورة المائدة	موقع الحرف المقلوب مع:	
		النون الساكنة	التنوين
		في كلمة واحدة	في كلمتين
1	﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾/8.		×
2	﴿حَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾/9.		×
3	﴿مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾/21.	×	

(1) - أحمد محمود عبد السميع الشافعي: الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم في القراءات السبع، ص35.

(2) - ابن جزري: التمهيد في علم التجويد، ص157.

(3) - أحمد محمود عبد السميع الشافعي: المرجع السابق، ص34.

4	﴿أُنْبِيَاءَ﴾/22.	×	
5	﴿لَيْلٍ بَسَطْتَ﴾/30.	×	
6	﴿نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾/34.	×	
7	﴿جَزَاءٍ بِمَا كَسَبَا﴾/40.	×	
8	﴿مِنْ بَعْدِ﴾/41، 43، 45 و108.	×	
9	﴿عَرُّ بَعْضٍ﴾/51.	×	
10	﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى﴾/72.	×	
11	﴿بَصِيرًا بِمَا يَعْمَلُونَ﴾/73.	×	
12	﴿مِنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ﴾/80.	×	
13	﴿هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾/97.	×	
14	﴿مِنْ بَحِيرَةٍ﴾/105.	×	
15	﴿أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾/110.	×	
16	﴿طَهِيرًا بِأُذُنٍ﴾/112.	×	
المجموع		حالة واحدة	تسع حالات

* الإقلاب: الأداء والدلالة:

يمكن إبراز علاقة الصوت بالمعنى من خلال ظاهرة الإقلاب الصوتي في سورة المائدة من خلال المثالين

التاليين كما يلي:

❖ قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَيْلٍ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَفْتَلِنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَفْتَلِكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾/30.

تحدّث هذه الآية والتي سبقتها عن الحرب القائمة بين بني آدم: "هايل وقايل" بسبب قبول الله تعالى لقربان "هايل"، ورفضه لقربان "قايل"، فحسد هذا الأخير أخاه "هايل" وعمد إلى قتله، وهو مثال حيّ عن الصراع العنيف القائم بين قوى الشرّ وبين قوى الخير، وفي هذه الآية ردّ "هايل" على أخيه ناصحا ومرشدا، قائلا:

"لئن مددت إليّ يدك ظلما لتقتلني ما كنت لأقابلك بالمثل، إذ لست ممن يتّصف بهذه الصفة التي تتنافى مع تقوى الله والخوف من عذابه"؛ وفي مدّ "قاييل" يده لقتل أخيه وتطاولها عليه ما يتمشى مع نطق ظاهرة الإقلاب الواقع في هذه الآية بين النون الساكنة و"الباء" في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بَسَطْتُ﴾، لاستغراقه مساحة زمنية بسبب لزومه الغنة.

❖ قال الله تعالى: ﴿...وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّيبِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأُذُنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَائِرًا بِأُذُنِي...﴾/112.

وهذه من معجزات الخالق عزّ وجلّ على يد نبيه "عيسى" عليه السلام؛ حدث الإقلاب الصوتي هنا في كلمتين هما: ﴿طَائِرًا بِأُذُنِي﴾ التنوين مع صوت "الباء"، ولالإقلاب كغيره من أحكام النون الساكنة والتنوين نصيب من اسمه في الدلالة، فهو يعني تحويل الشيء عن وجهه، وهذا يتناسب مع دلالة هذه المعجزة الخارقة، حيث أوحى الله تعالى "عيسى بن مريم" أن يصنع من الطين صورة على شكل الطير لا روح فيه، ثم أمره بأن ينفخ فيها فتكون طيرا بأذنه تعالى وتكوينه، وفي هذه المعجزة: تحوّل لقطعة طينية على شاكلة طير من دون روح إلى طير بروح.

ولاختصاص الإقلاب بحرف واحد فقط وهو "الباء" كما أسلفنا، نكتفي هنا بذكر هتين النموذجين مع النون الساكنة ومع التنوين، خشية الوقوع في التكرار والاستطراد.

4 - الإخفاء:

أ/ تعريفه في اللغة:

ورد في معجم "أساس البلاغة" لـ"الزمخشري" في تفسير مادة "خَفِيَ": «خَفَا البرق: لمع بضعف خَفُؤًا وخُفُؤًا، وأخْفَيْتُ الشيء، وخَفَيْتُ الشيءَ واختَفَيْتُ واستَخَفَيْتُ وخَفَيْتُ: استتر (...).، وَبَرِحَ الخَفَاءُ: زالت الخُفْيَةُ فظهر الأمر...»⁽¹⁾. فالإخفاء كالإدغام من الأضداد يدلّ على الستر، وعلى زواله (الظهور والخفاء).

ب/ تعريفه في الاصطلاح:

يعرّف "عبد الله الطويل" الإخفاء فيقول: «وهو النطق بحرف ساكن بين الإظهار والإدغام من غير تشديد مع بقاء الغنة في الحرف المخفي»⁽²⁾.

(1) - الزمخشري: أساس البلاغة، مادة خَفِيَ/خَفَا.

(2) - أحمد بن أحمد بن محمد عبد الله الطويل: فن الترتيل وعلومه، ج2، ص757.

وإذا أردنا أن نتحدث على حروف الإخفاء قلنا بكلّ بساطة إنّها جميع الحروف الهجائية المتبقية، بعد استبعاد حروف الإظهار الستة، وحروف الإدغام الستة، وحرف الإقلاب، وهذا يعني أنّ حروف الإخفاء خمسة عشر حرفاً وهي: ص/ذ/ث/ك/ج/ش/ق/س/ذ/ط/ز/ف/ت/ض/ظ/، وتسهيلاً لحفظها نظراً لكثرتها، جمعها العلماء في أوائل كلمات هذا البيت الشعري:

«صِفْ ذَا تَنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا دُمَ طَيِّبًا زِدْ فِي ثُقَى ضَعَّ ظَالِمًا»⁽¹⁾.

ويسمي علماء التجويد هذا النوع من الإخفاء إخفاء حقيقياً^(*)

ج/ علة الإخفاء:

إنّ سبب الإخفاء الحقيقي هو: «عدم التقارب بين النون الساكنة والتنوين، وبين حروف الإخفاء الحقيقي كلّها حتى يدغما، وعدم تباعدهما كلّها حتى يظهرها»⁽²⁾.

يفهم من خلال هذا الكلام أنّ حصول الإخفاء يقتضي وضعية وسطية بين التباعد والتقارب مخرجا أو صفة أو كلاهما، فيما بين النون الساكنة أو التنوين، وبين أحرف الإخفاء؛ ذلك أنّه كلّما قَوِيَ التقارب في المخرج أو في الصفة قرب إلى الإدغام، وكلّما قَلَّ قرب إلى الإظهار.

د/ مراتب الإخفاء:

يمكن أن نتميّر للإخفاء بين ثلاث مراتب هي⁽³⁾:

* **أعلى درجات الإخفاء:** عند "الطاء" و"الذال" و"التاء" لقرب مخرجها من مخرج "النون"، فكّلما قرب مخرج الحرف من "النون" كلّما زادت درجة الإخفاء، فالمخفي من "النون" عند هذه الحروف أكثر من الباقي منها، فيكون الإخفاء قريبا من الإدغام، فغنتها تكون أكثر ظهوراً، ويكون وضع اللسان بعيداً تماماً عن مخرج "النون"، والاعتماد على مخرج الخيشوم كلّية.

* **أدنى درجات الإخفاء:** عند "القاف" و"الكاف" لبعدهم مخرجهما عن مخرج "النون"، فيكون الإخفاء قريبا من الإظهار، فتكون غنتها أقلّ ظهوراً.

* **أوسطها:** عند الأحرف العشرة الباقية، لعدم قربها الشديد من "النون"، وعدم بعدها الشديد عنها فيكون في

(1) - محمد أحمد معبد: الملخص المفيد في علم التجويد، ص 22.

(*) - سمي كذلك لتحقيق الإخفاء في النون الساكنة والتنوين أكثر من غيرهما.

(2) - أحمد محمود عبد السميع الشافعي: الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم في القراءات السبع، ص 35.

(3) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص 184.

درجة متوسطة.

هـ / الفرق بين الإدغام والإخفاء:

تقدّم الباحثة "سعاد عبد الحميد" تفرّيقاً بسيطاً بين الإدغام والإخفاء كما يلي⁽¹⁾:

- 1 - الإخفاء لا تشديد فيه بخلاف الإدغام، ففيه التشديد عندما يكون كاملاً، وبذلك تكون الغنة في الإدغام الكامل أكمل من الغنة في الإخفاء.
- 2 - الإخفاء يكون عند الحرف المخفي عنده، والإدغام يكون في الحرف المدغم فيه. تقول: أدغمت "النون" في "اللام" لا عندها، وتقول: أخفيت "النون" عند "الذال" لا فيها.
- 3 - الإخفاء يكون من كلمة أو كلمتين، أمّا الإدغام لا يكون إلا من كلمتين.
- 4 - الإخفاء دائماً بغنة، أمّا الإدغام فيكون بغنة وبغير غنة.

ملاحظة:

إنّ الإخفاء - أي غنة الإخفاء - يأخذ صفة الحرف الذي يلي النون الساكنة ممّا يعني أنّ الإخفاء يكون «مفخماً إذا كان الحرف الذي يلي النون الساكنة أو التنوين مفخماً، وإذا كان الحرف الذي يلي النون الساكنة أو التنوين مرققاً فعندئذ يكون الإخفاء مرققاً»⁽²⁾.

✓ تطبيقات الإخفاء الحقيقي في سورة المائدة:

تكاثرت أمثلة ظاهرة الإخفاء في سورة المائدة، قمنا بإحصاء جميع مواضعه على مستوى هذه السورة، ثمّ قمنا بعدها بعملية اختيارية وانتقائية لبعض حالاته، كما يوضّح ذلك الجدول أسفله:

نسبة دورانه	عدد مرّات دورانه	مرتبة الإخفاء الحقيقي	موقع الحرف المخفي			بعض نماذجه من سورة المائدة	الحرف المخفي
			في كلمتين مع		في كلمة مع		
			التنوين	النون الساكنة	النون الساكنة		
0,63%	مرّة واحدة	أوسطها			x	﴿الْأَنْصَابُ﴾/92.	الصاد
3,16%	5 مرّات	أوسطها		x		﴿عَسَ ذُكِّرِ اللَّهُ﴾/93.	الذال

(1) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص183.

(2) - حسام الدّين سليم الكيلاني: البيان في أحكام تجويد القرآن، صص71، 72.

الفصل الثاني: مخارج الحروف وصفاتها المميزة

			×			﴿عَزِيزٌ ذُو بِنْتِقَامٍ﴾/97.	
%15,82	25 مرّة	أدناها		×		﴿مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾/46.	الكاف
					×	﴿مُنْكَرٍ﴾/81.	
%5,06	8 مرّات	أوسطها			×	﴿الْإِنْجِيلَ﴾/48، 68، 70، 112، أو ﴿الْإِنْجِيلِ﴾/49.	الجيم
				×		﴿فَبِإِنْ جَاءَ وَكَ﴾/44.	
%1,27	مرّتان	أوسطها		×		﴿مِنْ شَهِدْتَهُمَا﴾/109.	الشين
			×			﴿شَعْنٍ شَهِيدٌ﴾/119.	
%13,29	21 مرّة	أدناها		×		﴿ثُمَّ قُلُوبُهُمْ﴾/43.	القاف
					×	﴿تَنْفِمْوْنَ﴾/61.	
%1,90	3 مرّات	أوسطها		×		﴿عَسَ سَوَاءٍ﴾/62، 79.	السين
				×		﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ﴾/82.	
%3,80	6 مرّات	أعلاها		×		﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾/78، 118.	الذال
					×	﴿وَعِنْدَهُمْ﴾/45.	
%1,27	مرّتان	أعلاها	×			﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾/7.	الطاء
			×			﴿حَلَلًا طَيِّبًا﴾/90.	
%12,66	20 مرّة	أوسطها			×	﴿الْخِنْزِيرِ﴾/4.	الزاي
					×	﴿وَأَنْزَلْنَا﴾/50.	
%12,03	19 مرّة	أوسطها	×			﴿دَابِرَةٌ بَعْسَى﴾/54.	الفاء
					×	﴿وَتَنْفِخُ﴾/112.	
%27,21	43 مرّة	أعلاها		×		﴿بِمَنْ تَابَ﴾/41.	التاء
					×	﴿بِنْتِقَامٍ﴾/97.	

الفصل الثاني: مخارج الحروف وصفاتها المميّزة

الضاد	﴿مَسَّ ضَلَّ﴾/107.	×		أوسطها	مرّة واحدة	0,63%
الطاء	﴿...أَنْظُرُ...﴾ /77.	×		أوسطها	مرّتان	1,27%
<p>المجموع</p>						
					158 مرّة	100%

ملاحظات هامشية:

يتّضح لنا من خلال هذا الجدول ما يلي:

1 - عدد حالات الإخفاء الحقيقي في سورة المائدة هو: 158 حالة.

2 - حضور جميع حروف هذا النوع من الإخفاء ماعدا حرف واحد وهو: "الشاء".

3 - عرف صوت "التاء" وهو من حروف الإخفاء طغيانا واضحا على سورة المائدة، خاصة وأنه واحد من أقوى حروف الإخفاء (التاء أعلى درجات الإخفاء)؛ فكلّما اقترب مخرج الحرف المخفي من مخرج "النون"، كلّما زادت درجة الإخفاء وغنّته:

فـ"التاء" تدلّ في عمومها على: «الإقرار والتبرئة، والاثّام أو النفي»⁽¹⁾، ومن المواضع التي تؤدّي فيها "التاء" المخفأة هذه المعاني في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَإِيمَىٰ إِلَهَيْهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ فُلْتُهُ، بَقْدَ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾
118/.

فإقرار المسيح "عيسى بن مريم" وتنفيده للاّتهام الموجه إليه من قبل النصارى واضح وجلّي عند قوله تعالى: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ... إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ ويتّضح هذا الإقرار أكثر في قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ... وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾/119.

وسؤال الله عزّ وجلّ لـ"عيسى بن مريم" في الآية السابقة ليس من أجل توبيخه، بل هو بغرض توبيخ النصارى الذين اتّهموه، وجعلوه وأمّه إلهين من دون الله - تعالى الله عمّا يشركون علوا كبيرا - وقالوا بأنّ الله ثالث ثلاثة، ليأتي بعد ذلك النفي والتبرؤ «فها هو يُسأل أمام ربّه: إن كان فيه دعاؤهم لعبادة نفسه وأمّه؟. فيكون

(1) - يوسف عمر لعساكر: الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته (جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجاً) - دراسة لغوية دلالية -، ص165.

الجواب هو هذا التبرؤ الطويل من تلك التهمة، وهو تفويض الأمر لله ليتصرف في شأنهم كما يشاء، وعندئذ يصدر الحكم الذي لا يُردّ، ويشار فيه إلى الصدق بمناسبة كذب هذه الدعوى، ويعبر عن المؤمنين بأنهم رضي الله عنهم ورضوا عنه»⁽¹⁾.

4 - سيطرة الإخفاء في درجته الوسطى (61 مرّة بنسبة: 38,61%)، تليها العليا (51 مرّة بنسبة: 32,28%) ثمّ الدنيا (46 مرّة بنسبة: 29,11%)، كما هو موضّح في الجدول أعلاه.

* الإخفاء الحقيقي: الأداء والدلالة:

لأداء ظاهرة الإخفاء الصوتي مع النون الساكنة والتنوين في القرآن الكريم علاقة واضحة بالدلالة السياقية، يمكن أن نلمس بعض هذه الجوانب من خلال النماذج التالية من سورة المائدة:

❖ قال تعالى: ﴿بِمَسْ تَابٍ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
41/

وقعت في هذه الآية الكريمة الكثير من الظواهر اللغوية، ومن بينها: ظاهرة "الإخفاء"، وهي ظاهرة صوتية وقعت هنا بين النون الساكنة وصوت "التاء"، في قوله عزّ وجلّ: ﴿بِمَسْ تَابٍ﴾، وهو إخفاء بغنة، هذه الأخيرة «التي تستغرق زمنا في التلاوة وهذا يعني أنّ المقام يتطلّب مسافة أو زمنا، ولا يتمّ على وجه السرعة»⁽²⁾.

وحثّى نرصد دلالة الإخفاء هنا لا بدّ من معرفة السياق الذي قيلت فيه هذه الآية، فهي تحدّث عن التوبة من السرقة، وفي الحقيقة التوبة هنا توبتين؛ فحتّى يتوب الله تعالى على السارق، لا بدّ أولا على هذا الأخير أن يتوب هو نفسه عن السرقة، فكلا التوبتان هنا تستغرق مدّة من الزمن؛ فتوبة العبد من السرقة تستوجب أولا: الإقلاع عليها دون رجعة، وثانيا: إرجاع المال المسروق بعينه إن كان متبقيا لدى السارق، وإلا فدفعت قيمته إن قُدّر، وكلّ ذلك من أجل أن تكون توبة التائب صحيحة لا غبار عليها، فإن توقّرت كلّ هذه الشروط فإنّ الله يقبل توبته ويغفر له ذنوبه، ويرحمه برحمته التي وسعت كلّ شيء جلّ جلاله وعظم سلطانه.

❖ قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾/50.

ظهر الإخفاء هنا في كلمة واحدة وهي: "أَنْزَلْنَا"؛ النون الساكنة مع "الزاي"، ودلالته هنا واضحة وجليّة فالحديث كان عن مصدر القرآن الكريم، وكيفية نزوله ومضمونه، ولذا جاء هذا المظهر الصوتي دالا على كيفية

(1) - سيّد قطب: مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط14، 1423هـ/2002م، ص264.

(2) - خالد قاسم بني دومي: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص127.

وصوله إلى سيدنا محمد (ص)، وهي الخفاء والستر، فالوحي كان يُنزل على الرسول (ص) دون أن يره أحد، كذلك الحال مع موضوعات القرآن؛ منها ما هو معروف ظاهر، ومنها ما هو مخفي باطني يعرف من حين إلى آخر.

❖ يقول المولى عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا إِهْتَدَيْتُمْ﴾/107.

الغنة في الإخفاء تستغرق مسافة زمنية أثناء النطق بها، ويمكن أن نسقط هذا المعنى على الإخفاء الواقع في الآية السابقة: النون الساكنة مع "الفاء" و"الضاد"؛ ذلك بأنّ إصلاح النفس وإلزامها الصراط المستقيم، غير منوط بأولئك الناس الذين لم يهتدوا إلى الدين القويم، بل استمروا في ضلالهم عن الاستقامة وامتدادهم في طغيانهم وجبروتهم، فالله سبحانه وتعالى يجازي كلّ عامل بعمله، لأنّ الجزاء من جنس العمل؛ إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. وقس على ذلك مع بقية نماذج "الإخفاء الحقيقي" في سورة المائدة.

ثانيا: أحكام الميم الساكنة

قبل الخوض في التفاصيل المتعلقة بالميم الساكنة، لا بدّ أولا من تعريف موجز للميم الساكنة.

* تعريف الميم الساكنة:

هي: «الميم التي لا حركة لها، وسكونها ثابت وصلا ووقفا، وتكون أصلية أو زائدة في وسط الكلمة أو متطرفة»⁽¹⁾.

إذن فالميم الساكنة لا هي متحركة ولا هي مشددة، كما أنّها ليست متحركة بحركة عارضة للالتقاء الساكنين، ولا هي ساكنة سكونا عارضا للوقف، وهي ميم أصلية تقع في الأسماء نحو: ﴿إِلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الفاتحة/2، والأفعال نحو: ﴿وَمَنْ يُعْظِمْ﴾ الحج/32، والحروف نحو: ﴿لَمْ﴾ المدثر/43، فالميم الساكنة في هذه الأمثلة وقعت متوسطة وكذا متطرفة، وقد تأتي الميم الساكنة زائدة، وتكون في ميم الجمع نحو: ﴿لَهُمْ﴾ فيها/هود/106، وتقع قبل حروف الهجاء كلّها إلاّ أحرف المدّ الثلاثة لأنّها ساكنة، ولا بدّ أن تسبقها حركة مجانسة لها، ولا يجتمع ساكنان في اللغة - كما هو متعارف عليه - كما أنّها لا تقع قبل همزة الوصل، لأنّها تتحرك للالتقاء الساكنين نحو: ﴿عَلَيْكُمْ الْفِتَالُ﴾ البقرة/216⁽²⁾.

(1) - سعد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص 187.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

وتتعلّق بالميم الساكنة في علم التجويد ثلاثة أحكام هي: الإخفاء الشفوي، الإدغام الشفوي والإظهار الشفوي، وإتّما سمّيت شفوية لأمرين اثنين: «الأوّل لكون الميم حرف شفوي، والآخر ليُفَرَّقَ بينها وبين أحكام النون الساكنة»⁽¹⁾.

1 - الإخفاء الشفوي:

وذلك إذا «وقع بعد الميم الساكنة حرف الباء جاز إخفاء الميم الساكنة مع مراعاة الغنة...»⁽²⁾. إذن فواضح من خلال هذا التعريف إتّما سمّي هذا الإخفاء شفويا لخروج حرفيه وهما: "النون" المخفأة و"الباء" بعدها من الشفتين، وذلك بخلاف الإخفاء مع النون الساكنة والتنوين (الإخفاء الحقيقي). وعليه فإنّ سبب الإخفاء الشفوي هو: «التجانس بين الميم والباء لاتحادهما في المخرج، وتقاربهما في الصفات وهذا من شأنه أن يؤدي إلى سهولة النطق بالحرف»⁽³⁾.

من خلال كلّ ما سبق ذكره حول الإخفاء يمكن إيجاز الفرق القائم بين نوعيه: الحقيقي والشفوي في كون الأوّل مع النون الساكنة أو التنوين، وذلك بإخفائها مع بقاء صفتها وهي الغنة، أمّا الآخر فيكون مع الميم الساكنة دون أن تخفى إخفاء تاما يشاكل النون الساكنة أو التنوين، وذلك لقربهما في المخرج مع "الباء". عرفنا كذلك - فيما سبق - أنّ حرف الإقلاب هو "الباء"، وعرفنا الآن أنّ حرف الإخفاء الشفوي هو "الباء" كذلك. فكيف إذن يمكننا التمييز بينهما؟

* الفرق بين الإقلاب والإخفاء الشفوي:

يتفق الإقلاب مع الإخفاء الشفوي في المخرج والنطق، ويختلفان في الآتي⁽⁴⁾:

- 1 - في الإقلاب: "الميم" ليست أصلية بل منقلبة، أمّا في الإخفاء الشفوي فهي أصلية.
- 2 - اختلف العلماء في الإخفاء الشفوي: فبعضهم قال بالإخفاء مع الغنة، وقال آخرون بالإظهار، ولكن الإقلاب لا خلاف فيه.
- 3 - يأتي الإخفاء الشفوي في كلمتين، أمّا في الإقلاب فيأتي في كلمة أو كلمتين.

(1) - عبد الكريم مقيدش: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص70.

(2) - محمد عصام مفلح القضاة: الواضح في أحكام تجويد القرآن، ص79.

(3) - سعد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص189، وأحمد محمود عبد السميع الشافعي: الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم في القراءات السبع، ص35.

(4) - سعد عبد الحميد: المرجع السابق، ص س.

✓ تطبيقات الإخفاء الشفوي في سورة المائدة:

وكما هو معروف فإنّ الإخفاء الشفوي خاص بحرف واحد فقط وهو: "الباء"، وقد تواترت هذه الظاهرة على مستوى سورة المائدة: 23 مرّة، وسنكتفي هنا بإيراد بعض الأمثلة فقط كما يلي:

* قال تعالى: ﴿لَكُمْ بِهِمَّةٌ﴾/2، وقوله أيضا: ﴿يَعْدِبُكُمْ يَدْثُوبِكُمْ بَلْ﴾/20، و﴿جَاءَكُمْ بِشِيرٍ﴾/21، و﴿وَمَا هُمْ بِخَرَجِينَ﴾/39، وأيضا: ﴿جِيئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾/112، ...

ملاحظات عامة حول الإخفاء بنوعيه:

بعد هذا العرض الخاص بالإخفاء الحقيقي مع النون الساكنة والتنوين، والإخفاء الشفوي مع الميم الساكنة يمكن أن نرصد النتائج العامة التالية:

1 - عدد حالات الإخفاء بنوعيه (الحقيقي والشفوي) في سورة المائدة هو: 181 حالة، غير أنّ الحقيقي قد سيطر على الشفوي كما يلي:

* الإخفاء الحقيقي: 158 مرّة، بنسبة: 87,29%.

* الإخفاء الشفوي: 23 مرّة، بنسبة: 12,71%.

ولعلّ من بين أسباب طغيان الإخفاء الحقيقي على نظيره الشفوي راجع أساسا إلى اختصاص الأول بعدد من الحروف (15 حرف)، واختصاص الآخر بحرف واحد فقط وهو حرف: "الباء".

2 - يمكن رصد النتائج العامة للإخفاء بنوعيه: الحقيقي والشفوي مرتبة ترتيبا تنازليا كما يلي:

الناء: 23,76%، الكاف: 13,81%، الباء: 12,71%، القاف: 11,60%، الزاي: 11,05%

الفاء: 10,50%، الجيم: 4,42%، الدال: 3,33%، الذال: 2,76%، السين: 1,66%، الطاء

والظاء والشين كلّ منهما: 1,10%، الصاد والضاد كلّ منهما: 0,55%.

* الإخفاء الشفوي: الأداء والدلالة:

وبما أنّ الإخفاء الشفوي قد اختصّ بحرف واحد وهو: "الباء"، فسنمثّل هنا لحالة واحدة فقط له كما يأتي:

❖ يقول المولى عزّ وجلّ في محكم تنزيله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ الْبَارِ وَمَا هُمْ بِخَرَجِينَ مِنْهَا

وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّفِيمٌ﴾/39.

وقع الإخفاء الشفوي هنا في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَرَجِينَ﴾: الميم الساكنة مع "الباء" المتحرّكة بالكسر

وهو إدغام بغنة يحتاج النطق به زمنا معيّنًا، وهذا يتماشى مع دلالة الإخفاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ﴾، وفي هذا السياق يخاطب الله تعالى الكافرين، ويخبرنا بشناعة حالهم يوم القيامة ومآلهم الفظيع، وهو الخلود في نار جهنم أبداً والمكوث فيها سرمداً؛ أي أنّ العذاب - فيها - دائم مستمرّ لا خروج لهم منها. يقول "ابن كثير" في تفسير هذه الآية: «فلا يزالون يريدون الخروج ممّا هم فيه من شدّته وأليم مسّه، ولا سبيل لهم إلى ذلك، كلّما رفعهم اللهب فصاروا في أعالي جهنّم، ضربتهم الزبانية بمقامع الحديد، فيردونهم إلى أسفلها»⁽¹⁾ والعياذ بالله.

2 - الإدغام الشفوي:

ويكون عند حرف واحد فقط وهو "الميم"، وذلك إذا: «وقع بعد الميم الساكنة ميم متحركة تُدغمُ فيه بغنة، ويسمى إدغام مثلين صغير»⁽²⁾.

ويمكن تفكيك هذا التعريف من خلال ذكر مختلف المصطلحات المعطاة لهذا الحكم؛ فقد سمّي الإدغام الشفوي إدغاما أولاً: لإدغام الميم الساكنة في الميم المتحركة بعدها، وسمّي متمثلين ثانياً لأنهما حرفان اتّحداً مخرجا وصفة، اسما ورسما، وسمّي صغيرا ثالثاً: لأنّ الأوّل منهما ساكن، والآخر متحرّك، وكذلك لأنّه لا يحتاج إلى عمل كثير إذ يتمّ إدخال الساكن في المتحرك بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدّداً من جنس الثاني، هذا وسيتمّ التفصيل في ذلك في الفصل الرابع من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

✓ تطبيقات الإدغام الشفوي في سورة المائدة:

عدد حالات الإدغام الشفوي في سورة المائدة هو: خمسة وعشرون حالة، وهي في جميعها بغرض تحقيق التماثل الصوتي لمجاورة الميم الساكنة فيه ميماً أخرى مثلها متحركة بأحد الحركات الثلاث، ولدى تسمّى هذه الظاهرة أيضاً "الإدغام الصغير المتماثل" كما أشرنا سابقاً، ومن أمثلة هذه الظاهرة في سورة المائدة:

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ /10، ﴿وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا﴾ /22، ﴿فَلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ /54، ﴿إِلَيْهِمْ مِّنْ﴾ /70
﴿أَفَرَبَّهُمْ مَّوَدَّةً﴾ /84، ﴿مِنْكُمْ مُّتَعَمِّدًا﴾ /97، ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ﴾ /108،... الخ.

ملاحظات عامة حول الإدغام بنوعيه:

بالعودة إلى النتائج السابقة للإدغام الحقيقي نلاحظ سيطرة هذا النوع من الإدغام على الإدغام الشفوي في

(1) - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مج2، ص950.

(2) - صلاح صالح سيف: العقد المفيد في علم التجويد، صص 27، 28.

سورة المائدة، كما هو موضّح في الجدول أسفله:

نوع الإدغام	عدد مرّات دورانه	نسبة دورانه
الإدغام الحقيقي	161 مرّة	86,56%
الإدغام الشفوي	25 مرّة	13,44%

إذن فعدد حالات الإدغام بنوعيه: الحقيقي والشفوي في سورة المائدة هو: 186 مرّة.

وعلى هذا الأساس فإنّ النتائج العامة للإدغام (الحقيقي + الشفوي) في سورة المائدة كما يلي:

1 - الميم: 34,95%	2 - الياء: 21,50%	3 - الواو: 20,43%
4 - اللام: 14,52%	5 - الراء: 6,45%	6 - النون: 2,15%

ولعلّ أحد أسباب طغيان صوت "الميم" في سورة المائدة لأنّ لها حكمان: الإدغام الناقص والإدغام الشفوي.

* الإدغام الشفوي: الأداء والدلالة:

نظرا لاختصاص هذه الظاهرة بحرف واحد وهو حرف "الميم"، فسنكتفي في هذا المقام بذكر دلالة حالة واحدة فقط منه تجنّبا للتكرار والحشو الذي لا طائل منه.

❖ قال الله عزّ وجلّ في محكم تنزيله: ﴿بَتْرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْتَرِعُونَ فِيهِمْ﴾/54.

يظهر الإدغام الشفوي في هذه الآية بين كلمين وهما: "قُلُوبِهِمْ" المنتهية بميم ساكنة و"مَرَضٌ" المبدوءة بميم متحرّكة بالفتح، ولالإدغام - كما أسلفنا - نصيب من اسمه في الدلالة، وهذا مناسب للمقام وموضّح للمعنى المراد، وفي الآية السابقة حديث عن تلك الفئة من النّاس التي اعتلّ إيمانها، ودخل في قلبها الشك والريب والنفاق، فلم تصل بذلك إلى مرتبة اليقين.

3 - الإظهار الشفوي:

وذلك إذا: «وقع بعد الميم الساكنة أحد الحروف الباقية وجب إظهارها سواء كان ذلك في كلمة واحدة أم في كلمتين»⁽¹⁾.

فواضح من خلال هذا التعريف أنّ هذا الحكم سمي إظهارا لأنّ الميم الساكنة تُظهِرُ عند ملاقاتها للحروف الستة والعشرين بعد استبعاد "الباء" و"الميم"، أمّا كونه شفويا فلاّن: «الميم الساكنة وهي الحرف المظهر تخرج من

(1) - محمّد عصام مفلح القضاة: الواضح في أحكام تجويد القرآن، ص 80.

الشفيتين^(*) فنُسب الإظهار إليهما، لأنّ مخرجها محدّد، ولم يُنسب الإظهار إلى الحروف الستة والعشرين لأنّ مخرجها غير محصور في مخرج معيّن؛ إذ بعضها يخرج من الحلق وبعضها من اللسان وبعضها من الشفتين، بخلاف الإظهار الحلقي فإنّه نُسب إلى مخرج الحروف التي تظهر عندها النون والتنوين، وذلك لانحصارها في مخرج محدّد وهو الحلق⁽¹⁾.

وتكون أشدّ حالات الإظهار للميم الساكنة عند "الواو" و"الفاء"، وذلك: «لاتحاد مخرج الميم مع مخرج الواو، وقربه من مخرج الفاء»⁽²⁾.

ملاحظة هامة:

يمكن القول: إنّ الميم الساكنة ليس لها حكم مستقلّ إلاّ إذا وقع بعدها حرف "الباء"، وفيما عدا ذلك فلا فرق بينها وبين غيرها من الحروف⁽³⁾.

✓ تطبيقات الإظهار الشفوي في سورة المائدة:

عرف "الإظهار الشفوي" على مستوى هذه السورة الكريمة دورانا كبيرا، فاق دوران "الإظهار الحلقي" فيها قمنا بدراسة إحصائية له في هذه السورة، ونظرا لكثرة نماذجه قمنا بعملية اختيارية انتقائية لبعض الأمثلة كالآتي:

الحرف المظهر	بعض نماذج الإظهار الشفوي في سورة المائدة	موضعه		نسبة دورانه
		في كلمة واحدة	في كلمتين	
الواو	﴿لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا﴾/14.		×	38 مرّة 23,46%
	﴿بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ﴾/43.		×	
الفاء	﴿أَذْبُرِكُمْ فَتَنْفَلِبُوا﴾/23.		×	22 مرّة 13,58%
	﴿تَوَلَّيْتُمْ بَاعِلْمُوا﴾/94.		×	
الهاء	﴿أَثَمْتُ﴾/4.	×		17 مرّة 10,50%
	﴿مَا دُمْتُمْ﴾/98.	×		

(*) - الميم الساكنة خيشومية المخرج عند علماء الدرس الصوتي، في حين اعتبرها علماء التجويد شفوية.

(1) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، صص 190، 191.

(2) - صلاح صالح سيف: العقد المفيد في علم التجويد، ص 28.

(3) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 71.

الفصل الثاني: مخارج الحروف وصفاتها المميزة

%9,26	15 مرة		×	﴿يَمْلِكُ﴾/19، 78.	اللام
		×		﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾/84.	
%6,79	11 مرة	×		﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾/38، 39.	العين
		×		﴿بِإِنِّهِمْ عِبَادُكُمْ﴾/120.	
%4,94	8 مرّات	×		﴿وَلَمْ يَتَقَبَّلْ﴾/29.	الياء
		×		﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾/71.	
%4,32	7 مرّات	×		﴿فَلُوبَهُمْ فَلَسِيَّةٌ﴾/14.	القاف
		×		﴿مِنْهُمْ فَسَيِّسِينَ﴾/84.	
%3,71	6 مرّات		×	﴿أَمْسَكَ﴾/5.	السين
		×		﴿مِنْهُمْ سَاءٌ﴾/68.	
%3,09	5 مرّات	×		﴿كُنْتُمْ جُنُبًا﴾/7.	الجميم
		×		﴿مَرَجِعَكُمْ جَمِيعًا﴾/107.	
%3,09	5 مرّات	×		﴿جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾/16، 21.	الراء
		×		﴿إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾/72.	
%2,47	4 مرّات	×		﴿لَمَعَكُمْ حَبِطَةٌ﴾/55.	الحاء
		×		﴿مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾/98.	
%1,85	3 مرّات	×		﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ﴾/3.	الشين
		×		﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾/119.	
%1,85	3 مرّات	×		﴿بِإِنِّكُمْ عَلِيلُونَ﴾/25.	الغين
		×		﴿دِينَكُمْ غَيْرًا﴾/79.	
%1,85	3 مرّات	×		﴿تَعْلَمَ أَنَّ﴾/42، حدث نقل الحركة الهمزة.	الهمزة
		×		﴿وَلِيَخْتَكَمَ أَهْلُ﴾/49، حدث نقل الحركة الهمزة.	

الفصل الثاني: مخارج الحروف وصفاتها المميزة

النون	﴿عَلَيْكُمْ نِعْمَةٌ﴾/4.		×	3 مرّات	1,85%
	﴿عَلَيْهِمْ نَبَأٌ﴾/29.		×		
الثاء	﴿عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا﴾/73.		×	مرّتان	1,23%
	﴿فَبَلِّغْهُمْ ثُمَّ اصْبَحُوا﴾/104.		×		
الخاء	﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾/35.		×	مرّتان	1,23%
	﴿هُمْ خَلِيدُونَ﴾/82.		×		
الصاد	﴿...لَكُمْ صَيْدٌ...عَلَيْكُمْ صَيْدٌ...﴾		×	مرّتان	1,23%
الصاد	﴿لَكُمْ ضُرًّا﴾/78.		×	مرّتان	1,23%
	﴿أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾/108.		×		
الكاف	﴿لَكُمْ كَثِيرٌ﴾/17.		×	مرّتان	1,23%
	﴿أَيْمَنَكُمْ كَذَلِكَ﴾/91.		×		
الذال	﴿لَكُمْ دِينَكُمْ﴾/4.		×	مرّة واحدة	0,62%
الهاء	﴿أَوْتَيْتُمْ هَذَا﴾/43.		×	مرّة واحدة	0,62%
المجموع		عدد مرّات وروده	162 مرّة		

ملاحظات هامشية:

من خلال الجدول أعلاه يمكن رصد الملاحظات التالية:

- 1 - عدد مرّات ظهور الإظهار الشفوي على مستوى سورة المائدة هو: 162 مرّة.
- 2 - حروف الإظهار الشفوي ستة وعشرون حرفاً بعد استبعاد الميم (الإدغام الشفوي)، والباء (الإخفاء الشفوي) وورد منها في سورة المائدة: 22 حرفاً، وتخلّفت أربعة أحرف هي: "الطاء"، "الظاء"، "الذال" و"الزاي"، غير أنّ ورود الأحرف الاثني والعشرين في نصّ السورة قد كان بدرجات متفاوتة، كما بيّنت ذلك الدراسة الإحصائية الموضّحة في الجدول أعلاه، ولعلّ ما يزيد من تأكيد قوّة مضمون سورة المائدة فضلاً عن سيطرة أقوى حروف الإظهار الحلقي (الهمزة والهاء) كما رأينا، هو سيطرة أقوى حروف الإظهار الشفوي وهي: الواو والغاء، كما أشار إلى ذلك "صلاح صالح سيف" في القول السابق ذكره.

3 - بالعودة إلى النتائج السابقة للإظهار الحلقي، ومقارنتها بنتائج الإظهار الشفوي، يُلاحظ سيطرة الشفوي على الحلقي كما يلي:

- عدد مرّات ورود الإظهار الحلقي هو: 98 مرّة من أصل 260 مرّة بنسبة: 37,69%.

- عدد مرّات ورود الإظهار الشفوي هو: 162 مرّة من أصل 260 مرّة بنسبة: 62,31%.

* الإظهار الشفوي: الأداء والدلالة:

❖ قال تعالى: ﴿...فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ...﴾/29.

والآية تتحدّث عن خبر ابني آدم: "هابيل وقابيل" اللذان تقربا إلى الله بقربان، فَتَقَبَّلَ اللهُ قَرِيبَانَ الْأَوَّلَ لإخلاصه وطيب نفسه به، ولم يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ؛ أي "قابيل" لعدم تقواه وإخلاصه فيه، وقد وقع الإظهار الشفوي في هذه الآية في كلمتين هما: "وَلَمْ يُتَقَبَّلْ"، وهو إظهار الميم الساكنة عند "الياء" من غير غنة تكون هنالك، ممّا يعني أنّ ظروف التلاوة لا تستدعي مدّة زمنية بين الميم الساكنة والياء المظهرة، وهذا مناسب للمقام وموضّح للمعنى المراد وهو: فورية رفضه سبحانه وتعالى لقربان "قابيل" لعدم إخلاصه فيه.

❖ قال الله عزّ وجلّ: ﴿...مَا دُمْتُمْ حُرْمًا...﴾/98.

يشير سياق هذه الآية إلى أن الله تعالى قد أحلّ لِلْمُحْرِمِ حال إحرامه صيد البحر؛ وهو الحيّ من حيواناته، وطعامه وهو الميت منها: سواء تمّ اصطياده ميتا أو قذفه البحر كذلك، كما حرم عليه بالمقابل - وهو محرما - اصطياد ما كان يعيش في البرية من طيور أو حيوانات أخرى جائز أكلها خارج الإحرام، وفي ذلك ما يشير إلى دلالة الإظهار الشفوي الواقع هنا بين الميم الساكنة و"الحاء"، وفي هذا إيجاء على استمرار تحريم أكل صيد البرّ طوال فترة الإحرام، ويتناسب هذا المعنى مع عدم وجود الغنة التي تستغرق مسافة زمنية، وبالتالي فإنّ الإظهار هنا يدلّ على الالتصاق والاتصال وعدم الانقطاع.

❖ يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿...وَكَنتَ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَابَّيْنِي كُنتَ

أنتَ الرَّفِيبَ عَلَيْهِمْ...﴾/119. وحتى يتبيّن لنا دلالة الإظهار الشفوي لا بدّ من معرفة السياق الذي قيلت فيه هذه الآية الكريمة، لأنّ معرفة الحدث أو المقام من شأنه أن يعطي للقارئ أو للباحث مفتاحا يمكنه من الوصول بفضله إلى معرفة الدلالات الصوتية. والمقام هنا مقام ردّ، فالكلام كلام الله تعالى على لسان نبيّه "عيسى" عليه السلام إذ قال له ربّه: ﴿...ءَأَنتَ فُلْتِ لِلنَّاسِ لِتَخْذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهِي مِيسِرًا...﴾

/118، فأجابه بقوله: «ما ينبغي لي أن أقول قولاً لا يحقّ لي ولا يليق بجلالك، فإن كنت قلت لهم فقد

علمته، فأنت تعلم كل ما أخفيه في نفسي، ولا أعلم ما في غيبك، إنك عليم بما ظهر على الحواس وما غاب عنها في الصدور، ما قلت لهم إلا ما أمرتني أن أقوله لهم؛ أعبدوا الله وحده لا شريك له هو ربي وربكم، خالقنا ونحن مخلوقاته، كنت عليهم رقيباً لما يقولون شهيداً على ما يفعلون مدة بقائي فيهم ودوامي فيما بينهم...»⁽¹⁾.

فوقوع الإظهار الشفوي في هذه الآية مع "الشين"، "التاء" و"الفاء" على الترتيب دليل على الاتصال الموجود بين الكلمتين الواقع بينهما هذا النوع من الإظهار لعدم وجود مسافة زمنية تفصل الميم الساكنة عن هذه الحروف المظهرة، وفي ذلك دلالة على تواصل واستمرار مراقبة سيدنا "عيسى" عليه السلام لقومه مدة وجوده بينهم دون انقطاع.

ونحنم أحكام الميم الساكنة بحكم "النون" و"الميم" المشدّتين، يقول "ابن جزري" في باب "النون" و"الميم" المشدّتين، وبيان "أحكام الميم الساكنة" كما يلي⁽²⁾:

مِيمٍ إِذَا مَا شُدِّدَا، وَأَخْفِيْنَ	وَأَظْهَرُ الْعُنَّةَ مِنْ نُونٍ وَمِنْ
بَاءٍ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ أَهْلِ الْأَدَا	الْمِيمِ إِنْ تَسَكَّنَ بَعْنَةَ لَدَى
وَاحْدَزَ لَدَى وَآوِ وَقَا أَنْ تَخْتَفِي	وَأَظْهَرْنَهَا عِنْدَ بَاقِي الْأَحْرَفِ

وعليه يجب إظهار الغنة إذا كانت "الميم" أو "النون" مشدّتين، سواء وقعتا في كلمة أو في كلمتين، ومن أمثلتها في سورة المائدة النماذج التالية: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ﴾/4، ﴿لَهُمْ مَغْمِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾/10 و﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا﴾/39، و﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾/73، و﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾/121... الخ.

(1) – محمد بن عبد الكريم الجزائري: توجيهات القرآن العظيم، ج4، ص69.

(2) – ابن جزري: منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، ص7.

المبحث الثالث: التوضيح الوصفي للأصوات الصامتة في العربية

فيما يلي بيان وصفي لطبيعة الصوامت العربية، وعددها ثمانية وعشرون صوتاً، تتوزع وفق هيئة مخارجها النطقية العشرة كما توصل إلى ذلك الدرس الصوتي الحديث.

المطلب الأول: ألقاب الحروف

أولاً: الأصوات الشفوية

1 - الباء: صوت شفوي، انفجاري، مجهور ومرقق، عند النطق به يتم غلق الشفتين غلقاً تاماً، ممّا يؤدي إلى انحباس الهواء الخارج من الرئتين خلفهما ثم يُفْتَحَا فتحة فجائياً، فيخرج الهواء الذي كان محبوساً مندفعاً محدثاً انفجاراً⁽¹⁾.

2 - الميم: عند النطق به تنطبق الشفتان بشكل تام بوجه التيار الهوائي المندفع من الرئتين، حيث يجس في موضع من الفم خلف الشفتين، ويُخْفَض الحنك اللين فيأخذ الهواء مساره عن طريق الأنف، وفي الزمن ذاته تهتز الأوتار الصوتية لتمنحه صفة الجهر، بينما يبقى اللسان في جانب الحياض، وتوصف الميم بأنّها من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة⁽²⁾.

إذن فصوت "الميم" صوت صامت شفوي متوسط مجهور أنفي (أغن) منفتح.

3 - الواو: هو صوت صامت وصائت؛ فالصامت يرتفع فيه أقصى اللسان نحو سقف الحنك ارتفاعاً عالياً، بحيث يسمح للهواء الخارج بالاحتكاك وإحداث نوع من الحفيف، أمّا الصائت فيخرج بارتفاع أقصى اللسان نحو السقف بدرجة أقل من التي كان عليها في الواو الصامتة، فلا يحدث احتكاك بل يمرّ الهواء دون احتكاك مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية، ويرجع ذلك إلى إشباع المدّ في الصائت على عكس الصامت، والصائت ساكن والصامت متحرك وساكن⁽³⁾.

ثانياً: الأصوات الشفوية الأسنانية:

- الفاء: صوت رخو مهموس مرقق، يُنطق بأن تتصل الشقّة السفلى بالأسنان اتصالاً يسمح للهواء أن يمرّ بينهما فيحتكّ بهما، مع رفع مؤخر الطبق لسدّ التجويف الأنفي، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية⁽⁴⁾.

(1) - خالد توكال مرسي: فن الإلقاء والتحرير الكتابي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1429هـ/2008م، ص42.

(2) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص157.

(3) - محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص65.

(4) - المرجع نفسه، ص66.

ثالثا: الأصوات الأسنانية:

1 - **الثاء**: صوت مَّا بين الأسنان، احتكاكي، مهموس، مرَّق، عند النطق به يوضع طرف اللسان بين أطراف الشنايا العليا والسفلى بصورة تسمح بمرور الهواء من خلال منفذ ضيق، وهو ما بين الأسنان فيؤدي خروج الهواء من هذا المضيق مندفعاً إلى حدوث احتكاك⁽¹⁾.

2 - **الذال**: صوت رخو مجهور مرَّق، يتم نطقه بنفس الطريقة التي ينطق بها صوت الثاء، والفرق بين الذال والثاء، أنّ الأوّل مجهور، والآخر مهموس، فالذال نظير الثاء المجهور، فلو أُجهرَ بالثاء تحولت ذالا⁽²⁾.

3 - **الطاء**: صوت رخو مجهور مفتّح (مطبق)، يُنطق بالطريقة نفسها التي ينطق بها الذال، مع اختلاف في وضع اللسان؛ فمؤخرة اللسان ترتفع نحو الطبق مع الطاء، ولا ترتفع مع الذال، ولولا الإطباق في الطاء لكانت ذالا⁽³⁾.

رابعا: الأصوات الأسنانية اللثوية:

1 - **الذال**: يتم نطقه بأن يلتقي طرف اللسان بأصول الشنايا العليا، ويُرفَع الحنك اللين، فلا يمرّ الهواء إلى الأنف ويُضغَط الهواء مدّة من الزمن، ثمّ يفصل العضوان انفصالا فجائيا محدثا صوتا انفجاريا مع تضيق الأوتار الصوتية تضيقا يؤدي إلى اهتزاز هذه الأوتار عند مرور الهواء بها⁽⁴⁾.

إذن فصوت "الذال" صامت أسناني لثوي مجهور انفجاري منفتح.

2 - **الثاء**: يتكون هذا الصوت حين يتصل طرف اللسان بأصول الشنايا العليا ومقدّم اللثة، حيث يأخذ الهواء مجراه من الرئتين عبر الحنجرة، دون أن تتذبذب الأوتار الصوتية، فينجس عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الشنايا العليا، وحين يتم الانفصال المفاجئ تُسمَع بنية هذا الصوت، والثاء هو النظير المهموس لصوت الذال المجهور⁽⁵⁾. وعليه فإنّ "الثاء" صوت صامت أسناني لثوي مهموس انفجاري منفتح.

3 - **الطاء**: يُنطق بنفس الطريقة التي يُنطق بها صوت الثاء، مع فارق واحد وهو أنّ مؤخر اللسان يرتفع نحو الطبق، وتقريبه من الجدار الخلفي للحلق أثناء النطق بالطاء؛ أي أنّ الطاء صوت مفتّح (مطبق)، والثاء صوت مرَّق (منفتح)⁽⁶⁾.

(1) - خالد توكال مرسي: فن الإلقاء والتحرير الكتابي، ص44.

(2) - محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص65.

(3) - المرجع نفسه، ص67.

(4) - حازم علي كمال الدّين: دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1420هـ/1999م، ص27.

(5) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص161.

(6) - حازم علي كمال الدّين: المرجع السابق، ص28.

إذن فصوت "الطاء" صامت، أسناني لثوي، مهموس، انفجاري ومطبق.

4 - **السين**: يُنطق بأن يعتمد طرف اللسان على اللثة، بينما يُرفع وسط اللسان نحو الحنك الأعلى، ويكون الفراغ بين طرف اللسان وبين اللثة قليلا جدا، مع خفض مؤخر اللسان وفتح الأوتار الصوتية، فلا تهتزّ عند مرور الهواء بها⁽¹⁾.

فالسين صوت صامت، أسناني لثوي، مهموس، احتكاكي، منفتح.

5 - **الزاي**: صوت رخو مجهور يناظر صوت السين، فلا فرق بين الزاي والسين إلا في أنّ الزاي صوت مجهور والسين صوت مهموس؛ فللنطق بالزاي يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثمّ يتخذ مساره من الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج وهو التقاء أول اللسان (مشاركاً مع طرفه عند بعض الأفراد) بالثنايا السفلى أو العليا⁽²⁾.

6 - **الصاد**: صوت رخو مهموس مفخم(مطبق)، نظير السين المرقق(المنفتح)، وينطق مثله مع فارق واحد هو: أنّ مؤخرة اللسان ترتفع نحو الطبقة في نطقه⁽³⁾.

7 - **الضاد**: صوت شديد مجهور مفخم(مطبق)، ينطق كناطق الدال مع فارق واحد، وهو: ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبقة بصوت الضاد، فالضاد العربية هي المقابل المطبق للدال⁽⁴⁾.

ويصفها "المبرد" وصفا لا يبتعد فيه عن وصف "سيبويه" و"ابن جني" السابق الذكر فيقول: «والضاد مخرجها من الشدق، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر»⁽⁵⁾.

خامسا: الأصوات اللثوية:

1 - **اللام**: صوت لثوي جانبي مجهور منفتح، يتمّ نطقه بأن يتّصل طرف اللسان باللثة، ويرتفع فيسندُ الجرى الأنفي عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق مع حدوث ذبذبة في الوترين الصوتيين⁽⁶⁾.

2 - **الراء**: يتكوّن هذا الصوت بأن تتوالى ضربات اللسان تواليا وتتبعها سريعا على اللثة، وذلك بأن يكون طرف اللسان ملامسا للثنايا العليا، فيضغط من الأمام بالجري الهوائي، وبفضل مرونة هذا العضو يرجع اللسان إلى وضعه

(1) - حازم علي كمال الدين: دراسة في علم الأصوات، صص 28، 29.

(2) - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 68.

(3) - محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص 69.

(4) - المرجع نفسه، ص 68.

(5) - المبرد: المقتضب، ج 1، ص 329.

(6) - سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي: إبدال الحروف في اللهجات العربية، ص 312.

الأول، وتكرّر الحركة نفسها أربع أو خمس مرّات متتالية بالنسبة إلى الراء القويّة، ويرافق نطق الصامت المكرّرذبذبة في الأوتار الصوتية، فهو صوت صامت مجهور لثوي مكرّر⁽¹⁾.

3 - النون: يعتمد طرف اللسان - أثناء النطق بهذا الصوت - على أصول الأسنان العليا مع اللثة، ويخفّض الحنك اللين يتمكّن الهواء الخارج من الرئتين من المرور عن طريق الأنف، وتتذبذب الطيّتان (الوتران) الصوتيان حال النطق به، فالنون صوت أسناني لثوي أنفي مجهور⁽²⁾.

سادسا: الأصوات الغارية (الطبق الصلب/ وسط الحنك):

1 - الياء: صوت صامت وصائت مثل الواو، والصامت صوت مجهور غاري يخرج من احتكاك الهواء بالمر الموجود بين وسط أو مقدّم اللسان^(*) وبين الغار أثناء الخروج، ويصاحب هذا انفتاح الفك السفلي فيختفي الاحتكاك في نهايته، ويوجد شبه كبير بينه وبين صوت الكسرة الخالصة⁽³⁾.

2 - الجيم: يتكوّن هذا الصوت بأن يندفع الهواء إلى الحنجرة، فيحرّك الوترين الصوتيين، ثمّ يتخذ مساره عبر الحلق والتجويف الفمي حتى يصل إلى نقطة الإنتاج (المخرج)، وهي التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى، ومعه ينحبس التيار الهوائي، وعند انفصال العضوين يؤلّد هذا الصوت الانفجاري، ويوصف هذا الصوت بقلة شدّته للانفصال البطيء لعضوي الاتصال⁽⁴⁾.

فالجيم إذن صامت غاري، مجهور، مركب انسدادى (بين الشديد والرخو) منفتح.

3 - الشين: يُنطق برفع مقدّمة اللسان تجاه الغار، ورفع الطبق ليسدّ المجرى الأنفي بالتصاقه بالجدار الخلفي للحلق، مع انفتاح الأوتار الصوتية ممّا يجعلها لا تهتزّ عند مرور الهواء بها⁽⁵⁾.
فهو بهذا صوت صامت غاري احتكاكي مهموس منفتح.

سابعا: الأصوات الطبقيّة (الطبق اللين):

1 - الكاف: صوت شديد مهموس مرقق، يتمّ نطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق، وإصاقه به وإصاق

(1) - هيام كريدية: الألسنية الفروع والمبادئ والمصطلحات، دون دار النشر، بيروت، لبنان، ط2، 1429هـ/2008م، ص140.

(2) - نجاة على: فن الإلقاء بين النظرية والتطبيق، تقدم: مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط2، 1424هـ/2003م ص112.

(*) - يوجد فرق بين طرف اللسان ومقدّمه ومؤخره، الأول هو الجزء المستدق المذبذب في أول اللسان، يليه مقدّم اللسان، ثمّ مؤخره.

(3) - محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص75.

(4) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص177.

(5) - حازم علي كمال الدين: دراسة في علم الأصوات، ص31.

الطبق بالحائط الخلفي للحلق لِيُسَدَّ المجرى الأنفي ولا تهتز الأوتار الصوتية⁽¹⁾.

2 - الغين: صوت من أقصى الحنك، احتكاكي مجهور، شبه مفخم (مثل الخاء)، فعند النطق بصوت الغين يحدث ما حدث عند النطق بصوت الخاء، فيرتفع اللسان تجاه أقصى الحنك، بحيث يسمح للهواء الخارج من الرئتين بالمرور عبر منفذ ضيق مندفعاً محدثاً احتكاكاً⁽²⁾.

3 - الخاء: ويُنطق بنفس الطريقة التي يُنطق بها صوت الغين، مع فارق واحد وهو أنّ الأوتار الصوتية تكون في حالة انفتاح، فلا يحدث لها اهتزاز عند مرور الهواء بها، وذلك عند النطق بصوت الخاء؛ أي أنّ صوت الخاء صوت مهموس، وصوت الغين صوت مجهور⁽³⁾.

إذن فالحاء صامت طبقي مهموس احتكاكي منفتح، نظير الغين المجهور.

ثامنا: الأصوات اللهوية:

- القاف: يتم نطقها بأن يرتفع مؤخر اللسان فيلتصق باللهاة والجدار الخلفي للحلق، ويُسدّ بذلك مجرى الهواء، ثم ما يلبث السدّ أن يزول فجأة، فيخرج الصوت منفجراً ولا تتذبذب الأوتار الصوتية، ويرتفع الطبقة فيلتصق بالجدار الخلفي للحلق، ويُسدّ التجويف الأنفي ويخرج الهواء من الفم⁽⁴⁾.
فالقاف باختصار صامت لهوي انفجاري مهموس منفتح.

تاسعا: الأصوات الحلقية:

1 - العين: صوت مجهور رخو(احتكاكي) منفتح، يتم نطقه بتضييق الحلق عند لسان المزمار، وتوؤ لسان المزمار إلى الخلف حتى ليكاد يتصل بالحائط الخلفي للحلق، وفي الوقت نفسه يرتفع الطبقة لِيُسَدَّ المجرى الأنفي ويهتز الوتران الصوتيان⁽⁵⁾.

2 - الحاء: يُضَيَّقُ المجرى الهوائي في الفراغ الحلقى عند النطق بالحاء، بحيث يُحدث مرور الهواء احتكاكاً، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية في حال النطق به⁽⁶⁾.

(1) - محمود عكاشة: الأصوات اللغوية، صص 75، 76.

(2) - خالد توكال مرسي: فن الإلقاء والتحرير الكتابي، ص 45.

(3) - حازم علي كمال الدين: دراسة في علم الأصوات، ص 33.

(4) - حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط 1، 1426هـ/ 2005م، ص 82.

(5) - سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي: إبدال الحروف في اللهجات العربية، ص 165.

(6) - كمال بشر: فن الكلام، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 1424هـ/ 2003م، ص 214.

فالهاء إذن صوت صامت حلقي مهموس احتكاكي منفتح، ونظيره المجهور هو صوت العين.

عاشرا: الأصوات الحنجرية:

1 - الهمزة: صوت حنجري شديد مهموس منفتح، غير أنّ بعض اللغويين رأوا أنّها صوت ليس بالمجهور ولا بالمهموس، لأنّ فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقا تاما فلا تُسْمَع لها ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق، إلا حين تنفرج فتحة المزمار. ذلك الانفراج الفجائي الذي يُنتج الهمزة⁽¹⁾.

فهزة القطع بهذا صوت صامت لا هي بالمجهورة، ولا هي بالمهموسة؛ ذلك أنّ الوترين الصوتيين حال النطق بها لا هما في حالة التقارب، ولا هما في حالة التباعد، وهو صوت حنجري انفجاري منفتح.

2 - الهاء: تتكوّن الهاء العربية عندما يتّخذ الفم الوضع الصالح لنطق مصوّت كالفتحة، أي الصائت المفتوح، ويمرّ الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين محدثا صوتا احتكاكيا، يُرْفَع الحنك اللين، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، إذن فهو صامت حنجري احتكاكي مهموس⁽²⁾.

ملاحظة:

إنّ مخرج "الميم" هو الشفتان، أمّا مخرج "النون" فهو اللثة مع طرف اللسان، هذا حال تحركهما بإحدى الحركات الثلاث، أمّا في حالة سكونهما فيكون مخرجهما هو الأنف (الخيشوم)، وذلك بأن تنطبق الشفتان أثناء النطق بالميم انطباقا تاما، فلا يسمحان بخروج الهواء الصاعد من الرئتين عبر الفم، بل عبر التجويف الأنفي وذلك بخفض الحنك اللين، أمّا أثناء النطق بالنون الساكنة فيتمّ انطباق اللسان واللثة فلا يسمحان بمرور الهواء عبرهما، ثمّ ينخفض الحنك اللين فيعْبُرُ الهواء عبر الممر الأنفي.

(1) صالح سليم عبد القادر الفاحري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، مصر، دط، 1428هـ / 2007م ص142.

(2) هيام كريدية: الألسنية الفروع والمبادئ والمصطلحات، ص132.

المطلب الثاني: جدول تفصيلي عن صفات الحروف

يمكن تلخيص صفات الصوامت العربية من حيث قوتها وضعفها في الجدول التالي⁽¹⁾:

مجموع صفاتها	صفات الحرف الضعيفة					صفات الحرف المتوسطة			صفات الحرف القويّة									الهمزة	الواو	
	الز	الفتح	الغنة	الساكنة	المهملة	المتوسطة	الإذلاق	إصمات	تكرير	استطالة	تفشي	انحراف	صفي	قلقلة	إطباق	استعلاء	ثبوت			الهمزة
خمس		أ	أ				أ										أ	أ	همزة	1
ست		ب	ب				ب							ب			ب	ب	باء	2
خمس		ت	ت		ت		ت										ت		تاء	3
خمس		ث	ث	ث	ث		ث												ثاء	4
ست		ج	ج				ج						ج				ج	ج	جيم	5
خمس		ح	ح	ح	ح		ح												حاء	6
خمس		خ		خ	خ		خ							خ					خاء	7
ست		د	د				د						د				د	د	دال	8
خمس		ذ	ذ	ذ			ذ											ذ	ذال	9
ست		ر	ر			ر	ر				ر							ر	راء	10
ست		ز	ز	ز			ز				ز							ز	زاي	11
ست		س	س	س	س		س				س								سين	12
ست		ش	ش	ش	ش		ش			ش									شين	13
ست				ص	ص		ص				ص		ص	ص	ص				صاد	14
ست				ض			ض		ض				ض	ض	ض		ض	ض	ضاد	15
ست							ط						ط	ط	ط		ط	ط	طاء	16
خمس				ظ			ظ							ظ	ظ		ظ	ظ	ظاء	17
خمس		ع	ع		ع		ع											ع	عين	18
خمس		غ		غ			غ							غ				غ	غين	19
خمس		ف	ف	ف	ف		ف												فاء	20
ست		ق					ق						ق	ق	ق	ق	ق	ق	قاف	21
خمس		ك	ك		ك		ك										ك		كاف	22
ست		ل	ل		ل	ل				ل								ل	لام	23
خمس		م	م		م	م												م	ميم	24
خمس		ن	ن		ن	ن												ن	نون	25
خمس		هـ	هـ	هـ	هـ		هـ												هاء	6
ست		و	و	و	و		و											و	واو	27
ست		ي	ي	ي	ي		ي											ي	ياء	28
خمس		ا	ا	ا			ا											ا	ألف	29
	2	25	22	16	10	5	6	23	1	1	1	2	3	5	4	7	8	19	مجموع حروف الصفة	

(1) - عماد علي جمعة: أحكام التلاوة والتجويد الميسرة، ص18.



الفصل الثالث:

الظواهر التركيبية (القطعية) في

اللغة العربية:

(المدّ والقصر، الفتح والإمالة، الهمز)

المبحث الأول: المدّ والقصر

المبحث الثاني: الفتح والإمالة

المبحث الثالث: الهمز وأحكامه

الفصل الثالث: الظواهر التركيبية (القطعية) في اللغة العربية: المدّ، الفتح والإمالة، الهمز.

توطئة:

كثيرة هي الظواهر أو الفونيمات التركيبية في اللغة العربية على مستواها الصوتي، ونظرا لهذا التعدد ارتأينا أن نركّز في هذا الفصل على ثلاثة ظواهر صوتية فقط، تجمع بينها قواسم مشتركة منها: أنّها كلّها ظواهر خاصة بالصوائت، قصيرة كانت أم طويلة، وهذه الظواهر هي: المدّ لاختصاصه بالصوائت الطويلة الثلاثة (الألف، الواو والياء)، الإمالة لاختصاصها بالألف المدّية الممالة إلى الياء المدّية، وكذا الفتحة الممالة إلى الكسرة، وظاهرة الهمز بمختلف أحكامها، وهي ظاهرة خاصة بالهمزة وعلاقتها بالصوائت الطويلة أو القصيرة؛ فالإبدال يكون بإبدال الهمزة بحرف من حروف المدّ الثلاثة، والتسهيل يكون بالنطق بالهمزة بينها وبين إحدى الحروف المدّية، أمّا النقل فيكون بنقل حركة الهمزة (الفتحة أو الضمّة أو الكسرة) إلى الحرف الساكن قبلها.

وسنقوم في هذا الفصل بالتعرّف على هذه الظواهر الثلاث، مع الإحاطة بمختلف أحكامها حسب رواية "ورش عن نافع"، محاولين سبر أغوار العلاقة بين الأداء والدلالة في السياق القرآني؛ ذلك أنّ عملية التواصل تعتمد بالدرجة الأولى على السياق اللغوي المنطوق أو المؤدّى بالأصوات. وإتني أستمدّ العون من الله عزّ وجلّ في الكشف عن أوجه هذه العلاقة، أملا أن أوفّق إلى تبيان اليسير من هذا الكنز الثمين الزاخر بالبيان المعجز. ونشير هنا إلى أنّ أمثلة هذه الظواهر الثلاث في سورة المائدة كثيرة ومتعدّدة، ولأجل ذلك قمنا بعملية انتقائية لبعض نماذجها في كلّ حكم من الأحكام الخاصة بها، هذا وسنكتفي في هذا الفصل بربط العلاقة بين الأداء الصوتي وبين الدلالة مع ظاهري: المدّ والإمالة فقط.

المبحث الأول: المد والقصر:

يعتبر المدّ والقصر من الظواهر الصوتية المتقابلة، فما المقصود بهما؟. وأيُّهما الأصل؟.

المطلب الأول: المدّ والقصر في اللغة:

1 - تعريف المدّ:

جاء في المعجم الوسيط في شرح مادة "مَدَدَ": «مَدَّ النَّهَارَ مَدًّا: انبسط ضياؤه، وفلان في سيره: مضى، والشيء: زاد فيه (...). والجيش: أعانه بِمَدَدٍ يَقْوِيهِ (...). والله الأرض: بسطها، والأجل: أطاله (...). والحبل: جذبته وطوّله، والحرف: طوّله في النطق أو الكتابة (...). والتَّمَدُّدُ: زيادة سطح الجسم أو حجمه أو مساحته أو طوله (...). والمدّ: السيل وكثرة الماء (...). والمدريدّ: الطويل، والممال الممدودّ: الكثير...»⁽¹⁾.
إذن فالمدّ في معناه اللغوي يحيل على معنى: المطّ والتطويل والزيادة.

2 - تعريف القصر:

ورد في "اللسان": «قَصَرَ: القَصْرُ والقَصْرُ في كلِّ شيء: خلاف الطّول (...). قَصَرَ الشيء بالضمّ: يَقْصُرُ قِصْرًا: خلاف طال، قَصَرْتُ من الصلاة أَقْصَرَ قِصْرًا، والقَصِيرُ: خلاف الطويل (...). وتَقَاصَرَ: أظهر القِصَرَ، وقَصَرَ الشيء: جعله قصيرا (...). والقَصِيرُ من الشَّعْر: خلاف الطويل (...). والقَصْرُ: خلاف المدّ (...). وقد قَصَرَ بهم الليل أي حبسهم (...). والإِقْصَارُ: الكف عن الشيء (...). والتَّقْصِيرُ في الأمر: التواني فيه (...). وقَصَرَ الظلام: اختلاطه...»⁽²⁾.

وعليه فإنّ القصر في اللغة يطلق على: الإنقاص والشيء القليل أو الخفيف، كما يعني كذلك الحبس...

المطلب الثاني: المدّ والقصر في الاصطلاح

1 - تعريف المدّ:

يُعرّف المدّ بأنّه: «إطالة الصوت بحرف من حروف المدّ واللين، أو بحرف من حربي اللين فقط»⁽³⁾.
وحروف المدّ واللين ثلاثة وهي: الألف الساكنة المفتوح ما قبلها، الواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها، أمّا حربي اللين فكما سبق تعريفهما في الصفات التي لا ضدّ لها فهما: الواو والياء المفتوح ما قبلهما.

(1) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة مَدَدَ.

(2) - ابن منظور: لسان العرب، مج3، مادة قَصَرَ.

(3) - خالد قاسم بني دومي: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص 110.

إذن من خلال هذا الكلام يمكن القول بأنّ حروف المدّ الثلاثة تسمّى حروف مدّ ولين، غير أنه يوجد فرق جدّ دقيق بين "المدّ" و"اللين"، فكما رأينا في السابق لا بدّ أن يسبق حرف المدّ حركة مجانسة له؛ وذلك بأن يكون قبل الألف الساكنة فتحة، وقبل الواو الساكنة ضما، وقبل الياء الساكنة كسرا، في حين أن حرفا اللين هما الواو والياء الساكنتان ولكن المفتوح ما قبلهما؛ أي حركة غير مجانسة لهما، وهذا يعني أنّ الألف لا تكون إلاّ حرف مدّ ولين، أمّا "الواو" و"الياء" فإمّا أن تكونا: حرفي مدّ ولين إذا سُكِّنتا وسبقتهما حركة مجانسة لهما، وإمّا أن تكونا حرفي لين فقط، وذلك إذا سُكِّنتا وانفتح ما قبلهما، أمّا «الياء الساكنة المضموم ما قبلها، والواو الساكنة المكسور ما قبلها فلم ترد لا في اللغة ولا في القرآن الكريم»⁽¹⁾.

ولكن لا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ المدّ في "الياء" و"الواو" الليتين المفتوح ما قبلهما - على الرغم من أنّ فيهما شيء من المدّ واللين - إلاّ أنّهما «أنقص في الرتبة ممّا في الياء المكسور ما قبلها والواو المضموم ما قبلها ويقوي ذلك جواز وقوع الساكن المدغم بعدها، كما يقع بعد الواو المضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها»⁽²⁾.

2 - تعريف القصر:

للقصر في معناه الاصطلاحي معنيان هما⁽³⁾:

- * ترك إطالة الصوت وإثبات حرف المدّ واللين، أو حرفي اللين من غير زيادة عليهما.
- * حذف حرف المدّ من الكلمة.

والقصر يعني عدم المدّ، وحينما نقول: المدّ فإنّنا نعني الإشباع بالدرجة الأولى، ثمّ التوسط بالدرجة الثانية وهذا يعني أنّ القصر غير الإشباع أو التوسط، ولهذا فهو «إعطاء الحرف حقّه من النفس من غير زيادة عليه، ولهذا كثيرا ما يسمّيه علماء التجويد والأصوات بالمدّ الطبيعي، لأنّ مدّ الحرف بحركتين يعتبر من طبيعة الصوت، وهذا هو الأصل في الأصوات»⁽⁴⁾. ويبدو أنّ المعنى الأول أقرب إلى الصواب من المعنى الثاني؛ ذلك أنّ القصر هو ترك الزيادة فوق حركتين وليس ترك المدّ البتة، لأنّ ذلك معناه حذف لحرف من حروف القرآن الكريم، وهذا لا يجوز، وأمّا المدّ فغالبا ما يطلق حين التوسط أو الإشباع فيه. ومن هنا أمكن القول: إنّ حروف المدّ إمّا أن تمدّ بمقدار حركتين (القصر)، أو أربع حركات (التوسط)، أو بست حركات (الإشباع أو الطول).

(1) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص 204.

(2) - أبو العباس أحمد بن عمّار المهديّ: في توجيه القراءات شرح الهداية، ص 229.

(3) - عبد الفتاح عبد الغني القاضي: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، ص 73.

(4) - عبد المهدي كايد أبو أشقير: تحليل أكوستيكي لوجوه الاختلاف الصوتي بين ورش وقالون في قراءة نافع، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع

إربد، الأردن، ط 1، 1427هـ/2006م، ص 59.

بناء على ما سبق يتبين جليا أنّ «القصر أصل لا مسوغ له، والمدّ فرع لا يقع إلاّ بسبب»⁽¹⁾.

المطلب الثالث: أحكام المدّ وأقسامه

يختلف حكم المدّ باختلاف نوعه، فمنه ما يمدّ بمقدار حركتين، ومنه ما يمدّ بمقدار أربع أو خمس حركات ومنه ما يمدّ بمقدار ست حركات، ويمكن أن نحصر جميع أنواع المدود في قسمين رئيسيين هما: المد الطبيعي والمد الفرعي، وفيما يلي تفصيل كلّ قسم على حدا:

أولاً: المدّ الطبيعي (الأصلي):

وهو «الذي لا تقوم ذات الحرف إلاّ به، ولا يتوقف على سبب»⁽²⁾، وأحرفه المدّ السابقة الذكر والتي جمعها علماء التجويد في لفظ "نُوحِيهَا"، ويُمدّ بمقدار حركتين نحو: قال، يقول، قيل. ويسمّى مدا أصليا لأنّه «أصل للمدّ الفرعي»⁽³⁾، وطبيعيا لكون «صاحب الطبيعة السليمة لا يزيده عن المقدار المقرر ولا ينقصه عنه، والمقدار المقرر له في المدّ حركتان، والحركة زمن قبض الأصبع أو بسطه»⁽⁴⁾. إذن فهذا النوع من المدّ لا يحتاج إلى سبب أو علّة لأنّه هو الأصل، وهو الطبيعة في الحرف الممدود؛ ذلك أنّ المدّ لا يمكن أن يكون أقلّ من حركتين، وإلاّ فإنّ الحرف - حين ذاك - لم يُعْطَ حقّه، والمدّ الطبيعي على نوعين هما:

1 - **كلمي**: وهو «الواقع في كلمة نحو: تاب، يتوب، قريب»⁽⁵⁾.

2 - **حرفي**: وهو الواقع في حروف فواتح بعض السور، وعدّها خمسة أحرف مجموعة في جملة: "حي طهر" ومواضعها في القرآن الكريم كالآتي⁽⁶⁾:

* الحاء: في ﴿جَم﴾ وهي واردة في السور السبع المسماة "الحواميم"، وهي: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف الدخان، الجاثية، الأحقاف.

* الياء: في ﴿كَهَيَّعَنَّ﴾، فاتحة مريم، و﴿يَس﴾، فاتحة يس.

* الطاء: في ﴿طَهَّ﴾ فاتحة طه، و﴿طَس﴾ فاتحة النمل، و﴿طَيْم﴾ فاتحة الشعراء والقصص.

(1) - عبد المهدي كايد أبو أشقير: تحليل أكوستيكي لوجوه الاختلاف الصوتي بين ورش وقالون في قراءة نافع، ص 59.

(2) - أبو عبد الرحمن عاشور خضراوي الحسني: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 53.

(3) - محمد أحمد معبد: الملخص المفيد في علم التجويد، ص 41.

(4) - المرجع نفسه، ص ن.

(5) - غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، ص 83.

(6) - المرجع نفسه، ص ن.

* الهاء: في ﴿كَهَيْعَصٍ﴾، و﴿طَبَّ﴾.

* الراء: في ﴿آلر﴾ فاتحة يونس، هود، يوسف، إبراهيم والحجر، وفي ﴿آلمر﴾ فاتحة الرعد.

يُفهم من خلال ما سبق أنّ الحروف الخمس السابقة الذكر هي فقط التي تمدّ دون غيرها، هذا طبعا إذا ما وقعت في فواتح السور، ويكون مدّها بجزئتين فقط، فلا مدّ مثلا في ﴿آلم﴾ لأنّ حروفها كلّها ليست من حروف المدّ الواقعة في فواتح السور القرآنية، ونلاحظ كذلك من خلال الكلام السابق حول أنواع المدّ الطبيعي أنّ كلمة ﴿طَبَّ﴾ الواقعة في فاتحة سورة "طه" تمدّ كلّها؛ أي "الطاء" حركتان و"الهاء" حركتان.

هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ المدّ الطبيعي في سورة المائدة قد اقتصر وقوعه على نوع واحد منه فقط وهو: "المدّ الطبيعي الكلمي"، ونظرا لكثرة ورود هذا النوع في نصّ هذه السورة، سنكتفي بالتمثيل له بهذه النماذج:

- قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۗ أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْبَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ /1، 2.

- قال تعالى: ﴿بِمَسْ تَابٍ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ ۗ وَأَصْلَحَ ۗ بَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ /41.

- قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُنَّ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ /122.

❖ ملاحق المدّ الطبيعي:

إنّ هذه الأنواع من المدود التي سنأتي على ذكرها هي في الحقيقة ليست أصلية، كما أنّها تتوقف على أسباب وشروط، وهذا خلافا للمدّ الطبيعي الذي لا تقوم ذات الحرف إلاّ به، ولا يتوقف على سبب أو شرط كما سبق في تعريفه، وإنّما سميت هذه الأنواع ملاحق لأنّها تلحق المدّ الطبيعي في حكمه، فهي تمدّ أيضا بمقدار حركتين شأنها في ذلك شأن المدّ الأصلي، وفيما يلي بيان لذلك:

* مدّ الصلة الصغرى:

يمكن تعريف الصلة بمفردها بالقول: إنّها: «زيادة حرف مدّ بعد هاء الضمير (هاء الكناية)» (*)، أو بعد ميم

(*)- هي هاء زائدة دالة على المفرد المذكر الغائب، وتسمى عند البصريين ضميرا، ومعنى هذا أنّها ليست أصلية ولا تدلّ على الواحدة المؤنثة، ولا على المثنى، ولا حتى على الجمع، وتتصل بالفعل نحو: "ينصره"، وبالاسم نحو: "رسوله"، وبالحرف نحو: "إليه"، والأصل في هاء الكناية أن تتحرك بالضم نحو: "له" و"منه"، وقد تكسر إذا سبقت بكسر، أو ياء ساكنة للمناسبة والإتباع الحركي، غير أنّ هذا ليس هو محلّ الخلاف بين القراء، بل هو دائر حول تسكينها، أو تحريكها بالضمّ أو الكسر، وكذا حول صلتها أو قصرها، ويختلف حكمها باختلاف الحرف السابق واللاحق لها من حيث الحركة والسكون ويمكن على هذا الأساس أن نتميّز بين أربعة حالات: =

الجمع(*)»⁽¹⁾.

- الصلة الصغرى: وتسمى كذلك بصلة "هاء الكناية"، وهي «جعل ضمة هاء الضمير واوا وكسرتة ياء إذا وقع بين متحركين، ما لم يكن بعدها همزة قطع، ويلحق بها الهاء الثانية من كلمة "هذه"»⁽²⁾. وأمثلتها مستفيضة في سورة المائدة، وهذه بعض النماذج: قال تعالى: ﴿بَقْدُ حَيْطَ عَمَلُهُ وَهُوَ﴾/5، تقرأ: "عَمَلُهُ"، ﴿يَحْرَبُونَ أَلَكِيمَ عَنِ مَوَاضِعِهِ وَتَسُوا﴾/13، تقرأ: "مَوَاضِعِي"، ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتِيَّ وَاللَّهِ﴾/67 تقرأ: "رِسَالَاتِي"، ﴿وَأَمَّهُ صِدِّيْقَةٌ﴾/75، وتقرأ: "وَأُمُّهُ"، وغيرها من الأمثلة الكثيرة.

هذا ولم تقع الصلة الصغرى - نهائياً - في هذه السورة عند الهاء الثانية من كلمة "هذه".

1= - وقوعها بين حرفين ساكنين فلا توصل بواو حال الضم ولا ياء حال الكسر عند جميع القراء نحو: ﴿بِهِ أَلْفَرَاءُنُ﴾ البقرة/185.

2 - وقوعها بين حرف سابق متحرك وحرف لاحق ساكن، ولها نفس الحكم السابق (حذف الصلة) نحو: ﴿لَهُ أَلْمَلِكُ﴾ البقرة/247.

3 - وقوعها بين حرف سابق ساكن وحرف لاحق متحرك ولها عند "ورش" حذف الصلة نحو: ﴿بِهِ هَدَى﴾ البقرة/2.

4 - وقوعها بين حرفين متحركين فإن كانا أصليان من بنية الكلمة فإن "ورشاً" يصلها بواو إذا كانت مضمومة، وبالياء إن كانت مكسورة، وهو في ذلك يتفق مع جميع القراء في هذا الحكم، أما إذا وقعت بين حرفين متحركين حالاً لا أصالة فإن القراء هنا اختلفوا في حكم هاء الكناية، فهناك من اعتد بالأصل فحذف الصلة، وهناك من اعتد بالحال فوصل، أما الإمام "ورش" فلقد وصل إلّا في موضع واحد وهو: ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ الزمر/7، ووجه حذف الصلة هنا ثقل الضم. للمزيد من التوسع ينظر: غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، صص 66، 69.

(*) - وهي ميم زائدة دالة على جمع المذكر حقيقة أو تنزيلاً، فهي ليست أصلية ولا تدلّ لا على المفرد ولا على المثني، ولا بدّ أن تكون فضلاً عن هذه الشروط مسبوقه بأربع حروف جمعها كلمة "أهتك"، ويختلف حكم ميم الجمع باختلاف حال ما بعدها من حيث الحركة والسكون، فإذا وقعت ميم الجمع قبل حرف متحرك وكان متصلاً بها، ولا يكون حينها إلّا ضميراً نحو: ﴿دَخَلْتُمُوهُ﴾ المائدة/25، فحكمها الضم مع الصلة عند جميع

القراء، وإن كان منفصلاً عنها فإمّا أن يكون همزاً قطعياً فإن "ورشاً" حينها يضمها ويصلها بواو ويمدّها بإشباع، نحو: ﴿لِيَبْلُوكُمْ وَأَيْكُمُ

أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الملك/2 وإمّا أن يكون حرفاً هجائياً آخر غير همزة القطع فحينها تقرأ بالإسكان على مذهب "ورش" نحو: ﴿وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ﴾

يونس/62، أمّا إذا وقعت ميم الجمع قبل حرف ساكن قرأها الجميع من دون صلة "مضمومة"، وهي حركتها الأصلية تخلصاً من التقاء الساكنين، نحو قوله تعالى: ﴿فِيْنَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ آل عمران/110. للمزيد من التوسع ينظر: غنية بوحوش: المرجع نفسه، صص

64، 66.

(1) - محمد نيهان بن حسين مصري: الإستبرق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (الشاطبية)، دار القبة للثقافة الإسلامية، جدّة، السعودية 2007م، 1428هـ/ص 29.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

ملاحظة⁽¹⁾:

- إذا وقع بعد الهاء الثانية من كلمة "هذه"، همزة قطع وجب مدها بست حركات عند "ورش" نحو: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ﴾ الأنعام/138.

- يستثنى من مدّ الصلة الصغرى في قراءة "ورش": "يرضه لكم"، في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ الزمر/6، فلا تُمدّ.

* مدّ العوض:

هو «إبدال التنوين المنصوب ألفا لدى الوقف، ما لم يكن التنوين على تاء التانيث المربوطة»⁽²⁾. وأمثلة هذا الملحق في سورة المائدة كثيرة ومتعدّدة، شأنه في ذلك شأن الصلة الصغرى ولاجتناّب الإطناب والتكرار نكتفي ها هنا بإيراد هذه النماذج:

الوقف على الكلمتين التاليتين: (فَضْلًا + رِضْوَانًا) الآية/3، تقرأ وقفًا: فَضْلًا، رِضْوَانًا.

الوقف على الكلمتين التاليتين: (هُزُؤًا وَلَعِبًا) الآية/59، 60، تقرأ وقفًا: هُزُؤًا، لَعِبًا.

الوقف على الكلمات التالية: (مُتَعَمِّدًا + هَدِيًا + صِيَامًا) 97، تقرأ وقفًا: مُتَعَمِّدًا، هَدِيًا، صِيَامًا. وقس على ذلك مع بقية النماذج الأخرى.

أما إذا كان التنوين على «تاء التانيث المربوطة، فإنّ القارئ يقف عليها بالهاء الساكنة»⁽³⁾.

ومن أمثلة ذلك في سورة المائدة الكلمات التالية: ﴿... فَلَسِيَّةٌ...﴾ 14، وتقرأ وقفًا: فَالَسِيَّةُ، ﴿قَالَ فَإِنَّهَا

مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ 28، تقرأ وقفًا: "مُحَرَّمَةٌ / سَنَةٌ"، ﴿... عَدَاوَةٌ...﴾ 84، تقرأ وقفًا:

"عَدَاوَةٌ"، ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ... وَآيَةً مِنْكَ...﴾ 116، تقرأ وقفًا: "مَائِدَةٌ / آيَةٌ".

فكلّ كلمة انتهت في هذه الآيات بتاء مربوطة وكانت منونة فإنّ القارئ يقرؤها هاء ساكنة حال الوقف

عليها لا الوصل.

نلاحظ من خلال الحديث عن ملاحق المدّ الطبيعي أنّهما يختلفان عنه، لأنّ في كلّ واحد منهما شروطا

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 98، 99.

(2) - محمد نبهان بن حسين مصري: الإستبرق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (الشاطبية)، ص 27.

(3) - المرجع نفسه، ص ن.

وأساببا يتوقف حصولهما عليها، فمن شروط الصلة الصغرى: وقوع هاء الكناية بين حرفين متحركين لا غير، بشرط ألا يكون الثاني منهما همزة قطع، ومن شروط مدّ العَوْضُ أنّ التعويض يكون بالألف حينما يكون التنوين مفتوحا فقط، أي ليس مضموم ولا مكسور، ولا يكون إلا في تاء التأنيث المربوطة وليس المفتوحة، لأنّ في الربط كذلك شرط انتفاء الفتح.

ثانيا: المدّ الفرعي:

يعرّف هذا النوع بأنّه: «إطالة زمن الصوت بحرف من حروف المدّ زيادة على المدّ الطبيعي لسبب لفظي أو معنوي، فاللفظي يكون إمّا بسبب وجود همزة قبل أو بعد حرف المدّ في كلمة واحدة، أو أن يكون حرف المدّ في آخر الكلمة والهمزة في أول الكلمة التي تليها، وإمّا بسبب سكون الحرف الذي يأتي بعد حرف المدّ في الكلمة نفسها سكونا أصليا أو سكونا عارضا بسبب الوقف»⁽¹⁾.

يفهم من هذا التعريف أنّ المدّ الفرعي لا يكون مقداره حركتان، وإمّا هو يزيد عن ذلك إمّا بالتوسط؛ أي أربع حركات أو بالإشباع؛ أي بست حركات، وذلك لأنّه متوقف على سبب وشرط، وهي نقطة الخلاف بينه وبين المدّ الطبيعي، وعليه يمكن أن تميّز للمدّ الفرعي بالنظر إلى أسبابه (الهمز أو السكون) بين نوعين من المدّ، وكلّ نوع منهما ينقسم بدوره إلى أنواع وملاحق كما يلي:

1 - ما كان سببه الهمز: (المد الفرعي بسبب الهمز):

أ/ المدّ المتصل:

وهو أن «يجتمع حرف المدّ وبعده الهمز في كلمة واحدة، ويمدّ بمقدار ست حركات وجوبا»⁽²⁾. نحو:

الكلمات التالية من سورة المائدة: ﴿شَعِيرٌ+الْفَلَيْدُ﴾/3، ﴿جَاءَ+الْعَايِطُ+الْيَسَاءُ+مَاءٌ﴾/7

﴿أَوْكِيكَ﴾/62، 47، 11 وغيرها من المواضع، ﴿دَايِرَةٌ﴾/54، ﴿يَشَاءُ+وَالْبَغْضَاءُ﴾/66، ﴿وَلَا سَائِبِيَّةٍ﴾

﴿105﴾، ﴿طَيْرًا﴾/112 ﴿مَائِدَةٌ + السَّمَاءُ﴾/114، وغيرها من الأمثلة.

إذن فالمدّ المتصل متوقف على سبب، وهو: وقوع حرف المدّ متصلا بالهمز أولا وفي كلمة واحدة لا فاصل

بينهما ثانيا، ولأجل هذا وجب مدّه بالإشباع عند "ورش".

(1) - عبد الله عبد القادر حيلوز: الميسر المفيد في علم التجويد، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، الأردن، ط5، 1429هـ/2008م، ص88.

(2) - أبو عبد الرحمن عاشور خضراوي الحسني: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص53.

❖ ملحق المدّ المتصل:

يلحق بالمدّ المتصل مدّ واحد وهو "مدّ اللين المهموز"، وقبل التعرض له لا بدّ أولاً أن نعرف المقصود بـ "مدّ اللين":

* تعريف مدّ اللين: وهو «إذا ما وَقِفَ على الكلمة بالسكون، وكان الحرف قبل الأخير ياءً أو واواً مفتوحاً ما قبلها نحو: "خَوْفٌ"، "بَيْتٌ"، ويجوز في مدّه عند الوقف عليه: القصر، التوسط، والطول»⁽¹⁾. أمّا إذا كان الحرف الواقع بعد "الواو" و"الياء" الساكنتين المفتوح ما قبلهما همزة سمي ذلك مدّاً ليناً مهموزاً، وهو ملحق بالمدّ المتصل في حكمه، وقد ثبت عن الإمام "ورش" فيه وجهان: مدّه بمقدار أربع حركات (التوسط)، أو ست حركات (الإشباع) وصلاً ووقفاً، ويستثنى من ذلك كلمة: ﴿مَوْيَلًا﴾ الكهف/58 و﴿أَلْمَوْءِدَةَ﴾ التكوير/8، فإنّه يقرؤها بالقصر؛ أي بتسكين "الواو" فقط دون مدّ، وذلك لسقوط "الواو" في بعض تصاريفها مثل: يئل، أل، وأد ويعد،... واختلّفوا في كلمة ﴿سَوْءَاتُهُمَا﴾ و﴿سَوْءَاتِكُمْ﴾ الأعراف/20، 22، 26 و27، وسورة طه/121، وهي جمع سوءة بفتح "الواو" أصلاً، فاستقلوا الحركة على حرف العلة فسكّنها فقرأها بعض القراء بالمدّ نظراً إلى السكون الموجود، والآخرون نظروا إلى أصل الحركة فلم يمدّوها، أمّا "ورش" فله في هذه الكلمة أربعة أوجه: 1: قصر اللين مع ثلاثة البدل، 2: توسط اللين مع توسط البدل⁽²⁾.

ومن أمثلة هذا الملحق في سورة المائدة النماذج التالية: كلمة: ﴿شَعْرٍ﴾ الآيات: 19، 21، 42، 70، 96، 99، 119، 122 وغيرها من المواضع. وكذا كلمة: ﴿شَيْعًا﴾/19، 43، 44، 106، وغيرها من المواضع. كلمة: ﴿سَوْءَةٌ﴾/33، وهي كلمة فيها المدّ وعدمه كما أشرنا، والمدّ هنا عند "ورش" بالتوسط (أربع حركات). وكلمة: ﴿كَهَيْقَةٍ﴾/112، وغيرها من النماذج.

ب/ المدّ المنفصل:

وهو «أن يأتي حرف المدّ في آخر الكلمة وبعده الهمزة في أول كلمة أخرى، ويمدّ بمقدار ست حركات

(1) - يوسف الخليفة أبو بكر: أصوات القرآن كيف تتعلّمها وتعلّمها، مكتبة الفكر الإسلامي، الخرطوم، السودان، ط1، 1392هـ/1973م، ص 129.

(2) - ينظر: حليلة سال: القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة، صص 125، 126.

وجوبا»⁽¹⁾.

وأمثلته في سورة المائدة كثيرة ومتنوعة، وهذه بعضها. قال تعالى: ﴿وَلَا تُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾/6، ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾/13، ﴿عَلَىٰ أَدْبُرِكُمْ﴾/23، ﴿بِأَفْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾/40، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾/50 ﴿إِلَّا إِلَهًا﴾/75، ﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ﴾/85، ﴿طَعِمُوا إِذَا﴾/95، ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ﴾/116 وغيرها من النماذج.

إذن فالمد المنفصل هو الآخر متوقف على أسباب وشروط، وهي: وقوع حرف المد في آخر الكلمة السابقة والهمز في أول الكلمة اللاحقة؛ أي بشرط انفصالها، ولكن ليس بفواصل (حرف أو كلمة)، بل إن إحداها في كلمة والأخرى في الكلمة التي تليها مباشرة، وعلى هذا وجب مدّه بالطول عند الإمام "ورش".

- أنواع المد المنفصل:

يمكن أن نتميز لهذا الصنف من المدود بين نوعين اثنين هما⁽²⁾:

- المد الحقيقي: هو: أن يكون حرف المد ثابتا في الرسم واللفظ، وأمثلته من سورة المائدة قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾/37، ونحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا﴾/85.

- المد الحكمي: هو: أن يكون حرف المد محذوفا رسما ثابتا لفظا، نحو قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَأْتِيهَا﴾ الواقعة في هذه السورة في ثمانية عشر موضعا، مثل الآيات: 1، 12، 53، 92، 107... وقوله أيضا:

﴿أَرْزُقْكَ أَصْحَابَ الْجَحِيمِ﴾/11.

❖ ملاحق المد المنفصل:

يلحق بالمد المنفصل من حيث حكمه ما يلي:

* مد ألف ضمير المتكلم (أنا):

تمد ألف ضمير المتكلم المفرد "أنا" وذلك إذا «جاء بعدها همز قطع مفتوح أو مضموم بست حركات كالمنفصل»⁽³⁾. وأمثلة هذا الملحق معدومة في سورة المائدة، ولتوضيح هذا الحكم نسوق المثالين التاليين من سورتي

(1) - أبو عبد الرحمن عاشور خضراوي الحسني: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 53.

(2) - خالد قاسم بني دومي: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص 114.

(3) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 100.

البقرة والأنعام كما يلي: قال تعالى: ﴿أَنَا أَحْيَاءٌ وَآمِيتٌ﴾ البقرة/258 وقوله: ﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأنعام/163.

في هذا النوع من المدّ شروطاً وأسباباً، ولأجل ذلك الحَقُّ بالمدّ المنفصل، فهو أولاً: لا يكون إلا في الضمير المتكلم المفرد، وفي هذا إقصاء لضمير الجماعة المتكلمين (نحن)، وكذلك يشترط هذا النوع وقوع همزة القطع المفتوحة والمضمومة بعد ضمير المتكلم المفرد مباشرة، وفي هذا استبعاد أيضاً لهزمة الوصل، وكذا همزة القطع المكسورة، وكلّ هذه الشروط تولّد شرطاً آخر وهو: امتناع مدّ ألف ضمير المتكلم (أنا)، إذا كان بعده حرف آخر غير الهمزة.

ملاحظة⁽¹⁾:

- إذا وقع بعد ألف ضمير المتكلم (أنا) حرف غير الهمز فإنه - عند ورش - لا مدّ فيه حالة الوصل نحو: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ الكافرون/4، أمّا حالة الوقف عليها فإنّها تمدّ بمقدار حركتين.

- إذا كان بعد ألف ضمير المتكلم همزة وصل مثل: ﴿وَأَنَا إِخْتَرْتُكَ﴾ طه/13 أو همزة قطع مكسورة مثل: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ الشعراء/115 فلا مدّ فيها حالة الوصل، أمّا حالة الوقف فتمدّ بمقدار حركتين.

* مدّ الصلة الكبرى (مدّ هاء الكناية):

وهو: «جعل ضمة هاء الضمير واوا وكسرتة ياءً إذا وقع بين المتحرك وهمزة القطع، ومقداره ست حركات»⁽²⁾. ومن أمثله في سورة المائدة: ﴿بِهِمْ إِذْ﴾ 8، تقرأ: ﴿بِهِمْ إِذْ﴾ و﴿وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةً﴾ 56، تقرأ: ﴿يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةً﴾ و﴿بَكَرْتَهُوَ إِطْعَامُ﴾ 91، تقرأ: ﴿فَكَفَّارْتَهُوَ إِطْعَامُ﴾، ﴿تَنَالَهُوَ أَيْدِيكُمْ﴾ 96، تقرأ: ﴿تَنَالَهُوَ أَيْدِيكُمْ﴾، ﴿لَا أَعْدْبُهُوَ أَحَدًا﴾ 117، تقرأ: ﴿أَعْدْبُهُوَ أَحَدًا﴾، وغيرها من النماذج.

ومن أسباب هذا النوع - إذن - مدّ هاء الضمير المضمومة بالواو والمكسورة بالياء، ويخرج من هذه الشروط: مدّ هاء الضمير المفتوحة بالألف، لأنّ في ذلك خرق لأهمّ شروط "هاء الكناية" التي لا تدلّ إلا على المذكّر المفرد (هو)، هذا فضلاً على وجوب وقوع هاء الكناية بين متحركين ثانيهما همزة قطع لا وصل متحركة

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 100.

(2) - محمد نبهان بن حسين مصري: الإستبرق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (الشاطبية)، ص 31.

(يأحدي الحركات الثلاث المعروفة) لا ساكنة.

* صلة ميم الجمع:

وهي «زيادة واو بعد ميم الجمع قبل همزة القطع، ومقداره مدها ستة حركات»⁽¹⁾. يفهم من خلال هذا التعريف أنه إذا وقع بعد ميم الجمع همزة قطع لا وصل ضُمَّت ومُدَّت بالواو مدًا مشبعًا وصلًا لا وقفًا. وأمثلة صلة ميم الجمع مستفيضة في سورة المائدة، ولذا سنكتفي ها هنا بعرض بعض النماذج فقط:

قال تعالى: ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى... وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى...﴾ 7/ وتقرأ: ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى... وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى...﴾ وقوله: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى﴾ 18/ وتقرأ: ﴿... وَيَهْدِيهِمْ إِلَى...﴾، وأيضًا: ﴿عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ﴾ 28/ وتقرأ: ﴿عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ﴾، ونحو: ﴿أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ﴾ 55/ وتقرأ: ﴿أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ أَقَامُوا﴾ 68/، تقرأ: ﴿أَنَّهُمْ أَقَامُوا﴾، و﴿لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ﴾ 82/، تقرأ: ﴿لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ...﴾ الخ.

ففي جميع هذه الحالات تضمّ ميم الجمع، وتمدّ واوا مشبعة حالة الوصل.

ملاحظة:

عند الوقف على ميم الجمع يتمّ تسكينها دون مدّ، أما إذا وقعت قبل همزة وصل نحو: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الْقُلُوبَ﴾ إبراهيم/32، فحكمها ها هنا الضمّ وصلًا لا وقفًا⁽²⁾. ومن أمثلة هذه الحالة في سورة المائدة الآيات التالية: قال تعالى: ﴿لَكُمْ أَلْسِنَةٌ﴾ 4/ و﴿لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ 6/ و﴿مِنْهُمْ إِثْنَتَا﴾ 14/ و﴿عَلَيْهِمْ أَلْبَابُ﴾ 25/ و﴿وَأَكَلِهِمُ الشُّحْتُ﴾ 64/ و﴿لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ 77/ وغيرها.

وفي جميع هذه الحالات وغيرها تُضمّ فيها ميم الجمع دون مدّ؛ لأنّها متبوعة بهمزة الوصل لا القطع كما أسلفنا.

ج/ مدّ البدل:

هو أن «يتقدّم الهمز على حرف المدّ في كلمة وليس بعد حرف المدّ همز أو سكون أو هو كلّ همز ممدود، ويجوز فيه الأوجه الثلاثة: القصر والتوسط والمدّ، وهذا عند "ورش" فقط، أمّا عند "حفص" مثلاً ففيه وجه وهو القصر قولاً واحداً»⁽³⁾.

وهذا النوع من أنواع المدّ الفرعي يختلف عن سابقه (المتصل والمنفصل)، ولأجل ذلك جاز عند "ورش"

(1) - محمد نبهان بن حسين مصري: الإستبرق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (الشاطبية)، ص 31.

(2) - ينظر: عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 100، 101.

(3) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص 216.

مدّه بثلاثة أوجه، لأنّ في مدّ البدل الهمز يسبق حرف المدّ على عكس المتصل والمنفصل الذي يأتي فيهما الهمز بعد حرف المدّ، كما يُشترط في هذا النوع من المدّ - كما ذُكر في التعريف السابق - ألاّ يكون حرف المدّ بين هزتين أو بين همز وسكون على الترتيب، فضلا على وجوب اجتماع الهمز وحرف المدّ في كلمة واحدة لا في كلمتين، سواء كان هذا الهمز ثابتا محققا أم متغيرا مخففا بأحد أحكام الهمز والتي سيتمّ التفصيل فيها لاحقا - إن شاء الله - وهي: التسهيل، النقل، الإبدال، ...

فمثلا كلمة: «أوثُوا: أصلها: أوثُوا، تمّ إبدال همزة القطع الثانية واوا ساكنة لمجانسة حركة الهمز الأولى وهي الضمّ، ثمّ تسكين الواو بحركة الهمزة المبدلة، وكذا كلمة: إيماناً، أصلها: إئْمَانًا: تمّ إبدال همزة القطع الثانية ياء ساكنة لمجانسة حركة الهمزة الأولى وهي الكسرة، ثمّ تسكين الياء بحركة الهمزة المبدلة»⁽¹⁾.

ومن أمثلة "مدّ البدل" في سورة المائدة لفظة: ﴿ءَامَنُوا﴾ التي تكرّرت على مستوى هذه السورة الكريمة: 26 مرة ومن الآيات الواقعة فيها: 1، 9، 37، 56، 67، 84، 96، 108، 113...؛ فأصل الكلمة: ﴿ءَامَنُوا﴾ وقس على ذلك في كلّ كلمة تبدئ بالمد(آ)، وأيضا: ﴿ءَوْتُوا+ءَاتَيْتُمُوهُنَّ+بِالْأَيْمَانِ﴾ 6/، وكلمة: ﴿شَنَقَانُ﴾ 3/ و9، ﴿وَعَاتَيْتُمْ+وَعَامَنْتُمْ+سَيِّقَاتِكُمْ﴾ 13/، ﴿-أَدَمَ+الْآخِرِ﴾ 29/، ﴿ءَامَنَّا-آخِرِينَ+وَتَيْتُمْ+الْآخِرَةَ﴾ 43/، ﴿جَاءَوكَ﴾ 44/، ﴿الْنَّبِيِّثُونَ﴾ 46/، ﴿الْأَيْتِ﴾ 77/، ﴿ءَابَاءَنَا+ءَابَاؤُهُمْ﴾ 106/، ﴿فَقَاخِرَانَ﴾ 109/، ﴿وَعَاخِرِنَا+ءَايَةَ﴾ 116/، ﴿ءَأَنْتَ﴾ 118/ . وكلّ هذه الحالات وأمثالها للإمام "ورش" فيها ثلاثة أوجه، باستثناء الحالة الأخيرة ﴿ءَأَنْتَ﴾ 118/، ففيها له وجه واحد وهو: الإشباع بست حركات؛ وإشباع المدّ هنا: «ناتج أساسا عن وقوع الساكن بعد الهمزة فيلزم ذلك الإشباع»⁽²⁾.

ويستثنى لورش مواضع ليس فيها إلاّ القصر وهي⁽³⁾:

1 - كلمة " يواخذ " كيفما وقعت وحيثما وجدت (واخذكم، تواخذنا، تواخذني،...)، ففي هذه الكلمة وقع إبدال، فأصلها بالهمز "يُؤَاخِذُ"، فتمّ إبدال الهمز بالواو لمجانسة حركة الياء. ومثالها في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ مِمَّا قَالْتُمْ إِذْ تَقُولُونَ لَنَا لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ آيَاتُهَا وَجَاءَ بِآيَاتِهِ الْغَايِبَاتُ لَكُنَّا مِنَ الْخَائِفِينَ﴾ 91/.

(1) - ينظر: غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، ص 85.

(2) - المرجع نفسه، ص 114.

(3) - ينظر: عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 104، 105، وغنية بوحوش: المرجع السابق، صص 86، 87.

2 - ﴿عَادَاَ الْأُولَى﴾ بسورة النجم، تقرأ ﴿عَادَاَ لُولَا﴾ على خلاف القاعدة عند "ورش"، حيث وقع في الآية نقل وإدغام، فأما النقل فيتمّ بإسقاط همزة "الأولى"، ونقل حركتها (الضمّة) إلى الساكن الذي قبلها (لام التعريف الساكنة)، فتصبح الكلمة "لُولَى" بحذف الألف الوصلية وصلا لا وقفا، ثمّ إدغام النون الناتجة عن التنوين (عادًا ترسم: عَادَنْ) في "اللام" إدغام تاما بغير الغنة فتصبح اللام مشدّدة.

3 - كلمة ﴿إِسْرَاءِ يَل﴾ عند الوصل (ينظر الآيات: 13، 72، 74، 80 و112 من سورة المائدة)، أمّا عند الوقف فهي مدّ عارض للسكون، وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله في المدّ الفرعي بسبب السكون، وهنا يجوز فيها الأوجه الثلاثة: القصر، التوسط والطول.

4 - إذا وقع المدّ بعد همز عوضا عن التنوين حال الوقف، ومن أمثلة هذه الحالة في سورة المائدة الكلمات التالية: ﴿شَيْعًا﴾/19، 43، 44 و106، ﴿جَزَاءً﴾/40، ﴿هَزْوًا﴾/59 و60،... الخ.

5 - إذا وقع المدّ بعد همز واقع بعد ساكن صحيح متصل، ووقعت هذه الحالة في سورة المائدة في موضع واحد فقط مع كلمة "القرآن" في قوله تعالى: ﴿...وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْفُرْقَانُ أَنْ تُبَدِّلَكُمْ...﴾/103 أمّا إذا وقف القارئ على مثل هذه الكلمة فله في ذلك ثلاثة أوجه (القصر، التوسط والطول) من باب المدّ العارض للسكون.

6 - إذا وقع بعد همز الوصل حرف مدّ حالة الابتداء بهذه الكلمات نحو: (ايذن، اوتمن، ايت،...). وهذه الحالة لا وجود لها في سورة المائدة.

ملاحظة على هامش المدّ الفرعي بسبب الهمز⁽¹⁾:

إذا اجتمع مدان متصلان مثل: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ النحل/65، لا يجوز مدّ أحدهما دون الآخر بل تجب التسوية، وكذلك إذا اجتمع مدان منفصلان مثل: ﴿بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ البقرة/4؛ وذلك لأنّ حرف المدّ حرف ضعيف، والهمز قوي فزيد في المدّ تقوية للضعيف عند مجاورة القوي، وقيل للتمكّن في النطق بالهمز لأنّه شديد مجهور.

إذن هناك ارتباط جدّ وثيق بين المدّ المتصل وبين المدّ المنفصل، ولما كان المدّ المتصل: «أقوى من المدّ المنفصل يستحسن ألاّ يكون المدّ المنفصل أطول من المتصل، بل يمكن أن يكون أقصر منه، أو يساويه - كما

(1) - محمد الصّادق قمحاوي: البرهان في تجويد القرآن وبلية رسالة في فضائل القرآن، ص 25.

أسلفنا - ويفضل المساواة بينهما قدر الإمكان؛ فإذا كان القارئ يمدّ المتصل بمقدار أربع حركات فعليه أن يمدّ المنفصل بمقدار أربع حركات فقط، أمّا إذا كان يمدّ المتصل بمقدار خمس حركات فعليه أن يمدّ المنفصل بمقدار أربع أو خمس حركات»⁽¹⁾.

2 - ما كان سببه السكون (المدّ الفرعي بسبب السكون):

وهو أن يلي حرف المد ساكن في كلمة واحدة، سواء كان هذا السكون أصليا لازما، أم عارضا وعلى هذا الأساس يمكن أن نتميّز للمدّ الفرعي بسبب السكون بين صنفين هما:

أ/ المدّ بسبب السكون اللازم (المدّ اللازم):

وهو «أن يأتي حرف المدّ وبعده حرف ساكن سكونا أصليا (وصلا ووقفا)»⁽²⁾، نحو: لفظة "آمِينَ" في قوله تعالى: ﴿...وَلَا ءَأَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ...﴾ المائدة/3؛ ذلك أنّ هذه اللفظة في أصلها بعد تفكيك "الميم" هكذا [آمِينَ]، وهو الموضع الوحيد في سورة المائدة.

وهذا النوع من المدود متوقف على أسباب وشروط، وهي اجتماع المدّ والحرف الساكن في كلمة واحدة دون أن يكون فاصل هنالك، بشرط أن يكون سكون الساكن أصليا من بنية الكلمة لا ينفك عنه، فكلمة "آمِينَ" مثلا حين تفكيكها تصبح على أصلها: [آمِينَ]، فهناك توالي للألف المدّية والميم الساكنة. والمدّ اللازم قسمان: كلمي وحرفي، وكلّ منهما مخفف ومثقل:

* **المدّ اللازم الكلمي**: وهو: «ما اجتمع فيه حرف المدّ والسكون في كلمة واحدة»⁽³⁾، ويرد على صنفين هما:

- **المدّ اللازم الكلمي المثقل**: وهو «ما كان فيه حرف المدّ مع ساكن مدغم في كلمة واحدة»⁽⁴⁾، ومعنى هذا الكلام أن يقع بعد حرف المدّ حرف مشدّد (حرفان مثلين الأول ساكن والثاني متحرك) مثل: ﴿ءَأَمِينَ﴾ المائدة/3، فإنّ أصلها كما أشرنا: [آمِينَ]، وفيه اجتمعت ميم ساكنة تليها أخرى متحركة بكسر فأدغمت الساكنة في المتحركة فصارت حرفا واحدا مشدّدا ومتحركا بحركة الحرف الثاني. ووجه المدّ هنا أنّه: «لا يجمع في الوصل بين ساكنين وهما: ساكن المدّ، والحرف الساكن بعده، ولذلك زيد في المدّ»⁽⁵⁾.

(1) - عبد الله عبد القادر حيلوز: الميسر المفيد في علم التجويد، صص 106، 107.

(2) - أيمن رشدي سويد: أطلس التجويد، ص140.

(3) - سيدي إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، ص 38.

(4) - المرجع نفسه، ص ن.

(5) - خالد قاسم بني دومي: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص117.

- المدّ اللازم الكلمي المخفف: وهو «ما كان فيه حرف المدّ مع ساكن مظهر في كلمة واحدة»⁽¹⁾، ومعنى هذا الكلام أن يقع بعد حرف المدّ حرف غير مشدّد وغير مدغم فيما بعده في كلمة واحدة وهذا هو المقصود بالإظهار في التعريف السابق.

وورد من هذا النوع في سورة المائدة نموذج واحد وهو قوله تعالى: ﴿وَآتَىٰ﴾/118

* المدّ اللازم الحرفي: وهو ما ورد في بعض حروف فواتح بعض السور، وعدّها ثمانية جمعتها عبارة: "نقص عسلكم"⁽²⁾، وهو على صنفين أيضا:

- المدّ اللازم الحرفي المثقل: وهذا النوع من المدّ «ينشأ من حرف مدّ يليه حرف ساكن يلتقي بمثله أو مقاربه (مخرجا وصفة) متحرك، فيدغمان فيصيران حرفا واحدا من جنس الثاني وحركته مشدّدة»⁽³⁾. ولم يرد هذا النوع في كتاب الله تعالى إلا في حرفين هما⁽⁴⁾:

* اللام في ﴿آلَم﴾ فاتحة: البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، والسجدة.

* اللام في ﴿آلَمَّر﴾ فاتحة: الرعد.

* اللام في ﴿آلَمَّصَّ﴾ فاتحة: الأعراف.

* السين في ﴿طَسِيمٌ﴾ فاتحة: الشعراء والقصص.

ففي كلّ موضع من المواضع الثلاثة الأولى وأثناء تفكيك الحروف المقطعة نتحصّل على التهجئة التالية: (أَلِفٌ، لَامٌ مِيمٌ)، حيث تلتقي ميم ساكنة مع ميم متحركة فتدغمان. ونفس الكلام يقال على الموضع الرابع فعند التفكيك نجد: (طَا، سِينٌ مِيمٌ)، حيث تلتقي النون الساكنة مع قريبتها مخرجا وصفة وهي الميم المتحركة فتدغمان. وعليه يمكن أن يفهم من خلال هذا الكلام أنّ حرفي المدّ (اللام والسين)، لا يقعان في أقل من ثلاثة حروف، والتعريف السابق "للحرفي المثقل" إنّما يستأنف من الحرف الممدود وهو هنا "اللام" أو "السين"؛ ذلك أنّ تهجئة كلّ منهما فيهما حرف مدّ، وينتهي التعريف السابق عند الحرف الأول من تهجئة الحرف الذي يلي الحرف

(1) - سيدي إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، ص 38.

(2) - غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، ص 88.

(3) - غنية بوحوش: القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية والشعرية في قراءة أبي عمرو البصري أمودجا، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع إربد، الأردن، وجدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 1435هـ/2014م، ص 85.

(4) - غنية بوحوش: المرجع السابق، صص 88، 89.

الممدود في هجائيته، فمثلا: لامٌ ميم، حرف المدّ هنا (الألف المدية)، جاء بعده حرف ساكن (الميم)، وبعد الحرف الساكن حرفا متحركا ماثلا له (الميم المتحركة بالكسر)، فأدغمتا، وما يقال عن اللام ينطبق كذلك عن السين.

- المدّ اللازم الحرفي المخفف: ويكون إذا تلا حرف مد من الحروف الفواتح حرف ساكن غير مدغم

فيما بعده، وبيانها كالاتي⁽¹⁾:

* النون: فاتحة القلم.

* القاف: فاتحة ق والشورى.

* الصاد: في ﴿آلَمَصَّ﴾ فاتحة الأعراف، وفي ﴿كَهَيْعَصَّ﴾ فاتحة مريم، وفي ﴿صَّ﴾ فاتحة ص.

* العين: في ﴿كَهَيْعَصَّ﴾ و﴿جَمَّ عَسَقَ﴾ فاتحة الشورى.

* السين: في ﴿طَسَّ﴾ فاتحة النمل، و﴿جَمَّ عَسَقَ﴾.

* اللام: في ﴿آلَبَّ﴾ فاتحة: يونس، هود، يوسف، إبراهيم والحجر.

* الكاف: في ﴿كَهَيْعَصَّ﴾.

* الميم: في ﴿آلَمَّ﴾، وفي ﴿آلَمَصَّ﴾، وفي ﴿طَسِيمَ﴾، وفي ﴿آلَمَبَّ﴾ و﴿جَمَّ﴾.

إذا عدنا إلى التفصيل في التعريف السابق للمدّ الحرفي المخفف، نقول: إنّ حروف المدّ الموجودة في فواتح

السور هي غير حروف المدّ واللين الثلاثة، فهي كما أشرنا ثمانية حروف، ثمّ إنّ المقصود بتوالي أحد هذه الحروف

الثمانية لحرف ساكن، إنّما يكون ذلك في تهيئة حرف المدّ في حدّ ذاته، وليس كما هو مرسوم في فواتح السور

القرآنية، وهذا الحرف الساكن لا يكون إلاّ حرف مدّ ولين نحو: فاتحة سورة القلم: نجدها مرسومة هكذا في

المصحف الشريف ﴿نَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، ولكنها لا تنطق إلاّ مُهَجَّئَةً هكذا: "نُون" فالنون الأولى هي

الحرف الواجب مدّه لأنّه من الحروف المقطّعة الواردة في فواتح السور القرآنية، يليه حرف ساكن وهو الواو المدّية

الجانسة لضمة النون، وقس على ذلك في بقية الحروف، ونشير هنا كذلك إلى أنّ ﴿كَهَيْعَصَّ﴾ قد اجتمعت

فيها ثلاثة حروف واجب مدّها كلّها بست حركات وهي الكاف والعين والصاد على الترتيب، وكذلك في

(1) - غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، ص 89.

﴿الْمِصَّ﴾، حيث اجتمعت فيها أيضا ثلاثة حروف متتالية من الحروف الواجب مدّها مدّا فيه إشباع، لأنّها واقعة في أوائل السور القرآنية.

ونشير هنا إلى أنّه لا وجود للمدّ اللازم الحرفي في سورة المائدة، سواء أكان مثقلا أم مخففا.

ملاحظة: يجوز في حرف العين عند جميع القراء في ﴿كَهَيْعَصَّ﴾ و﴿عَسَى﴾ التوسط والطول، والطول

مقدم، وذلك لأنّ العين هنا جاء بعده حرف لين وليس حرف مدّ ولين⁽¹⁾.

- حكم المدّ اللازم: المدّ اللازم بنوعيه: الكلمي والحرفي بنوعيهما: المثقل والمخفف يمدّ «مدّا مشبعا عند جميع القراء، وقدره ست حركات»⁽²⁾.

❖ ملاحق المدّ اللازم:

يلحق بالمدّ اللازم مدّ واحد وهو "مدّ الفرق" وذلك حينما تدخل همزة الاستفهام على (ال) التي

للتعريف، وقد وقع ذلك في ثلاث كلمات، في ست مواضع وهي⁽³⁾:

1 - 2: ﴿الذِّكْرَيْنِ﴾ الأنعام/143، 144.

3 - ﴿ءَآلِهَ خَيْرٌ﴾ النمل/59.

4 - ﴿اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ يونس/59.

5 - 6: ﴿ءَآلِىنَ وَقَدْ﴾ يونس/51، 91.

وهذه المواضع الستة يجوز فيها المدّ المشبع بست حركات، أو تسهيل الهمزة الثانية بينها وبين الألف بدون مدّ والوجه الأول أفضل. وهذه المواضع تؤكّد من جهة انعدام هذا الملحق في سورة المائدة.

ب/ المدّ بسبب السكون العارض (المدّ العارض):

وهو «أن يكون حرف المدّ واقعا قبل آخر حرف يقع عليه القارئ بالسكون...»⁽⁴⁾. وهذا النوع من المدّ

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 102.

(2) - غنية بوحوش: القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية والشرعية في قراءة أبي عمرو البصري أنموذجا، ص 89.

(3) - أحمد بن أحمد بن محمد عبد الله الطويل: فنّ الترتيل وعلومه، ج2، ص 827.

(4) - يوسف الخليفة أبو بكر: أصوات القرآن كيف نتعلّمها ونعلّمها، ص 127.

كما يشير إليه التعريف، متوقف على جملة من الشروط وهي: أن يكون حرف المدّ آخر حرف قبل الحرف الموقوف عليه بالسكون، ومعنى هذا أنّ الوقف شرط آخر من شروط هذا النوع ولولاه لما وُجِدَ السكون، وعلى هذا الأساس أصبح السكون عارضا، لأنّه يعتري الحرف حال الوقف وينفكّ عنه حال الوصل، فيتحرك حينها بحركته الإعرابية الأصلية.

وحكمه أن يُمدّد عند جميع القراء بثلاثة أوجه جائزة وهي: «القصر اعتدادا بالأصل وهي الحركة، والتوسط اعتبارا بوجود الساكن، ولكونه غير أصلي فلم يشبع، والطول (الإشباع) اعتدادا بالسكون العارض وإحلاله محلّ اللازم»⁽¹⁾.

ولتوضيح ما قلناه نسوق النماذج التالية لهذا المدّ من سورة المائدة، نظرا لكثرتها كما يلي:

الوقف بالسكون على أواخر الكلمات التالية: ﴿بِالْعُقُودِ+الْأَنْعَمِ+يُرِيدُ...﴾/1، 2، ﴿الصُّدُورِ﴾/8
﴿إِسْرَائِيلَ﴾/13 و72 و74 و80 و112، ﴿جَبَّارِينَ+دَٰخِلُونَ﴾/24، ﴿الْمُفْسِطِينَ﴾/44، ﴿السَّبِيلِ﴾
/62، ﴿مَبْسُوطَتِينَ+وَالْبَعْضَاءَ﴾/66، ﴿وَلَا حَامٍ+لَا يَعْغِبُونَ﴾/105، ﴿السَّمَاءِ+الرَّزْفِينَ﴾/116
﴿الْأَنْهَارِ+الْعَظِيمِ﴾/121،... الخ.

❖ ملحق المدّ العارض:

يلحق بالمدّ العارض نوع واحد من المدّ وهو: "مدّ اللين غير المهموز" وهو عندما يأتي بعد حرف اللين حرفا آخر غير الهمز، على عكس مدّ اللين المهموز الذي تكلمنا عنه في لواحق المدّ المتصل، فعند الوقف على كلّ من: "البيت"، و"خوف" يُسكّن آخرهما سكونا عارضا، وحكمه أن يمدّد عند جميع القراء بثلاثة أوجه جائزة وهي: القصر، التوسط والطول ولا مدّ حال الوصل⁽²⁾.

ومن أمثله في سورة المائدة النماذج التالية: الوقف على الكلمات التالية بالسكون: ﴿الصَّيْدِ﴾/2
﴿الْبَيْتِ﴾/3 و99، ﴿الْمَيْتَةَ﴾/4، ﴿الْكَفَّيْنِ﴾/7، ﴿عَصَوَا﴾/80، ﴿الْمَوْتِ﴾/108، ﴿الْقَبُورِ﴾
/119،... الخ.

(1) - غنية بوحوش: القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية والشرعية في قراءة أبي عمرو البصري أمودجا، ص86.

(2) - غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، ص91.

تنبيه:

قال تعالى: ﴿...بِإِن جَاءُوكَ بِأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضُ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً...﴾ المائدة/42. اجتمع في هذه الآية: مدّ البدل وآخر مهموز، وللإمام "ورش" فيها أربعة أوجه هي⁽¹⁾:
1- قصر البدل وعليه توسّط اللّين، 2 - توسّط البدل وعليه توسط اللين، 3 و4 - طول البدل وعليه توسّط اللّين وطوله.

بعد هذا السرد حول المدّ من حيث أقسامه وأحكامه، يمكننا أن نوجز أسباب المدّ في نوعين أحدهما لفظي، والآخر معنوي «فاللفظي: الهمز والسكون؛ فالهمز سبب لثلاثة أنواع من المدّ: المتصل والمنفصل والبدل، والسكون سبب لنوعين من المدود: اللازم بأنواعه، والعارض للسكون، وأمّا المعنوي كقصد المبالغة في النفي للتعظيم مثل: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ محمد/19 وغيرها⁽²⁾.

ملاحظة هامة: إذا اجتمع أكثر من سبب للمدّ، فالحكم للأقوى، وأقوى المدود هو: «المدّ اللازم، ويليه المتصل وبعده العارض للسكون، ثمّ المنفصل بالبدل»⁽³⁾، ومثال ذلك من سورة المائدة المواضع التالية:

* كلمة ﴿إِسْرَائِيل﴾/13 وغيرها: اجتمع في هذه الكلمة عند الوقف عليها: المدّ المتّصل، والمدّ العارض للسكون والحكم هنا للمتّصل لأنّه الأقوى.

* كلمة ﴿آمِينَ﴾/3، اجتمع في هذه الكلمة حال الوصل بها مدّ البدل والمدّ اللازم الكلمي المثقل، والحكم هنا للمدّ اللازم لأنّه الأقوى، أمّا حال الوقف عليها، فإنّه يجتمع فيها فضلا عن المدّ اللازم ومدّ البدل: المدّ العارض للسكون، ويبقى الحكم في الحالتين للمدّ الأقوى وهو المدّ اللازم.

* كلمة ﴿أَنْبِيَاءَ﴾/22، اجتمع في الكلمة عند الوقف عليها: مدّ البدل والمدّ المتّصل والمدّ العارض للسكون والحكم للمتّصل لأنّه الأقوى.

* كلمتا: ﴿آمَنُوا أَهْؤُلَاءِ﴾/55، اجتمع هنا: مدّ البدل + المدّ المنفصل + المدّ المتّصل + المدّ العارض للسكون حال الوقف على "أهؤلاء"، والحكم هنا للمتّصل لقوّته.

(1) - محمد نبهان بن حسين مصري: الإستبرق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (الشاطبية)، ص142.

(2) - محمد الصادق قمحاوي: البرهان في تجويد القرآن ويليّه رسالة في فضائل القرآن، ص24.

(3) - ينظر عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص107، 108.

* كلمة ﴿النَّبِيُّونَ﴾/46، اجتمع في الكلمة ثلاث مدود: الأول: متّصل والثاني بدل والثالث عارض حال الوقف على الكلمة بالسكون، والحكم طبعاً للأقوى، وهو المدّ المتّصل.

نصل في الأخير من كلّ ما سبق ذكره، إلى أننا يمكن أن نقسّم المدود إلى ثلاثة أقسام باعتبار مقدار المدّ فيها عند الإمام "ورش"، وهي: ما يُمدّ بمقدار حركتين: ونجد فيه: المدّ الطبيعي بنوعيه: الكلمي والحرفي، ولواحقه (مدّ العوض، ومدّ الصلة الصغرى)، ما يُمدّ بمقدار ست حركات ونجد فيه المدّ الفرعي بأنواعه: المدّ المتّصل، المدّ المنفصل بملاحقه الثلاث (مدّ ألف ضمير المتكلم "أنا"، مدّ الصلة الكبرى وصلة ميم الجمع) والمدّ اللازم بنوعيه الكلمي سواء كان مثقلاً أم مخففاً، والحرفي سواء كان مثقلاً أم مخففاً، وينضمّ إليهما "مدّ الفرق" ملحق المدّ اللازم، ما يجوز فيه المراتب الثلاث (القصر، التوسط والطول) ونجد فيه: المدّ العارض للسكون، مدّ البدل، ومدّ اللين بنوعيه: المهموز الذي فيه وجهان التوسط أو الطول، وغير المهموز وفيه الأوجه الثلاثة.

المطلب الرابع: المدّ: الأداء والدلالة

تتعدّد دلالات المدّ في النصّ القرآني بتعدّد السياقات والمقامات، فقد يدلّ على التعظيم والتقديس، وقد يوحي على معنى الطول والامتداد والكثرة، أو على معنى الشمولية والديمومة، كما قد يفيد معاني أخرى كالبعد والتحقيق والاعتزاز والاستنكار والتعليل، وغيرها من المعاني الكثيرة، وكما رأينا فإنّ أمثلة المدّ - بجميع أنواعه - في سورة المائدة كثيرة ومستفيضة، ولأجل ذلك سنقدّم فيما يأتي بعض الكلمات القرآنية التي لحقتها هذه الظاهرة على مستوى هذه السورة الكريمة، لتبيّن أثر هذا المدّ في إبراز الدلالة المقصودة للكلمة الممدودة، وهي دلالة ترتبط - طبعاً - بالدلالة المركزية التي يقتضيهها المقام أو سياق الحال، علماً بأنّ عرض هذه الكلمات كما أسلفنا سيكون بطريقة انتقائية لا إحصائية لكثرتها وتنوعها.

❖ مدّ الصلة الكبرى في قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِثْلَ مَا آتَاكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتُّوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾/8.

المدّ هنا مدّ مشبع بست حركات، وهو في هذه الآية يدلّ على معنى التعظيم والتقديس وجلالة قدر المذكور، المكتى عنه بـ "هاء الضمير" الواردة في الآية السابقة، والتي تعود على الخالق عزّ وجلّ، يقول "محمد شملول": «إنّ ظاهرة المدّ لبعض حروف كلمات القرآن مدّاً زائداً على المدّ الأصلي حين التلاوة يدلّ على تفخيم هذه الكلمة وزيادة معناها»⁽¹⁾ لأنّ كلّ زيادة في المبنى تعني زيادة في المعنى، ويضيف "نشأة ظبيان" في ذات السياق

(1) - محمد شملول: إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، ص200.

متحدثًا عن دلالات المدّ فضلًا عن معنى التفخيم الذي يضيفه للكلمة الممدودة من ناحية فإنّه: «يستدعي أخذ اعتبار جلاله ما يقع عليه المدّ من ناحية ثانية»⁽¹⁾.

❖ المدّ المنفصل في قوله تعالى: ﴿...إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ...﴾/12.

وقع المدّ المنفصل في هذه الآية بين كلمتين هما: (يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ)، وهو مدّ زائد عن المدّ الطبيعي ليدلّ هنا على معنى امتداد وتناول أيدي الأعداء على المؤمنين بشئى صنوف القتل والنهب، وفي ذلك منة شاملة ونعمة كاملة؛ إذ أنقذهم الله سبحانه وتعالى من أعدائهم بأن كفّهم عنهم، وردّهم صاغرين ليكون الشكر أتمّ والوفاء ألزم.

❖ المدّ المتصل في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رُّسُلِ اللَّهِ مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾/21.

إنّ مدّ بعض حروف الكلمة القرآنية مدا زائدا كما هو الحال مع كلمة "جاء" ومشتقاتها في هذه الآية «لم يأت هكذا عبثًا، وإنما جاء لبيان أهمية هذه الكلمة، وأنها تدلّ على شيء مخصوص وغير عادي»⁽²⁾، كما أنّ المدّ أيضا يميّن القارئ والسماع من «الاهتمام بالدلالة، ويشير فيهما الانتباه، ويشير إشارات صوتية إلى مواطن العبر ومجالات التبشير والإنذار...»⁽³⁾. فالمدّ هنا فيه زيادة حرف، وبالتالي فهو يتطلّب زمنا لنطقه؛ ذلك أنّ عملية النطق الطويلة نسبيًا للمدّ المشبع تعطي للنفس برهة من الزمن، من أجل التفكير والتأمّل وإعادة النظر والحساب وهذا يتماشى مع المعنى المقصود في الآية السابقة، ويتناغم والمطلوب المنشود، فهي في مقام الوعيد والنذير والتذكير ففي هذه الآية يخاطب الله تعالى أهل الكتاب بأنّه قد أرسل إليهم آخر الرسل، بعد انقطاع الرسل عنهم فترة طويلة من الزمن، ليقطع بذلك حجّتهم وحتّى لا يقولوا "ما جاءنا من بشير ولا نذير"، يقول الشيخ "السعدي" مفسرًا هذه الآية، وموضّحًا مواطن التبشير والنذير فيها: «يبيّن بالثواب العاجل والآجل، وبالأعمال الموجبة لذلك وصفة العاملين بها، وينذر بالعقاب العاجل والآجل، وبالأعمال الموجبة لذلك وصفة العاملين بها»⁽⁴⁾.

(1) - نشأة طبيان: علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1997م، ص133.

(2) - محمد شملول: إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، ص200.

(3) - آمنة شنتوف: الظواهر الصوتية في قراءة حمزة الزيات - دراسة وصفية وظيفية -، ص87.

(4) - عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان، ص206.

❖ المد المنفصل في قوله تعالى: ﴿...وَلَا تَزِدُّوا عَلَيَّ آدْبِرِكُمْ بَتَنَفَلِبُوا حَسِيرِينَ﴾/23.

في المد هنا إشارة واضحة إلى طول فترة الدعوة التي كانت تستمر إلى سنين عدة، فالآية تتحدث عن دعوة سيدنا "موسى" عليه السلام قومه، وإرشادهم إلى طريق الاستقامة، كما قد يشير المد المنفصل الواقع في الآية السابقة (عَلَيَّ آدْبِرِكُمْ) إلى تفخيم وتعظيم من قام بفعل الدعوة وهو الرسول "موسى بن عمران".

❖ المد الطبيعي في قوله تعالى: ﴿بِمَسْ تَابٍ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾/41.

إنّ المد الطبيعي لا يحتاج مدًا أكثر ممّا يستحقّ، ولا يستلزم مدّة زمنية طويلة، فهو بهذا لحظي وآني، وهذا يتناسب مع معنى الآية؛ فتوبة العبد من الخطيئة بعدم الرجوع إليها تستوجب فورية غفران الذنوب، وقبول التوبة من الله عزّ وجلّ، فالله سبحانه وتعالى يغفر لمن تاب فترك الذنوب، وأصلح الأعمال والعيوب.

❖ المد المتصل في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْهَوْنَ كَيْفَ يَشَاءُ...﴾/66.

من المعاني التي يدلّ عليها المدّ: السعة في النعمة وكثرتها، وعظم المنّة في ارتقائها وتساميتها، فالله سبحانه وتعالى واسع في رحمته وكرمه وسخائه، وإمساكه - عزّ وجلّ - لرزقه على بعض العباد لا يتنافى مع سعة جوده وكرمه، فإنّ له سبحانه الإرادة والمشئمة في تفضيل بعض الناس على بعض في الرزق، بحسب السنن التي أقام بها نظام الكون والخلق، وقد عبّر الله سبحانه وتعالى عن سعة الجود ببسط اليدين، لأنّ السخيّ إذا ما أراد أن يبالغ في العطاء فإنّه يعطي بكلتا يديه، وفي هذا المعنى أيضا ما يتماشى مع المدّ الذي فيه مبالغة في النطق والأداء.

❖ المد المتصل في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۗ وَالَّذِينَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾/88.

المدّ في كلمة "وَالَّذِينَ" يوحى على البعد المكاني ما بين من آمن بالله وآياته، وبين من كفر به وآياته سبحانه وتعالى، فضلا على بعد فئة الكفار عن الله تعالى وثوابه وهو الجنة، وهذا من شأنه أن يوحى بقرهم إلى النار والعياذ بالله.

❖ المد المتصل في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ...﴾/114.

وقع المد المتصل هنا في كلمتين، فأما كلمة "مَائِدَةً" فالمدّ فيها قد يدلّ على كثرة السائلين من جهة، وعلى كثرة الطعام من جهة أخرى، فهم لم يطلبوا القليل من الطعام، بل طلبوا مائدة من الطعام، ومعروف أنّ المائدة في

العموم تكون مملوءة بالأكل الذي يعين هؤلاء السائلين على عبادة الله تعالى، أمّا المدّ في كلمة "السَّمَاء" ففيه شدّة انتباه المخاطبين لأهمية هذه الآية البيّنة وعظمتها، فالمدّ فيه إشعار بارتفاع السماء وامتدادها وبعدها من جهة، وبعظّم السماء وشموحها واتساعها من جهة أخرى.

❖ المدّ المنفصل في قوله تعالى: ﴿...لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا...﴾/121.

إنّ كلمة الخلود هنا توحى بمعنى الدوام، فالصّادقون ماكتون في جنّات الرحمن، لا يحولون ولا يزولون عنها، وما يزيد هذا المعنى تأكيداً وتصريحاً موضع المدّ وهو عبارة: "بِهَا أَبَدًا"، وهو مدّ مشبع وزائد يتماشى مع السعادة الأبدية التي يشعر بها المؤمن الصادق، إذ لا مطلب له أعلى منها حتّى تمتدّ عنقه إليه، أو تتطّلع نفسه لبلوغه.

المبحث الثاني: الفتح والإمالة

المطلب الأول الفتح

1 - تعريف الفتح:

أ/ لغة:

جاء في "القاموس المحيط" في تفسير مادة "فَتَحَ"، باب الحاء فصل الفاء: «فَتَحَ: كَمَنَعَ: ضَدَّ أَعْلَقَ، وَالْفَتْحُ: الْمَاءُ الْجَارِي، وَالنَّصْرُ (...)، وَالْفُتْحُ بضمّتين: الباب الواسع المفتوح، ومن القوارير: الواسعة الرأس وما ليس لها صمام ولا غلاف، والاستِفْتَاخُ: الاستنصار، والمفتاح: آلة الفتح (...)، وفَاتَحَ: جامع وقاضى، وتفَاتَحَا كَلَامًا بينهما: تخافتا دون النَّاسِ، والفَتْاحُ: الحاكم، وفَاتَحَ الشَّيْءَ: أَوَّلَهُ (...)، والفُتُوحُ كصَبُورٍ: أول المطر الموسمي، والناقة الواسعة الإحليل...»⁽¹⁾. إذن فالفتح في اللغة يدلّ على الحَلِّ والفكّ.

ب/ اصطلاحاً:

عرّفه "ابن جزري" بقوله: «هو فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعد ألف أظهر، ويقال له التفخيم، وربما قيل له النصب»⁽²⁾.

يلاحظ من خلال هذا التعريف أنّ "ابن جزري" يجعل الفتح فيه مرادفاً للتفخيم والنصب، فالتفخيم عند علماء الأصوات حينما يقترن بالترقيق يختلف عنه حينما يقترن بالإمالة؛ فالأول يقصد به صفة التفخيم المعروفة، والآخر يقصد به الفتح.

ويوضّح "ابن الدمياطي" قول "ابن جزري" هذا قائلاً: «الفتح عبارة عن فتح الفم بلفظ الحرف لا فتح الحرف، إذ الألف لا تقبل الحركة...»⁽³⁾.

2 - أقسام الفتح:

الفتح على ضربين: شديد و متوسط، فأما الأول فهو: «نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف، ولا يجوز في القرآن، بل هو معدوم في لغة العرب، وإمّا يوجد في لفظ عجم الفرس ولاسيما أهل خراسان، وأمّا الثاني فهو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة، وهذا الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء»⁽⁴⁾.

(1) - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة فَتَحَ.

(2) - ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج2، ص29.

(3) - أحمد بن محمد البنا: إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج1، ص247.

(4) - ابن جزري: المرجع السابق، ص30.

المطلب الثاني: الإمالة

1 - تعريف الإمالة:

أ/ لغة:

يقول صاحب "اللسان" في شرح مادة "مَيْلٌ": «المَيْلُ: العدول إلى الشيء والإقبال عليه، وكذلك الميلان (...)، واستَمَالَ الرجل: من الميل إلى الشيء (...)، وإذا مَيَّلَ بين هذا وذاك فهو شاك (...)، وَمَمَّيْلٌ في مشيته مَمَّيْلًا، واستَمَالَهُ واستَمَالَ بقلبه، والتَّمْيِيلُ بين الشيئين: كالترجيح بينهما (...)، والميَّالُ: ضرب من الاعتماد، حكى ثعلب: هو يعتَمُّ الميَّالُ: أي يُميلُ العمامة (...)، والميَّالُ بالتحريك: في الحلقة والبناء، تقول رجل أميَّالٌ العاتق في عنقه (...)، وألف الإمالة: هي التي تجدها بين الألف والياء (...)، والاستِمَالَةُ: الاكتيال بالكفين والدراعين...»⁽¹⁾. إذن فالإمالة في دلالتها اللغوية تحيل على معنى: العدول والانحراف والاتجاه والانزياح...

ب/ اصطلاحاً:

سنورد هنا مجموعة من التعريفات الخاصة بالإمالة عند القدماء وعند المحدثين من أجل اكتشاف القواسم المشتركة بينها:

* تعريف "سيبويه" (ت 182هـ): يقول متحدثاً عن الإمالة: «...وإنما أمالوها - أي الألف - في عابد وعالم للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقرَّبوها منها (...)، فالألف قد تشبه الياء فأرادوا أن يقرَّبوها منها (...)، والياء أخف عليهم من الواو فتحوا نحوها...»⁽²⁾.

إنَّ "سيبويه" في هذا التعريف لم يذكر مفهوماً صريحاً للإمالة، غير أنه فتح المجال للعلماء من بعده للبحث في موضوع الإمالة، حيث استفاد العلماء الذين جاءوا من بعده من الزاد المعرفي الضخم الذي حمله كتابه، ولعلَّ في كلمة القرب والانتحاء ما يدلُّ دلالة جازمة على الإمالة ومعناها.

* تعريف "المبرد" (ت 275هـ): يعرفها بقوله «الإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء، ولا يكون ذلك إلا لعلَّة تدعو إليه»⁽³⁾.

* تعريف "ابن جني" (ت 392هـ): الإمالة عنده «أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت، فكما أنَّ الحركة ليست فتحة محضة، فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفاً

(1) - ابن منظور: لسان العرب، ج 6، مادة مَيْلٌ.

(2) - ينظر: سيبويه: الكتاب، ج 4، ص 117 وما بعدها.

(3) - المبرد: المقتضب، ج 3، ص 42.

محضة وهذا هو القياس، لأنّ الألف تابعة للفتحة، فكما أنّ الفتحة مشوبة فكذلك الألف اللاحقة لها...»⁽¹⁾.

* تعريف "ابن يعيش" (ت 643هـ): الإمالة هي «عدول بالألف عن استوائه، وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة، وبحسب بعده تكون خفتها...»⁽²⁾.

* تعريف "ابن جزري" (ت 833هـ): الإمالة هي «أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء...»⁽³⁾.

يلاحظ من خلال هذه التعاريف الأربعة الأخيرة للإمالة أنّها تشترك جميعها في معنًا واحد، وهو التقريب بين الصوائت سواء كانت قصيرة أم طويلة، دون الصوامت التي لا تمال؛ ذلك أنّ إمالة الحركة القصيرة (الفتحة) نحو الحركة القصيرة (الكسرة) يستدعي بالضرورة إمالة الحركة الطويلة (الألف) نحو الحركة الطويلة (الياء)، غير أنّ كلّ تعريف من التعريفات السابقة يتميز عن غيره بإضافة جديدة لم يتعرض لها صاحبه، فقد عرفنا أنّ للإمالة أسباب وعلل من خلال تعريف "المبرد"، وعرفنا كذلك أنّها لها غرض وغاية من خلال تعريف "ابن جني" وكان تعريفه لها أشمل وأكمل عمّن سبقه أو جاء من بعده، كما عرفنا أيضا من خلال تعريف "ابن يعيش" أنّ للإمالة أقسام وأنواع، وكلّ هذه الأمور سيأتي التفصيل فيها بحول الله تعالى فيما سيأتي من هذا البحث.

هذا بالنسبة للقديما، أمّا عند اللغويين المحدثين فهذا هو الباحث "عبد القادر عبد الجليل" يتفق في تعريفه للإمالة مع علماء اللغة القدامى، ولا يذهب بعيدا عن معناها عندهم، حيث نجد يعرف الإمالة قائلا: «الإمالة تقريب صوتي بين الصوائت، ومعناه الاتجاه بالصائت قصيرا كان أم طويلا إلى حالة ارتكازية وسطى بين اثنين من قريناته، وفي الإمالة تقريب الفتحة من الكسرة، والفتحة من الضمة والكسرة من الضمة والضمّة من الكسرة»⁽⁴⁾. إذن فالإمالة هي النطق بالصائت وسطا؛ أي ليس بالفتح ولا هو بالكسر.

ومن المحدثين أيضا الذين حدوا حدو القدامى نجد الباحث واللغوي المصري "محمود فهمي حجازي" الذي يرى بأنّ الإمالة هي «إحدى الظواهر الخاصة بنطق الفتحة الطويلة نطقا يجعلها بين الفتحة الصريحة والكسرة الصريحة»⁽⁵⁾، غير أنّ في هذا التعريف نقص، حيث اقتصر فيه صاحبه على إمالة الألف فقط، وذلك حينما جعل هذه الظاهرة خاصة بنطق الفتحة الطويلة الممالة نحو "الياء"، وأهمل إمالة الفتحة كحركة قصيرة نحو

(1) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 52.

(2) - موفّق الدين بن علي بن يعيش النحوي: شرح المفصل، ج9، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دس، ص 54.

(3) - ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج2، ص 30.

(4) - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، صص 306، 307.

(5) - محمود فهمي حجازي: أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 1424هـ / 2003م، ص 229.

الكسرة، وكما يبدو أيضا أنّ هذا التعريف قد اقتصر على نوع واحد من أنواع الإمالة فقط وهي الإمالة الصغرى؛ إمالة بين بين. غير أنّ "غالب فاضل المطلي" وهو من المعاصرين أيضا قد اتجه اتجاهها مخالفا بعض الشيء في تعريفه للإمالة حيث نجده يقول: «إنّ الإمالة في حقيقتها ليست إلّا صورة من صور نطق الألف أو صورة من صور نطق الفتحة، ولا تحمل أية قيمة فونيمية خاصة بها»⁽¹⁾. "فغالب المطلي" في هذا التعريف يجرّد الإمالة من الدلالة، ويؤكد بأنّ لا وظيفة لها في ذاتها وهذا في الحقيقة أمر غير صحيح؛ ذلك أنّ هناك الكثير من الكلمات القرآنية الممالة مثلا على علاقة وثيقة بالدلالة «فالانسجام بينهما في الصيرورة والتحوّل من حال إلى حال واضح من حيث إنّ كلمة هَارٍ في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ شَقَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ التوبة/109، تدلّ على الميل وعلى الانحراف عن الاعتدال، وإنّ الإمالة تدلّ على الجنوح وعلى الانزياح عن الألف المستوية»⁽²⁾.

ونشير أخيرا إلى أنّ الإمالة في الفعل أقوى منها في الاسم، لتمكّنها في التصريف، وهي دخيلة في الحرف لجموده ولدا قلّت فيه، ثمّ إنّ الفتح والإمالة لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن، والفتح لغة أهل الحجاز والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس...⁽³⁾.

2 - أنواع وأقسام الإمالة:

يقول "المارغيني": «إنّ الإمالة في الاصطلاح على قسمين: كبرى وصغرى، فالكبرى أن تقرّب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه وهي المحضة، وإذا أطلقت الإمالة انصرفت إليها، وتسمى بالبطح والإضجاع، لأنّك لما قرّبت الفتحة من الكسرة والألف من الياء، فكأنّك بطحت الفتحة والألف؛ أي رميتها وأضجعتها إلى الكسرة، والصغرى هي ما بين الفتح المتوسط والإمالة المحضة، ولهذا يقال لها بين بين، وبين اللفظين؛ أي لفظ الفتح ولفظ الإمالة، وتسمى بالتلطيف والتقليل، ولما كان القسمين تغيّر بالألف بتعويجها عن استقامتها في النطق وتحريفها عن مخرجها إلى نحو الياء ولفظها سمي ذلك التغيّر إمالة»⁽⁴⁾.

تضمّن الكلام السابق أمران: أوّلهما: تحديد أنواع الإمالة والتي جاءت على ضربين هما: الإمالة الكبرى والتي هي الاقتراب من الكسر أكثر مع الفتحة، ومن الياء أكثر مع الألف، ومعنى قولنا "اقتراب" ينفي القلب والتحويل المطلق؛ بمعنى أنّه لا يتمّ قلب الفتحة كسرة صرفة أو الألف ياء بحتة وإن كانت الإمالة محضة، أمّا الإمالة

(1) - غالب فاضل المطلي: في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المدّ العربية، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، العراق، دط، 1984م، ص 163.

(4) - ينظر: عبد المهدي كايد أبو أشقير: تحليل أكوستيكي لوجوه الاختلاف الصوتي بين ورش وقالون في قراءة نافع، صص 53، 54.

(3) - ينظر: أحمد بن محمد البنا: إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج 1، صص 247، 248.

(4) - سيدي إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، ص 90.

الصغرى فهي الاقتراب من الكسر أقل مع الفتحة، ومن الياء أقل مع الألف؛ أي أنّ الإمالة هنا معتدلة ومتوسطة بين الفتح الجائز (المتوسط) وبين الإمالة الكبرى، ولهذا سميت بين بين، فلا هي بفتح مطلق ولا هي بإمالة كبرى بل بينهما. أمّا الأمر الثاني: فهو تعريف الإمالة كما يوضّح آخر الكلام السابق والذي لا يختلف فيه "المارغيني" عمّا سبقه من العلماء.

ونشير هنا إلى أنّ "ابن جزري" قد تحدّث عن أقسام الإمالة، غير أنّه قد أطلق على الإمالة الكبرى اسم إمالة شديدة، وعلى الإمالة الصغرى اسم إمالة متوسطة.

3 - غرض وفائدة الإمالة:

أ/ الغرض من الإمالة:

إنّ الغرض من الإمالة هو الجنوح نحو الانسجام والاتساق بين الأصوات، وهذا ما يعرف في اصطلاح علماء الأصوات بالمماثلة الصوتية^(*)، يقول: "جلالي بن يشو" معرفا الإمالة ومبيناً الغرض منها: «الإمالة ظاهرة صوتية تهدف إلى نوع من المماثلة بين الحركات، وتقرب بعضها من بعض، وهي وسيلة من وسائل تيسير النطق وبذل أقل مجهود، إذ الغرض منها في الأعم الأغلب: تحقيق الانسجام الصوتي الذي يعدّ ضرباً من المماثلة»⁽¹⁾. إذن فهذا التعريف قد كشف عن الغرض من الإمالة، وكذا الفائدة منها.

يقول "ابن يعيش": «الغرض من الإمالة تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل»⁽²⁾ ويقصد بالتشاكل: التماثل والانسجام، وإلى هذا المعنى يذهب "المارغيني"، حيث يقول: «والغرض الأصلي من الإمالة تناسب الأصوات وتقاربها، لأنّ النطق بالياء والكسرة مستفل، وبالفتحة والألف متصعدّ مستعل، وبالإمالة تصير الأصوات من نمط واحد في التسفل والانحدار»⁽³⁾.

ويذكر "الشيرازي" تعريف الإمالة والغرض منها قائلاً: «الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة لتميل الألف التي بعدها نحو الياء، ليتناسب الصوت بمكانها ويتجانس ولا يختلف»⁽⁴⁾، ويحدّد "عبد الحميد السيّد" بدوره غرض الإمالة ومجالها فيقول: «الإمالة هي أن يُنحى بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء، والفتحة والكسرة

(*) - سيأتي تعريفها في مطلب الإدغام، والتفصيل فيها أكثر حين الحديث عن الإبدال.

(1) - جلالي بن يشو: بحوث في اللسانيات الدرس الصوتي العربي (المماثلة والمخالفة) مصطلحات المماثلة والمخالفة وظواهرها في العربية الفصحى، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص84.

(2) - ابن يعيش: شرح المفصل، ج9، ص54.

(3) - سيدي إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، ص90.

(4) - الشيرازي: الموضح في وجوه القراءات وعللها، ج1، ص209.

صائتان قصيران، والألف والياء صائتان طويلان، وعليه فالإمالة من باب المماثلة بين العلل والعلل⁽¹⁾؛ أي بين حروف المدّ قصيرة كانت (الفتحة والكسرة) أم طويلة (الألف والياء).

إذن فواضح من خلال ما سبق أن الغرض من الإمالة هو: تحقيق الانسجام والتجانس والتماثل والتناسب بين الأصوات أو بتعبير أكثر دقة بين الصوائت.

ب/ فائدة الإمالة:

يوضح "ابن جزري" الفائدة من الإمالة قائلا: «وأما فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ، وذلك أنّ اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال، وأما من فتح فإنّه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل والله أعلم»⁽²⁾.

يتضح جليا من خلال قول "ابن جزري" أنّ لغرض الإمالة علاقة وطيدة بالفائدة منها، فالتشاكل والتجانس بين الصوائت والذي يمثّل غرض الإمالة هو الذي يحقّق سهولة التلفظ بها، ويفهم كذلك من خلال القول السابق أنّ الإمالة أيسر في النطق من الفتح، ففي الإمالة خفة وفي الفتح ثقل وقوة، غير أنّ السؤال المطروح: أيهما الأصل: الإمالة أم الفتح؟.

4 - الفتح والإمالة بين الأصل والفرع:

ذهب الكثير من العلماء إلى أنّ الأصل هو الفتح وما الإمالة إلّا فرع منه، ومن هؤلاء "ابن جزري" في القول السابق، إضافة إلى "ابن يعيش" حيث نجده يقول: «والتفخيم هو الأصل، والإمالة طارئة، والذي يدلّ أنّ التفخيم هو الأصل أنّه يجوز تفخيم كلّ ممال ولا يجوز إمالة كلّ مفخم، وأيضا فإنّ التفخيم لا يحتاج إلى سبب والإمالة تحتاج إلى سبب، والإمالة لغة بني تميم، والفتح لغة أهل الحجاز»⁽³⁾.

يتبيّن من خلال قول "ابن يعيش" أنّ الفتح أو كما يسميه "التفخيم" هو الأصل، حيث قدّم لنا "ابن يعيش" أدلّة تثبت ذلك منها: أنّ كلّ حرف ممال جائز فتحه، ولا يجوز أن يمّال إلّا عند وجود سبب يدعو إلى إمالته، وهذا ما تعنيه كلمة "طارئة".

وإلى نفس الاتجاه يذهب "ابن خالويه" في الحجّة، حيث يقول: «والحجة لمن فخم: أنّه أتى بالكلام على

(1) - عبد الحميد السيد: دراسات في اللسانيات العربية: المشاكلة، التنعيم، رؤى تحليلية، ج1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 1425هـ/2004م، ص16.

(2) - ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج2، ص35.

(3) - ابن يعيش: شرح المفصل، ج9، ص54.

أصله ووجهه الذي كان له، لأنّ الأصل التفخيم، والإمالة فرع عليه»⁽¹⁾. وفي هذا الكلام ما يثبت ويؤكد صراحة على أصلية الفتح وفرعية الإمالة، وتذهب "صفية طيني" مذهب "ابن خالويه" في التصريح بأصلية الفتح وفرعية الإمالة فتقول: «وحكمها الجواز، لأنّ ذلك الحرف الممال يمكن فتحه، والأصل الفتح لأنّه النطق القويم للغة والإمالة فرع، وتكون غالبا في الأسماء المتمكّنة والأفعال والحروف، ولكنّ وجودها في الحروف ليس مطّردا بل ينذر ذلك»⁽²⁾.

ويضيف "ابن جزري" سببا ثالثا يقوي أصلية الفتح وفرعية الإمالة فيقول: «الإمالة تُصيّر الحرف بين حرفين، والحركة بين حركتين، والأصل أن يكون الحرف صافيا غير مختلط بغيره، والحركة خالصة غير ممزوجة بسواها»⁽³⁾.

فالإمالة هي اقتراب ومزج بين حركتين: قصيرتين (الفتحة والكسرة)، أو طويلتين (الألف والياء)، أمّا الفتح فهو خالص.

لكن في المقابل هناك من العلماء من ذهبوا إلى نقيض ما ذهب إليه الفريق الأول، والذي يعترف بأصلية الفتح وفرعية الإمالة، حيث نجد "محمد سالم محيسن"، وهو من العلماء المحدثين يؤكد بأنّ الفتح أصل والإمالة أصل أيضا وليست فرعا منه، وفي هذا يقول: «إنّ كلا منهما أصل قائم بذاته، إذ كلّ منهما كان ينطق به عدّة قبائل عربية بعضها في غرب الجزيرة العربية والبعض الآخر في شريقها»⁽⁴⁾.

يفهم من خلال هذا الموقف أنّ كلا منهما كان مستعملا من لدن القبائل العربية، فالفتح كما ذكر منسوب إلى القبائل العربية التي كانت مساكنها غربي الجزيرة العربية، بما في ذلك قبائل الحجاز أمثال: قريش، ثقيف، هوزان وكنانة،... أمّا الإمالة فيمكن نسبتها إلى القبائل التي تعيش وسط الجزيرة العربية وشرقها، أمثال: تميم، قيس، أسد، طيء،...

5 - الإمالة من حيث الوجوب والجواز:

قال "سيبويه" في "الكتاب": «واعلم أنّه ليس كلّ من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يميل

(1) - الحسين بن أحمد بن خالويه: الحجّة في القراءات السبع، تح: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، ط1 1428هـ/ 2007م، ص66.

(2) - صفية طيني: ظاهرة الإمالة وقيمتها في التناسب الصوتي دراسة في تفسير روح المعاني للألوسي، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر العدد الثامن، 1433هـ/ 2012م، ص 88.

(3) - ينظر: ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج2، ص32.

(4) - محمد سالم محيسن: القراءات وأثرها في علوم العربية، ج1، صص 97، 98.

ولكنّه قد يخالف كلّ واحد من الفريقين صاحبه، فينصب بعض ما يميل صاحبه، ويميل بعض ما ينصب صاحبه وكذلك من كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب، ولكن أمره وأمر صاحبه كأمر الأولين في الكسر، فإذا رأيت عربياً كذلك فلا تربيته خلط في لغته، ولكن هذا من أمرهم»⁽¹⁾.

يشير "سيبويه" من خلال كلامه هذا إلى أنّ هناك قاعدة لغوية ثابتة في النصب؛ أي الفتح والإمالة لا يمكن للعربي أن يخرقها أو يعدّها أو يغيّرها كلّما أملت عليه أهواءه، إذ هو ملزم بالتقيد بها، فيفتح ما يميله غيره ويميل ما يفتحه الآخرون، دون أن يعني هذا خلط في اللغة، وإتّما هذا من عادة العرب المتوارثة، ولا يمكن للعربي أن يجري على لسانه غيرها.

ومّا يؤكّد على وجوب الإمالة عند من كان مذهبه الإمالة لا الفتح، وحينها لا يمكن التحلي عنها بأيّ حال من الأحوال قول "سيبويه" في موضع آخر: «فأمّا ناب ومال وباع، فإنّه من يميل يلزمها الإمالة على كلّ حال»⁽²⁾.

هذا إذن هو مذهب "سيبويه" في وجوب الإمالة عند من كانت عادته أن يميل، وقد خالفه في الرأي "ابن يعيش" في شرحه لـ "المفصل"، حيث نبّده بصريح يجاوز الإمالة فيقول: «وأسباب الإمالة مجوزة لا موجبة أو لا ترى أنّه ليس في العربية سبب يوجب الإمالة لا بدّ منها، بل كلّ ممال لعلّة، فللكّ ألاّ تميل مع وجودها فيه»⁽³⁾. وفي هذا الكلام ما يدلّ دلالة صريحة على أنّ الإمالة جائزة لا واجبة، حيث ذكر "ابن يعيش" أنّ الإمالة تكون بأسباب معينة، ومعنى هذا أنّه إذا توفرت الأسباب التي تدعو إليها وجب ذلك، ولكننا نجد "ابن يعيش" ومع ذلك يؤكّد أنّ للعربي حق الاختيار: إمّا أن يميل وإمّا أن ينصب، وذلك جليّ في قوله: «بل كلّ ممال لعلّة فللكّ ألاّ تميله مع وجودها فيه».

وخلاصة القول - كما يشير إلى ذلك "عبد الفتاح إسماعيل شلبي" - أنّه يجوز للعربي اليوم النطق بالإمالة والفتح على السواء، فهو ينطق الكلمة ذاتها ممالّة إذا أخذ بمذهب القبائل التي كانت تميل، وينطقها وهي مفتوحة إذا أخذ بمذهب القبائل التي تنصب، أمّا العربي الأول فما كان له أن ينطق بها على غير لهجة مفتوحة أو ممالّة⁽⁴⁾.

(1) - سيبويه: الكتاب، ج4، ص 125.

(2) - المصدر نفسه، ص 131.

(3) - ابن يعيش: شرح المفصل، ج9، ص 55.

(4) - عبد الفتاح إسماعيل شلبي: في الدراسات القرآنية واللغوية (الإمالة في القراءات واللهجات العربية)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ودار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدّة، السعودية، دط، 1429هـ / 2008م، ص 142.

6 - أسباب الإمالة:

لقد حصر "المارغيني" الأسباب التي تدعو للإمالة عند الإمام "ورش" في خمسة أسباب: الأول: انقلاب الألف عن الياء، الثاني: شَبَه الألف بالمنقلب عن الياء، الثالث: الكسر الواقع بأثر الألف، الرابع: رسم الألف بالياء في المصحف سوى ما استثني من بعض الكلمات والخامس: الإمالة التي يمال لأجلها، وقد جمع "المارغيني" الأسباب المذكورة في هذه الأبيات⁽¹⁾:

أَمَالَ وَرَشٌ كُلَّ مَا فِي الْبَابِ	لِسَبَبٍ مِنْ خَمْسَةِ أَسْبَابٍ
وَهِيَ انْقِلَابُ أَلْفٍ عَنْ يَاءٍ	وَشَبَهُ بِهِ وَكُسْرٍ جَاءِي
بِأَثَرِ الْأَلْفِ وَالرَّسْمِ بِيَا	هَذَا بِمَصْحَفِ سِوَى مَا اسْتَثْنِيَا
ثُمَّ الْإِمَالَةُ إِلَى مُمَالٍ	لِأَجْلِهَا رَاءً هَذَا مِثَالٍ

إذن فأسباب الإمالة عند "ورش" خمسة تتمثل في: انقلاب الألف عن الياء سواء رسمت في المصحف بالياء أو بالألف، أو الألف الشبيهة بالألف المنقلبة عن الياء وهي الألف الزائد للتأنيث، أو الراء المتطرفة المكسورة بعد الألف، أو الألف المرسومة ياء في المصحف سواء أكان أصلها ياء أو لم يكن، أو كانت منقلبة عن واو ومرسومة ياء مع بعض الاستثناءات، أو الإمالة من أجل مُمَالٍ، هذا وسيتمّ التفصيل في هذه الأسباب في مكانها إن شاء الله.

ويمكن حصر جميع هذه الأسباب وغيرها في سببين رئيسيين هما: الكسرة والياء، يقول "ابن جزري": «هي عشرة ترجع إلى شيئين: أحدهما الكسرة والثاني الياء، وكلّ منهما يكون متقدّما على محلّ الإمالة من الكلمة ويكون متأخرا، ويكون أيضا مقدرًا في محلّ الإمالة وقد تكون الكسرة والياء غير موجودتين في اللفظ، ولا مقدرتين محلّ الإمالة ولكنهما ممّا يعرض في بعض تصاريف الكلمة...»⁽²⁾.

بعد أن حصر "ابن جزري" جميع أسباب الإمالة في الكسرة والياء، ذكر الأسباب العشرة الناتجة عن هذين السببين سواء كانتا (أي الكسرة والياء) قبل الحرف الممال أو بعده، ظاهرتين أم مقدرتين، ويمكن تحديدها كما يلي: «الإمالة لأجل الكسرة السابقة، الإمالة لأجل الياء السابقة، الإمالة لأجل الكسرة المتأخرة، الإمالة لأجل الياء المتأخرة، الإمالة لأجل الكسرة المقدرّة، الإمالة لأجل الياء المقدرّة، الإمالة لأجل الكسرة العارضة، الإمالة لأجل الياء العارضة، الإمالة لأجل الإمالة، الإمالة لأجل الشبه، الإمالة لكثرة

(1) - سيدي إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، ص 90.

(2) - ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج2، ص 32.

الاستعمال، والإمالة للفرق بين الاسم والفعل، وقيل بأنّ العلل الثلاثة الأخيرة علا شاذة⁽¹⁾. وما يهّمنا نحن في هذا البحث هو الأسباب الخمسة المذكورة سابقاً في نظم "المارغيني".

7 - موانع الإمالة:

قال "ابن يعيش" في "شرح المفصل" وذلك في معرض حديثه عن موانع الإمالة: «وتمنع الإمالة سبعة أحرف وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والحاء والقاف، إذا وليت الألف قبلها أو بعدها، إلاّ في باب رمى فإنّك تقول فيهما طاب وخاف وصغى وطغى، وذلك نحو صاعد وعاصم وضامن وعاضد وطائف وعاطس وظالم وعاظل وغائب وواغل وخامد وناحل وقاعد وناقف، أو وقعت بعدها بحرف أو حرفين: كناشص ومفاريص، وعارض ومعارض، وناشط ومناشيط، وباهظ ومواعيظ، ونابع ومباليغ، ونافخ ومنافيخ، وناقق ومعاليق»⁽²⁾. ويضيف "هادي نحر" قائلاً: «والعلة في منع هذه الحروف أنّها تستعلي إلى الحنك، وإمالة الألف في صاعد أو في هابط فيه مشقّة، لذلك لم تمل الألف معها طلباً للمجانسة، فإذا جاورت هذه الأحرف الراء المكسورة أميلت ويسمى هذا بـ: مانع المانع، وذلك لأنّ الراء حرف تكرير فكانت بمنزلة حرفين مكسورين فوّقت جانب الإمالة، ومثال هذه الإمالة قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّا فِي الْغَارِ﴾ التوبة/ 40، ونحو: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصِيرِهِمْ غِشْوَةٌ﴾ البقرة/ 7⁽³⁾. هذا إن تأخّرت عن الألف، فإن تقدّمتها لم تؤثر نحو: ﴿وَمِنْ رَبَّاطٍ إِلْحِيلٍ﴾

الأنفال/ 60، ولذا لم يمله أحد، وشرط المنع بالراء أمران هما⁽⁴⁾:

- 1 - كونها مكسورة: فلا تمال إن كانت مفتوحة أو مضمومة، لأنّه سيجتمع فيها حينئذ فتحتان أو ضمّتان فلذلك منعت الإمالة، وأمّا إن كانت مكسورة فكأنّه قد اجتمع فيها كسرتان، فلذلك أوجبت الإمالة.
- 2 - كونها متصلة بالألف: إمّا قبلها نحو: فِرَاشٌ وَرَاشِدٌ، أو بعدها نحو: هذا حمّازٌ، ورأيت حمّازاً، وشرط الاستعلاء المتقدّم على الألف أن يتصل بها نحو: صالح، ضامن، طالب، ظالم، غالب، خالد، قاسم، أو ينفصل عنها بحرف نحو: غنائم.

(1) - ينظر: عبد العزيز علي سفر: الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري، ج1، تح: المؤلف نفسه، السلسلة التراثية للنشر الكويت، دط، 1422هـ/ 2001م، صص 114، 115.

(2) - ابن يعيش: شرح المفصل، ج9، ص 59.

(3) - هادي نحر: علم الأصوات النطقي دراسة وصفية تطبيقية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1432هـ/ 2011م ص 187.

(4) - المرجع نفسه، ص 188.

ويضيف "الشيرازي" قائلا: «... فإذا كان الحرف المستعلي قبل الألف بحرف وكان مكسورا، فإنه لا يمنع الإمالة نحو: ضِبَابٍ وَقَفَافٍ وَصِيفٍ وَطِلَابٍ، وإنما لم يمنع الحرف المستعلي الإمالة ها هنا لأنه مكسور، ولأنه قبل الألف ولا يلي الألف، فيقع اللسان على موضع المستعلي فيصوّبه بالكسرة ثم ينحدر بالإمالة»⁽¹⁾.

يتضح ممّا سبق أنّ حروف الاستعلاء والإطباق هي التي تمنع الإمالة، سواء أكانت متصلة بالألف قبله أو بعده أم منفصلة عنه بحرف أو حرفين، مع بعض الاستثناءات، مثل: صاعد فحرف الاستعلاء ها هنا هو "الصاد" جاء متصلا بـ "الألف" ومتقدم عليه، وهو هنا يمنع الإمالة تجنبا للمشقة في النطق بها، وخاصة كما علمنا أنّ الفائدة المرجوة منها: سهولة اللفظ، إضافة إلى تحقيق التجانس والتماثل، فـ "الألف" حركة طويلة لا تجانسها إلاّ فتحة "الصاد" وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أنّ حروف الاستعلاء والإطباق هذه إنّما تمنع الإمالة فقط إن تحركت بالفتح والضمّ، أما إن كانت مكسورة ويفصل بينها وبين "الألف" فاصل، وكانت متقدّمة عنه، فهي هنا لا تمنع الإمالة، بل إنّها حتى ولو كانت مفتوحة أو مضمومة وكانت متقدّمة عن "الألف"، وكان بعد "الألف" راء" مكسورة (ليست مفتوحة ولا مضمومة)، ممّا يعني أنّ "الراء" ليس لها تأثير على حروف الاستعلاء حال تقدّم "الألف" وكانت هي سابقة عليه.

وخلاصة القول: إنّ حروف الاستعلاء تمنع الإمالة إذا كانت مفتوحة أو مضمومة أو لاحقة متصلة أو منفصلة، هذا إن لم يأت بعد "الألف" راء" مكسورة، هذا فضلا عن تحرك "الراء" بالفتح والضمّ سواء أكانت قبل أم بعد "الألف"، متصلة أم منفصلة عنه، فهي في هذه الحالة من موانع الإمالة «لأنّها حرف مكرر فضمتها كضمتين وفتحها كفتحيتين وكسرتها ككسرتين، فصارت غير المكسورة كحرف الاستعلاء؛ لأنّ تكرار الضمّ والفتح خلاف الإمالة، فيغلب غير المكسورة سبب الإمالة»⁽²⁾.

8 - مقويات الإمالة:

إنّ ما يقوي الإمالة، أو يزيد قوة:

- «1 - أن تسبق الألف بياء مدّ نحو: كَيْبَرَان.
- 2 - أن تسبق الألف بكسرة وياء لين نحو: العِيَان.
- 3 - أن تسبق الألف بكسرتين نحو: جَلْبَابٌ - وهو نبات -
- 4 - اقتراب الكسرة من الألف نحو: كِتَابٌ: وجود حرف واحد أقوى منها في مِفْتَاحٍ لوجود حرفين.

(1) - الشيرازي: الموضح في وجوه القراءات وعللها، ج1، ص 212.

(2) - عبد العزيز علي سفر: الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري، ج1، ص6.

5 - الإمالة في الكلمة الواحدة أقوى منه في الكلمتين نحو: كِتَابٌ: اجتمعت الكسرة والألف في كلمة واحدة، "حِجَالِدٍ مَالٌ": الكسرة في دال الكلمة الأولى، والألف في الثانية.

6 - إمالة الألف في الفعل أقوى منها في الاسم نحو: بَأَع (الفعل)، نَأَب (الاسم).

7 - الوقف على الإمالة يقوّي الإمالة⁽¹⁾.

9 - القراء السبع والإمالة:

القراء أقسام منهم من لم يمل وهو "ابن كثير" ومنهم من أمال، وهم قسمان⁽²⁾:

1 - مقلّل: وهم "قالون"، "ابن عامر" و"عاصم".

2 - مكثّر: وهم "ورش"، "أبو عمرو"، "حمزة" و"الكسائي"...

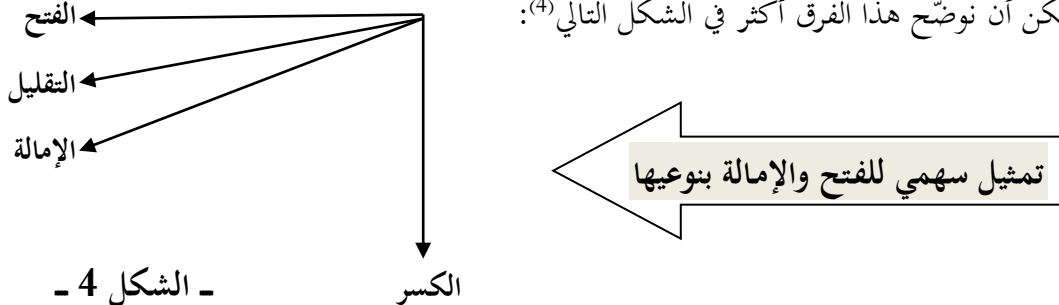
وهؤلاء هم القراء السبع، و"قالون" و"ورش" هما راويا "نافع المدني" فهما يمثّلانه، ممّا يعني أنّ الإمام "نافع"

هو الوحيد من القراء السبع الذين أمالوا بالتقليل (الإمالة الصغرى)، والتكثير (الإمالة الكبرى).

10 - الفرق بين الفتح وبين الإمالة:

إنّ اللسان مع الفتح يكاد يكون مستويا في قاع الفمّ، فإذا أخذ في الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ ذلك الوضع الذي يسمّى بالإمالة، وأقصى ما يصل إليه أوّل اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى هو ذلك المقياس الذي يسمّى عادة بالكسرة، طويلة كانت أم قصيرة، فهناك إذن مراحل بين الفتح والكسر، لا مرحلة واحدة، من أجل ذلك كان القدماء يقسّمون الإمالة إلى نوعين: خفيفة وشديدة، وكذا نرى أنّ الفرق بين صاحب الفتح وصاحب الإمالة ليس إلّا اختلافا في وضع اللسان مع كلّ منهما حين النطق بمهدين الصوتين واللسان في حالة الإمالة أقرب إلى الحنك الأعلى منه في حالة الفتح⁽³⁾.

ويمكن أن نوضّح هذا الفرق أكثر في الشكل التالي⁽⁴⁾:



- الشكل 4 -

(1) - محمود مطرّجي: في الصرف وتطبيقاته، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2000م، ص 54.

(2) - عبد الفتّاح إسماعيل شلبي: في الدراسات القرآنية واللغوية (الإمالة في القراءات واللهجات العربية)، ص 152.

(3) - إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، دط، 1424هـ/2003م، ص 57.

(4) - غنية بوحوش: القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية والشرعية في قراءة أبي عمرو البصري أتمودجا، ص 233.

11 - أحكام الفتح والإمالة عند ورش:

كلّ ما قرأه "ورش" ممالا كان مقلداً لإلاّ حرف الهاء من ﴿طَهَ﴾، فقد قرأه بالإمالة الكبرى، وسيأتي الآن ذكر مواضع التقليل، وما يجوز فيه الوجهين (الفتح والإمالة الصغرى)، مع عرض بعض الأمثلة من سورة المائدة، وهي هنا مصنّفة حسب سبب الإمالة كما يلي:

أ/ الألف المتطرفة المنقلبة عن الياء: وفيها حالتين هما: (1)

* إذا كان قبلها - أي الألف المتطرفة - حرف الراء مثل: (القرى، اشترى)، فهذه تُمال وجهها واحداً.

* إذا كان قبلها غير حرف الراء مثل (الهدى، رمى، سعى، أتى)، فهذه فيها الوجهان: الفتح والإمالة.

ومن نماذج هذا السبب في سورة المائدة المواضع التالية:

- كلمة "تَرَى" في المواضع التالية: ﴿بَتَرَى﴾/54، ﴿وَتَرَى﴾/64، ﴿تَرَى﴾/82 و84، وفي جميعها تقلل الألف قولاً واحداً؛ لأنّها من ذوات الياء الراءية.

- الكلمات التالية: ﴿مَرَضِي﴾/7، كلمة "أَتَى" في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْكُمْ﴾/22، ﴿يُوَيْلِي﴾/33، كلمة "أَخِي" في قوله تعالى: ﴿أَخِيهَا﴾/34، ﴿أَتَيْكُمْ﴾/50، ﴿نَخْشِي + وَعَسَى﴾/54، كلمة "يُنْهَى" في قوله تعالى: ﴿يُنْهِيهِمْ﴾/65، ﴿لَا تَهْوَى﴾/72، ﴿إِعْتَدِي﴾/96 وغيرها، فجميع هذه الحالات وأمثالها فيها وجهان: الفتح والإمالة (التقليل بتعبير أدق)؛ لأنّها من ذوات الياء غير الراءية.

وهذا باستثناء الألف التي برؤوس الآي من إحدى عشرة سورة، سواء أكانت الألفات يائية أم واوية فحكمها التقليل فقط، إلاّ إذا اقترنت بضمير المؤنث (ها)، فيكون له فيها وجهان: الفتح والتقليل، إلاّ ما كان فيه راء (ذوات الراء) (*) نحو: (ذكرها) فإنّ "ورش" يقلله قولاً واحداً، والصور الإحدى عشر هي: طه، النجم المعارج، القيامة، النازعات، عبس، الأعلى، الشمس، الليل، الضحى والعلق (2).

وكانت هذه الحالة هي السبب الأوّل من أسباب الإمالة السابق ذكرها، والمتمثل في انقلاب الألف عن

الياء، سواء رُسِمَتْ في المصحف ياءً كما في الأمثلة السابقة، أم رُسِمَتْ ألفاً، نحو: ﴿طَعَا﴾ الحاقة/11.

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 92.

(*) - وتسمى أيضاً "ذوات الياء الراءية"، وهي كلّ ألف متطرفة منقلبة عن ياء أو زائدة للتأنيث، أو رُسِمَتْ في المصحف ياء، واتصلت بها راء وقعت رأس آية، فإن لم تتصل بها راء سمّيت ذوات الياء غير الراءية.

(2) - حليلة سال: القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة، ص 146.

ب/ الألف المتطرفة الزائدة للتأنيث:

لذوات الراء المتطرفة الزائدة للتأنيث خمسة أوزان هي: فَعْلَى، فُعْلَى، فَعْلَى، فَعْلَى، فَعْلَى...
وحكمها: التقليل فقط لذوات الراء، والوجهان لغير ذوات الراء...⁽¹⁾.

يضاف إلى هذه الأوزان ما كان على وزن "أَفْعَلْ"، وعلى وزن "مَفْعَلْ"، فيجوز فيهما: الفتح

والإمالة⁽²⁾.

وسنقدّم فيما يلي بعض نماذج هذه الحالة من سورة المائدة:

- الكلمات التي جاءت على وزن: "فَعْلَى" نحو: "التَّفْوَى" في قوله تعالى: ﴿التَّفْوَى﴾/3 وكذا: ﴿لِلتَّفْوَى﴾/9
وكلمة: "الموتَى" في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِأَذْنِي﴾/112،... وفي هذه الكلمات وجهان: الفتح
والتقليل؛ لأنها ليست من ذوات الياء الراضية.

- كلمة "النَّصَارَى" في قوله تعالى: ﴿نَصْرِي﴾/15 و84، ﴿النَّصْرِي﴾/20، 53، 71،... على وزن:
"فَعْلَى" وحكمها: التقليل وجهها واحدا؛ لأنها من ذوات الراء.

- كلمة "المَأْوَى" في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أُوَيْلَهُ النَّارُ﴾/74، على وزن: "مَفْعَلْ"، وفيه وجهان: الفتح والتقليل.

- الكلمات التي جاءت على وزن: "فُعْلَى" نحو: "الْفُرْبَى" في قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾/108، وكلمة:
"الدُّنْيَا" في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾/35، و﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾/43، وفيها حكمان:
الفتح والإمالة (التقليل) لغير ذوات الياء الراضية.

- كلمة "الأَدْنَى" في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا...﴾/110، على وزن
"أَفْعَلْ" وحكمها وجهان: الفتح والتقليل؛ لأنها ليست من ذوات الراء.

وهذه الحالة هي السبب الثاني من الأسباب التي تدعو إلى الإمالة، والمتمثل في الألف الشبيهة بالألف

المنقلبة عن الياء، أو كما تعرف بالألف الزائدة للتأنيث.

ج/ الألف المتوسطة التي يليها راء متطرفة:

فإذا كانت متصلة بالألف ومكسورة كسرة إعراب (كسرة أصلية)، فهذه تمال قولاً واحداً، ولو اتصل

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 93، 94.

(2) - محمد نبهان بن حسين مصري: الإستبرق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (الشاطبية)، ص 68.

بالراء ضمير وميم الجمع وقفا ووصلا، نحو: النهار، ديارهم، أبصارهم، هارٍ، أقطارهم،...⁽¹⁾، ويستثنى من ذلك عند "ورش" كلمتا: [الجار، وجبارين]، ففيهما الوجهان: الفتح والإمالة، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ الشعراء/130، و﴿ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْإِنْتَبِ﴾ النساء/36⁽²⁾.

تنبیه⁽³⁾:

* كلمة ﴿تَمَارٍ﴾ الكهف/22: لا إمالة فيها أصلا، لأنّ لام الفعل "ياء"، حذفت للجازم وهو لا الناهية، وكذلك كلمة (الجوار) فلا إمالة فيها أيضا.

* كلمة ﴿أَنْصَارِي﴾ الصف/14: لا إمالة فيها أصلا أيضا، لأنّ كسرة الراء ليست كسرة إعراب، وإتّما هي لمناسبة الياء (ياء الضمير المتكلم).

* كلمة ﴿مُضَارٍ﴾ النساء/12: لا إمالة فيها لأجل الفصل بين الراء المكسورة والألف المتوسطة، لأنّ أصل الكلمة "مُضَارِرٍ" فسكّنت الراء الأولى، وأدغمت في الثانية.

ومن نماذج الألف المتوسطة التي يليها "راء" متطرفة في سورة المائدة ما يلي:

- كلمة: "الأدْبَارِ" في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدُّوا عَلَيَّ أَدْبَارِكُمْ﴾/23، اتّصلت بالراء ضمير وميم الجمع وحكمها ها هنا: التقليل وجها واحدا.

- كلمة "جَبَّارِينَ" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾/24، وحكمها وجهان: الفتح والتقليل استثناء عند الإمام "ورش".

- كلمة "النَّارِ" في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَصْحَابِ النَّارِ﴾/31 و﴿مِنَ النَّارِ﴾/39، وحكمها التقليل فقط.

- كلمة "أَنْارٍ" في قوله تعالى: ﴿وَفَقَّبْنَا عَلَيَّاءِ إِبْرَاهِيمَ﴾/48، جاءت الكلمة متّصلة بالضمير وميم الجمع وحكمها ها هنا التقليل وجها واحدا.

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 94.

(2) - حليلة سال: القراءات روايتنا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة، ص 148.

(3) - عبد الكريم مقيدش: المرجع السابق، صص 94، 95.

- كلمة "الأنصار" في قوله عزّ وجلّ: ﴿مِنَ أَنْصَارِهِ﴾/74، وفيها التقليل وجها واحدا.

إذن تمثل هذه الحالة **السبب الثالث** من أسباب الإمالة عند الإمام "ورش"، والمتمثل في الراء المتطرفة المكسورة بعد الألف، وهذا يعني أنّ الألف هنا لا تقع في طرف الكلمة وأما تأتي وسطا، وبعدها الراء مباشرة دون فاصل يحول بينهما.

د/ الألف المتطرفة والمرسومة ياء:

هذا وإن لم يكن أصلها ياء، وهي الألف التي في الأسماء الأعجمية، مثل: موسى، عيسى، يحيى فحكمها عند "ورش": **التقليل وجها واحدا**، أما إذا كانت هذه الألف المتطرفة والمرسومة في المصحف ياءً منقلبة عن واو، مثل: ضحى، العلى،... ففيها وجهان: **الفتح والإمالة**، ويستثنى من ذلك كلمة ﴿رَكَى﴾/النور/21 فليس فيها إلا **الفتح**، وكذلك الكلمات التي برؤوس الآي، مثل: (العلی، يتزكى،...)، ففيها **الإمالة فقط**، إلا إذا اتصلت بها هاء التأنيث ففيها **الوجهان**. ويندرج تحت هذه الحالة الكلمات التي فيها ألف مجهول الأصل نحو (متى بلى، أتى،...)، ففيه **الوجهان**، باستثناء أربع كلمات ففيها **الفتح** اتفاقا وهي: (حتّى، على، إلى، لدى)⁽¹⁾.

ملاحظة هامة: ويستثنى من الألف المرسومة ياء^(*) في المصحف **خمس** كلمات لا إمالة فيها وهي: اسم ﴿لَدَى﴾/غافر/18، فعل ﴿مَا رَكَى﴾/النور/21، وثلاثة أحرف: (إلى، حتّى، على)⁽²⁾.

ويمكن أن نقسم ورود هذه الحالة في سورة المائدة على ثلاثة أقسام كما يلي:

- ما فيه **وجه واحد**: وهو التقليل فقط، وهي الألف في الأسماء الأعجمية، ومن نماذجها في سورة المائدة:

* كلمة: ﴿مُوسَى﴾ الواردة في الآيات التالية: 22، 24 و26.

* كلمة: ﴿عِيسَى﴾ الواردة في الآيات التالية: 48، 80، 112، 114، 116 و118.

- ما فيه **وجهان**: الفتح والتقليل، وهي الألف المتطرفة المرسومة ياء في المصحف، بيد أنّها منقلبة عن واو، نحو قوله

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 93.

(*) - الضابط الذي نعرف من خلاله هل أنّ الألف منقلبة عن ياء أم عن واو هو: أن نقتي الاسم ونسند الفعل إلى المتكلم، فإذا ظهرت الياء فأصل الألف ياء، وإن ظهرت الواو فأصل الألف واو، ومثال **البائي في الأسماء** [هدى = هديان/ فتى = فتان]، وفي **الأفعال** [رمى بإسنادها للمتكلم = رميت سقى = سقيت،...]، ومثال **الواوي من الأسماء**: [صفا = صفوان، سنا = سنوان، عصى = عصوان،...]، ومن **الأفعال** [عفا = عفوت، نجأ = نجوت،...] وإذا زاد الثلاثي من الأسماء والأفعال على ثلاثة أحرف مما فيه الألف منقلبة عن واو، فإنّها تردّ إلى الياء وذلك دون ردّها إلى أصلها، ويكون بتثنيها مباشرة: إذا كانت اسمًا، أو إسنادها للمتكلم: إذا كانت فعلاً، نحو: تزكّى، ابتلى، أدنى، تعالى،...

(2) - أبو عبد الرحمن عاشور حضراوي الحسني: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 68.

تعالى في هذه السورة: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى﴾/2، فأصل الألف المتطرّفة هنا هي: "الواو" نقول: التلاوة، يتلّو وتلّوث.

- ما فيه وجهان أيضا: الفتح والتقليل، وهي تلك الكلمات المجهول فيها أصل الألف، وورد من ذلك في سورة المائدة نموذجا واحدا هو لفظة: "أَتَى" في قوله تعالى: ﴿أَبْنَى يُوبَقُونَ﴾/77.

ويستثنى من هذه الحالة الأخيرة - كما أشرنا - مجموعة من الكلمات المذكورة سلفا، ففيها وجه واحد فقط وهو الفتح، وردت منها في سورة المائدة ما يلي:

- كلمة: ﴿عَلَى﴾، الواردة في سورة المائدة في 22 موضع منها الآيات التالية: 3، 12، 21، 34، 56، 94، 101، 109، 119، 122... الخ.

- كلمة: ﴿إِلَى﴾ وقد وردت في نصّ سورة المائدة في أربع مواضع هي: 66، 76، 106 و 107.

- كلمة: ﴿حَتَّى﴾/24، 70.

وتمثّل هذه الحالة سبب آخر من أسباب الإمالة، وهو رسم الألف "ياء" في المصحف سواء كانت منقلبة عن "الياء" أو عن "الواو" أو جُهِلَ أصلها فألحقت بهما.
هـ/ الإمالة لأجل الإمالة:

ومثالها كلمة (رأى) مفردة، أو مع ضمير نصب (رأك، رآه، رآها...)، ففيها تقليل الراء والهمزة معا مع ثلاثة البدل قولاً واحداً، فإذا وليها ضمير رفع (رأوا، رأيت...)، أو تاء تأنيث (رأت) فلا تقليل فيها، أما إذا جاء بعدها ساكن مثل: (رأى الشمس، رأى القمر)، فتقلل وقفا فقط، أما كلمة ﴿أَرِيكَهُمْ﴾ الأنفال/43، ففيها الوجهان، والتقليل مقدّم⁽¹⁾. ولا وجود لهذه الحالة في سورة المائدة.

وتمثّل هذه الحالة السبب الأخير من أسباب الإمالة عند الإمام "ورث"، وهو الإمالة من أجل وجود إمالة أخرى فـ "الراء" في المثال السابق إنما أميلت لأجل إمالة الألف المنقلبة عن "الياء"، وكذلك من أجل إمالة فتحة الهمزة نحو الكسرة.

❖ حالات أخرى: قلل "ورث" كلمات وحروفا مخصوصة وهي⁽²⁾:

* الكافرين: قلّلها وجهها واحدا معرفة ونكرة بشرط أن تكون منصوبة أو مجرورة بالياء، ووقعت هذه الكلمة في

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورث عن نافع من طريق الأزرق، صص 95، 96.

(2) - غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورث عن نافع، صص 98، 99.

سورة المائدة عند أربعة مواضع؛ في الآيات: 56، 69 و 70 جاءت هذه الكلمة معرفة: ﴿كَبِيرِينَ﴾ وفي الآية 104 جاءت الكلمة نكرة: ﴿كَبِيرِينَ﴾.

* التوراة: قلَّ لها وجهها واحدا حيثما وقعت، ووردت هذه الكلمة في سورة المائدة في ستة مواضع (الآيات: 45، 46، 48، 68، 70 و 112).

* الراء: في: ﴿آلِ رَبِّ﴾ و ﴿آلِ مَبْرٍ﴾.

* الهاء والياء: في: ﴿كَهَيْعَصَّ﴾.

* الحاء: في: ﴿جَمَّ﴾.

* الهاء: في: ﴿طَهَّ﴾، أمالها "ورش" إمالة كبرى، وهو الموضع الوحيد عنده.

ملاحظة: يستثنى من الحروف المذكورة الياء من ﴿يَسَّ﴾ يس/1، فلا إمالة فيها⁽¹⁾.

ملاحظات عامة⁽²⁾:

– إذا حذفت الألف الممالئة للالتقاء الساكنين في الوصل لفظاً (مع بقائها رسماً) فإنَّ الإمالة تحذف معها، سواء كان

الساكن تنويناً مثل: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّفِئِينَ﴾ البقرة/2، و ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ الأنعام/2، و ﴿مَوْلًى﴾ الدخان/41

و ﴿فُرًى مَّحْصَنَةً﴾ الحشر/14 أو كان الساكن غير تنوين، مثل: ﴿مُوسَى أَلْكُتَبَ﴾ فصلت/45

و ﴿نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ البقرة/55، و ﴿أَلْفُرًى أَلْتِي﴾ سبأ/18، و ﴿رَعَا أَلْفَمَرَ﴾ الأنعام/77.

– أمّا إذا وقف القارئ على الألف قبل الساكن في الكلمة الثانية، أو على المنون، أمال فيهما معاً؛ أي في المنون

وغيره، مثل: ﴿هُدًى﴾ البقرة/2 و ﴿مُسَمًّى﴾ نوح/4.

* الوجوه الحاصلة من اجتماع ذات الياء مع غيرها:

أولاً: اجتماع ذات الياء مع مدّ البدل:

عند وجود ذات الياء مع مدّ البدل في الآية الواحدة، يكون فيها أربعة أوجه كما يلي:

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 95.

(2) - المرجع نفسه، ص 96.

أ/ إذا سبق مدّ البدل ذات الياء: ففي البدل أربعة أوجه⁽¹⁾:

1 - قصر البدل مع فتح ذات الياء. 2 - توسط البدل مع تقليل ذات الياء.

3 و 4 - طول البدل مع الفتح والتقليل لذات الياء.

ومثال ذلك من سورة المائدة الآيات التالية:

* قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنَ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوْا ۖ اِعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ...﴾/9.

* اجتماع مد البدل المتقدم على ذات الياء في كلمة واحدة في قوله تعالى: ﴿...وَلَا يَكْفُرُ بِكُمُ الْكُفْرُ بِآٰلِهَتِكُمْ ۖ فِى الْاَسْمَاءِ الْاَلْحُسْنَىٰ ۗ اُولٰٓئِكَ سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ الْحَمْدِ...﴾/50.

* قال تعالى: ﴿...اَنْظُرْ كَيْفَ نَبَّيْنٰ لَهُمُ الْاٰيٰتِ ثُمَّ اَنْظُرْ اَنْبِيَٓا يُوقَعُوْنَ﴾/77.

* قال تعالى: ﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا... اَوْ- اٰخِرٰنِ مِنْ غَيْرِكُمْ... وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبٰى...﴾/108.
ب/ إذا تقدمت ذات الياء على مدّ البدل: ففيها أربعة أوجه⁽²⁾:

1 و 2 - فتح ذات الياء مع القصر والطول للبدل. 3 و 4 - تقليل ذات الياء مع التوسط والطول للبدل.
ومثال الحالة من سورة المائدة:

* قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ اٰذْ جَعَلْ فِيْكُمْ اَنْبِيَآءَ... وَءَاٰتِيَكُمْ...﴾/22.

* قال الله عزّ وجلّ: ﴿...ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيْمٌ﴾/35.

ثانيا: اجتماع ذات الياء مع اللين المهموز:

أ/ إذا تقدمت ذات الياء على اللين المهموز، ففيها أربعة أوجه⁽³⁾:

1 و 2 - فتح ذات الياء مع التوسط والطول للين. 3 و 4 - تقليل ذات الياء مع التوسط والطول للين

ولم تجتمع ذات الياء مع اللين المهموز في كلمة أو آية في هذه السورة ولا في موضع من المواضع.

ب/ وإذا تقدم اللين المهموز على ذات الياء، ففيها أربعة أوجه⁽⁴⁾:

1 و 2 - توسط اللين مع الفتح والتقليل لذات الياء. 3 و 4 - طول اللين مع الفتح والتقليل لذات الياء.

(1) - محمد نبهان بن حسين مصري: الإستترق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 69.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

(3) - حليلة سال: القراءات روايتنا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة، ص 149.

(4) - المرجع نفسه، ص ن.

ولا يوجد لهذه الحالة إلا نموذجا واحدا من سورة المائدة، وهو: ﴿...لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ

قَالَ يَلْوِيَلْتِي...﴾/33.

ثالثا: اجتماع البدل مع ذوات الياء مع اللين المهموز، ففيه ستة أوجه⁽¹⁾:

- 1 - قصر البدل مع فتح ذات الياء مع التوسط في اللين المهموز.
- 2 - التوسط في البدل مع تقليل ذات الياء مع التوسط في اللين المهموز.
- 3 - الطول في البدل مع فتح ذات الياء مع التوسط في اللين المهموز.
- 4 - الطول في البدل مع فتح ذات الياء مع الطول في اللين المهموز.
- 5 - الطول في البدل مع تقليل ذات الياء مع التوسط في اللين المهموز.
- 6 - الطول في البدل مع تقليل ذات الياء مع الطول في اللين المهموز.

ومثال ذلك من سورة المائدة النموذجين التاليين:

* يقول المولى عز وجل: ﴿...ءَامَنَّا... - أَحْرِيْنَ... اوْتِيْتُمْ... شَيْئًا... الدُّنْيَا... أَلَا خِرَّةَ﴾/43.

* وقوله أيضا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ... فَمَنْ إِغْتَدَبَ بَعْدَ ذَلِكَ

فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾/96.

ففيهما ستة أوجه على الترتيب:

- 1 - قصر البدل مع التوسط في اللين المهموز وفتح ذات الياء.
- 2 - توسط البدل مع التوسط في اللين المهموز وتقليل ذات الياء.
- 3+4: طول البدل مع التوسط والطول في اللين المهموز وفتح ذات الياء.
- 5+6: طول البدل مع التوسط والطول في اللين المهموز وتقليل ذات الياء.

ملاحظة هامة: يمتنع عند الإمام "ورش" الحالات التالية:⁽²⁾

- 1 - قصر البدل مع تقليل ذات الياء.
- 2 - توسط البدل مع فتح ذات الياء.
- 3 - الطول في اللين المهموز، مع التوسط والقصر في البدل.

ونظرا لعدم حصول هذه الوجوه عند "ورش" وقع الاستثناء في الكثير من حالات اجتماع ذات الياء مع مد

(1) - حليلة سال: القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة، ص 150.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

البدل، أو اللين المهموز أو معهما معا، ويمكن رصد بعض النماذج من سورة المائدة كما يلي:

* اجتماع ذات الياء مع مدّ البدل:

أ/ حالات تقدّم مدّ البدل على ذات الياء:

- اجتماع مدّ البدل مع ذات الياء في كلمة "آثارهم" في قوله تعالى: ﴿وَفَقَّبَيْنَا عَلَيَّ آثَارِهِمْ...﴾/48، وكذا

اجتماعهما في كلمتين في ذات الآية: ﴿وَفَقَّبَيْنَا عَلَيَّ آثَارِهِمْ بِعَيْسَى ابْنِ مَرْزِيمٍ...﴾/48.

- اجتماع مدّ البدل مع ذات الياء في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ

وَالنَّصَارَى...﴾/53، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ... لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا

نَصَارَى...﴾/84.

ففي جميع هذه الحالات يترتب على اجتماع مدّ البدل مع ذات الياء المتأخّرة عنه وجهان بدل عن أربعة

أوجه استثناءً هما: توسط البدل وطوله مع تقليل ذات الياء.

ب/ حالات تقدّم ذات الياء على مدّ البدل، وفي سورة المائدة حالة واحدة وهي قوله تعالى: ﴿...تَرَى

أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ... يَفُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا...﴾/85. ويترتب على هذا الاجتماع وجهان بدل أربعة

أوجه استثناءً هما: تقليل ذات الياء مع التوسط والطول في مدّ البدل.

* اجتماع اللين المهموز مع ذات الياء مع مدّ البدل على هذا الترتيب، وقد حدث هذا الاجتماع في سورة

المائدة عند موضع واحد في قوله تعالى: ﴿...وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي...وَإِذْ تُخْرِجُ

الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَبْتُ بِنَجِّ إِسْرَائِيلَ عَنْكَ...﴾/112. وفي هذا الاجتماع وجه واحد فقط بدلا عن

سنة أوجه المذكورة سلفا، وهو: توسط اللين المهموز مع فتح ذات الياء وقصر مدّ البدل.

12 - الإمالة: الأداء والدلالة

إنّ الأداء الصوتي لظاهرة الإمالة في القرآن الكريم عموما، وفي نص سورة المائدة على وجه الخصوص دلالة

ومعنى سياقي، نحاول فيما يلي تسليط الضوء على بعض حالاته من خلال النماذج التالية:

❖ قال تعالى: ﴿يَقُومُوا إِدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى

أَدْبَارِكُمْ فَتَنْفَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾/23.

وقع التقليل هنا في كلمة "أدباركم"، أميلت فيها الألف المتوسطة المتبوعة بالراء المتطرّفة (أدْبَارِ) نحو الياء، يقول

"الزخشي" في "الكشاف" مفسراً قوله تعالى: ﴿...وَلَا تَزِدُّوا عَلَيَّ آدْبِرِكُمْ...﴾ أي: «ولا تنكصوا على أعقابكم مدبرين من خوف الجبارة جينا وهلعا (...). لا تزدوا على أدياركم في دينكم بمخالفتكم أمر ربكم وعصيانكم نبيكم، فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة»⁽¹⁾.

وفي هذه الآية الكريمة أمر، ومعلوم أن الأمر في القرآن يدل على الوجوب والإلزام، ثم إن التراجع عما هو مأمور به يعني انحراف وعدول عن الاتجاه الصحيح، وفي هذا ما يتماشى مع دلالة الإمالة ومعناها المراد.

❖ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن بَيْنِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ؛ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾/68.

للإمالة في كلمة "التوراة" دالتان: الأولى: دلالة التماثل؛ وقعت الألف الممالة هنا بعد الراء المرققة «إذ أن الترقيق يؤثر في الفتحة الطويلة، فتنزاح قليلا عن الفتح الخالص، ولعلّ هذا نتيجة تأثر الأصوات المتجاورة بعضها بعضا»⁽²⁾.

والأخرى دلالة: الميل عن جادة الصواب والانحراف عن الاستقامة؛ فتحريف التوراة وعدم إقامتها من شأنه أن يتناسب مع معنى الإمالة، يقول الشيخ "الصابوني": «لو أنهم استقاموا على أمر الله، وعملوا بما في التوراة والإنجيل، وبما أنزل الله في هذا الكتاب الجليل الذي نُزِّلَ على خاتم الرسل(ص)، لوسّع الله عليهم الأرزاق، وأغدق عليهم الخيرات بإفاضة بركات السماء والأرض عليهم»⁽³⁾.

وهذا الانحراف عن الاستقامة لا يعم كل أهل الكتاب، بل إن منهم أمة مقتصدة؛ أي «جماعة معتدلة مستقيمة غير غالية ولا مقصرة، وهم الذين آمنوا بمحمد(ص)، كعبد الله بن سلام، والنجاشي وسلّمان...»⁽⁴⁾، وهذا من شأنه أن يزيد من معنى الانحراف، لأنّ المعنى ينكشف بإيراد الضدّ.

❖ قال تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾/69.

هناك علاقة بين الإمالة ودلالاتها في لفظة "الكافرين"، فالانسجام بينهما في الصيرورة والتحوّل من حال إلى آخر واضح وجليّ، فالإمالة تدلّ - كما أشرنا - عن الجنوح والانزياح عن الألف المستوية، كذلك الشأن مع كلمة "الكافرين"، إذ تدلّ على الميل والانحراف عن الاعتدال؛ ذلك أنّ الكفر نقيض الإيمان، يقول الإمام "الطبري" في

(1) - الزخشي: تفسير الكشاف، ج6، ص285.

(2) - عبد المهدي كايد أبو أشقير: تحليل أكوستيكي لوجوه الاختلاف الصوتي بين ورش وقالون في قراءة نافع، ص54.

(3) - الصابوني: صفوة التفاسير، مج1، ج6، ص353.

(4) - المرجع نفسه، ص ن.

تفسير الآية السابقة: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُوقِقُ لِلرُّشْدِ مِنْ حَادٍ عَنِ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَجَارٍ عَنِ قِصْدِ السَّبِيلِ، وَجَحْدٍ مَا جِئْتَهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَمْ يَنْتَهَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، وَطَاعَتِهِ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْهِ وَأَوْجَبَهُ»⁽¹⁾.

❖ قال عز وجل: ﴿ذَلِكَ أَذُنِي أُنِّيَأْتُوْا بِالشَّهَادَةِ عَلَيَّ وَجْهًا...﴾/110.

ومن المعاني التي تؤديها الإمالة: معنى القرب، لأنّ فيها تقريب الحركة (طويلة أو قصيرة) من حركة أخرى (طويلة أو قصيرة)، وهذا ما يتلائم مع دلالة لفظة "أدنى" في هذه الآية، والتي تعني "القرب والدنو"، يقول "أحمد المراغي": «أي ذلك الذي شرعناه من تكليف المؤمن على الوصية أن يقوم على مرأى من الناس، ويشهد بعد الصلاة ويقسم الأيمان المغلظة، أدنى الطرق وأقربها إلى أن يؤدي الشهداء الشهادة على وجهها، بلا تبديل ولا تغيير تعظيماً لله ورهبة من عذابه ورغبة في ثوابه، أو خوفاً من الفضيحة التي تعقب استحقاقهما الإثم في الشهادة، بردّ أيمان الورثة بعد أيمانهم تكون مبطلّة لها؛ إذ من لم يمنعه خوف الله وتعظيمه أن يكذب لضعف دينه، يمنعه خوف الخزي والفضيحة بين الناس»⁽²⁾.

(1) - الطبري: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج3، ص137.

(2) - أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مج3، ج7، صص29، 30.

المبحث الثالث: الهمز وأحكامه

سبق وأن كانت لنا وقفة وجيزة مع الهمزة (والجمع: الهمز)، حيث بيّنا فيها مخرجها الصوتي وطريقة النطق بها، وما يعترئها من صفات ثابتة وأخرى عرضية. وتعتبر الهمزة - كما أسلفنا - من أكثر الأصوات العربية التي اختلف فيها العلماء القدماء والمحدثين، خاصة وأنّ الهمزة كما ذكرنا: «حرف شديد، وهو أدخل الحروف الحلقية، وأدخلها في الحلق أثقلها، لكونه يستوطن أقصى الحلق، لذا كان النطق به على هذا الحال فيه كلفة وتعب»⁽¹⁾، ولهذا العلة كان من المستحسن تخفيف الهمزة قصد التسهيل واليسير في النطق، فكان لهذا التخفيف طرقاً أربعة، أشار إليها صاحب "الكتاب" حينما قال: «وأما التخفيف فتصير الهمزة فيه: بين بين، وتبدل وتحذف»⁽²⁾.

يبدو من خلال هذا القول: إنّ التخلّص من ثقل الهمزة لا يكون إلّا بتخفيفها، حيث ذكر "سيبويه" في القول السابق ثلاثة طرق لذلك، وهي: طريقة بين بين، أو كما تسمّى كذلك "التسهيل"، وطريقة التبديل، أو كما تسمّى كذلك "الإبدال"، وطريقة الحذف أو كما تسمّى كذلك "الإسقاط"؛ أي إسقاط أو حذف الهمزة، وفي الحقيقة هذا التعريف قد تضمّن أربعة طرق لتخفيف الهمز وهي كما يسمّها البعض بطرق التغير؛ ذلك أنّ طريقة الحذف التي أشار إليها "سيبويه" في نهاية هذا التعريف إنّما تتضمن طريقتين، وهما: طريقة الحذف أو الإسقاط المطلق (التام)، والتي سيأتي بيانها فيما بعد إن شاء الله، وطريقة حذفها لكن مع بقاء حركتها ونقل هذه الأخيرة إلى الساكن قبلها، وهي ما تعرف بطريقة النقل والتي سيأتي التفصيل فيها لاحقاً بإذنه تعالى.

إذن صار لتخفيف الهمز أربعة طرق وهي على الترتيب: التسهيل (بين بين)، الإبدال، النقل، الإسقاط (الحذف)، وهذا فضلاً عن الأصل في الهمز، وهو ما يعرف بـ: التحقيق والذي سنتعرّف عليه فيما سيأتي من هذا البحث بحول الله تعالى، وتعتبر عملية التخلص من الهمزة وذلك بإسقاطها من النطق بأي طريقة كانت «ظاهرة من ظواهر قانون الاقتصاد في الجهد، فالذين مالوا إلى التخلص منها كانت غايتهم من ذلك طلب الحفّة وإثارة للسهولة في النطق ليس غير، وتخفيف الهمزة إنّما يكون بوقوعها في الحشو أو في الطرف، أمّا إذا كانت صدراً فإنّ العرب جميعاً يحقّقونها، الحجازيون وغيرهم في ذلك سواء»⁽³⁾.

وعليه فقد ترتّب على ما في نطق الهمزة من صعوبة أمران: «الأوّل: حرص علماء القراءة على العناية بنطقها

(1) - عبد العليّ بن عبد الرحمن المسفول: القراءات الشاذّة: ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الرياض السعودية، ودار ابن عفاّن للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1429هـ/2008م، ص324.

(2) - سيبويه: الكتاب، ج3، ص541.

(3) - فوزي الشاب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، صص 455، 456.

بلطافة ورفق، والثاني: ميل كثير من العرب إلى تسهيلها في النطق؛ أي إسقاطها أو إبدالها بأحد أصوات العلة⁽¹⁾. وقبل التعرّض لطرق التغيّر والتخفيف، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الهمز على أضرب شتّى، فمنه الوصلي ومنه القطعي، ومنه ما هو مفرد ومنه ما هو مزدوج في كلمة أو في كلمتين، ومنه ما هو متعدّد في كلمة واحدة ولا بدّ من تفصيل المقال في كلّ واحدة منها على حدة، مع التنبيه أحيانا إلى أنّ هذا المبحث سيختصّ بالهمزة القطعية أساسا دون الوصلية. هذا وستكون البداية أولا بعرض بعض المصطلحات المفتاحية الخاصة بالهمز:

المطلب الأول: المصطلحات المتعلقة بالهمزة

1 - همزة الوصل: وهي: «همزة زائدة عن بنية الكلمة، وتقع في أولها، تثبت في الابتداء وتسقط في الدرج - أي الوصل -، وسمّت كذلك لأنّها يتوصّل بها للنطق بالساكن بعدها، لأنّ الأصل: أنّه لا يُبدأ بساكن، ولا يوقف على متحرك، وتوجد في الأسماء والأفعال والحروف»⁽²⁾.

2 - همزة القطع: وهي: «الهمزة الثابتة في حالة الوصل والبدء، سمّيت كذلك لثبوتها في الوصل فينقطع بالنطق بها الحرف الذي قبلها عن الحرف الذي بعدها، وتوجد في الأسماء في مصدر الثلاثي والرباعي، والأفعال في ماضي الثلاثي وماضي الرباعي وأمره، والحروف مطلقا ما عدا (ال) التعريف»⁽³⁾.

يبدو جليا من خلال هذين التعريفين تلك الفروق القائمة فيما بين الهمزة الوصلية، وبين الهمزة القطعية.

3 - التحقيق: التحقيق في اللغة من الفعل الثلاثي حَقَّقَ: «حَقَّقَ الأمر: أثبته وصدّقه، يقال: حَقَّقَ الظنَّ وحَقَّقَ القول والقضية، والشيء والأمر: أحكمه، وحَقَّقَ الثوب: أحكم نسجه (...)، وكلام مُحَقَّقٌ: مُحَكَّم الصنعة رصين...»⁽⁴⁾، وهو في الاصطلاح: «نطق الهمزة كما هي من غير تغيير فيها»⁽⁵⁾، أو هو «إعطاؤها حَقَّها في النطق وهو الأصل»⁽⁶⁾. فالتحقيق إذن هو بقاء الهمز على الأصل؛ أي يلفظ دون أن يتغيّر فيه شيء، إذا لم يكن هناك سبب يدعو للتغيير، وهذا يعني أنّ الهمزة إذا لم ينطق بها مسهلة أو مبدلة أو محذوفة، فإنّها بذلك تكون محقّقة لا محالة، لأنه لا وجود لعلّة غير النطق بها على أصلها مثبتة، وسيتضح معنى هذا الكلام حال التعريف بهذه الأسباب

(1) - غانم قدوري الحمد: ظواهر لغوية في القراءات القرآنية، ص 11.

(2) - سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص 261.

(3) - المرجع نفسه، ص 266.

(4) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة حَقَّقَ.

(5) - محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ج 1، مكتبة دار الشروق، بيروت، لبنان، ومكتبة الشهباء، حلب، سورية، ط 3

دس، ص 84.

(6) - عبد البديع النيرباني: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، ص 148.

التي تحول دون تحقيق الهمز.

4 - **التسهيل**: وهو في اللغة «سَهْلٌ سُهُولَةٌ: مال إلى اللين وقلت خشونته، فهو سَهْلٌ وهي سَهْلَةٌ (...). والسَهْلُ: كلُّ شيء يميل إلى اللين وقلّة الخشونة (...). وسَاهِلَةٌ: لاينه وساحه...»⁽¹⁾، وأمّا في معناه الاصطلاحي فهو عبارة عن: «جعل الهمزة المحقّقة بينها وبين الحرف التي تولّدت منه حركتها، فتسهيل الهمزة المفتوحة بينها وبين الألف، والمضمومة بينها وبين الواو، والمكسورة بينها وبين الياء، والتسهيل لا يُحكم النطق به إلاّ بالمشافهة والتلّقي من أفواه الشيوخ المتقنين»⁽²⁾.

5 - **الإبدال**: جاء في المعجم في تفسير مادة "بَدَل": «بَدَّلَ الشيء: غيّر صورته، ويقال بَدَّلَ الكلام: حرّفه (...). والشيء شيئاً آخر: بَدَّلَهُ مكان غيره، ومنه: جعله بَدَلَهُ، واتّخذ عوضاً عنه (...). وتَبَدَّلَ: تغيّر...»⁽³⁾. أمّا في الدلالة الاصطلاحية فيعني: «إقامة الألف أو الواو أو الياء مقام الهمزة على حسب حركتها، وحركة ما قبلها وبذلك تزول نبرتها وتلين»⁽⁴⁾.

ويبدو من خلال هذين التعريفين الأخيرين تقارب كبير، إلى حدّ أنّ القارئ قد لا يفرّق بين التسهيل والإبدال في أحيان كثيرة، فكلاهما فيه إبدال وتحويل وحذف للهمز وإحلال لحرف مدّ، فضلاً على أنّ كلاهما يقع في كلمة واحدة وفي كلمتين، غير أنّ الاختلاف بينهما واضح ففي التسهيل: الحرف الذي يحلّ محلّ الهمزة المسهلة^(*) يكون مجانساً لحركة الهمزة التي تمّ إسقاطها هي ذاتها دون النظر إلى حركة الحرف الذي قبلها، والذي يكون في الغالب المطلق همزة مفتوحة كما سبق في تعريف التسهيل، ومثال ذلك كلمة "أئمة"، فإن أردنا تسهيل الهمزة الثانية المكسورة نطقنا بها بينها وبين الياء، لأنّها تجانس حركتها وليس حركة الهمزة الأولى، وقس على ذلك مع الهمزة المسهلة إن كانت مفتوحة أو مضمومة. في حين أنّ الإبدال يكون فيه مراعاة لأمرين اثنين وهما: حركة الحرف الذي قبل الهمز وحركة الهمز ذاته، بحيث يتمّ إبدال الهمز بحرف مدّ مجانس لحركة الحرف الذي قبله، وتحريك حرف المدّ الذي حلّ محلّ الهمز المتبدّل بحركته، مع وجود بعض الاستثناءات عند "ورش" والتي سيتمّ التفصيل فيها فيما بعد إن شاء الله، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾ المائدة/89، فيتمّ إبدال الهمز

(1) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة سَهْلٌ.

(2) - عبد الفتّاح عبد الغني القاضي: الواوي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، ص 98.

(3) - مجمع اللغة العربية: المصدر السابق، مادة بَدَلٌ.

(4) - عبد العليّ بن عبد الرحمن المسفول: القراءات الشاذّة: ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية، ص 327.

(*) - الهمزة المسهلة من الحروف الفرعية، والحروف الفرعية الزائدة على التسعة والعشرين خمسة وهي: الهمزة المسهلة، الألف المفخمة، الصاد كالزاي الألف الممالة، الغنة. ينظر: عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 110.

واوا لأنّ حركة الياء ضمّة، والضمّة تجانسها الواو، ثمّ تحريك الواو بالفتحة لأتّما حركة الهمز المبدل هكذا: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾، ثمّ إنّ الإبدال تغيير محض مطلق للهمز، على عكس التسهيل الذي يبقى فيه شيء من أثر الهمز المسهّل.

التسهيل تحويل وحذف نسبي	الإبدال تحويل وحذف محض
-------------------------	------------------------

6 - النقل: في اللغة: «نَقَلَ الشيء نقلًا: حَوَّلَهُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وَالكِتَابَ: نَسَخَهُ، وَالْخَبْرَ أَوْ الْكَلَامَ: بَلَّغَهُ عَنِ صَاحِبِهِ (...).» وانتقل: تحوّل من مكان إلى آخر (...).، وتنقل من مكان إلى آخر: تحوّل...»⁽¹⁾، وفي الاصطلاح: فالمقصود به: نقل حركة الهمز المتحرك إلى الحرف الساكن الذي قبله، غير أنّ "ورشًا" لا ينقل حركة الهمز إلى ما قبله إلّا إذا توفّرت ثلاثة شروط وهي⁽²⁾:

1 - أن يكون الحرف المنقول إليه حركة الهمز ساكنًا.

2 - أن يكون الساكن آخر الكلمة، والهمز أوّل الكلمة التي تليها.

3 - أن يكون هذا الحرف الساكن صحيحًا.

فإن توفّرت هذه الشروط الثلاثة فإنّ "ورشًا" ينقل حركة الهمز إلى الساكن قبله، ويحذف الهمز فيصير الحرف الساكن مضمومًا إن كانت حركة الهمز ضمّة، ومفتوحًا إن كانت حركة الهمز فتحة، ومكسورًا إن كانت حركة الهمزة كسرة، سواء أكان هذا الساكن تنوينًا نحو: ﴿كُفُّوا أَحَدٌ الصِّدْقِ﴾/4، أم نونا نحو: ﴿مَنْ أَوْتِي﴾

الانشقاق/7، أم تاء تأنيث نحو: ﴿وَقَالَتْ أُولِيهِنَّ﴾ الأعراف/39، أم حرف لين نحو: ﴿ذَوَاتِي أَكَلِي﴾

سبأ/16، أم لام تعريف نحو: الإيمان، أم أيّ حرف آخر غير ذلك نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ المؤمنون/1⁽³⁾.

وسنحاول الآن أن نعلّق ونشرح بإيجاز كيفية أداء "ورش" لهذه الأمثلة:

في المثال الأول (كفُّوا أحد) جاء قبل الهمز تنوين، فنقل "ورش" حركة الهمز له، فأصبح متحركًا بفتح مع حذف الهمز، فتقرأ: [كُفُّوْأَحَدٌ]، وفي المثال الثاني: تقرأ النون مضمومة هكذا: [مَنْوِي]، فتصبح "الواو" إشباعًا لـ "النون" بدلًا من الهمز، ونفس الشيء ينطبق على "تاء التأنيث" الساكنة في المثال الثالث، والتي تتحوّل إلى متحركة بضمّ

(1) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة نَقَلَ.

(2) - عبد الفتاح عبد العتي القاضي: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، ص 104.

(3) - المرجع نفسه، ص ن.

نظرا لنقل حركة الهمز بعدها إليها، فتقرأ: [قَالَتْوَلَاهُمْ]، في المثال الرابع جاء قبل الهمز حرف مدّ، وهذا مخالف لشروط وقوع النقل عند "ورش"، لأنّ الحرف الذي يجب أن يكون قبل الهمز حرف ساكن صحيح والمدّ حرف معتلّ، ولأجل ذلك أسقطه "ورش" ونقل حركة الهمز إلى الحرف المتحرك الذي يسبق المدّ، فتقرأ هكذا: [ذَوَاتُكُلِّ]. أما عن وقوع الهمز في كلمة واحدة كما حدث في المثال الخامس، فهذا مخالف أيضا للشروط السابق ذكرها، غير أنّ هذه الحالة تبقى استثنائية، وهي منتشرة بكثرة في القرآن الكريم، ومع ذلك فإنّ "ورشا" نقل حركة الهمزة إلى "لام" التعريف الساكنة قبله، ففي المثال السابق قرأها "ورش" هكذا: [لِيَمَانَ]، بحذف همزة الوصل أثناء الوصل، أما المثال الأخير فقرأه "ورش" هكذا: [قَدَفَلَح].

نلاحظ من خلال الطرق الثلاثة الأخيرة أنّها كلّها فيها حذف وإسقاط، وإن كان ذلك نسبيا، غير أنّ طريقة التغيّر الرابعة تختلف عنها تماما.

7 - الإسقاط: جاء في "المعجم الوسيط" في تفسير مادة "سَقَطَ": «سَقَطَ سُقُوطًا وَسَقَطًا: وقع، يقال: سَقَطَ من كذا في كذا، أو عليه، أو إليه (...)، والإسقاط: إلقاء المرأة جنبها بين الشهر الرابع والسابع...»⁽¹⁾. هذا في اللغة أمّا في معناه الاصطلاحي فهو: «حذف الهمزة حذفًا لا أثر بعده، وهو مطلق التخفيف»⁽²⁾، فمثلا كلمة: ﴿الصَّيْبِينَ﴾ الحج/17، قرأها الإمام "ورش" بحذف الهمز تماما هكذا: ﴿الصَّيْبِينَ﴾.

المطلب الثاني: أقسام الهمز

قد ينفرد الهمز، وقد يتعدّد في كلمة وفي كلمتين، وهو وفق هذا الأساس على ثلاثة أقسام هي:

1 - الهمز المفرد: ويكون في كلمة واحدة.

2 - الهمز المزدوج: ويكون في كلمة وفي كلمتين.

3 - اجتماع ثلاث همزات في كلمة واحدة.

مع الإشارة هنا إلى أنّ الكثير من العلماء يجعلون للهمز قسمين فقط: همز مفرد وآخر متعدّد، ويجعلون تحت هذا الأخير: القسم الثاني والقسم الثالث السابق ذكرهما، لكننا فضلنا في هذا البحث تفصيل كلّ قسم على حدا، حتّى يسهل على القارئ استيعاب أحكام كلّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة، ولاسيما لتداخل أحكام القسمين الأخيرين.

(1) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة "سَقَطَ".

(2) - محمد خان: اللهجات العربية والقراءات القرآنية دراسة في البحر المحيط، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ/2002م

أولاً: الهمز المفرد: وهو «الهمز الذي لم يقترن بهمز مثله، سواء أكان ذلك في كلمة واحدة، أم في كلمتين»⁽¹⁾. يفهم من خلال هذا التعريف أنّ الهمز المفرد لا يكون إلاّ في كلمة واحدة، ولا يلتصق به همز آخر سواه فإذا التصق بغيره في كلمة واحدة أو في كلمتين لم يصبح حينها مفرداً بل مزدوجاً، وهذا ما يمكن فهمه من خلال آخر التعريف السابق. هذا ويمكن أن نتميّز لهذا النوع من الهمز بين أربعة حالات وهي:

1 - التحقيق: وأمثله كثيرة ومستفيضة في سورة المائدة نذكر بعضها كما يلي:

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَيسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ دِينِكُمْ...﴾/4.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا...﴾/20.

وقال أيضاً: ﴿بَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَفَتَلَهُ بِأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾/32.

قال تعالى: ﴿...فَبَدَأَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوِيَةَ النَّارِ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنَ أَنْصَارٍ﴾/74. فكلّ كلمة تصرّفت من لفظ "الإيواء" حقّقها "ورش"، ولم يحقّقها كما سيتمّ الإشارة إلى ذلك لاحقاً.

وقال تعالى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾/104.

ففي جميع هذه الحالات لا وجود لأيّ علة تدعو إلى تخفيف الهمز سواء بتسهيلها أو بإبدالها أو بنقلها أو بإسقاطها، ولأجل ذلك وجب تحقيقها.

2 - الإبدال: ويكون في الحالات الآتية:

أ/ إذا وقعت الهمزة ساكنة، وكانت الهمزة فاء الكلمة، فإنّها تبدل حرف مدّ من جنس الحركة التي قبلها، فتبدل بعد الفتح ألفاً، وبعد الضمّ واوا، وأما بعد الكسر، فلم يرد في القرآن شيء منه⁽²⁾.

ويستثنى من ذلك ما تصرّف من كلمة "الإيواء" وهي سبعة ألفاظ وهي: ﴿الْمَأْوِي﴾/النازعات/39

﴿مَأْوِيَةَ﴾/المائدة/74، ﴿وَمَا وَيَهُمُّ﴾/التوبة/73، ﴿مَأْوِيَكُمْ﴾/الحديد/15، ﴿فَأَوْوُوا﴾/الكهف/16

﴿تُفْوِيهِ﴾/المعارج/13، و﴿تُفْوِي﴾/الأحزاب/51⁽³⁾، وعلة الاستثناء هنا هو: أنّ الإبدال في هذه المواضع

(1) - عبد الفتاح عبد الغني القاضي: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، ص 98.

(2) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 113.

(3) - المرجع نفسه، صص 113، 114.

«أثقل من التحقيق فقرئت على أصلها»⁽¹⁾؛ أي محققة.

ومن نماذج هذه الحالة من الإبدال في سورة المائدة المواضع التالية:

* الفعل "أتى" ومشتقاته نحو: ﴿أَوْتُوا﴾/6، ﴿يُوتِ﴾/22، ﴿يَأْتُوكَ+تُوتُوهُ﴾/43، ﴿يَأْتِي﴾/54

﴿يُوتِيهِ﴾/56، ﴿وَيُوتُونَ﴾/57، ﴿يَأْتُوا﴾/110. قرأها "ورش" بالتخفيف عن طريق إبدال الهمزة الساكنة

واو مدية بعد الضم، وألفا مدية بعد الفتح، وهذا هو أصلها على الترتيب: (أُوتُوا، يُوتِ يَأْتُوكَ، تُوتُوهُ، يَأْتِي يُوتِيهِ، يُوتُونَ، يَأْتُوا).

* الفعل "أمن" ومشتقاته نحو: ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾/6، ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ أو ﴿مُؤْمِنُونَ﴾/12، 90، ﴿مُؤْمِنِينَ﴾

أو ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾/25، 45، 56، 59، 114. قرأها "ورش" بالتخفيف عن طريق إبدال الهمزة الساكنة بعد

الضم إلى واو مدية، وهذا هو أصلها على الترتيب: (المؤمنات، المؤمنون، المؤمنين).

* الفعل "أسى" ومشتقاته نحو: ﴿تَأْسَ﴾/28، 70، قرأها "ورش" بالتخفيف عن طريق إبدال الهمزة الساكنة

بعد فتح إلى ألف مدية، وهذا هو أصلها: (تأس).

* الفعل "أكل" ومشتقاته مثل: ﴿يَأْكُلِينَ﴾/77، ﴿نَأْكُلُ﴾/115. قرأها الإمام "ورش" بالتخفيف عن

طريق إبدال الهمزة الساكنة بعد فتح إلى ألف مدية، وهذا هو الأصل: (يَأْكُلَانِ، نَأْكُلُ).

* الفعل "أفك" ومشتقاته نحو: ﴿يُؤْفِكُونَ﴾/77، قرأها "ورش" مخففة عن طريق إبدال الهمز الساكن الواقع

بعد الضم إلى واو مدية بجانستها الضمة، وأصلها: (يُؤْفِكُونَ).

ب/ إذا كانت الهمزة مفتوحة وكانت فاء الكلمة، فإنها تبدل واو مفتوحة بشرط أن يكون قبلها ضم لا غير⁽²⁾.

وقد فعل "ورش" ذلك في ثماني كلمات وهي «يؤاخذ، يؤلف، يؤيد، يؤده، يؤخر، مؤجلا، مؤذن، المؤلف»⁽³⁾.

فأصل هذه الكلمات على التوالي هي: يؤاخذ، يؤلف، يؤيد، يؤده، يؤخر، مؤجلا، مؤذن، المؤلف، مع

الإشارة إلى أن هذه "الواو" التي حلت محل الهمز ليست مدًا للحرف المضموم قبلها، وإنما هي حرف متحرك بفتح

كما أسلفنا. وفي سورة المائدة مثال واحد يمثل هذه الحالة وهو قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ مِمَّا

(1) - غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، ص 112.

(2) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 114.

(3) - غنية بوحوش: المرجع السابق، ص س.

أَيْمَانِكُمْ وَلَا يَكُنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ... ﴿91﴾. وأصلها: (يُؤَاخِذُكُمْ) للعلّة المذكورة أعلاه؛ أي أنّ الهمزة في "يُؤَاخِذُكُمْ" همزة مفتوحة، وهي فاء للكلمة (أَخَذَ)، ولهذا أُبدلت واوا مفتوحة لتوفّر شرط ضمّ الحرف الذي قبلها (ضمّة الياء) وهي هنا صامت، وليست صائت.

ج/ إذا وقعت الهمزة ساكنة وكانت عين الكلمة، وقبلها كسر، فإنّها تبدل ياء مدّية - للكسرة التي قبلها - وذلك في الكلمات التالية⁽¹⁾:

1 - ما جاء من لفظ "بَيْسٌ"، سواء كان متصلاً بالميم مثل: [بَيْسَمًا] أم لا، فهي عند "ورش": بَيْسٌ، بَيْسَمًا، أمّا "بَيْسٌ" بالتنوين فلقد وقع في القرآن الكريم عند موضع واحد فقط في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الأعراف/165.

2 - كلمة "الذئب" وقعت في ثلاث مواضع في سورة يوسف/13، 14 و 17، قرأها "ورش" ﴿الذَّيْبُ﴾.

3 - كلمة "بِئْرٌ" الحج/43، في قوله تعالى: ﴿وَبِئْرِ مَعْطَلَةٍ﴾.

هذه هي الكلمات الثلاثة فقط التي نُفِلت عن "ورش" فيها الإبدال، وهذا يعني أنّ "ورش" قد حقّق كلّ الكلمات الأخرى المشابهة لها ولم يبدلها.

وورد من هذه الحالة في سورة المائدة مثلاً واحداً وهو: "بَيْسٌ"، وجاء في جميع الحالات متصلاً بـ"اللام" هكذا: "لَيْسٌ"، وذلك في أربعة مواضع هي: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾/64، ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾/65، ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾/81، ﴿لَيْسَ مَا قَدِمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾/82. والأصل فيها في جميع المواضع السابقة بالهمز هكذا: ﴿لَيْسٌ﴾؛ لأنّ الهمزة ساكنة وجاءت عينا للكلمة وما قبلها مكسورة، ولأجل ذلك أُبدلت بياء مدّية، لمجانسة حركة الحرف الذي قبلها.

د/ إبدال الهمزة ألفاً نحو: ﴿سَأَلُ﴾ المعارج/1، تبدل همزتها ألفاً فتصبح: ﴿سَأَلَ﴾، و﴿مِنْسَأَتُهُ﴾ سبأ/14، تبدل همزتها ألفاً فتصبح: ﴿مِنْسَأَتُهُ﴾⁽²⁾.

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 114.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، صص 115، 117.

هـ / إبدال الهمزة ياء متحركة نحو الكلمات التالية⁽¹⁾:

- كلمة ﴿النَّسِيءُ﴾ التوبة/37، تبدل همزتها ياء وتشدد لأجل سكون الياء الأولى فتصبح: ﴿النَّسِيءُ﴾.

- كلمة ﴿لِفَالًا﴾ البقرة/150، النساء/165، الحديد/29، تبدل همزتها ياء متحركة بحركة الهمزة المبدلة وهي الفتح

فتصبح ﴿لَيْلًا﴾.

- كلمة ﴿لِأَهَبَ﴾ مريم/19، تبدل همزتها ياء متحركة بحركة الهمزة المبدلة وهي الفتح فتصبح [لِيَهَبَ].

لو عدنا إلى المثال الأول فإنّ حركة الهمزة هي الضمة، وقبل الهمزة حرف مدّ وهو "الياء"، وهذا دليل على ما قبل "الياء" حرف مكسور، ومعروف أنّ الإبدال يكون بحرف مدّ مجانس لحركة الحرف قبله، ونلاحظ في هذا المثال أنّ حرف المدّ هو الحرف الذي قبل الهمز، وبسبب علته أهمله "ورش" واعتبر الحرف الصحيح قبله، لذلك أبدلت الهمزة بـ "الياء" لمجانسة كسرة "السين"، وللاتقاء "الياء" المدّية الساكنة مع "الياء" المتحركة بضمّة الهمزة والتي حلّت محلّها حدث الإدغام فقرأها "ورش" بالتشديد.

* حالات تجوز فيها وجهان: التسهيل والإبدال: نحو:

- كلمة "رَأَيْتُ" إذا وقعت قبلها همزة الاستفهام مثل: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ الماعون/1، ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ الأحقاف/10

﴿أَرَأَيْتَكَ﴾ الإسراء/62، حيث يجوز في الهمزة بعد "الراء" وجهان⁽²⁾:

1 - الإبدال ألفا خالصة مع إشباع المدّ ﴿أَرَأَيْتَ﴾.

2 - التسهيل بينها وبين الألف.

هذا عند الوصل، أمّا عند الوقف على كلمة ﴿أَرَأَيْتَ﴾، ففيها التسهيل فقط دون الإبدال.

ونشير هنا إلى أنّ إشباع المدّ في الوجه الأول ناتج أساسا عن «وقوع الساكن بعد الهمزة فيلزم ذلك

الإشباع»⁽³⁾.

- كلمة ﴿هَاتَمٌ﴾: آل عمران/66 و 109، النساء/109، قرأها الإمام "ورش" بحذف "الألف" بعد "الهاء"

[هَاتَمٌ].

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 115.

(2) - المرجع نفسه، ص 116.

(3) - غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، ص 114.

ويجوز في هذه الكلمة وجهان⁽¹⁾:

1 - الإبدال: وهو إبدال الهمزة ألفا محضة، مع إشباع المد للعلّة المذكورة: ﴿هَآنْتُمْ﴾.

2 - التسهيل: بينها وبين الألف.

وهذه الحالات الثلاث الأخيرة لا وجود لها في سورة المائدة.

3 - النقل:

وقع النقل في سورة المائدة في مواضع عدّة يمكن تقسيم نماذجه إلى قسمين كما يلي:

أ/ حالات نقل حركة الهمز إلى الساكن قبله مع: "النون الساكنة والتنوين" و"الميم الساكنة": هي حالات مستفيضة ومتعدّدة أشرنا إليها سابقا في الأحكام المتعلقة بالنون الساكنة والتنوين، والميم الساكنة ولذا سنقدّم ها هنا بعض النماذج فقط من أجل التوضيح:

* مع النون والميم الساكنتين: ﴿لَيْسَ أَفْتُمْ﴾/13، ﴿أَلَمْ تَعْلَمَ أَنَّ﴾/42، ﴿إِن أُوتِيتُمْ﴾/43

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ﴾/49 ﴿مِنِ اللَّهِ﴾/75، ﴿عَنْ أَشْيَاءٍ﴾/103، ﴿إِن أَنْتُمْ﴾/108... الخ. والأصل

على الترتيب: [لَيْسَ أَفْتُمْ + تَعْلَمَ أَنَّ + إِن أُوتِيتُمْ + وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ + مِنْ اللَّهِ + عَنْ أَشْيَاءٍ + إِن أَنْتُمْ].

* مع التنوين: ﴿حُرْمٌ لَّ﴾/2، ﴿شَيْئاً لَّ﴾/19، ﴿نَفْسٍ أَوْ﴾/34، ﴿عَذَابُ آيْمٍ﴾/38، ﴿لِقَوْمٍ

-آخِرِينَ﴾/43، ﴿شَيْئاً أَوْ لِيَكَّ﴾/43، ﴿إِلَهُ إِلَّا﴾/75، ﴿يَحْيَى لَّ﴾/118... الخ. قرأ الإمام "ورش"

هذه المواضع وغيرها كما يلي على الترتيب: [حُرْمُنَّ + شَيْئِنَّ + نَفْسِنَو + عَذَابُنَّ + لِقَوْمِنَّ + شَيْئُونَنَّ + إِنْتُمْ] + إِنْهَا + بِحَقِّنَّ].

هذا حال الوقف، أمّا حال الوصل فيمكن أن نمثّل لذلك بالنماذج التالية: ﴿آيْمٌ﴾/76 ﴿أَقْبَلًا﴾/76

﴿إِنْتِقَامٍ﴾/98 ﴿عَلِيمٌ﴾/100. قرأها "ورش" على الترتيب كما يلي: [أَلْيَمْنَفَلَا

+ إِنْتِقَامِنِحَلَّ + عَلِيمُنِعَلْمُوا].

ب/ فضلا عن وقوع النقل مع: "النون الساكنة والتنوين"، وكذا مع "الميم الساكنة"، فقد وقع النقل كذلك في

سورة المائدة مع ستّ حروف أخرى هي:

التاء نحو: ﴿حَبِطَتِ أَعْمَلُهُمْ﴾/55، ﴿غَلَّتِ أَيْدِيهِمْ﴾/66، والأصل فيهما: [حَبِطَتْ أَعْمَاهُمْ + غُلَّتْ

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 117.

أَيْدِيهِمْ].

المدال نحو: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ﴾ 13/، ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا﴾ 72/، والأصل فيهما: [وَلَقَدْ أَخَذَ + لَقَدْ أَخَذْنَا].

العين في: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ 50/، 51. والأصل: [وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ].

اللام نحو: ﴿قُلْ أَجَلٌ﴾ 5/، ﴿بَلْ أَنْتُمْ﴾ 20/، ﴿هَلْ أَنْبِئُكُمْ﴾ 62/، ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ﴾ 78/، ﴿بِهَلْ

أَنْتُمْ﴾ 93/. والأصل فيها: (قُلْ أَجَلٌ + بَلْ أَنْتُمْ + هَلْ أَنْبِئُكُمْ + قُلْ أَتَعْبُدُونَ + فَهَلْ أَنْتُمْ).

الواو في: ﴿أَوْ أَعْرِضْ﴾ 44/، ﴿وَلَوْ أَنْ﴾ 68/، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ 102/، ﴿أَوْ - أَخْرَانِ﴾ 108/.

والأصل فيها: (أَوْ أَعْرِضْ + وَلَوْ أَنْتُمْ + وَلَوْ أَعْجَبَكَ + أَوْ أَخْرَانِ).

الياء في: ﴿إِبْنِي - آدَمَ﴾ 29/، أسقط "ورش" هنا الهمزة، ونقل حركتها إلى الياء وثلث البدل (القصر والتوسط

والطول) حيث قرأها هكذا: "ابنِيآدَمَ"، والأصل: (ابنِي آدَمَ).

سبق وأن بيّنا حقيقة النقل، ولكن هناك بعض الملاحظات لابدّ من الإشارة إليها، والتي قد نعتبرها استثناء

في مقراء الإمام "ورش" نظرا لعدم توفر شروط النقل فيها كلّها أو بعضها وهي:

1 - ذكرنا من قبل أنّ من شروط النقل أن ينفصل الحرف الساكن عن كلمة الهمز، لكن هناك كلمة في القرآن

الكريم ورد فيها الهمز متصلا بالساكن في كلمة واحدة وهي: ﴿رِدْءًا﴾ القصص/34، فتقرأ عند الإمام "ورش"

﴿رِدْءًا﴾⁽¹⁾.

2 - وقع الخلاف عن الإمام "ورش" في قوله تعالى ﴿كِتَابِيَّةً ﴿إِنِّي﴾ الحاقة/19 و20، حيث روي عنه

الوجهان: النقل وعدمه، والثاني هو المقدم، لأنّ الهاء ليست أصلية⁽²⁾، وهذا ما ذهب إليه "ابن جزري" حين قال:

«وترك النقل فيه هو المختار عندنا والأصحّ لدينا والأقوى في العربية، وذلك أنّ هذه الهاء سَكَّتْ وحكمها

السكون، فلا تُحْرَكُ إلّا في ضرورة الشعر على ما فيه من قبح، وأيضا فلا تُثَبِّتُ إلّا في الوقف، فإنّ خُولِفَ الأصل

فأثبتت في الوصل إجراء له مجرى الوقف لأجل إثباتها في رسم المصحف، فلا ينبغي أن يخالف الأصل من وجه

آخر، وهو تحريكها فيجتمع في حرف واحد مَخَالَفَتَانُ»⁽³⁾.

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص117.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

(3) - ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج1، ص409.

3 - يقدم "أبو عمرو الداني" حالة استثنائية أخرى نُقلت عن الإمام "ورش" في باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها فيتحرك بحركتها وتسقط هي من اللفظ لسكونها وتقدير سكونه، وهذه الحالة كما يصفها أصل مطّرد في القرآن الكريم، وهي وقوع الساكن والهمز في كلمة واحدة، وأما هذا الساكن فهو لام التعريف، حيث روي عن الإمام "ورش" أنه كان ينقل حركة الهمز إلى لام التعريف على الرغم من انتفاء شرط النقل في ذلك.⁽¹⁾ ووقع هذا الاستثناء في سورة المائدة في مواضع كثيرة، نعرض فيما يلي بعض النماذج على سبيل الذكر لا الحصر:

﴿بِالْأَزْمِ﴾/4، و﴿الْأَزْمِ﴾/92 تقرأ: (بِلَزَامٍ+لَزَامٍ)، ﴿إِلَّا سَلَّمَ﴾/4 تقرأ: (لِسَلَامٍ)، ﴿بِالْإِيْمَنِ﴾/6 تقرأ: (بِإِيْمَانٍ)، ﴿الْآخِرَةَ﴾/6، 35 و43 تقرأ: (لِآخِرَةٍ)، ﴿الْأَنْهَارِ﴾/13 و87 تقرأ: (لِنَهَارٍ)، ﴿الْأَرْضِ﴾/19، 20، 28، 33، 34، 35، 38، 42، 66، 99، 108 و122 تقرأ: (لِرِضٍ)، ﴿الْأَرْضِ﴾/23 تقرأ: (لِرِضٍ)، ﴿الْآخِرِ﴾/29 و71 تقرأ: (لِآخِرٍ)، ﴿وَالْآخِبَارِ﴾/46 و65 تقرأ: (وَلْحَبَابٍ)، ﴿وَالْأَنْفِ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنِ بِالْأُذُنِ﴾/47 وتقرأ: (وَلَنْفٍ بِلَنْفٍ وَلُذْنٌ بِلُذْنٍ)، ﴿الْإِنْجِيلِ﴾/70، 68، 48 و112 و﴿الْإِنْجِيلِ﴾/49 تقرأ: (لِنَجِيلٍ+لِنَجِيلٍ)، ﴿الْإِيْمَنِ﴾/91 تقرأ: (لِإِيْمَانٍ)، ﴿الْأَنْصَابِ﴾/92 تقرأ: (لِنَصَابٍ)، ﴿الْأَلْبَابِ﴾/102 تقرأ: (لِلْبَابِ)، ﴿الْأَوْلِيَاءِ﴾/109 تقرأ: (لِوُلِيَّانٍ)، ﴿الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ﴾/112 تقرأ: (لِكَمَّةٍ وَلَبْرَصٍ).

4 - الإسقاط: وقع إسقاط الهمز في قراءة نافع في ثلاث كلمات هي⁽²⁾:

- ﴿الصَّالِيْنَ﴾ البقرة/62، الحج/17، فتقرأ ﴿الصَّالِيْنَ﴾ بكسر الباء قبل الياء.
- ﴿الصَّابِغُونَ﴾ المائدة/71 فتقرأ ﴿الصَّابِغُونَ﴾ بحذف الهمز مع ضمّ الباء قبل الواو.
- ﴿يُضَاهُونَ﴾ التوبة/30 فتقرأ ﴿يُضَاهُونَ﴾ بحذف الهمز وضمّ الهاء قبل الواو.

واضح من خلال هذا الكلام أنّ الإسقاط في سورة المائدة قد وقع في موضع واحد فقط وهو: ﴿وَالصَّابِغُونَ﴾/71، والأصل فيها: ﴿وَالصَّابِغُونَ﴾؛ قرأها "ورش" بحذف الهمز وضمّ "الباء"، حيث أصبحت "الواو" بعد "الباء" مدًا لـ "الباء" المضمومة، بعد أن كانت مدا لـ "الهمزة".

(1) - ينظر: الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني: جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، تح: محمد صدوق الجزائري، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ/2005م، ص 266.

(2) - عبد الكريم مقيدش: مذكّرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 118.

ثانياً: الهمز المزدوج:

أشرنا في السابق إلى أنّ العلماء قد اختلفوا في تقسيم الهمز، فمنهم من جعله على ثلاثة أقسام: مفرد مزدوج ومتعدّد، وهناك من جعله على قسمين: مفرد ومتعدّد ويشمل الأخير منهما على: المزدوج المتضمن لهمازتين متتابعين سواء أكان ذلك في كلمة أم في كلمتين، ويشمل كذلك الكلمات التي بها ثلاث همزات متتابعات دون فاصل بينها. وعليه فإنّ الهمز المتعدّد هو: «اقتران همزة بمثلها أو مثلها في كلمة واحدة أو اقتراها بمثلها في كلمتين، بحيث تكون آخر حرف في الأولى وأوّل حرف في الثانية»⁽¹⁾.

وفي الحقيقة إنّ هذا التعريف يشتمل على نوعين أو قسمين من الهمز، وهما الهمز المزدوج والهمز المتعدّد ذو ثلاث همزات، فأما عن الهمز المزدوج فيتحدّد من خلال قوله: "هو اقتران همزة بمثلها في كلمة واحدة"، بمعنى التصاق همزتين في كلمة واحدة، وفي هذا إشارة إلى النوع الأول من أنواع الهمز المزدوج ألا وهو الهمز المزدوج في كلمة واحدة، كما يشير التعريف السابق أيضاً إلى النوع الثاني من الهمز المزدوج وذلك في قوله: "...أو اقتراها بمثلها في كلمتين، بحيث تكون آخر حرف في الأولى وأوّل حرف في الثانية" وهو الهمز المزدوج في كلمتين، وقال "اقتراها بمثلها" وليس بمثلها دليل على ازدواج الهمزة، واختتم هذا التعريف الجامع بشرط من شروط النوع الثاني من الهمز المزدوج وهو: وجوب وقوع الهمزة الأولى في الكلمة السابقة والهمزة الثانية في الكلمة اللاحقة دون وجود أي فاصل بينهما. أمّا عن القسم الثالث من أقسام الهمز (ثلاث همزات في كلمة واحدة) فيشير إليه التعريف السابق في قوله "هو اقتران همزة بمثلها في كلمة واحدة" والدليل على التعدّد - أي ما فاق اثنان - هو كلمة مثلها؛ أي اثنان فضلاً عن الهمزة الأولى، ليصبح العدد ثلاثة همزات متتاليات في كلمة واحدة، وهو شرط أساسي كما سيتمّ الحديث عن ذلك فيما سيأتي من هذا البحث بحول الله.

ويلخص "عبد الكريم مقيدش" الهمز المزدوج فيقول: «وهو همز القطع الملاصق لمثله»⁽²⁾.

* أقسام الهمز المزدوج: للهمز المزدوج قسمين هما:

1 - الهمز المزدوج في كلمة واحدة:

وهو: «همزتان مجتمعتان في كلمة واحدة تكون الهمزة الأولى منهما للاستفهام وهي مفتوحة دائماً، والثانية إمّا أن تكون همزة وصل، وإمّا أن تكون همزة قطع، فإن كانت للقطع فلا بدّ أن تكون مفتوحة

(1) - غنية بوحوش: القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية والشرعية في قراءة أبي عمرو البصري أمّودجا، ص 113.

(2) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 118.

أو مضمومة أو مكسورة⁽¹⁾. فمن خلال هذا التعريف يمكن أن نُميّز لهذا القسم بين ثلاثة أضرب وهي: (همزتان مفتوحتان، همزة مفتوحة فمضمومة، همزة مفتوحة فمكسورة، وفيما يلي تمثيل عن كل نوع:

أ/ **المفتوحتان**: وقع هذا النوع في القرآن في ثلاث عشرة كلمة في واحد وعشرين موضعاً، من أمثلة ذلك:

﴿أَرْبَابٌ﴾ يوسف/39، ﴿أَعْجَمِي﴾ فصلت/44... الخ.

"حكمها": يجوز في الهمزة الثانية وجهان⁽²⁾:

* **الإبدال**: أي تبدل ألفا (وهو المقدم)

* **التسهيل** بين بين.

ملاحظة:

- الوجه المقدم هنا هو الإبدال، ولأجل ذلك قرأ الإمام "ورش" المثاليين السابقين على سبيل التوضيح مثلاً هكذا:

﴿أَرْبَابٌ﴾ و ﴿أَعْجَمِي﴾.

- **التسهيل** هو الوجه الثاني، ويكون هنا بين الهمزة وبين الألف، لأنّ الهمزة الثانية متحركة بالفتح.

ووقع هذا النوع في سورة المائدة عند موضع واحد فقط في كلمة: ﴿أَنْتَ﴾/118، فأصل الكلمة:

﴿أَنْتَ﴾ ويجوز في الهمزة الثانية وجهان:

* **الإبدال**: أي إبدال الهمزة الثانية ألفاً لمجانسة حركة الهمزة الأولى.

* **تسهيل** الهمزة الثانية بينها وبين الألف؛ لأنّ حركة الهمزة الثانية فتحة، والفتحة لا يجانسها إلا الألف.

تنبيه: الوجه الأول - أي الإبدال - عند الإمام "ورش" هو الحكم المقدم على الثاني، وعلّة إشباع الهمزة الثانية

المبدلة كما أسلفنا هو: وقوع الساكن بعد الهمزة، فيلزم ذلك الإشباع: "أَنْتَ".

ب/ **مفتوحة فمضمومة**: وقع هذا النوع في أربع كلمات في القرآن الكريم وهي: ﴿أُوْنِيْكُمْ﴾/آل عمران15

﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ ص/8، ﴿أَشْهَدُوا﴾ الزخرف/19، ﴿أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ﴾ القمر/25.

"حكمها": تحقق الهمزة الأولى، وتسهّل الثانية بين بين⁽³⁾.

(1) - الطاهر محمد المدني علي: الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النحو (دراسة صوتية)، إشراف: محمود حسني مغالسة، أطروحة مكتملة

للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1425هـ/2004م، ص 113.

(2) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 119، 120.

(3) - المرجع نفسه، ص 120.

ملاحظة:

- التسهيل هنا يكون بين "الهمزة" و"الواو"، لأنّ الهمزة الثانية متحركة بالضمّ.

- قرأ الإمام "ورش" الأمثلة الأربعة السابقة كما يلي: ﴿أَوْنَبِّئُكُمْ﴾، ﴿أَنْزَلَ﴾، ﴿أَشْهَدُوا﴾، ﴿أَلْفَى﴾

ج/ مفتوحة فمكسورة: وقد وقع هذا النوع في تسع كلمات عند ثلاثين موضعاً منها: ﴿أَيِّمَةَ الْكُفْرِ﴾

التوبة/12، الأنبياء/73، القصص/5 و41، السجدة/24، ﴿أَيْفُكَا إِلَهَةً﴾ الصافات/86.

"حكماها": تحقّق الهمزة الأولى، وتسهّل الثانية بين بين⁽¹⁾.

ملاحظة:

- التسهيل هنا يكون بين "الهمزة" و"الياء"، لأنّ الهمزة الثانية متحركة بالكسر.

- قرأ الإمام "ورش" المثاليين السابقين على سبيل التوضيح كما يلي: ﴿أَيِّمَةَ﴾، ﴿أَيْفُكَا﴾

ولا وجود للقسمين الأخيرين: (مفتوحة فمضمومة/ مفتوحة فمكسورة) في نص سورة المائدة.

ملاحظات عامة:

* إذا اجتمعت همزتان قطعتان في كلمة، وتحركت الأولى بالحركات الثلاث وهي لغير الاستفهام - عكس الحالات

السابقة - وكانت الثانية ساكنة على نحو: "أَآدَمَ"، "أُؤُتُوا"، "إِيْمَانًا"، وجب تحقيق الأولى وإبدال الثانية حرف مدّ من

جنس حركة ما قبلها، لتصبح الكلمات السابقة على التوالي: "آدم"، "أوتوا"، "إيماناً"، وهذا حكم مشترك بين

جميع القراء، وذلك أنّ العرب لم تكن لتجمع بين همزتين ثانيهما ساكنة مطلقاً، وفي هذا قاعدة صرفية مفادها أنّ

كلّ همزتين اجتمعتا في كلمة، وكانت الأولى متحركة والثانية ساكنة، أبدلت الثانية حرف مدّ من جنس المتحركة⁽²⁾.

* إذا وقعت بعد همزة الاستفهام همزة وصل، ففيها الحالات التالية⁽³⁾:

1 - إذا كانت همزة الوصل مفتوحة مثل: ﴿أَلذِّكْرَيْنِ حَرَمٍ﴾ الأنعام/143، ففيها وجهان:

- تبدل همزة الوصل حرف مدّ (مع إشباع المدّ لأجل الساكن اللازم بعدها) مثل: (الذكرين، الله).

- تُسهّلُ بين بين (من غير مدّ)، والوجه الأول مقدّم.

(1) - ينظر: عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التحويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 121.

(2) - ينظر: غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، صص 114، 115.

(3) - عبد الكريم مقيدش: المرجع السابق، ص 122.

2 - إذا كانت همزة الوصل مكسورة مثل: [أَطَّلِع، أَصْطَفِي، أَسْتَغْفِرْتِ]، فإنّها تحذف - أي همزة الوصل -

وتلفظ هكذا: ﴿أَطَّلِع﴾ القصص/38، ﴿أَصْطَفِي﴾ الصافات/153، ﴿أَسْتَغْفِرْتِ﴾ المنافقون/6.

2 - الهمز المزدوج في كلمتين:

هو اجتماع همزتين قطعيتين متعاقبتين من كلمتين حال الوصل لا الوقف، بحيث تكون الهمزة الأولى آخر حرف في الكلمة الأولى، والهمزة الثانية أول حرف في الكلمة التي تليها مباشرة دون فاصل يكون هناك، فخرج بقيد القطع الهمزتان في نحو: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ الأعلى/7، لأنّ الأولى قطعية والثانية وصلية، وخرج بقيد التلاصق والتعاقب وجود فاصل بين الهمزتين القطعيتين ولو تنوينا نحو: ﴿ثُمَّ كَانَ عَنِيبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا السُّوْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا﴾ الروم/10، فالفاصل هنا هو حرف المدّ، وخرج بقيد الوصل: ما إذا وقف القارئ على الهمزة الأولى وابتدئ بالثانية، فلا يكون فيها ولا في الثانية إلاّ التحقيق باتفاق القراء، لأنّ كلّ منهما آله هذا الوقف إلى همز مفرد⁽¹⁾، ونشير هنا إلى أنّ هذا القسم من الهمز المزدوج ينقسم بدوره إلى قسمين مختلفين، فإمّا أن تكون الهمزتان المجتمعتان في كلمتين متفتحتين في الحركة، وبالتالي نتحصّل على ثلاثة أضرب وهي: المفتوحتان، المضمومتان المكسورتان، وإمّا أن تكونا مختلفتان في الحركة، وبالتالي نتحصّل هنا على ستة أضرب مختلفة وهي: مفتوحة مضمومة، مفتوحة فمكسورة، مضمومة فمفتوحة، مضمومة فمكسورة، مكسورة فمفتوحة ومكسورة فمضمومة، ولا بدّ من بيان حكم كلّ نوع على حدا كما قرأها الإمام "ورش" عن شيخه "نافع" المدني كما يلي:

أ/ الهمزتان المتفتحتان في الحركة: وتأتي على ثلاثة أضرب كما سبقت الإشارة وهي:

* المفتوحتان: وقع هذا النوع في القرآن في سبعة عشر لفظا في تسعة وعشرين موضعا: نحو قوله تعالى:

﴿السُّفَهَاءُ أُمُوكُمُ﴾ النساء/5، ﴿جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ هود/76 و101.

"حكمها": يجوز في الهمزة الثانية وجهان⁽²⁾:

* الإبدال: أي إبدالها ألفا وهو المقدم، إلاّ في موضعين هما: ﴿جَاءَ آلَ لُوطٍ﴾ الحجر/61، ﴿جَاءَ آلَ

مِرْعُونَ﴾ القمر/41، فالمقدم فيهما هو التسهيل.

* التسهيل بين بين.

(1) - ينظر عبد الفتاح عبد الغني القاضي: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، ص 91.

(2) - ينظر عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 123، 124.

ملاحظة:

- الإبدال هنا هو الوجه المقدم على التسهيل، ولأجل ذلك فقد قرأ الإمام "ورش" المثالين السابقين هكذا:

﴿السُّبْحَاءَ أَمْوَالِكُمْ﴾، ﴿جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾.

- التسهيل هنا يكون بين "الهمزة" و"الألف"، لمجانسة حركة الهمزة الثانية وهي الفتح.

ومّا جاء من هذه الحالة في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْ أُنْعَابِطٍ﴾/7. ويجوز في

الهمزة الثانية وجهان: إبدالها ألفا كما هو الحال في هذه الآية؛ إذ الأصل هو: ﴿جَاءَ أَحَدٌ﴾، أو تسهيلها بينها

وبين الألف، والوجه الأوّل مقدّم على الآخر كما ذكرنا.

* المضمومتان: لم يقع هذا النوع في القرآن الكريم إلا في كلمة واحدة، وفي موضع واحد فقط وهو:

﴿أُولِيَاءَ أَوْلِيَّكَ﴾ الأحقاف/32.

"حكمها": يجوز فيها الوجهان⁽¹⁾:

* إبدال الثانية واوا ساكنة وهو الوجه المقدم

* التسهيل بين بين.

ملاحظة:

- الوجه المقدم كما ذكرنا هنا هو الإبدال حيث قرأ الإمام "ورش" الآية السابقة من سورة الأحقاف على

النحو التالي: ﴿أُولِيَاءَ أَوْلِيَّكَ﴾.

- التسهيل هنا يكون بين الهمزة والواو، لمجانسة حركة الهمزة الثانية وهي الضمّ.

* المكسورتان: وقد وقع ذلك في خمسة عشر لفظا في سبعة عشر موضعا، نحو قوله تعالى: ﴿الْبِغَاءِ إِنَّ

أَرْدَنَ﴾ النور/33، ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ السجدة/5.

"حكمها": يجوز في الهمزة الثانية وجهان⁽²⁾:

* إبدال الثانية ياء ساكنة (وهو المقدم)

* التسهيل بين بين.

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 124.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، صص 124، 125.

ملاحظة:

– قرأ الإمام "ورش" المثاليين السابقين بالإبدال هكذا: ﴿أَلْبَغَاءِ اِنَّ اَرْدَنَ﴾، تلفظ: [اَلْبَغَاءِ يِنَّ اَرْدَنَ]، ﴿مِنَ اَلسَّمَآءِ اِلَى اَلْاَرْضِ﴾، تلفظ: [مِنَ السَّمَآءِ يَلَى لَرْضِ].

– التسهيل هنا يكون بين الهمزة والياء، لمجانسة حركة الهمزة الثانية وهي الكسر.

هذا ولا وجود لأيّ موضع للنوعين الأخيرين (المضمومتان/ المكسورتان) في سورة المائدة.

ونشير ها هنا إلى أنّ تخفيف الهمزتين المتفتحتين في الحركة يمكن تفسيره، بأنّه عند اجتماع همزتين في مقطعين متتابعين بأنّ: «إحدهما تسقط أو تتحوّل إلى نصف حركة لإحداث ممانلة صوتية لا تبدو معالمها بين الأصوات المفردة، بل بين المقطعين على طريقي الهمزة المخففة لتحقيق التوازن بينهما»⁽¹⁾.

هذا هو الأصل في مقرأ الإمام "ورش"، ولكن هناك بعض الاستثناءات الواقعة في بعض المواضع من آيات القرآن الكريم أشار إليها الباحث "عبد الكريم مقيدش" في مذكرته التي وضعها في علم التجويد^(*).

ب/ الهمزتان المختلفتان في الحركة: وتأتي على ستة أضرب، ورد منها في كتاب الله تعالى خمسة أضرب

وهي⁽²⁾:

* أن تكون الأولى مكسورة والثانية مفتوحة نحو: ﴿مِنَ السَّمَآءِ اِيَّ الشَّعْرَاءِ/4.

* أن تكون الأولى مضمومة والثانية مفتوحة نحو: ﴿وَيَسْمَأُ اَقْلِي/هود/44.

* أن تكون الأولى مفتوحة والثانية مكسورة نحو: ﴿تَفِيءَ اِلَى/الحجرات/9.

* أن تكون الأولى مفتوحة والثانية مضمومة نحو: ﴿جَاءَ اُمَّةٌ/المؤمنون/44، ولا يوجد غيرها في القرآن

الكريم.

* أن تكون الأولى مضمومة والثانية مكسورة نحو: ﴿وَيَهْدِيُّ مَن يَشَاءُ اِلَى/يونس/25.

* أن تكون الأولى مكسورة والثانية مضمومة، وهذه الحالة لم ترد في كتاب الله تعالى لفظاً، ولكن وردت معنا

في قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ اُمَّةٌ/القصص/23؛ أي وجد على الماء أُمَّةً.

"حكمه": فالضرب الأول فيه وجه واحد وهو: إبدال الهمزة الثانية ياء مفتوحة، لأنّ الهمزة الأولى مكسورة ولا

(1) – عبد المهدي كايد أبو أشقير: تحليل أكوستيكي لوجوه الاختلاف الصوتي بين ورش وقالون في قراءة نافع، ص 79.

(*) – للمزيد من التوسّع ينظر: عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 126، 127.

(2) – غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، صص 118، 119.

تجانس إلاّ الياء وتحركت بالفتح لأنّها حركة الهمزة المبدلة، أمّا الضرب الثاني ففيه أيضا وجه واحد فقط وهو: إبدال الثانية واوا مفتوحة لأنّ الهمزة الأولى تحركت بضمّ، ولا يناسب الضمّ إلاّ الواو، هذه الأخيرة التي تحركت بدورها بالفتح لأنّها أخذت حركة الهمزة المبدلة، وأمّا الضربين الثالث والرابع ففيهما أيضا وجهها واحدا وهو التسهيل؛ ففي الثالث: يتمّ تسهيل الهمزة الثانية بينها وبين الياء، وفي الرابع يتمّ تسهيل الهمزة الثانية بينها وبين الواو لمجانسة حركة الهمزة الثانية، في حين ينفرد الضرب الخامس بوجهين اثنين: المقدمّ منهما: إبدال الهمزة الثانية واوا مكسورة والوجه الثاني وهو: تسهيل الثانية بينها وبين الياء، لأنّ حركة الثانية كسرة ولا تجانسا إلاّ الياء⁽¹⁾.

بناء على هذا الكلام فقد قرأ الإمام "ورش" الآيات الخمس السابقة على النحو التالي:

﴿السَّمَاءِ آيَةً﴾، ﴿وَيَلْسَمَاءُ أَلِيْعِي﴾، ﴿تَبِعَءَ إِلَى﴾، ﴿جَاءَ أُمَّةً﴾، ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى﴾.

هذا ولم يرد في سورة المائدة من هذه الأضرب الستة إلاّ نوع واحد، وهو أن تكون الهمزة الأولى مفتوحة والأخرى مكسورة، وورد من هذا النوع في سورة المائدة حالتان هما: قوله تعالى: ﴿وَالْبَعْضَاءُ إِلَى﴾/15 و66 وقوله أيضا: ﴿أَشْيَاءُ إِن﴾/103. فكلا الحالتان حكمهما عند الإمام "ورش" وجهها واحدا وهو: تسهيل الهمزة الثانية بينها وبين الياء؛ لكون الثانية مكسورة هكذا: ﴿وَالْبَعْضَاءُ إِلَى﴾، ﴿أَشْيَاءُ إِن﴾. وفيما يلي مخطط موجز يوضح أحكام الهمز المزدوج بنوعيه كما قرأ به الإمام "ورش" عن شيخه الإمام "نافع"⁽²⁾:



الشكل - 5 -

(1) - ينظر: عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 127، 132.

(2) - المرجع نفسه، ص 133.

ثالثا: الهمز المتعدد (ثلاث همزات في كلمة واحدة):

لم تجتمع ثلاث همزات في كتاب الله تعالى إلا في كلمتين هما: ﴿ءَامِنْتُمْ﴾ الملك/16 و﴿ءَأَلِهْتَنَا﴾ الزخرف/58، حيث أنّ الأولى استفهامية مفتوحة والأخرى زائدة مفتوحة أيضا والثالثة أصلية ساكنة، وبتطبيق القاعدة الصرفية السابقة تبدل الثالثة حرف مدّ من جنس ما قبلها(ألفا)، فتجتمع في هذه الحالة همزتان مفتوحتان فيصير للكلمة حكمان، كما أشرنا سابقا وهما:

* تسهيل الثانية بينها وبين الألف مع تحقيق الأولى.

* إبدال الثانية ألفا فتصير(أَآمِنْتُمْ) فيجتمع حرفان ساكنان، وهذا لا يجوز في لغة العرب لذلك لا يبقى إلا حكم واحد وهو تحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين الهمز والألف، وما يقال عن كلمة ﴿ءَامِنْتُمْ﴾ ينطبق كذلك عن كلمة ﴿ءَأَلِهْتَنَا﴾⁽¹⁾.

ملاحظة هامة: إنّ الملاحظ لأحكام الهمز الأربعة (التسهيل، الإبدال، النقل والحذف)، يجد أنّ للحكمين الأولين دورانا واستعمالا في قراءة "ورش" عن "نافع" أكثر من غيرهما، فقد تمّ استعمال الأحكام الأربعة السابقة الذكر فضلا عن الأصل في الهمز وهو التحقيق حينما لا يكون هناك سبب للتخفيف، إلا في القسم الأول من أقسام الهمز وهو الهمز المفرد، في حين اقتصر الهمز المزدوج والهمز المتعدد على التسهيل والإبدال معا، أو على وجه واحد منهما - في بعض الحالات - كما رأينا.

وخلاصة القول: أنّ الأصل في تغيير الهمز وتخفيفه يكون بـ: «التسهيل بين بين، لأنّ فيه بقاء أثر الهمزة، ثمّ بالإبدال، لأنّه وإن لم يبق له أثر فقد عوض عنه حرف آخر، ثمّ بالحذف بعد النقل، لأنّ فيه بقاء حركته، ثمّ بالحذف مع الحركة لأنّه عدم محض»⁽²⁾.

(1) - ينظر: غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، صص 116، 117 وعبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 134، 143.

(2) - سيدي إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، ص 52.

الفصل الرابع:

الظواهر التركيبية (القطعية) في

اللغة العربية:

(الإدغام، التفخيم والترقيق، الوقف

والابتداء، الإبدال والإعلال)

المبحث الأول: الإدغام

المبحث الثاني: التفخيم والترقيق

المبحث الثالث: الوقف والابتداء

المبحث الرابع: الإبدال والإعلال



الفصل الرابع: الظواهر التركيبية (القطعية) في اللغة العربية: الإدغام، التفخيم والترقيق

الوقف والابتداء، الإبدال والإعلال

توطئة:

الظواهر التركيبية قسمان: منها ما كان له علاقة بالصوائت كما هو الحال مع المدّ والإمالة والهمز، ومنها ما له علاقة بالصوامت. وهذا القسم الثاني هو ما سيتمّ تناوله في هذا الفصل، علماً أننا قد اكتفينا هنا بمعالجة أربع ظواهر صوتية فقط؛ حيث أنّ المقام لا يتسع لبحث كلّ الظواهر الصوتية في القرآن الكريم، وهذه الظواهر هي: الإدغام، التفخيم والترقيق، الوقف والابتداء والإبدال والإعلال، وعلى الرغم من اختصاص الإعلال بالصوائت كما هو الحال مع الفصل السابق، إلا أننا فضلنا تناوله ضمن هذا الفصل للارتباط العضوي والوثيق بينه وبين ظاهرة الإبدال؛ إذ لا يمكن فهم الإعلال إلاّ بالحقاقه بظاهرة التبادل الصوتي.

هذا وسنقوم في هذا الفصل - إن شاء المولى عزّ وجلّ - بالتعرّف على هذه الظواهر الأربعة، مع الإحاطة بمختلف أحكامها عند الإمام "ورش"، محاولين اكتشاف مدى علاقة أداء هذه الظواهر صوتياً بدلالاتها، مقتصرين في ذلك على ظاهرة: الإدغام وظاهرة: التفخيم والترقيق فقط، لضيق مساحة البحث وعدم اتّساع مجاله لكلّ الظواهر الصوتية، على أمل استكمال هذه الدراسة والتعمق في معاملها من خلال مشاريع بحثية أخرى بإذنه تعالى.

المبحث الأول: الإدغام:

تحدثنا فيما سبق عن الإدغام وأقسامه بالنظر إليه من ناحية "الغنة"، وهي في الحقيقة أقسام خاصة بحروف الهجاء حال مجاورتها للنون الساكنة والتنوين فقط، وفيما يلي أنواع أخرى للإدغام تشمل جميع حروف الهجاء دون توقفها على مجاورة حروف بعينها:

المطلب الأول: أقسام الإدغام باعتبار التحريك والتسكين

ينقسم الإدغام بالنظر إلى الحركة والسكون قسمين اثنين هما:

1 - الإدغام الكبير: وهو: «أن يتحرك الحرفان معا: المدغم والمدغم فيه نحو الرائين في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ

رَمَضَانَ﴾ البقرة/185»⁽¹⁾.

2 - الإدغام الصغير: هو أن يكون «المدغم ساكنا والمدغم فيه متحركا نحو التائين في قوله تعالى: ﴿بِمَا

رَبِحَتْ تَجَرَّتُهُمْ﴾ البقرة/16»⁽²⁾، وسمي الأول كبيرا «لكثرة العمل فيه، وهو تسكين الحرف أولا ثم إدغامه ثانيا»⁽³⁾ وسمي الثاني صغيرا «لقلّة العمل فيه، وهو الإدغام فقط»⁽⁴⁾.

ولا يذهب "ابن جني" بعيدا عن هذا التقسيم، حيث يتحدث عن الإدغام ويقسمه إلى إدغام أكبر وآخر أصغر فأما الإدغام الأكبر فهو: «تقريب صوت من صوت، ثم إدغامه فيه، وهو على ضربين: التقاء المتماثلين نحو: قطع وسكر، والتقاء المتقارين على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام فتقلب إحداها إلى لفظ صاحبه وتدغمه فيه نحو: وُدٌّ، فأصلها "وتد"»⁽⁵⁾. ف"التاء" و"الدال" من مخرج واحد، إضافة إلى اشتراكهما في معظم الصفات الصوتية، وعلى هذا الأساس تم إدغام "التاء" المتحركة في "الدال" المتحركة فأصبحت حرفا واحدا مشددا من جنس الثاني (دالا مشددة)، وهذا ما يعرف بالإدغام الكبير الذي سبقت الإشارة إليه.

أما الإدغام الأصغر فهو: «تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك، وله ضروب عدّة منها: الإمالة وقلب تاء افتعل طاء بعد أحرف الإطباق، وقلبها دالا بعد الدال والذال والزاي، وقلب

(1) - محمد سالم محيسن: القراءات وأثرها في علوم العربية، ج1، ص 92.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

(3) - نفسه، ص 93.

(4) - نفسه، ص ن.

(5) - ابن جني: الخصائص، مع 3، ص 22.

السين صاد بعد الحرف المستعلي، وتقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق وغيرها⁽¹⁾.

ويمكن أن نمثل عن قلب تاء "افتعل" طاء بعد أحرف الإطباق الأربعة (ص، ض، ط، ظ) بما يلي: اططبر أصلها: اصتبر ، اضطرب أصلها: اضترب، أطرد أصلها: اطترد، اضطلم أصلها: اضتلم ،... من الصبر والضرِب والطرْد والظلم.

وأما عن قلب تاء "افتعل" دالا بعد الحروف الثلاثة (د، ذ، ز) فمثال ذلك: ادّعى وأصلها: ادتعى، اذكر أصلها: اذتكر، ازداد أصلها: ازتاد،... من دعا وذكر وزاد. هذا وسيتمّ التفصيل أكثر في مطلب الإبدال.

المطلب الثاني: أقسام الإدغام باعتبار السبب:

الإدغام نوع من أنواع التقريب بين أصوات اللغة، وهو ضرب من «التأثير الواقع بين الأصوات المتجاورة حين اتصالها، سواء كانت هذه الأصوات متماثلة، أو متجانسة أو متقاربة، وهذا التأثير هو ما يعرف في الدرس اللغوي الحديث بالمماثلة^(*)». (2)

بناء على هذا فإنّ حروف الهجاء تربط بينها علاقات وطيدة يمكن حصرها في أربعة أسباب وهي: التماثل، التجانس، التقارب والتباعد، فأما الثلاثة الأولى فالحكم فيها الإدغام، وأما الرابع فالحكم فيه الإظهار وينتج عن الأسباب الثلاثة الأولى ثلاثة أنواع للإدغام وهي: إدغام المتماثلين، إدغام المتجانسين وإدغام المتقاربين.

وهذه الأنواع الثلاثة نجدها تحت كلّ نوع من أنواع الإدغام، إذا ما نظرنا إلى الحرفين المدغمين من حيث الحركة والسكون، فهناك الإدغام الصغير، وهناك الإدغام الكبير، وهناك الإدغام المطلق، فنحصل من كلّ هذا على تسعة أنواع مختلفة للإدغام وهي: مثلين صغير، مثلين كبير، مثلين مطلق، متقاربين صغير، متقاربين كبير متقاربين مطلق، متجانسين صغير، متجانسين كبير ومتجانسين مطلق، وسيأتي فيما بعد إن شاء الله التفصيل في هذه الأنواع. لكن لا بدّ من الإشارة أولاً إلى أنّ هناك اختلاف جدّ دقيق بين جميع هذه الأنواع فيما يخصّ الإدغام الكبير والإدغام الصغير، فإذا كان الأوّل بين حرفين متحركين فإنّ الثاني بين ساكن فمتحرك، أمّا الثالث

(1) - ابن جني: الخصائص، مج 3، صص 23، 24.

(*) - هي عبارة عن تقارب أو تجانس أو تماثل حاصل بين صوتين متماثلين، يؤدي إلى تقارب في مخرجي الصوتين وصفاتهما أو إلى تماثل تام يتجلى في الإدغام. ينظر: عصام نور الدّين: علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، ص 240.

(2) - عبد العليّ المسئول: القراءات الشاذة ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية، ص 309.

أي المطلق* فهو عكس الصغير ففيه: «يتحرّك الحرف الأوّل ويُسكّن الثاني، وحكمه الإظهار لا الإدغام»⁽¹⁾.
ومعروف - كما أسلفنا - أنّ الحرفان كلّما اقتربا صحّ إدغامهما، وكلّما ابتعدا صحّ إظهارهما وامتنع إدغامهما وبالتالي فالتباعد خاص بالإظهار لا بالإدغام، وهو مصطلح يطلق على الحرفين اللذين «تباعدا في المخرج واختلفا في الصفة»⁽²⁾، وينتج عنه هو الآخر ثلاثة أنواع: متباعدين صغير ، متباعدين كبير ومتباعدين مطلق والنتيجة: أنّ الحرفان إذا كانا مخرجهما من عضوين مختلفين فهما في هذه الحالة متباعداً كأحرف الحلق مثلاً مع أحرف اللسان أو أحرف الشفا، أمّا إذا كانا من عضو واحد فهما حينها متقاربان هذا إن لم يكن يفصل بينهما مخرج خاص، كما هو الحال مع حروف الحلق مثلاً: فالتقارب حاصل بين أقصى الحلق ووسطه في حين يحدث التباعد حينما يكون أقصى الحلق مع أدناه.

ونشير هنا إلى أنّ الإدغام الكبير لا يوجد عند الإمام "ورش" إلا في المتماثلين، وفيما يلي مواضع هذا الإدغام في سورة المائدة، حسب مقرأ الإمام "ورش" كما يلي:

الآية	موضع الإدغام الكبير المتماثل	الحرف المُدغم	نوع الحركة	الآية	موضع الإدغام الكبير المتماثل	الحرف المُدغم	نوع الحركة
50	﴿الْكِتَابَ بِالْحَوِّ﴾	الباء	مختلفتان	2	﴿يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾		مختلفتان
108	﴿الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا﴾	التاء	مختلفتان	43	﴿الْكَلِمَ مِنْ﴾		مختلفتان
75	﴿قَالَتْ ثَلَاثَةٌ﴾	الثاء	مختلفتان	48	﴿إِنِّي مَرْيَمُ مُصَدِّقًا﴾		مختلفتان
91	﴿أَوْ تَخْرِيرِ رَفَبَةٍ﴾	الراء	مختلفتان	97	﴿طَعَامِ مَسْكِينٍ﴾		مختلفتان
34	﴿ذَلِكَ كَتَبْنَا﴾		متماثلتان	99	﴿يَعْلَمُ مَا﴾		مختلفتان
91	﴿ذَلِكَ كَبْرَةٌ﴾		متماثلتان	101	﴿يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾		مختلفتان
102	﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةٌ﴾		متماثلتان	118	﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾		مختلفتان
29	﴿فَالْأَفْتُلُوكَ﴾	اللام	متماثلتان	118	﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي﴾		مختلفتان

(* - من مواضع هذا النوع من الإدغام في سورة المائدة الكلمات التالية: ﴿حَلَلْتُمْ﴾/3، ﴿وَأَتَمَّمْتُ﴾/4، ﴿يُرْتَدُّ﴾/56، ... قرأ الإمام

"ورش" الكلمة الأخيرة بفكّ الإدغام، أمّا الإمام "حفص" وباقي القراء فبالإدغام هكذا: ﴿يُرْتَدُّ﴾.

(1) - فهمي علي سليمان: المنير الجديد في أحكام التجويد، ص 80.

(2) - المرجع نفسه، ص 83.

نوع الحركة	الحرف المُدغم	موضع الإدغام الكبير المتماثل	الآية	نوع الحركة	الحرف المُدغم	موضع الإدغام الكبير المتماثل	الآية
متماثلتان	النون	﴿يَفْؤُولُونَ نَخْشِبِي﴾	54	مختلفتان	ن	﴿السَّبِيلِ لَعْنِ﴾ حال الوصل فقط	78 و79
مختلفتان		﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾	19	متماثلتان		هـ	﴿وَإِذَا فِيلَ لَهُمْ﴾
مختلفتان	ي	﴿وَاللَّهُ هُوَ﴾	78	مختلفتان	ي	﴿بِهِ هُدَى﴾	48
مختلفتان		﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا﴾	121	مختلفتان		﴿حِزْبَ اللَّهِ هُمْ﴾	58
				مختلفتان		﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾	74

ملاحظة: لا يمكن مثلا أن نجعل قوله تعالى: ﴿...عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾/4، أو قوله: ﴿...جَنَّاتٍ تَجْرِي...﴾ من سورة المائدة، ضمن الإدغام المتماثل الكبير لالتقاء "الراء" المتحركة بالضم، بأخرى متحركة بفتح أو "التاء" المتحركة بالكسر بمثلتها المتحركة بالفتح، وذلك لكون المثال الأول إدغامًا تامًا خاصًا بالتونين وليس إدغامًا كبيرًا، ولكون المثال الثاني إخفاءً حقيقيًا خاصًا بالتونين أيضا وليس إدغامًا كبيرًا،...وقس على ذلك مع بقية المواضع المماثلة.

هذا فيما يتعلق بالإدغام الكبير، أما الإدغام الصغير فهو موجود عند "ورش" بأنواعه الثلاثة السابقة الذكر، وإليك تعريف وجيز بهذه الأنواع أو الأقسام الثلاثة مع الإشارة إلى أنها خاصة بالإدغام الصغير فقط؛ أي أنّ الحرف الأول من كل نوع ساكن والحرف الثاني متحرك.

1 - الإدغام المتماثل: وهو «اتحاد الحرفين مخرجا وصفة»⁽¹⁾.

ملاحظة: ويخرج من هذا التعريف كل من الواو والياء المديتان، فلا إدغام للواو المدية في الواو، ولا الياء المدية في الياء، مثل قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الكهف/107، وقوله: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ﴾ الناس/5.

وقد شاع في سورة المائدة "الإدغام الصغير المتماثل" في حرفين اثنين هما: "الميم" (الإدغام الشفوي المشار إلى مواضعه سابقا)، و"النون" (الإدغام الناقص المشار إلى مواضعه سابقا)، ولا داعي لإعادة كل هذه المواضع، ولكن نورد هنا بعض النماذج كما يلي:

(1) - محمد نبهان بن حسين مصري: الإستبرق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (الشاطبية)، ص 70.

* الميم: في قوله تعالى: ﴿نَفِضِهِمْ مِّثْلَهُمْ﴾/14، ﴿وَجَعَلَكُمْ مَثُوكًا﴾/22، ﴿فَلَوْبِهِمْ مَرَضٌ﴾/54، ﴿كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾/59، ﴿أَفَرَبَّهُمْ مَّوَدَّةً﴾/84، ﴿مِنْكُمْ مَّتَعَمِدًا﴾/97 ﴿بَأَصَابَتِكُمْ مُصِيبَةً﴾/108... الخ.

* النون: في قوله تعالى: ﴿لَسْ نَدْخُلُهَا﴾/24، ﴿أَنْ نَأْكُلَ﴾/115.

فضلا عن هذه المواضع، فقد أدغم الإمام "ورش" الواو الساكنة المفتوح ما قبلها (الواو اللينة)، عند مجاورتها للواو إدغاما صغيرا متماثلا، ومن أمثلة هذا الإدغام في نص سورة المائدة نذكر النماذج التالية:
قال تعالى: ﴿...ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾/80، وقوله أيضا: ﴿...إِذَا مَا اتَّفَقُوا وَعَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّفَقُوا وَعَآمَنُوا ثُمَّ اتَّفَقُوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾/95.
ملاحظة:

كثيرة هي حالات الإدغام الصغير المتماثل التي حدثت في كلمة واحدة، وسورة المائدة في هذا شأنها شأن جميع السور القرآنية الأخرى، فلم يكن من المستحسن لبساطة الأمر أن نستخرج جميع هذه الحالات لكثرتها، ولكن لا مانع هنا من ذكر بعض هذه النماذج من أجل الإيفهام لا أكثر:

الآية	الكلمة	الآية	الكلمة	الآية	الكلمة	الآية	الكلمة
4	حُرِّمَتْ	19	السَّمَوَاتِ	52	الْجَهْلِيَّةِ	77	الطَّعَامِ
5	الطَّيِّبَتِ	40	السَّارِفِ	57	الصَّلَاةِ	85	الشَّاهِدِينَ
10	الصَّالِحَاتِ	46	التَّوْرِيَةِ	65	السُّحْتِ	119	الرَّفِيبِ

2 - الإدغام المتجانس: وهو اتحاد الحرفين مخرجا واختلافهما صفة، ويكون في الأحرف النطعية والثبوية

والشفوية⁽¹⁾:

* الأحرف النطعية: تدغم التاء في الطاء والعكس، والتاء في الدال والعكس، والتاء في الظاء.

* الأحرف الثبوية: تدغم التاء في الدال، والدال في الظاء.

* الأحرف الشفوية: تدغم الباء في الميم.

أما بقية المواضع غير هذه المذكورة فحكمها الإظهار لا الإدغام.

(1) - ينظر: محمد نبهان بن حسين مصري: الإستبرق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (الشاطبية)، ص 71.

وتجسبا للوقوع في التكرار ارتأينا أن نؤخر نماذج هذا النوع من الإدغام عند الإمام "ورش" في سورة المائدة إلى المطلب الثالث من هذا المبحث، حين الحديث عن أحكام الإدغام الصغير عند "ورش".

3 - الإدغام المتقارب: وهو «تقارب الحرفين مخرجا وصفة كالدال والزاي نحو: ﴿وَإِذْ زَيَّنَّا الْأَنْفَالَ/48﴾ أو تقاربهما مخرجا لا صفة كالدال والسين نحو: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ المجادلة/1، أو تقاربا صفة لا مخرجا كالدال والجيم نحو: ﴿إِذْ جَاءُوكُمُ﴾ الأحزاب/10»⁽¹⁾.

ملاحظة: ليس كل حرفين حدث بينهما تقارب في المخرج أو الصفة جاز إدغامهما، وإنما يدغم ما نُصَّ عليه ويُقِلُّ عن القراء إدغامه. وإليك الآن أحكام الإدغام الصغير عند الإمام "ورش".

المطلب الثالث: أحكام الإدغام الصغير في رواية "ورش"

يمكن أن نقسم أحكام الإدغام الصغير عند الإمام "ورش" إلى خمسة أقسام اختلف فيها القراء بين مُظْهِرٍ ومُدْغِمٍ، متفقين في مواضع ومختلفين في أخرى، وفيما يلي تفصيل هذه الأحكام كما قرأها الإمام "ورش":

1 - حكم ذال إذ: وقعت ذال إذ قبل ثمانية أحرف وهي: «التاء، الزاي، الصاد، الدال، السين، الجيم، الظاء والدال، وقد اتفق جميع القراء على إدغام ذال إذ في الذال والطاء، واختلفوا في بقية الحروف، في حين أظهرها ورش عند الستة الباقية»⁽²⁾. ومن أمثلة هذا الحكم في سورة المائدة النماذج التالية:

قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءً﴾/22، و﴿... وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَظْنَافٍ... وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِأَظْنَافٍ... إِذْ جِيئَتْهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ...﴾/112. وحكم ذال "إذ" في جميع هذه الحالات عند "ورش" الإظهار لا الإدغام، وعلى الرغم من تقارب "الذال" و"الجيم" في المثاليين السابقين صفة لا مخرجا، فإنَّ الإمام "ورش" لم يدغم "الذال" في "الجيم"، وإنما أظهرها عندها مخالفا في ذلك بعض القراء الذين أدغموا "الذال" الساكنة في "الجيم" المتحركة.

2 - حكم دال قد ولقد: وقعت دال قد ولقد في القرآن الكريم قبل عشرة أحرف وهي «السين، الدال، الضاد، الظاء، الزاي، الجيم، الصاد، الشين، التاء والدال، واتفق جميع القراء على إدغام دال قد في الدال والتاء واختلفوا في بقية الحروف، في حين أدغمها "ورش" في حرفين آخرين هما: الضاد والطاء، وأظهرها عند البقية»⁽³⁾.

(1) - فهمي علي سليمان: المنير الجديد في أحكام التجويد، ص 81.

(2) - غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، صص 74، 75.

(3) - المرجع نفسه، صص 75، 76.

ومن نماذج هذه الحالة في سورة المائدة ما يلي:

قال تعالى: ﴿... فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾/13، والحكم هنا عند الإمام "ورش" الإدغام لا الإظهار، ويسمى هذا الإدغام: إدغاما صغيرا متقاربا، وقوله: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ فَمَنْ جَاءَكُمْ رَسُولَنَا... فَذُجَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾/17، وقوله أيضا: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ فَمَنْ جَاءَكُمْ رَسُولَنَا... فَقَدْ جَاءَكُمْ بِبَشِيرٍ وَنَذِيرٍ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾/21 و﴿... وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ...﴾/34، وحكم دال "قد" مع "الجيم" في جميع هذه المواضع عند "ورش" الإظهار لا الإدغام، أما قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ...﴾/63، فحكم دال "قد" هنا الإدغام لمجاورتها الدال المتحركة، ويسمى هذا النوع من الإدغام: إدغاما صغيرا متماثلا، و﴿... وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا...﴾/79، وحكم دال "قد" مع "الضاد" عند "ورش" الإدغام لا الإظهار، وهو إدغام صغير متقارب، وقوله: ﴿فَمَنْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾/104، فعلى الرغم من وجود تقارب لدال "قد" من "السين" مخرجا لا صفة، غير أن "ورش" أظهر "الدال" مع "السين"، ولم يدغمها مخالفا في ذلك بعض القراء، وقوله أيضا: ﴿... وَتَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهِم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾/115، والحكم هنا الإظهار لا الإدغام.

3 - حكم لام هل و بل: وقعت "لام" هل وبل قبل عشرة أحرف وهي: «التاء، الثاء، الظاء، الزاي، السين، النون، الطاء، الضاد، اللام والراء؛ وقد وقعت لام بل قبل جميع الأحرف المذكورة ما عدا التاء، في حين لم تقع لام هل إلا قبل أربعة أحرف وهي: النون، التاء، الثاء واللام، وقد اتفق جميع القراء على إدغام لام بل في اللام والراء وعلى إدغام لام هل في اللام، ولم تقع لام هل قبل الراء في القرآن الكريم، وأظهرها عند البقية»⁽¹⁾. ومن أمثلة هذه الحالة في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿فَلْيَتَأْهَلِ الْكِتَابُ هَلْ تَنْفَمُونَ مِنَّا...﴾/61، وحكم لام "هل" مع "التاء" عند "ورش" هو: الإظهار لا الإدغام.

4 - حكم تاء التانيث: وقعت تاء التانيث في القرآن الكريم قبل تسعة أحرف وهي «السين، الثاء، الصاد، الزاي

(1) - غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، ص 77.

الطاء، الجيم، التاء، الدال والطاء، وقد اتفق جميع القراء على إدغام تاء التأنيث في ثلاثة أحرف من التسعة وهي: التاء والدال والطاء، واختلفوا في بقية الأحرف، في حين أدغمها "ورش" في حرف آخر وهو الطاء وأظهرها عند البقية»⁽¹⁾. ولا وجود لهذا الحكم في سورة المائدة.

5 - أحكام بعض الحروف التي قرئت مخارجها: جملة ما تقارب من الحروف مخرجا واختلف القراء فيها من حيث الإظهار والإدغام هي عشرة أحرف: الباء، التاء، الدال، الذال، الراء، الطاء، الفاء، القاف، اللام والنون وبيان حكم كل منها في رواية "ورش" كما يلي:

أ/ ما حكمه الإظهار: ما كان حكمه الإظهار من الأحرف العشرة المذكورة عند مجاورتها لأحرف أخرى بعينها في مقرأ الإمام "ورش" هي سبعة: الباء مع الفاء والميم، التاء مع التاء والذال، الدال مع التاء والذال، الذال مع التاء فقط باستثناء لفظ "الاتخاذ" ومشتقاته، ففيه الإدغام لا الإظهار، الراء مع اللام حيث وقع، الفاء مع الباء و اللام مع الذال فقط، أما إذا وقعت هذه الأحرف السبعة مع غير ما ذكرناه فإن الحكم فيها عند الإمام "ورش" هو الإدغام دون سواه⁽²⁾، ومن أمثلة هذه الحالة في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿...وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّيبِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَظْنَانٍ...﴾ 112/، وفيها إظهار "الذال" الساكنة مع "التاء" المتحركة، وقوله أيضا: ﴿إِن تَعَدَّيْبُهُمْ فَبِإِنَّهُمْ عَبْدَكَ وَإِن تَغْمِرْ لَهُمْ فَبِإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ 120/، وفيها إظهار "الراء" الساكنة مع "اللام" المتحركة.

ب/ ما حكمه الإدغام: فضلا عن حالات الإدغام الواقعة في الحروف السبعة المذكورة، فلقد أدغم "ورش": الطاء مع التاء إدغاما ناقصا مع إبقاء صفة الإطباق، وذلك في "بسطة" و"أحطت"، كما أدغم كذلك القاف في الكاف إدغاما تاما في كلمة "يخلقكم"، وأدغم أيضا النون في الواو كما هو الحال في فاتحة سورة يس⁽³⁾.

ومن أمثله في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِسَطُتٌ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَفْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَفْتُلَكَ...﴾ 30/ قرأها "ورش" بإدغام "طاء" «بَسَطْتُ» في "التاء" بعدها هكذا: "بَسَتْ"، لتصبح تاء مشددة وهذا الإدغام إدغاما ناقصا، مع بقاء صفة الإطباق التي هي في "الطاء" المدغمة. و"الطاء" و"التاء" حرفان من مخرج واحد، وبالتالي فالإدغام بينهما هو إدغام صغير متجانس.

(1) - غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، ص 76.

(2) - ينظر: نفسه، صص 78، 80.

(3) - ينظر: نفسه، صص 79، 80.

ج/ ما حكمه الوجهان: قرأ الإمام "ورش" فاتحة سورة القلم ﴿ن وَالْقَلَمِ...﴾ بالوجهين: الإظهار والإدغام⁽¹⁾.

ملاحظة: اتفق الإمام "ورش" مع سائر القراء على إخفاء النون حال مجاورتها التاء وذلك في فاتحة سورة النمل ﴿طَسَّ تَلَكَّ...﴾⁽²⁾.

المطلب الرابع: الإدغام المتمائل والمتجانس والمتقارب: الأداء والدلالة

نورد فيما يلي نموذجاً واحداً من كل نوع من الإدغام، بهدف الوصول إلى مدى ارتباط دلالة الإدغام بأدائه، وفق الأحكام التي تقتضيها التلاوة القرآنية في سورة المائدة برواية "ورش عن نافع":

1 - الإدغام الصغير المتمائل:

❖ قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾/63.

للإدغام كما رأينا نصيب من اسمه في الدلالة، فهو يوحي بمعنى الإدخال والامتزاج، وفي هذا المعنى ما يتماشى مع ما تشير إليه هذه الآية الكريمة، إذ فيها حديث عن صفة من صفات منافقي اليهود الذين كانوا يتظاهرون بالإيمان، غير أنّ قلوبهم قد دخل فيها الكفر، فلم ينفعهم ما سمعوا من رسول الله (ص) من علم، فخرجوا من عنده مصطحبين الكفر في قلوبهم تماماً مثلما دخلوا عنده والكفر كامن فيهم.

2 - الإدغام الصغير المتجانس:

❖ قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ بَسَطْتُ إِلَى يَدِكَ لَتَفْتَلِنَ مَا أَنَا بِنَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَفْتَلِكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾/30.

وقع الإدغام المتجانس هنا في كلمة واحدة بين حرفي "الطاء" و"التاء"، ومعروف أنّ في أداء هذا النوع من الإدغام تنعدم الغنة فيه، فهو مثل: "الإدغام الكامل"، وهذا من شأنه أن يوحي - هنا - بمعنى "القطعية"؛ أي أنّ "هايبيل" قد اتخذ قراراً ثابتاً في نفسه - مهما كانت النتائج والعواقب - أنّه لن يقابل أخاه "قاييل" بمثل صنيعه الفاسد فيكونا سواء في الخطيئة.

(1) - غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، ص 80.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

3 - الإدغام الصغير المتقارب:

❖ قال تعالى: ﴿...بِمَسْ كَقَبَرٍ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ قَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾/13.

وقع الإدغام المتقارب في هذه الآية في كلمتين عند حرفي: الدال والضاد، وهو إدغام بغير غنة مما يدل على التصاق الكلمتين الواقع بينهما هذا النوع من الإدغام التصاقاً تاماً؛ أي بعدم وجود أي فاصل أو مسافة زمنية، وكذا يدل على العجلة الفائقة. وهذا المعنى يتناسب مع ما يؤديه الإدغام في الآية السابقة؛ إذ يوحي بسرعة الضلال والهلاك، فبالعودة إلى سياق هذه الآية نجد فيها وعد ووعد؛ ففيها أخذ الله العهود والمواثيق على بني إسرائيل، ووعدهم سبحانه وتعالى - والله لا يخلف الميعاد - بالشواب الجزيل إن كانوا من الأوفياء بعهوده، وفي المقابل توعددهم بالإثم والعقاب المباشر حال نكثهم لعهد الله، وهو الضلال عن الصراط المستقيم كما تشير إليه هذه الآية، إضافة إلى عقوبات أخرى جاء الحديث عنها في الآية 14 من هذه السورة، عرضها "ابن كثير" في قوله: «فلمّا نقضوا عهوده ومواثيقه أعقبهم ذلك لعنا منه لهم وطردا عن بابه وجنّاته، وحجابا لقلوبهم عن الوصول إلى الهدى ودين الحقّ، وهو العلم النافع والعمل الصالح»⁽¹⁾، ويكمن السرّ في التعجيل والفورية بهذه العقوبات أساساً في النقض بالعهود و الإخلاف بالمواثيق، بما فيها من ترغيب وتبشير، والكفر بها من غير مبالاة، فكان العقاب الإلهي قطعي من غير تمهيل أو إعطاء لفرصة أخرى.

(1) - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مج2، ص920.

المبحث الثاني: التفخيم والترقيق

المطلب الأول: تعريف التفخيم والترقيق

1 - التفخيم:

أ/ لغة:

جاء في تفسير مادة "فَحَمَ" باب الميم فصل الفاء: «فَحْمٌ: كَكْرَمٍ: ضَحْمٌ، وَالْفَحْمُ: العَظِيمُ القَدْرُ والتَّفْخِيمُ: التَّعْظِيمُ...»⁽¹⁾. إذن فالتفخيم في اللغة مصدر على وزن تفعيل بمعنى التعظيم، التسمين، التغليظ،...

ب/ اصطلاحاً:

يقول "كمال بشر" في معرض حديثه عن التفخيم: «هو أثر سمعي ينتج عن عوامل فسيولوجية متداخلة، ندرك منها عاملين مهمين: أولهما: ارتفاع مؤخر اللسان تجاه أقصى الحنك أو الحنك اللين، فيحدث تغيير في التجويف الفموي محدثاً زئينا مسموعاً، وثانيهما - على ما يقال - رجوع اللسان إلى الخلف بصورة أسرع مما يحدث له في أثناء النطق بالأصوات المرفقة، فكأنّ للتفخيم جانبيين: جانبا عضويا وهو: موضع اللسان وما يتبعه في الفم، وجانبا سمعياً ذا خاصية مميزة، وبهذا يمكن أن نحسب للصوت المفخم موضعين من النطق: موضع نطقه الأصلي مصاحباً بالوضع الثاني، وهو موقع اللسان عند النطق به، فصوت الطاء مثلاً مخرجه الأصلي في التصنيف العام للأصوات الأسنان العليا والثالثة، وبالتفخيم يمكن نسبته إلى الأصوات القصية نسبة إلى أقصى اللسان وأقصى الحنك»⁽²⁾.

وباختصار شديد نقول أنّ التفخيم هو: «سمن يعتري الحرف فيمتلئ الفم بصداه»⁽³⁾.

2 - الترقيق:

أ/ لغة:

ورد في "القاموس المحيط" في شرح مادة "رَقَقَ": «الرَّقَّةُ: كلُّ أرضٍ إلى جنب وادٍ ينبسط الماء عليها أيام المدِّ، ثمَّ ينضب (...)، والمِرْقَاقُ: ما يُرْقُ به الخبز (...)، والرِّقَاقُ بالضمّ: الماء الرقيق في البحر أو الوادي لا عُزْرَ له (...)، وأرْقَهُ: ضدَّ غَلَّظَهُ (...)، ورَقَقَ الماء: صبَّه رقيقاً...»⁽⁴⁾.

(1) - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة فَحَمَ.

(2) - كمال بشر: علم الأصوات، ص 394.

(3) - مصطفى أكور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1434هـ/ 2013م ص 66.

(4) - الفيروز آبادي: المصدر السابق، مادة رَقَقَ.

إذن فالترقيق في اللغة مصدر على وزن تفعيل، ومعناه التنحيف وهو نقيض التغليظ والتسمين.

ب/ اصطلاحاً:

الترقيق هو: «نخافة الصوت عند النطق بالحرف، فلا يمتلئ الفم بصداه، فيكون الحرف نحيفاً في المخرج، رقيقاً في الصفة»⁽¹⁾.

ونشير هنا إلى أن علماء اللغة والتجويد يستخدمون التفخيم والتسمين والتغليظ بمعنى واحد، غير أن الأكثر استعمالاً في "اللام" هو مصطلح التغليظ وفي "الراء" مصطلح التفخيم.

المطلب الثاني: أقسام الحروف العربية من حيث التفخيم والترقيق

يمكن تقسيم حروف اللغة العربية بالنظر إلى تفخيمها أو ترقيقها إلى ثلاثة أقسام مجمع عليها وهي⁽²⁾:

- 1 - حروف مفخّمة دائماً: وهي حروف الاستعلاء (خص ضغط قط).
- 2 - حروف تفخّم تارة، وترقق تارة أخرى وهي: الألف المدّية، اللام، الراء، وأضيفت إليها غنة الإخفاء.
- 3 - حروف مرققة دائماً، وهي الحروف الباقية.

وحروف الاستعلاء السبعة هي الحروف التي تفخّم دائماً ولا ترقق، ولكن هذا لا يعني أنّها في مرتبة واحدة من مراتب التفخيم كما رأينا في السابق، بل يمكن جعلها في مجموعتين اثنتين أولهما: الحروف الأربعة (الصاد، الضاد، الطاء والظاء)؛ وذلك فضلاً عن تفخيمها، فإنّها تجتمع فيها صفتان قويتان هما: الاستعلاء والإطباق، أمّا الحروف الثلاثة المتبقية، والتي تتمثل بالمجموعة الثانية فهي حروف مستعلية فقط لا إطباق فيها وهي (القاف والغين والحاء).

وعلى هذا يمكن أن نجعل ترتيب حروف الاستعلاء السبعة من حيث تفخيمها كما يلي: «ط، ض، ص، ظ، ق، غ، خ، فالطاء أكثر الحروف تفخيماً لأنّها أقواها في الإطباق ولما فيها من الجهر والشدة والقلقلة، ثمّ الضاد لما فيها من الجهر والرخاوة والاستطالة، ثمّ الصاد لما فيها من الصفير، ثمّ الظاء لأنّها أضعف الأربعة إطباقاً، تليها القاف فهي أبلغ استعلاءً من الغين، ولما فيها من الجهر والشدة والقلقلة، ثمّ الغين المجهورة، وأقلهم استعلاءً الحاء فلا صفة قوية فيها عدا الاستعلاء، وهي صفة مشتركة في جميع هذه السبعة»⁽³⁾.

(1) - أحمد بن أحمد بن محمد عبد الله الطويل: فن الترتيل وعلومه، ج2، ص 611.

(2) - عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص 76.

(3) - ينظر: سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، صص 143، 144.

بناء على هذا القول يمكن أن نجعل لحروف الاستعلاء السبعة خمس مراتب من حيث تفخيمها وهي⁽¹⁾:

المرتبة الأولى: في الحروف المفتوحة وبعدها ألف مدية مثل: (طائعين)، وهذه المرتبة أقوى المراتب في التفخيم وقس عليه مع بقية الأحرف.

المرتبة الثانية: في الحروف المفتوحة وليس بعدها ألف: مثل: (صَبْرًا، خَلَقَ)، وهذه أدنى في التفخيم من الأولى وقس عليه في بقية الأحرف.

المرتبة الثالثة: في الحروف المضمومة: مثل: (خُلِقَتْ)، وهي أدنى من الثانية في التفخيم، وقس عليه في بقية أحرف الاستعلاء.

المرتبة الرابعة: في الحروف الساكنة: مثل: (يَضْرِبُ)، فإذا وقع حرف الاستعلاء الساكن بعد فتح كما في المثال السابق يُعْطَى تفخيم المفتوح، وإذا وقع بعد ضم يُعْطَى تفخيم المضموم مثل (يُطْعِمُونَ)، أما إذا وقع بعد كسر يُعْطَى تفخيماً أدنى مما قبله، مثل: (إِطْعَامًا)، وقس على هذا في بقية الأحرف.

المرتبة الخامسة: في الحروف المكسورة: مثل: (ظَلًّا)، وقس على هذا في بقية الأحرف.

ملاحظة: كثير من الدارسين يميلون إلى القول بأن الإطباق هو التفخيم، وأن الانفتاح هو نفسه الترقيق، وهذا ما لا يمكن الإقرار به. صحيح أنه توجد علاقة بين المطبق والمفخّم؛ فكلّ مطبق مفخّم. وكذلك توجد علاقة بين المنفتح والمرفق؛ فكلّ منفتح مرفق، ومع ذلك فإنّ هذا لا يعني التطابق أو الترادف التام بين كلّ زوجين من هذه المصطلحات بل بينهما فروق؛ ذلك أنّ: «الإطباق وصف عضوي للسان في شكله المقعر المطبق على سقف الحنك، وأنّ التفخيم هو الأثر السمعي الناشئ عن هذا الإطباق، فالإطباق وصف العضو اللساني في حالة النطق والتفخيم وصف الصوت نفسه، وكذلك الانفتاح وصف حالة العضو في حالة نطق الأصوات التي لا ينطبق فيها اللسان، والترقيق وصف الصوت الذي ينطق في حالة كون العضو (اللسان) منفتحاً»⁽²⁾.

المطلب الثالث: أحكام التفخيم والترقيق عند الإمام "ورش"

لا شأن لنا في هذا البحث بالقسم الأول من الحروف الهجائية بالنظر إليها من زاوية تفخيمها أو ترقيقها لأنّها مفخّمة قطعاً، وهذا لا خلاف فيه عند جمهور العلماء، وكذا الأمر مع القسم الثاني المرفق مطلقاً، وسيأتي الآن التفصيل في الأحرف التي تفخّم تارة، وترقق تارة أخرى عند الإمام "ورش":

(1) - محمد أحمد معبد: الملخص المفيد في علم التجويد، ص 86.

(2) - محمود عكاشة: أصوات اللغة، ص 115.

أولاً: الألف المدّية (الألف الساكنة المفتوح ما قبلها):

يُفَخَّمُ الألف بعد الحرف المفتوح مثل: (الضالين، قال الله، فِرَارًا، الصَّلَاة، الطلاق،...)، ويُرَفِّقُ بعد الحرف المرقق مثل: (ذلك الكتاب لا ريب فيه، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم، مرءًا...) (1).

وهذا يعني أنّ الألف المدّية لا يكون تفخيمها إذا كانت مسبوقه بأحد حروف الاستعلاء - المفخمة دائماً - فقط، بل يمكن تفخيمها كذلك إذا جاءت بعد الراء والنون المفخمتين، وذلك إذا توفرت شروط تفخيمها والتي سيأتي الحديث عنها في مكانها إن شاء المولى عزّ وجلّ.

ولكثرة نماذج "الألف المدّية" من حيث تفخيمها وترقيقها في سورة المائدة، نقتصر فيما يلي على بعض

الأمثلة:

1 - حالة التفخيم: مع حروف الاستعلاء السبعة المفخّمة دائماً، وحرّبي الراء واللام حال تفخيمهما فقط:

نحو الكلمات التالية: ﴿أَلْخَسِرِينَ﴾/6، ﴿أَخَافُ﴾/30، ﴿بِخَيْرِجِينَ﴾/39، ﴿خَلِيدِينَ﴾/87. الخاء

نحو الكلمات التالية: ﴿صَلِحًا﴾/71، ﴿أَنْصَارِي﴾/74، ﴿الْأَنْصَابُ﴾/92، ﴿الْصَّادِقِينَ﴾ الصاد

121/

نحو الكلمة التالية: ﴿الْبَغْضَاءُ﴾/15. الضاد

نحو الكلمتين التاليتين: ﴿الْغَايِطُ﴾/7، ﴿عَلِينُونَ﴾/25. الغين

نحو الكلمات التالية: ﴿الطَّلُغُوتُ﴾/62، ﴿الشَّيْطَانُ﴾/92، ﴿طَائِرًا﴾/112. الطاء

نحو الكلمات التالية: ﴿الْعَقَابِ﴾/3، ﴿فَلْسِيَّةٌ﴾/14، ﴿فَلْعِدُونَ﴾/26، ﴿أَفَامُوا﴾/68. القاف

نحو الكلمة التالية: ﴿الظَّلِيمِينَ﴾/31. الظاء

نحو الكلمات التالية: ﴿الْمَرَابِي﴾/7، ﴿صِرَاطٍ﴾/18، ﴿غُرَابًا﴾/33، ﴿رَاكِعُونَ﴾/57. الراء

نحو الكلمتين التاليتين: ﴿الْصَّلَاةُ﴾ و ﴿الْصَّلَاةُ﴾، في الآيات: 7+13+57+60+93+108. اللام

ملاحظة: تُلْحَقُ الواو والياء المدّيتان بالألف المدّية في التفخيم والترقيق بحسب الحرف الذي يسبقها، فإن سبقها

حرف مفخم تفخم تبعاً له، وإن سُبِقَتْ بحرف مرقق رقت تبعاً له.

2 - حالة الترقيق: تُرَفِّقُ الألف المدّية في غير هذه الحالات؛ أي حينما يأتي قبلها أحد حروف الاستفحال المرققة

بما في ذلك حرّبي "الراء" و "اللام" حال ترقيقهما، وإليك بعض النماذج لبعض الحروف المرققة وذلك لكثرتها

(1) - محمد نبهان بن حسين مصري: الإستبرق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (الشاطبية)، ص66.

سنحصر المجال ببعضها على سبيل الذكر لا الحصر كما يلي:

الثاء نحو الكلمات التالية: ﴿مَيْثَقُ﴾/13، ﴿ءَابْرَهُمُ﴾/48، ﴿ثَالِثُ﴾/75.

الدال نحو الكلمات التالية: ﴿أَخْدَانٍ﴾/6، ﴿شَهْدَاءَ﴾/10، ﴿الْعَدَاوَةَ﴾/15، ﴿دَايِرَةً﴾/54.

الراء نحو الكلمتين التاليتين: ﴿التَّوْرِيهِ﴾ بالحركات الثلاث في الآيات: 45+46+48+68+112
﴿الْخَيْرَاتِ﴾/50.

السين نحو الكلمات التالية: ﴿وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةَ﴾/40، ﴿لِسَانٍ﴾/80، ﴿مَسْكِينٍ﴾/91
﴿سَائِبَةٍ﴾/105.

العين نحو الكلمات التالية: ﴿الْأَنْعَمِ﴾/2، ﴿شَعَائِرٍ﴾/3، ﴿وَطَعَامٍ﴾/6، ﴿الْعَلَمِينَ﴾/22.

اللام نحو الكلمات التالية: ﴿بِالْأَزْمَمِ﴾/4، ﴿السَّلَامِ﴾/18، ﴿رَجُلَيْنِ﴾/25، ﴿خَلْفِي﴾/35.

الهاء نحو الكلمات التالية: ﴿الْأَنْهَزُ﴾/13، ﴿هَادُوا﴾/71، ﴿شَهْدَةً﴾/108.

وقس على ذلك مع باقي الأحرف المستغلة المرفقة.

ثانيا: حالات تفخيم الراء واللام وترقيقهما:

1 - أحكام الراء: الراء حرف شبيه بالمستعلي، والأصل فيه التفخيم، غير أنه يرقق عند القراءة في الحالات

التالية:

يقول "ابن جزري" في باب الراءات⁽¹⁾:

وَرَقَّقِ الرَّاءَ إِذَا مَا كَسُرَتْ كَذَلِكَ بَعْدَ الْكَسْرِ حَيْثُ سَكَنْتَ

إِنْ لَمْ تَكُنْ قَبْلَ حَرْفِ اسْتِعْلَاءٍ أَوْ كَانَتْ الْكَسْرَةُ لَيْسَتْ أَصْلًا

وَالْخُلْفُ فِي: فِرْقٍ، لِكَسْرِ يُوجَدُ وَأَخْفِ تَكْرِيرًا إِذَا تَشَدَّدَ.

و سيأتي فيما يلي شرح هذه الأبيات من خلال عرض أحكام الراء من حيث التفخيم والترقيق.

أ/ حالات ترقيق الراء⁽²⁾:

* أن تكون مكسورة سواء كان الكسر أصليا أم عارضا. وتقدر الإشارة هنا إلى أنه حال الوقف على "الراء"

(1) - ابن جزري: منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، ص5.

(2) - ينظر: غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، صص104، 105 وعبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التحويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص78، 79.

المكسورة يُنظر لما قبلها فإذا سُبقت بكسر - ولو حال بينها وبينه حاجز غير حصين - أو ياء ساكنة سکونا حيا(*) أو ميتا** فقد وجب ترقيقها كما سيتم ذكره لاحقا إن شاء الله تعالى، وفيما يلي بعض نماذج هذه الحالة من سورة المائدة:

- المكسورة كسرا أصليا: نحو الكلمات التالية: ﴿يُرِيدُ﴾/2، ﴿رِضْوَانًا﴾/3، ﴿الْجَوَارِحَ﴾/5، ﴿الْخَلْسِرِينَ﴾/32+6،...، ﴿يُحَرِّفُونَ﴾/14، ﴿يُؤَارِعُ﴾/33، ﴿وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةَ﴾/40، ﴿الْجَاهِلِينَ﴾/56+69+70،...، ﴿رِجْسًا﴾/92، ﴿رِمَاخَكُمْ﴾/96، ﴿الْحَوَارِثُونَ﴾/114، ﴿تَجْرِبَةً﴾/121، وغيرها من الأمثلة.

- المكسورة كسرا عارضا: نحو الكلمات التالية: ﴿الثَّورِ﴾/18، ﴿الْكَفْرِ﴾/43+63،...، ﴿يَشْرِي﴾/62، ﴿مُنْكَرٍ﴾/81، ﴿الْخَمْرِ﴾/93، ﴿الْمَيْسِرِ﴾/93، ﴿الْبَرِّ﴾/98، ﴿الْبَحْرِ﴾/98، وغيرها من النماذج؛ فبمجرد الوقف على الراء المكسورة في هذه الأمثلة وغيرها، يترتب على ذلك زوال الكسر وحلول السكون محلّه.

* أن تكون ساكنة سکونا أصليا أو عارضا، مسبوقة بكسر أصلي، فأما الساكنة سکونا أصلي فمن أمثلتها في سورة المائدة: كلمة: ﴿شُرْعَةً﴾/50، وكذا: ﴿تَغْيِرُ﴾/120. وأما الساكنة سکونا عارضا بسبب الوقف فمن أمثلته في سورة المائدة كلمة: ﴿يَغْيِرُ﴾/20 و 42 وقفا لا وصلا؛ حيث تتحوّل الضمة فيها إلى سكون عارض.

* ترقق الراء كذلك عند "ورش" إذا كانت مسبوقة:

- بياء ساكنة في كلمة واحدة، سواء أكان ذلك في الوصل أم في الوقف، وسواء أكان السكون حيا أم ميتا، ومن أمثلة هذه الحالة في سورة المائدة الكلمات التالية:

السكون الحَيّ: ومنه الكلمات التالية: ﴿غَيْرَ﴾/2+4+6+79،...، ﴿الْخَيْرَاتِ﴾/50، ﴿الطَّيْرِ﴾/112، ﴿خَيْرُ﴾/116، وغيرها.

السكون المَيّت: ومنه الكلمات التالية: ﴿الْخَنِزِيرِ﴾/4، ﴿خَبِيرٌ﴾/9، ﴿الْمَصِيرُ﴾/20، ﴿فَدِيرٌ﴾/42

(*) - حينما يكون الحرف الذي يسبق الراء حرف لين يسمّى ذلك سکونا حيا.

(**) - حينما يكون الحرف الذي يسبق الراء حرف مدّ لا لين يسمّى ذلك سکونا ميتا.

﴿بَصِيرًا﴾/73، ﴿تَحْرِيرٌ﴾/91، ﴿بَحِيرَةً﴾/105، وغيرها من الكلمات.

– بحرف ساكن غير (ص، ط، ق)، وكان قبل الحرف الساكن كسرا أصليا، ووردت هذه الحالة في سورة المائدة في كلمتين هما: ﴿ذِكْرٍ﴾/93 و﴿سِحْرٍ﴾/112.

* ومن أسباب ترقيق الراء كذلك عند "ورش": الإمالة، وذلك إذا:

– وقعت بعد حرف ممال، ومن أمثلتها في سورة المائدة الكلمات التالية: ﴿أَذْبُرِكُمْ﴾/23، ﴿جَبَّارِينَ﴾/24، ﴿إِنْبَارٍ﴾/30+39، ﴿ءَابُرِهِمْ﴾/48، ...

– إذا أميلت الألف بعد الراء، ومن أمثلة الحالة في سورة المائدة الكلمات التالية: ﴿نَصْرِيَّ﴾ أو ﴿النَّصْرِيَّ﴾/15+20+53+71+84، ﴿التَّوْبِيَّةُ﴾/45 أو ﴿التَّوْبِيَّةُ﴾/46+68+112 أو ﴿التَّوْبِيَّةُ﴾/48، ﴿تَرِيَّ﴾/54+64+82+85.

* وقد رقق "ورش" كذلك كلَّ راء جاءت مفتوحة أو مضمومة ولكن بشروط:

– إذا كانت مسبوقة بكسر متصل لازم، ومن أمثلة الحالة في سورة المائدة الكلمات التالية: ﴿شَعَائِرٍ﴾/3، ﴿الْآخِرَةَ﴾/6+43+45+...، ﴿مَغْمِرَةً﴾/10، ﴿لَأَكْفِرَنَّ﴾/13، ﴿يُطَهِّرَ﴾/43، ﴿الْكَافِرُونَ﴾/46، ﴿دَائِرَةً﴾/54، ﴿الْفِرْدَةَ﴾/62، ﴿يَسْتَكْفِرُونَ﴾/84، ﴿الْمَيْسِرَ﴾/92، ﴿غَيْرَ﴾/109، ﴿طَهِّرْ﴾/112،... الخ.

– إذا كانت مسبوقة بكسر لازم وفصل بينهما حرف الخاء ساكنا أو حرف مستفل ساكن نحو: إخراج ومخراب وهذه الحالة لا وجود لها في سورة المائدة.

– رقق ورش الراء الأولى من (شرر) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَزِمُ بِشَرِّ كَالْفَصْرِ﴾ المرسلات/34، ويمكن تفسير قراءة "ورش" للراء الأولى مرققة «نتيجة تأثير فتحها بتنوين الكسر تأثرا مدبرا(*)»⁽¹⁾. وهذه الحالة كما هو واضح مقتصرة على سورة المرسلات.

هذه إذن هي حالات ترقيق "الراء" عند الإمام "ورش"، وما عدا ذلك فإنّ "الراء" فيها مفخمة أو تحتمل

(*) – ينظر: إلى عنصر غاية الإبدال من هذا الفصل.

(1) – عبد المهدي كايد أبو أشقير: تحليل أكوستيكي لوجوه الاختلاف الصوتي بين ورش وقالون في قراءة نافع، 42.

الوجهين، وسنورد فيما يأتي حالات تفخيم "الراء" عند "ورش":

ب/ حالات تفخيم الراء⁽¹⁾:

* إذا جاءت مفتوحة غير مماله أو مضمومة، ولم يقع قبلها في الكلمة الواحدة كسر أصلي، ولا ياء ساكنة، وأمثلة هذه الحالة مستفيضة في سورة المائدة، نذكر منها بعض النماذج: ﴿حُرْمٌ﴾/2، ﴿الْمُتَرَدِّيةُ﴾/4، ﴿عَبُورٌ﴾/4، ﴿جُورَهُنَّ﴾/6، ﴿الْمَرَابِي﴾/7، ﴿أَقْرَبٌ﴾/9، ﴿عَشْرَ﴾/13، ﴿بَثْرَةَ﴾/21، ﴿رَجَلِي﴾/25، ﴿غَرَابًا﴾/33، ﴿الْأَخْبَارُ﴾/46+65، ﴿الْجُرُوحُ﴾/47، ﴿مَرَضٌ﴾/54، ﴿الْكُفَّارُ﴾/59، ﴿رَسُولٌ﴾/72+77، ﴿زُهَبَانًا﴾/84، ﴿رَقَبَةً﴾/91، ﴿الْحَمْرُ﴾/92، ﴿الْأَبْرَصَ﴾/112، ﴿الرَّفِيبَ﴾/119... الخ، أو جاءت ساكنة وقبلها فتح أو ضم، ومن أمثلة هذه الحالة في سورة المائدة الكلمات التالية: ﴿يَكْفُرُ﴾/6+117، ﴿أَزْجَلَكُمْ﴾/7، ﴿فَرَضًا﴾/13، ﴿مَرِيمَ﴾/19+48+74+77+80، ﴿الْأَرْضِ﴾/112+114+116+118، أو ﴿الْأَرْضِ﴾/19+20+23+28+33+34+35+38+42، ﴿تَزْتَدُونَ﴾/23، ﴿أَرْبَعِينَ﴾/28، ﴿فُرْبَانًا﴾/29، ﴿مَرْجِعَكُمْ﴾/50، ﴿أَخَذَرَهُمْ﴾/51، ﴿يُزْتَدِدُ﴾/56، ﴿لِلْحَرْبِ﴾/66، ﴿أَرْسَلْنَا﴾/72، ﴿أَنْظُرُ﴾/77، ﴿الْفُرْعَانَ﴾/103، ﴿مَرْجِعَكُمْ﴾/107، ﴿فُرْبِي﴾/108، ﴿أَمَرْتَنِي﴾/119... الخ.

* إذا جاءت ساكنة أو مفتوحة أو مضمومة بعد كسر عارض. ومما يوجد من هذه الحالة في سورة المائدة الكلمات التالية: ﴿وَأَخَذَرَهُمْ﴾/51، ﴿وَأَخَذَرُوا﴾/94، ﴿إِزْتَبْتُمْ﴾/108، ﴿وَإِزْتَبْنَا﴾/116... وغيرها من النماذج.

أو جاءت مكسورة موقوفا عليها، وكانت مسبوقه بفتح أو ضم أو سكون أو ألف أو واو، ولم توجد هذه الحالة في سورة المائدة إلا مع ضريين: المسبوقه بالواو في كلمة: "الصُّدُورِ" عند قوله تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾/8، والمسبوقه بالألف في كلمة: "أَنْصَارٍ" عند قوله تعالى: ﴿...وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾/74.

* إذا جاءت ساكنة أو متحركة بعد كسر أصلي ووقع بعدها حرف استعلاء، واتصل بها في كلمة واحدة. وهذه

(1) - ينظر: عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 79، 81 وغنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، صص 104، 107.

الحالة لا وجود لها في سورة المائدة كما هو الحال مثلا في الكلمات التالية: قِرطَاسٌ، فِرْقَةٌ، مِرصَادًا وإِرصَادًا وكذلك إذا فصل بينها وبين حرف الاستعلاء ألف، وورد منها في سورة المائدة كلمة واحدة، وهي: ﴿صِرَاطِي﴾

18/؛ حيث فصل الألف هنا بين "الراء" والحرف المستعلي "الطاء".

* إذا وقعت الراء مكررة في كلمة واحدة، وقبلها كسر أصلي، وقد وقع ذلك في عدة كلمات في القرآن الكريم

منها: ﴿صِرَارًا﴾ التوبة/107، و﴿بِرَارًا﴾ نوح/6، ﴿إِسْرَارًا﴾ نوح/9، ﴿مِدْرَارًا﴾ هود/52 ونوح/11

والأنعام/7، ﴿الْفِرَارُ﴾ الأحزاب/16، وواضح أنّ هذه الحالة لا وجود لها في نص سورة المائدة.

* إذا حال بين الكسر اللازم والراء المفتوحة أو المضمومة حرف استعلاء غير الخاء، أو حرف استفعال متحرك، أو كان هذا الكسر غير أصلي مثل: إِصْرًا، الْكِبِيرَ، ارْتَضَى... وهذه الحالة لا وجود لها أيضا في سورة المائدة.

* تفخيم الراء في الكلمات الآتية حيثما وقعت: (إبراهيم، إسرائيل، عمران، إرم)، وورد من هذه الحالة في سورة

المائدة كلمة واحدة في مواضع متعدّدة، وهي كلمة: ﴿إِسْرَائِيلَ﴾/13+34+72+74+80+112.

* إذا كانت الراء مفتوحة أو مضمومة مسبوقة بياء متحركة، نحو: (الْحَيْرَةُ)، ولا وجود لهذه الحالة في سورة المائدة.

* إذا وقعت بين الراء وبين الكسرة أحد هذه الحروف (ط، ق، ص)، مثل: (إِصْرَهُمْ، مِصْرًا، قِطْرًا، فَطَرَتَ اللهُ وَقَرًّا...)، ولا وجود لذلك في سورة المائدة.

* إذا وقع قبل الراء لام الجرّ أو ياء الجرّ، أو بعبارة أخرى: إذا كانت الراء مفتوحة أو مضمومة، ومسبوقة بكسر

متّصل عارض، ومن أمثلة ذلك في سورة المائدة المواضع التالية: ﴿بِرُسُلِي﴾/13، ﴿بِرُوحِ﴾/112

﴿بِرَسُولِي﴾/113... الخ.

ومعنى هذا أنّ الكسرة التي سبقت الراء كسرة عارضة، ولو كانت أصلية لرققت كما أشرنا في السابق.

ويندرج ضمن هذه الحالة أيضا: كون الراء مسبوقة بكسر لازم منفصل؛ أي أنّ الكسر في كلمة، والراء في كلمة أخرى، ولا وجود لهذا في سورة المائدة.

ج/ ما فيه الوجهان: (التفخيم والترقيق): وذلك في الحالات الآتية⁽¹⁾:

* ما كان على وزن (فِعْلًا)، وهي ستُّ كلمات مخصوصة: (ذِكْرًا، سِتْرًا، إِمْرًا، وَزْرًا، حِجْرًا، صِهْرًا)، فإذا اجتمع

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 81، 82.

مدّ البدل مع هذه الكلمات الست المخصوصة كقوله تعالى: ﴿...بَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ وَأَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا...﴾ البقرة/200، فلإمام "ورش" فيها خمسة أوجه، وهي: قصر البدل مع ترقيق الراء وتفخيمها (أي الوجهان جائزان) وتوسط البدل مع التفخيم فقط، وطول البدل مع ترقيق الراء وتفخيمها (أي الوجهان جائزان).

* في كلمة ﴿حَيْرَانَ﴾ الأنعام/71، ففيها الوجهان والتفخيم مقدم حملا على كلمة عمران.

* في الكلمات الآتية: ﴿يَسْرِي﴾ الفجر/4، و﴿نُذِرِي﴾ القمر/16، و﴿بِزِي﴾ الشعراء/63، و﴿الْفِطْرِي﴾ سبأ/12، و﴿مِصْرِي﴾ يوسف/99، فيجوز في هذه الكلمات الخمس الوجهان، غير أنّ الترقيق مقدم في الكلمات "الأربع الأولى"، والتفخيم مقدم في "الكلمة الخامسة".

ملاحظة عامة: إذا وقف "ورش" على الراء بالسكون وكان قبلها كسر مثل: (يَعْفُرِي، يَصْبِرِي)، أو ياء ساكنة مثل: (خَيْرِي، ضَيْرِي، سَيْرِي)، أو حرف ممال مثل: (الدار، النار)، أو حرف ساكن وقبل الساكن كسر مثل: (السَّخْرِي، والدَّكْرِي)، فإنه يرفق الراء كحالة الوصل، وأما إذا انعدمت هذه الأسباب فإنه يفخّمها سواء كانت مرفقة وصلًا أم لا، وكذلك رفق الراء إذا وقف على كلمة ﴿بِشْرِي﴾ المرسلات/32⁽¹⁾.

2 - أحكام اللام: اللام حرف مستقل، والأصل فيه الترقيق غير أنه يغلظ - والتغليظ مرادف للتفخيم - بيد

أنّ المستعمل مع اللام التغليظ عند جميع القراء كما أشرنا.

يقول "ابن جزري" في باب اللامات⁽²⁾:

بَعْدَ سُكُونِ صَادٍ أَوْ طَاءٍ وَظًا	وَأَزْرُقٌ لِفَتْحِ لَامٍ غَلْظًا
أَوْ إِنْ تَمَلَّ مَعَ سَاكِنِ الْوَقْفِ اخْتِلَفٌ	أَوْ فَتَحِهَا وَإِنْ يَحُلُّ فِيهَا أَلْفٌ
تَفْخِيمُهَا وَالْعَكْسُ فِي الْآيِ رَجْحٌ	وَقِيلَ عِنْدَ الطَّاءِ وَالظَّاءِ وَالْأَصْحِ
ذَكَرْتُ وَاسْمَ اللَّهِ كُلِّ فَحَمًا	كَذَلِكَ صَلِّصَالٍ وَشَدَّ غَيْرَهَا
بَعْدَ مُمَالٍ لَا مُرَقِّقٍ وَصِفٌ	مِنْ بَعْدِ فَتْحَةٍ وَضَمٍّ وَاخْتِلَفٍ

بناء على هذا النظم يمكن تقسيم أحكام اللام من حيث تفخيمها وترقيقها إلى قسمين أساسيين:

(1) - عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 82، 83.

(2) - محمد بن محمد بن علي بن يوسف (ابن جزري): طيبة النشر في القراءات العشر، تح: محمد تميم مصطفى الزعبي، مكتبة دار الهدى جدّة، السعودية، ط1، 1414هـ/1994م، ص 55.

أ/ أحكام لام لفظ الجلالة (الله، اللهم): للام لفظ الجلالة حالتين: حالة الترقيق وحالة التفتيح:

* حالة الترقيق⁽¹⁾:

ترقق لام لفظ الجلالة إذا سُبقت بكسر سواء كان الكسر أصليا أم عارضا، ومثال ذلك من سورة المائدة: ﴿يَعْبِرِ اللَّهُ﴾/4، ﴿لِلَّهِ﴾/9+19+20+122+...، ﴿لَمْ يُرِدِ اللَّهُ﴾/43، ﴿مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾/45، ﴿بِاللَّهِ﴾/55+61+71+74+83+86+108+109، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾/56، ﴿مِنْ ذَوِي اللَّهِ﴾/78+118، ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾/93... وغيرها من النماذج الكثيرة، كما ترقق لام لفظ الجلالة كذلك إذا تقدّمها ساكن بعد كسر (الكسر+ الساكن+ لام لفظ الجلالة)، ومثال ذلك في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿يَأْتِي اللَّهُ﴾/56، وكذا إذا وُصِلَ لفظ الجلالة بتنوين آخر كلمة قبله، مثل: ﴿أَحَدٌ ﴿اللَّهُ﴾ الصمد/1 و2؛ بمعنى: أنّ الكلمة الأولى المنونة في آخر الآية السابقة، والكلمة الثانية في أول الآية اللاحقة، وهذا لا وجود له في سورة المائدة.

* حالة التعليل:

– تفتّح "اللام" في لفظ الجلالة إذا: «لم يسبقه كسر؛ أي إذا كان مبتدأ به، أو سبق بفتح أو ضم»⁽²⁾. فأما حالات الابتداء بلفظ الجلالة في سورة المائدة فهي غير موجودة، ولكن يمكن أن يكون ذلك بعد الوقف؛ أي عند استئناف القراءة بلفظ الجلالة وصلا في منتصف الآية مثلا أو في آخرها... وهذا الكلام ينطبق على جميع ألفاظ الجلالة على مستوى السورة الكريمة، وإليك الآن بعض نماذج ما كان مغلظا من لامات لفظ الجلالة بسبب فتح أو ضم: ﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾/3، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾/7، ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾/10، ﴿وَأَفْرَضْتُمْ اللَّهُ﴾/13، ﴿أَبْنَوْا اللَّهُ﴾/20، ﴿يَتَقَبَّلُ اللَّهُ﴾/29، ﴿قَبَعَتْ اللَّهُ﴾/33، ﴿يُحَارِبُونَ اللَّهُ﴾/35، ﴿حُكْمَ اللَّهِ﴾/45، ﴿بِضَلِّ اللَّهِ﴾/56، ﴿حِزْبِ اللَّهِ﴾/58، ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾/62، ﴿يَدِ اللَّهِ﴾/66، ﴿سَخِطَ اللَّهُ﴾/82، ﴿فَيَنْتَفِمْ اللَّهُ﴾/97، ﴿شَهَدَةَ اللَّهِ﴾/108، ﴿يَجْمَعُ اللَّهُ﴾/111، ﴿مَزِيمَ اللَّهُ﴾/116، ﴿رَضِيَ اللَّهُ﴾/121، وغيرها من النماذج الكثيرة.

(1) – عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 73، 74.

(2) – محمد نبهان بن حسين مصري: الإستيرق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (الشاطبية)، ص 65.

– تُعَلِّظ اللام كذلك إذا كانت مسبوقه بساكن وقبل الساكن فتح أو ضم⁽¹⁾. ومن أمثلة هذه الحالة في سورة المائدة النماذج التالية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾/3+5+8+9+12+37+59+90+98+110،...، ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾/12+25+105، ﴿إِلَى اللَّهِ﴾/50+76+107، ﴿فَعَسَى اللَّهُ﴾/54، ﴿أَطَقَهَا اللَّهُ﴾/66 ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾/74+119، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾/94، ﴿عَبَا اللَّهُ﴾/97+103،... الخ.

ملاحظات⁽²⁾:

– إنّ ما يُعَلِّظُ من لفظ الجلالة هو اللام فقط، أما همزة الوصل حال الابتداء، والهاء فهما حرفان مستفلان واجب ترقيقهما.

– يُبَيِّنُهُ إلى أنّ "ورشا" إذا قرأ ﴿أَبْعَيْرَ اللَّهِ﴾ سورة الأنعام/114، وكذلك: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ﴾ العنكبوت/45 ونحوهما فإنه يُعَلِّظُ لام لفظ الجلالة لوقوعها بعد الفتحة أو الضمة، ولا عبرة بترقيق الراء.

ب/ أحكام اللام في غير لفظ الجلالة:

يمكن أن نَمَيِّز لـ "اللام" في غير لفظ الجلالة من حيث تفخيمها وترقيقها بين ثلاث حالات:

* **تُعَلِّظُ اللام في غير لفظ الجلالة في رواية "ورش" حصرا إذا توفرت الشروط الثلاثة الآتية⁽³⁾:**

1/ أن تكون اللام مفتوحة (مخففة أو مشددة).

2/ أن تسبق اللام بأحد الأحرف الآتية: الصاد، الطاء، الظاء، وفي كلمة واحدة من غير فاصل.

3/ أن تكون هذه الحروف ساكنة أو مفتوحة (مخففة أو مشددة)، وذلك نحو: الصلاة، يَصَلِّي، الطلاق، مطلع ظلم، أظلم،...

وقد عُظِّمَت "اللام" في سورة المائدة في مواضع محدودة وقليلة هي:

– لفظة: ﴿الصَّلَاةُ﴾ أو ﴿الصَّلَاةُ﴾ الواردة في الآيات التالية: (7/13/57/60/93/108)؛ ففي هذه

الكلمة اجتمعت "الصاد" و"اللام" معا في كلمة واحدة من غير فاصل: "اللام" هنا جاءت متوسطة ومفتوحة مسبوقه بحرف "الصاد" المطبق مشددا ومفتوحا؛ أي توفرت جميع شروط التخليط.

– لفظة: ﴿يُصَلِّبُوا﴾ الواقعة في الآية 35؛ ففي هذه الكلمة اجتمعت "الصاد" المفتوحة المخففة، مع "اللام"

(1) – عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 74.

(2) – غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، ص 109.

(3) – المرجع نفسه، ص 109، 110.

المتوسطة المفتوحة المشددة ولهذا غُلِّطَتْ.

- لفظة: ﴿أَصْلَحَ﴾ الواقعة في الآية 41؛ ففي هذه الكلمة اجتمعت "الصاد" الساكنة المخففة (السابقة)، مع

"اللام" المتوسطة المفتوحة المخففة ولهذا غُلِّطَتْ.

ويشار هنا إلى أنه لا بد أن تتوفر هذه الشروط الثلاثة مجتمعة في "اللام"، وأن أي تخلف لشرط واحد منها

فإن حكمها يتحوّل من التعليل إلى الترقيق تلقائياً.

هذه - إذن - هي حالات اللام المغلطة فقط، وما عداها فهي حالات ترقيق لا تعليل، فما هي إذن

حالات ترقيق اللام من غير لفظ الجلالة؟.

* ترقيق اللام في غير لفظ الجلالة: وترقق فيما عدا ما ذكرنا⁽¹⁾:

1/ كأن تكون اللام مضمومة أو مكسورة أو ساكنة نحو الكلمات التالية: (تَطَّلِعْ، لأَصْلِبَنَّكُمْ، صَلِّصَالِ).

2/ أو وقع أحد الأحرف الثلاثة بعد اللام لا قبلها نحو الكلمات التالية: (سَلِّطْهُمْ، وَلِيَتَلَطَّفْ، إِثْمًا لَطِي،...).

3/ أو كان أحد هذه الأحرف مضموماً أو مكسوراً نحو الكلمات التالية: (الظَّلَّةُ، فَصَّلَتْ، ظِلَالٌ،...).

4/ أو لم يأت أحد هذه الأحرف الثلاث قبل اللام، نحو الكلمات التالية: (ينقلب، سئلت، العلماء).

ونشير هنا إلى أنّ هذه الحالات الأربع الخاصة بترقيق "اللام" إنما هي خرق لأحد الشروط الثلاثة المذكورة

سابقاً، والتي بموجبها يتمّ تعليل "اللام" في غير لفظ الجلالة، وإليك الآن بعض نماذج ترقيق "اللام" في غير لفظ

الجلالة في نص سورة المائدة:

- الكلمات التالية: ﴿اجْلَلْتُمْ﴾/2، ﴿إِنَّا نَجِئُكَ﴾/48، ﴿مَغْلُوبَةٌ﴾/66، ﴿أَهْلٌ﴾/67، ﴿وَبَالَ﴾/

97،... في هذه الأمثلة وغيرها توفّر شرط واحد فقط من شروط التعليل المذكورة سلفاً وهو: فتح "اللام" وتخلف

اثنان، فوجب حينها ترقيق "اللام" في الأمثلة السابقة.

- الكلمات التالية: ﴿أَكْمَلْتُ﴾/4، ﴿عَلِيمٌ﴾/8، ﴿فَلَوْبَهُمْ﴾/14، ﴿أَنْكَلِمٌ﴾/14، ﴿يَخْلُقُ﴾

19/، ﴿مُنْكَ﴾/20، ﴿فَلِيلاً﴾/46، ﴿رَسُولٌ﴾/72، ﴿آلِيمٌ﴾/96، ﴿إِلَّا لَتَبِ﴾/102

﴿مُسْلِمُونَ﴾/113، ﴿خَلِيدِينَ﴾/121،... الخ، ففي هذه الأمثلة وغيرها حكم "اللام" فيها: الترقيق لا

التعليل؛ لسقوط جميع الشروط فيها: "اللام" فيها إمّا مضمومة أو مكسورة أو ساكنة، ولا يسبقها ولا حرف من

(1) - أبو عبد الرحمن عاشر خضراوي الحسني: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 45.

حروف الإطباق الثلاثة (ص، ط، ظ).

- الكلمات التالية: ﴿الصَّلِحَتِ﴾/10، ﴿تَطْلُعُ﴾/14، ﴿أَنْظَلِمَتْ﴾/18،... الخ. في هذه الكلمات وأمثالها "اللام" فيها مرقّمة، توقّرت فيها شروط وسقطت أخرى؛ ففي الكلمة الأولى: "اللام" فيها مكسورة، وفصل بينها وبين الحرف المطبق "الصاد" ألف مدّية. وفي المثال الثاني توقّر شرطان وتخلّف واحد؛ توقّر الشرط الثاني والثالث: "اللام" فيه مسبوقه بـ "الطاء" المفتوحة، وسقط الشرط الأول وهو تحرك "اللام" هنا بالكسر لا بالفتح، وعكس المثال الثاني المثال الثالث ففيه توقّر شرط واحد وهو وقوع "الطاء" قبل "اللام" لا بعدها في كلمة واحدة، وتخلّف شرطان وهما: تحرك "اللام" والطاء" قبله بالضمّ.

* ما فيه الوجهان (التفخيم والترقيق):

يجوز تغليظ اللام وترقيقها - والتغليظ مقدّم - في الحالات الثلاث الآتية⁽¹⁾:

الحالة الأولى: إذا حال بين اللام وبين أحد الحروف الثلاثة (ص، ط، ظ) ألف لينة - وصلا ووقفا - وقد وقع ذلك في ثلاثة ألفاظ في القرآن، في خمسة مواضع وهي: (طال، فصلا، يصالحا):

1 - ﴿بِإِنِّ آرَادَا وَصَالًا﴾ البقرة/ 233.

2 - ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصْلِحَا﴾ النساء/ 128.

3 - ﴿أَبْقَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾ طه/ 86.

4 - ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ الأنبياء/ 44.

5 - ﴿بِقَطَالٍ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ﴾ الحديد/ 16.

ملاحظة: إنّ كلمة ﴿وَصَالًا﴾ في الآية الأولى لها مع الإمام "ورش" في مدّ البدل ﴿ءَاتَيْتُمْ﴾، الموجود في الآية

[البقرة/233]، خمسة أوجه: ترقيق اللام وعليه ثلاثة البدل، ثمّ التغليظ وعليه في البدل التوسط والمدّ

فقط، ويمتنع القصر مع التغليظ.

الحالة الثانية: إذا وقف القارئ على "اللام" المتطرّفة المغلّظة بالسكون بالشروط السابق ذكرها، نحو الكلمات

التالية: [يوصل فصل، بطل، ظلّ]، الواردة في سورة البقرة: الآية 27 و 249، الأنعام 119، الأعراف 118

الرعد 25، النحل 58، ص 20 والزخرف 17.

(1) - ينظر: عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 75، 77.

الحالة الثالثة: إذا وقع بعد "اللام" ألف ذات ياء (أي ألف مقلّلة)، ففيها وجهان: ترقيق اللام مع التقليل وتغليظها مع الفتح وصلا ووقفًا، بشرط أن تكون في غير رؤوس الآي من السور الإحدى عشرة التي رؤوس آياها فيها التقليل فقط، وقد وقع ذلك في القرآن الكريم في سبعة مواضع: البقرة الآية 125 في حال الوقف على ﴿مُصَلِّيٍّ﴾، الإسراء/18، الانشقاق/12، الأعلى/12، الغاشية/4، الليل/15 والمسد/3 حال الوقف على: ﴿يَصَلِّي﴾ أو ﴿تَصَلِّي﴾.

ثالثا: تفخيم الغنة وترقيقها:

وقبل الوقوف على أحكام الغنة عند الإمام "ورش" من حيث تفخيمها وترقيقها، يجب أولاً التعرف على مراتب الغنة وهي خمسة كالآتي⁽¹⁾:

- 1 - أن تكون الميم أو النون مشدّتين نحو: إِنَّ، لَمَّا.
- 2 - أن تكون النون مدغمة بغنة نحو: ﴿بِمَنْ يَّعْمَلُ﴾ الزلزلة/7، ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ التوبة/74، ولم تُدكّر "الميم" هنا لأنّها لم تدغم ساكنة إلا في مثلها نحو: ﴿لَهُمْ مَاءٌ﴾ المائدة/38، فتكون بهذا في المرتبة الأولى، وهذا ما يعرف بالإدغام الشفوي الذي تحدثنا عنه سابقا.
- 3 - أن تكون "الميم" أو "النون" مخفاة نحو: ﴿جَاءَكُمْ بَشِيرٌ﴾ المائدة/21.
- 4 - أن تكونا ساكنتين مظهرتين.
- 5 - أن تكون متحرّكتين.

وهي في المرتبتين الأخيرتين غير ظاهرة، إلا أنّ أصل الغنة موجودة فيها، أمّا في المراتب الثلاث الأولى فظاهرة، ويجب إظهارها وذلك بمدّها بمقدار حركتين من غير زيادة عليه أو نقص منه. أمّا عن حالات تفخيم أو ترقيق الغنة عند الإمام "ورش"، فإنّها: «تفخّم إذا أخفيت النون أو التنوين عند حروف الإخفاء المستعلية الخمسة وهي: الصاد، الضاد الطاء، الظاء والقاف»⁽²⁾. وهذا يعني أنّ ترقيق الغنة يكون فيما عدا هذه الحالات. ونقدّم فيما يلي بعض نماذج تفخيم الغنة في سورة المائدة مع الأحرف الخمسة السابقة وبعض نماذج ترقيقها مع خمسة حروف أخرى في هذه السورة الكريمة:

(1) - محمد عصام مفلح القضاة: الواضح في أحكام التجويد، ص53.

(2) - محمد نبهان بن حسين مصري: الإسترق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (الشاطبية)، صص 66، 67.

1 - تفخيم الغنة:

- 1 - الصاد نحو: ﴿الْأَنْصَابُ﴾/92← تفخيم غنة الإخفاء: النون الساكنة مع الصاد.
- 2 - الضاد نحو: ﴿مَسْ ضَلَّ﴾/107← تفخيم غنة الإخفاء: النون الساكنة مع الضاد.
- 3 - الطاء نحو: ﴿صَعِيداً طَيِّباً﴾/7، ﴿حَلَّلاً طَيِّباً﴾/90← تفخيم غنة الإخفاء: التنوين مع الطاء.
- 4 - الظاء نحو: ﴿أَنْظُرْ﴾/77← تفخيم غنة الإخفاء: النون الساكنة مع الظاء.
- 5 - القاف نحو: ﴿مَسْ قَتَلَ﴾/34، ﴿شَعْرٌ قَدِيرٌ﴾/122← تفخيم غنة الإخفاء: النون الساكنة والتنوين مع القاف.

2 - ترقيق الغنة:

- 1 - التاء نحو: ﴿أَنْ تَبُوءَ﴾/31، ﴿فَمَسْ تَابَ﴾/43← ترقيق غنة الإخفاء: النون الساكنة مع التاء.
- 2 - الجيم نحو: ﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾/24، ﴿الْإِنْجِيلَ﴾/48← ترقيق غنة الإخفاء: التنوين والنون الساكنة مع الجيم.
- 3 - الدال نحو: ﴿وَلَعِبَاءٌ ذَلِكَ﴾/60، ﴿عَنْ ذِكْرِ﴾/93← ترقيق غنة الإخفاء: التنوين والنون الساكنة مع الدال.
- 4 - الفاء نحو: ﴿طَيِّبًا بِأَمْسَحُوا﴾/7، ﴿يُنهِوُ﴾/66← ترقيق غنة الإخفاء: التنوين والنون الساكنة مع الفاء.
- 5 - الكاف نحو: ﴿فَمَسْ كَفَرَ﴾/14، ﴿بَرِيئاً كَذَّبُوا﴾/72← ترقيق غنة الإخفاء: النون الساكنة والتنوين مع الكاف.

المطلب الرابع: التفخيم والترقيق: الأداء والدلالة

للتفخيم عدّة معاني يمكن التعرف عليها من خلال: الأداء الصوتي له، أو من خلال السياق الوارد فيه الحرف المفخّم، ومن المعاني التي يؤديها التفخيم: التعظيم والتقدّيس، الارتفاع والعلو لارتفاع مؤخّر اللسان تجاه الحنك اللين أثناء النطق بالحرف المفخّم، القوّة والشدّة لما فيه من جهد عضوي، السمن والتغليظ، الامتلاء لامتلاء الفم بصدى الحرف المفخّم وغيرها، وفي المقابل نجد الترقيق والذي يناقضه في المعاني التي يؤديها فهو قد يدلّ على: الليونة والسهولة، الضعف والرّقة، النحافة والنحول،... ويمكن من خلال هذا التخريج البسيط أن نقف على بعض هذه الدلالات في الآيات الآتية:

❖ ترقيق "اللام" في كلمة "قُلُوبُهُمْ" في قوله تعالى: ﴿...وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً...﴾/14. وموضع الترقيق هنا يتماشى مع دلالاته، فإخلاف بني إسرائيل بعهود الله ونقضهم لمواثيقه سبحانه وتعالى ناتج أساساً عن ضعف الإيمان في قلوبهم، فهي صُلْبَةٌ لا تعي خيراً ولا تفعله، يقول الإمام "الطبري" في تفسير هذه الآية: «فلعلنا الذين نقضوا عهدي، ولم يفوا بميثاقي من بني إسرائيل بنقضهم ميثاقهم الذي واثقوني، وجعلنا قلوبهم قاسية غليظة يابسة عن الإيمان بي، والتوفيق لطاعتي، منزوعة منها الرأفة والرحمة»⁽¹⁾.

❖ تفخيم "اللام" في كلمة "يُصَلِّبُوا" عند قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا...﴾/35. في الآية زجر وترهيب وهذا يتماشى مع الشدّة والقوّة التي يميّز بها صوت "اللام" المفخّم لما يحتاج من جهد عضلي كبير أثناء النطق به، وما يزيد هذا المعنى تأكيداً وتثبيتاً كلمة "يُصَلَّبُوا"؛ ففي التصليب شدّة وقوة وغِلْظَةٌ، يقول "سيد قطب": «عقوبة المحارب قد تقع بمجرد الخروج وإخافة السبيل، لأنّ هذا إجراء وقائي المقصود منه أولاً منع وقوع الجريمة، والتغليظ على المفسدين في الأرض الذين يُرَوِّعون دار الإسلام ويُفزعون الجماعة المسلمة القائمة على شريعة الله في هذه الدار، وهي أجدر جماعة وأجدر دار بالأمن والطمأنينة والسلام»⁽²⁾.

❖ تفخيم "الراء" في كلمة "الحَرْبُ" عند قوله تعالى: ﴿...كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ...﴾/66. فمما لا شكّ فيه أنّ في الحرب شدّة وقوّة، بل هي الشدّة بعينها؛ وهذا مناسب مع دلالة تفخيم "الراء" التي يحتاج النطق بها، وهي على صفة التفخيم جهداً يفوق نطقها وهي على صفة الترقيق.

❖ تفخيم "لام" لفظ الجلالة في قوله عزّ وجلّ: ﴿...فَيَنْتَفِمْ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو بِنْتِقَامٍ﴾/97. من دلالات التفخيم كما أشرنا: التعظيم والتقدّيس؛ وفي تغليظ اللام في لفظ الجلالة دليل على تعظيم من قام بفعل الانتقام، فالله عزّ جلاله عظيم في ذاته، جليل في صفاته وأسمائه.

❖ ترقيق "الراء" في كلمة "تَغْفِرُ" عند قوله تعالى: ﴿إِن تَعَدَّيْتُمْ بَيْنَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾/120. يعتري أثناء نطق الراء المرفّعة شيئاً من الليونة والسهولة واللفظ، وفي هذا ما يتماشى مع دلالة ترقيق الراء في الكلمة السابقة، فهي هنا تدلّ على لطف الله بعباده ورحمته

(1) - الطبري: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج3، ص52.

(2) - سيد قطب: في ظلال القرآن، مج2، ج6، ص880.

الواسعة عليهم، على أنّ لطفه ورحمته لا تعني ضعفاً منه سبحانه وتعالى، بل إنّ مغفرته صادرة عن تمام عزّته وقدرته، لا كَمَنْ يغفر ويعفو عن عجز أو عدم قدرة.

المبحث الثالث: الوقف والابتداء

إنّ الوقف والابتداء من المسائل الأساسية في علم القراءات والتجويد، والتي ينبغي على قارئ القرآن الانتباه إليها والاهتمام بها، إذ لا يُفهم كلام الله عزّ وجلّ إلاّ بتحرّي الوقف والابتداء الجائزين، وخاصة أنّ معرفة الوقف والابتداء من معرفة الترتيل المأمور به في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْفُرْقَانَ تَرْتِيلًا﴾ المزمّل/4.

يقول "ابن جزري":

وَبَعْدَ تَجْوِيدِكَ لِلْحُرُوفِ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الْوُقُوفِ

والابتداء،..... (1).....

المطلب الأول: الوقف

وقبل أن نتناول الوقف بالدراسة والتحليل وجب علينا أولاً التعرف على "علم الوقف والابتداء"، فما المقصود به؟. وفيما تكمن أهميته؟.

❖ علم الوقف والابتداء

هو: «علم بقواعد يعرف بها محال الوقف، ومحال الابتداء في القرآن الكريم، ما يصح منها وما لا يصح»⁽²⁾. فواضح من خلال هذا التعريف أنّ لهذا العلم قوانين وقواعد واجبة على قارئ القرآن أن يأتي بها على وجهها المطلوب، ومن خلالها يمكن له معرفة الجائز والممنوع في الوقف والابتداء، وأمّا عن فائدة معرفة الوقف والابتداء فهو «صون النص القرآني من أن تنسب فيه كلمة إلى غير جملتها»⁽³⁾. وقد عرف هذا العلم، وخصوصاً على مستوى الشق الأول (الوقف) تعدداً مصطلحياً، يمكن الوقوف على بعضها كما يلي:

1 - أنواع الوقف:

يمكن تقسيم الوقف إلى أنواع عدّة لاعتبارات مختلفة:

أ/ أنواع الوقف من حيث المدى الزمني:

* القطع:

لغة:

(1) - ابن جزري: منظومة المقدمة الجزرية فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، ص8.

(2) - أيمن رشدي سويد: أطلس التجويد نظرية مرئية، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سورية، ط2، 1429هـ/2008م، ص 181.

(3) - المرجع نفسه، ص ن.

جاء في معجم "محيط المحيط": «قَطَعَ الصوف: جَزَّهُ، قَطَعَ رأسه: فصل بعضه عن بعض: قَطَعَ في قوله: جَزَمَ، بَثَّ، حَسَمَ (...)، وتقطعت الخمر: امتزجت وتقاطعا ضدَّ تواصلًا (...)، والقَطْعُ: إبانة بعض أجزاء الجسم فصلا (...)، والقَطْعُ: القطعة من الليل (...)، والقِطْعَةُ: الحصّة من الشيء، ج: قِطْعٌ...»⁽¹⁾.
وعليه فإنَّ القَطْعُ في اللغة يعني: الفصل(الحز) والإزالة والإبانة...

اصطلاحا:

هو: «قطع الصوت عن القراءة بنية عدم استئنافها، ويكون القطع على رؤوس الآي تامة المعنى، ونهايات السور والقصص، والأحكام والأحزاب والأرباع تامة المعنى وغير ذلك، ومعنى هذا أنّ القطع هو: إنهاء التلاوة والانصراف عنها إلى أمر آخر»⁽²⁾.

* السكت:

لغة:

يقول "بطرس البستاني" في باب السين في إطار شرحه لمادة "سكت": «سَكَتَ الرجل يَسْكُتُ سَكْتًا وسُكُوتًا وسُكَاةً وسَاكُوتَةً: صَمَتَ، وفصل بين نعمتين بلا نفس (...)، وأسَكَتَ الرجل: انقطع كلامه فلم يتكلم (...)، والسَكْتُ: مصدر والكثير السُّكُوتُ (...)، والسُّكُوتُ: إمساك عن قوله الحقّ، والصمت: إمساك عن قوله الباطل دون الحقّ»⁽³⁾. إذن فالسكت في اللغة: الصمت والامتناع عن الكلام.

اصطلاحا:

هو: «قطع الصوت عن القراءة زمنا يسيرا لا يُتَنَفَّسُ فيه بنية استئناف القراءة»⁽⁴⁾، والسكت بخلاف القطع يكون في «وسط الكلمة وفي آخرها»⁽⁵⁾.

* الوقف:

ورد في معجم "محيط المحيط": «...وَقَفَ أملاكه: حَبَسَهَا في سبيل الله، وَقَفَ نفسه عن أعمال الخير: انقطع، وَقَفَهُ عن الشيء: منعه عنه، وَقَفَ الأمر على حُضُورِهِ: عَلَّقَ الحكم فيه بحضوره، وَقَفَ عليه: غَايَنَهُ

(1) - بطرس البستاني: محيط المحيط، ج7، تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ/ 2009م، مادة "قَطَعَ".

(2) - أحمد بن أحمد بن محمد عبد الله الطويل: فنّ الترتيل وعلومه، ج2، ص 901.

(3) - بطرس البستاني: المصدر السابق، ج4، مادة "سَكَت".

(4) - أحمد بن أحمد بن محمد عبد الله الطويل: المرجع السابق، ص س.

(5) - محمد الصادق قمحاوي: البرهان في تجويد القرآن ويليهِ رسالة في فضائل القرآن، ص29.

وَوَقَفْتُ الدَّابَّة: تَقِفُ وَقْفًا وَوُقُوفًا: دامت قائمة وسكنت»⁽¹⁾.

وعليه فإنّ الوقف في الدلالة اللغوية يحيل على معنى: الكفّ والحبس.

اصطلاحاً: وهو «قطع الصوت عن الكلمة (أو القراءة) زمناً يمكن التنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله لا بنية الإعراض عن القراءة»⁽²⁾، ويأتي في: «رؤوس الآي وأوسطها، ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسماً»⁽³⁾.

ويحدّد "محمد حسين علي الصّغير" المقياس الفني للوقف قائلاً: «أنّ الكلام إذا كان متعلّقاً بما بعده فلا يوقف عليه، وإن لم يكن كذلك فالمختار الوقوف عليه»⁽⁴⁾. أمّا عن وظيفة الوقف ففيها يقول: "خالد بني دومي": «... إنّ الوقفات أو السكتات الصوتية التي يأتي بها القارئ خلال أدائه تعدّ فونيمات تقوم بدور وظيفي في تحديد دلالات ما يُنطَقُ به»⁽⁵⁾.

ملاحظة هامة:

"تعانق الوقف" مصطلح أطلقه علماء الضبط والوقف والابتداء على حالة تتالي الوقوف، بحيث إذا وقف على أحد الموضوعين لا يصحّ الوقف على الآخر وعلامته (-- --)⁽⁶⁾. ومن مواضع هذه الحالة في سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ 26/، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا مَحْزَنَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَقْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ...﴾ 41/.

ويمكن تلخيص هذه الأقسام الثلاثة كما نصّ عليها علماء القراءات في المساواة الآتية:

● القطع = قطع الصوت + إنهاء التلاوة.

- (1) - بطرس البستاني: محيط المحيط، ج9، مادة "وَقَفَّ".
- (2) - عبد الفتاح عبد الغني القاضي: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، صص 173، 174.
- (3) - عزت شحاتة كرار: الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1424هـ/2003م ص16.
- (4) - محمد حسين علي الصّغير: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرّخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م، ص106.
- (5) - خالد قاسم بني دومي: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص99.
- (6) - المرجع نفسه، ص ن.

• السكت = قطع الصوت + استئناف القراءة دون تنفس.

• الوقف = قطع الصوت + استئناف القراءة مع التنفس.

ب/ أنواع الوقف بالنظر إلى الباعث عليه:

نمّيز للوقف بالنظر إلى سببه بين الأنواع الآتية:

* **الوقف الاختياري:** وهو الوقف الذي «يَعْمَدُ القارئُ إليه بمحض اختياره وإرادته، لملاحظة معنى الآيات وارتباط الجمل وموقع الكلمات، دون أن يَعْرضَ له ما يقتضي الوقف من عذر أو ضرورة، أو تعلّم حكم أو إجابة عن سؤال»⁽¹⁾.

* **الوقف الاختباري:** وهو: «ما كان لبيان رسم، وذلك لمعرفة المقطوع والموصول والثابت والمخذوف وهو خاص بالتعلّم، ويحصل هذا خلال تعلّم قراءة القرآن الكريم بهدف اختبار المتلقي»⁽²⁾.

* **الوقف الانتظاري:** وهو: «الوقف على الكلمة التي قرئت بأكثر من وجه، لاستيعاب ما بها من أوجه وهو خاص بتعلّم القراءة الصّحيحة أيضاً»⁽³⁾.

* **الوقف الاضطراري:** وهو: «الذي يَعْرضُ للقارئ بسبب ضرورة أبحاثه إلى الوقف، كضيق النفس أو العُطاسُ أو العيِّ، أو النسيان وما إلى ذلك، وحينئذ يجوز له الوقف على أيّ كلمة كانت وإن لم يتم المعنى، وبعد ذهاب هذه الضرورة التي أبحاثه إلى الوقف على هذه الكلمة، يبتدئ منها ويصلها بما بعدها إن صلّح البدء بها، وإلاّ فيبتدئ بما قبلها بما يصلح البدء به، كما في الوقف الاختباري»⁽⁴⁾.

ج/ أنواع الوقف بالنظر إلى التعلق اللفظي والمعنوي:

إنّ جميع أنواع الوقف التي يمكن الحصول عليها من خلال هذا الاعتبار تندرج تحت الوقف الاختياري، هذا الأخير الذي ينقسم باعتبار حكمه قسمين: الجائز ويشمل: التام، الكافي، الحسن، وغير الجائز ويشمل القبيح وما هو أقرب منه، وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم الوقف بهذا الاعتبار إلى الأقسام التالية:

* **الوقف التام:** هو الذي «يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، ولا يكون بعده ما يتعلّق به...»⁽⁵⁾. فالتمام بكلّ

(1) - محمود خليل الحصري: أحكام قراءة القرآن الكريم، ص 253.

(2) - عبد الله عبد القادر حيلوز: الميسر المفيد في علم التجويد، ص 113.

(3) - المرجع نفسه، ص ن.

(4) - عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي: هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، ص 368.

(5) - أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي: كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجل، ج 1، تح: محيي الدّين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، دط، 1391هـ/ 1971م، صص 149، 150.

بساطة هو الوقوف على كلمة قرآنية ليس بينها وبين ما بعدها تعلق لفظي ولا معنوي، وعليه فيجوز الوقوف عليها، كما يجوز الابتداء بما بعدها.

ومن أمثلة هذا الوقف في سورة المائدة النماذج التالية:

- الوقف على الكلمات التالية: [رِضْوَانَا، فَاصْطَادُوا، تَعْتَدُوا، الْعُدْوَانَ، الْعِقَابِ] في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَكَيْدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّفْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾/3.

- الوقف على الكلمتين التاليتين: [نَذِيرٌ، قَدِيرٌ] في قوله تعالى: ﴿...بَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾/21.

- الوقف على قوله تعالى: "فَهُوَ كَقَارِءٍ لَّهُ" وكذا الوقف على كلمة: "الظَّالِمُونَ" في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ فِصَاصًا مِّمَّن تَصَدَّقَ بِهِ ءَهُوَ كَقَارِءٍ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾/47.

- الوقف على الكلمات التالية: [الرُّسُلَ، لِطَعَامٍ، الْآيَاتِ، يُوبِقُونَ] في قوله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُتِيَتْهُ صِدْقَةٌ مِّنَّا كَانَا يَآكُلِينَ لِطَعَامٍ أُنظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أُنظِرْ أَبْنَىٰ يُوبِقُونَ﴾/77.

- الوقف على كلمة: "الْجَحِيمِ" في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ءُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾/88.

- الوقف على الكلمات التالية: [الْأَيْمَنَ، رَفَبَةً، حَلَفْتُمْ، تَشْكُرُونَ] في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ مِمَّا ءُيْمِنُكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَفَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكُفِّرَتْهُ ءِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِّن أَوْسَطِ مَا تُثَلِّمُونَ أَهْلِيكُمْ ءِ أَوْ كِسْوَتُهُمْ ءِ أَوْ تَحْرِيرُ رَفَبَةٍ مِّمَّن لَّمْ يَجِدْ بِصِيَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّرَ ءُيْمِنَكُمْ ءِ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْبَلُوا ءُيْمِنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءِ

ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿91﴾.

- الوقف على الكلمتين التاليتين: [وَبِرَسُولِي، مُسْلِمُونَ] في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾/113.

- الوقف على كلمة: "قَدِيرٌ" في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾/122.

مع الإشارة هنا إلى أن الابتداء في جميع النماذج المذكورة وسواها ابتداء جائز؛ أي يجوز الابتداء بالكلمة التي تلي الكلمة الموقوف عليها وفقاً تماماً مباشرة دون أن يؤثر ذلك على المعنى.

* **الوقف الكافي:** هو «ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، إلا أن له به تعلقاً ما من جهة المعنى، فهو منقطع لفظاً متصل معنى، وسمي كافياً لاكتفائه واستغنائه عما بعده واستغناء ما بعده عنه، وعلامته أن يكون ما بعده مبتدأً أو فعلاً مستأنفاً أو مفعولاً لفعل محذوف أو نفيًا أو استفهاماً، أو إن المكسورة، أو بل أو ألاً المخففة أو السين، أو سوف أو غير ذلك...»⁽¹⁾. وهو بكل بساطة الوقف على كلمة قرآنية بينها وبين ما بعدها تعلق معنوي لا لفظي، وله نفس حكم الوقف التام؛ أي يوقف عليه ويتدئ بما بعده، ومن أمثلة هذا الضرب من الوقوف في سورة المائدة النماذج التالية:

- الوقف على الكلمات التالية: [الْمَيْتَةَ، الدَّم، الْخِنْزِيرِ، بِهِ، الْمُنْخِفَةَ، الْمَوْفُودَةَ، الْمُرَدِّيَةَ النَّطِيحَةَ، السَّبْعُ، ذَكَيْتُمْ، النُّصْبِ...] على الترتيب في قوله تعالى: ﴿حَرِّمْتُ عَلَيْكَ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَالْحَمَّ وَالْخِنْزِيرَ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخِفَةَ وَالْمَوْفُودَةَ وَالْمُرَدِّيَةَ وَالنَّطِيحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصْبِ وَأَنْ...﴾/4.

- الوقف على الكلمات التالية: [الطَّيِّبَتُ، لَكُمْ، لَهُمْ، الْمُؤْمِنَتِ، مُسَلِّحِينَ،...] في قوله تعالى: ﴿إِنِّيَوْمَ جِئْتُمُ الطَّيِّبَتِ وَطَعَامَ الَّذِينَ ءَاثَرُوا الْكِتَابَ جِئْتُمُ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ ءَاثَرُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذْ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَلِّحِينَ...﴾/6.

- الوقف على الكلمات التالية: [أَحِبُّوهُ، يَشَاءُ، الْأَرْضِ] في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى

(1) - أبو عبد الرحمن عاشور خضراوي الحسني: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 77.

نَحْنُ أُنَبِّئُوكُمُ اللَّهُ وَأَحْبَبُّوهُ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿20﴾.

- الوقف على: [اللَّهِ، أَلْوَسِيلَةَ] في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَقْوَى اللَّهِ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ أَلْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾/37.

- الوقف على: [ثَلَاثَةٌ، وَاحِدًا] في قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَالَتْ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾/75.

- الوقف على: [الصَّيْدَ، سَلَفَ، ...] في: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَفْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ فَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدِيًّا بَلِغَ الْكَعْبَةَ أَوْ كَبْرَةَ طَعَامٍ مَسْلُكِينَ أَوْ عَدْلَ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَاقِبَةُ أَلْوَسِيلَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَفِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو بِنْتِقَامٍ﴾/97.

- الوقف على الكلمات التالية: [لِلنَّاسِ، الْحَرَامِ، الْهَدْيِ، الْفَلَكِيدِ، السَّمَاوَاتِ، الْأَرْضِ] في قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْفَلَكِيدَ ذَلِكَ لِيَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾/99.

* الوقف الحسن: هو الذي «يحسن الوقوف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به تعلقاً معنوياً كتعلق المتأخر بالمتقدم من حيث المعنى لا الإعراب، كالإخبار عن حال المؤمنين، أو حال الكافرين، أو تمام قصة أو تعلقاً لفظياً، من حيث الإعراب لكونه صفة له، أو معطوفاً عليه وغيرهما...»⁽¹⁾. وباختصار فإن هذا القسم يعني الوقف على كلمة قرآنية بينها وبين ما بعدها تعلق من حيث اللفظ والمعنى، إلا أن الوقف عليها يعطي معنى تاماً، فيوقف عليه، ولا يُبتدأ بما بعده، إلا أن يكون رأس آية. ومن نماذج الوقف الحسن في نص سورة المائدة الأمثلة التالية:

- الوقف على كلمة: "الْأَنْعَمُ" في قوله تعالى: ﴿...حِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَمِ إِلَّا مَا يُتْبَلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ...﴾/2؛ فلفظة: "الْأَنْعَمُ" تعلق بما بعدها لفظاً ومعناً، لأنها مستثنى وما بعدها مستثنى منه.

(1) - هادي نحر: علم الدلالة التطبيقي (في التراث العربي)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، وجدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط 1429هـ/2008م، صص 48، 49.

- الوقف على كلمة "تَعْدِلُوا" في: ﴿...وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا إِبْدِلُوا هُوَ أَفْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ...﴾/9.

- الوقف على الكلمات التالية: [عَلَيْهِمَا، أَلْبَابَ، غَلِبُونَ] في قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾/25.

ملاحظة: الوقف على لفظه "أَلْبَابَ" في الآية السابقة: حكاية، ولا يتم الوقف على الحكاية دون المحكي.

- الوقف على كلمة: "عَظِيمٌ" الواقعة رأس آية (35)، والابتداء بما بعدها ابتداءً جائزاً استثناءً، لأنّ الكلمة الموقوف عليها رأس آية: ﴿...وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ...﴾/36؛ ذلك أنّه لا يجوز الوقف على المستثنى منه دون المستثنى.

ملاحظة: إنّ الآية 35 تنتهي بتنغيم صاعد، على الرغم من أنّ المقام مقام إخبار؛ وذلك لكون الآية متعلّقة لفظاً ومعناً بما بعدها، أي أنّ الآية غير تامة في معناها، وسيأتي لاحقاً التفصيل في هذه المسألة إن شاء الله تعالى.

- الوقف على: [أَوْلِيَاءَ، بَعْضٍ] في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾/53.

- الوقف على: [رُسُلًا، كَذَّبُوا] في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنَّا لِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ بَرِيفًا كَذَّبُوا وَبَرِيفًا يَفْتُلُونَ﴾/72.

- الوقف على: [صِدْفُهُمْ، وَرَضُوا عَنْهُ] في قوله عز وجل: ﴿قَالَ اللَّهُ هَلْذَا يَوْمَ يَنْبَغُ الصّٰلِفِينَ صِدْفُهُمْ لَهُمْ جَنَّتْ تَجْرِمُ مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾/121.

* الوقف القبيح: وهو «الوقف على ما لم يتم في نفسه، وذلك لتعلّقه بما بعده لفظاً ومعنى، كالوقف على ما يغيّر المعنى، نحو: الوقف على كلمة "فقير" من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ

وَنَحْنُ أَغْنِيَاءٌ ﴿١٨١﴾ آل عمران/181⁽¹⁾، وهو مثل الحسن؛ أي الوقف على كلمة قرآنية بينها وبين ما بعدها تعلق من حيث اللفظ والمعنى، غير أنه يخالفه في كون الوقف على الكلمة يعطي معنى ناقصا أو خاطئا، وعلى هذا لا يعتمد الوقف عليه فإن وقف القارئ مضطرا أعاد. ومن أمثلة الوقف القبيح في سورة المائدة النماذج التالية:

لا يجوز الوقف على ما يوهم خلاف المعنى المراد، كما أنه لا يجوز الوقف على ما يمكن أن يؤدي إلى سوء الأدب مع الله نحو:

- الوقف على كلمة: "الْمَسِيحُ" في قوله تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ /19+74.

- الوقف على كلمة: "نَذِيرٍ" في قوله تعالى: ﴿...مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ...﴾ /21.

- الوقف على كلمة: "فَلَوْبَهُمْ" في قوله تعالى: ﴿...لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ فُلُوبَهُمْ...﴾ /43.

- الوقف على كلمة: "لَا يَهْدِي" في قوله تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي...﴾ /53+69، وقوله أيضا: ﴿...وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ﴾ /110.

- الوقف على كلمة: "مَغْلُوبَةٌ" في قوله تعالى: ﴿...يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ...﴾ /66.

- الوقف على كلمة: "ثَلَاثَةٌ" في قوله تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ...﴾ /75.

- الوقف على كلمة: "إِلَهِ" في قوله تعالى: ﴿...وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ...﴾ /75؛ لأنه لا يجوز الوقف على النفي الذي بعده إثبات قبل ذكر الإثبات. وغيرها من النماذج الكثيرة والمتعددة.

وخلاصة لما سبق يمكن أن نجعل للوقف أربع مراتب وهي⁽²⁾:

1 - تام مختار: وهو ألا يتصل ما بعد الوقف بما قبله، لا لفظا ولا معنى.

2 - كافٍ جائز: وهو أن يتصل ما بعد الوقف بما قبله معنى لا لفظا.

3 - حسن مفهوم: وهو ألا يتصل ما بعد الوقف بما قبله معنى، ويتصل لفظا.

4 - قبيح متروك: وهو أن يتصل ما بعد الوقف بما قبله لفظا ومعنى.

(1) - مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية، ص 133.

(2) - أبو عبد الرحمن عاشور حضراوي الحسني: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 78.

د/ أنواع الوقف بالنظر إلى ما يوقف به من سكون، أو إبدال، أو حذف، أو نحوها:

* **الوقف بالتضعيف:** وهو «أن تشدد الحرف الموقوف عليه بأن تزيد عليه حرفاً مثله، فيلزم الإدغام نحو: هذا خالد، وهذا التضعيف من زيادات الوقف، وأكثر ما استعملوه في القوافي»⁽¹⁾.

* **الوقف بالقلب:** أو ما يسمّى بـ الإبدال، وذلك نحو إبدال تاء التأنيث في الاسم هاء، تقول في كلمة "السَّارِقَةُ" مثلاً في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ...﴾ المائدة/40: "السَّارِقَةُ"، أو بإبدال آخر الاسم المنون المنصوب ألفاً (مدّ العوض)، فتقول مثلاً عند الوقف على كلمتي: [كَهْلًا + طَيْرًا] الواردتان في الآية 112 من سورة المائدة: [كَهْلًا + طَيْرًا]، أو بإبدال نون التوكيد الخفيفة ألفاً نحو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ جَنَّةً وَلَيْكُونًا﴾ يوسف/32، وإبدال نون (إذن) ألفاً⁽²⁾.

* **الوقف بالحذف:** ويكون في أربعة أشياء⁽³⁾:

• حذف التنوين المرفوع والمجرور: فيوقف على الحرف المنون بالسكون بعد حذف التنوين نحو: ﴿عَفْوَرٌ

رَّحِيمٌ﴾ المائدة/41، و﴿جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ إبراهيم/15.

• حذف صلة ميم الجمع "عند الوقف على الميم" في مثل قوله تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ﴾ المائدة/51 فتقرأ وقفاً: "بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ".

• حذف صلة هاء الضمير "عند الوقف على هاء الضمير" في ﴿يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ﴾ المائدة/56.

• حذف الياءات الزوائد "عند الوقف على العين" في ﴿دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ البقرة/186.

* **الوقف بالنقل:** أو ما يسمّى بالإتباع، وهو عبارة عن: «تسكين الحرف الأخير، ونقل حركته إلى الحرف الذي قبله، وشرطه: أن يكون ما قبل الآخر ساكناً قابلاً للحركة نحو: "هذا الضَّرْبُ" و"رأيت الضَّرْبُ" و"مررت بالضَّرْبُ"، فإن كان ما قبل الآخر محرّكاً لم يوقف بالنقل كـ: "جَعْفَرُ"، وكذا إن كان ساكناً لا يقبل الحركة كالألف

(1) - هادي نحر: علم الأصوات النطقي، ص 231.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

(3) - ينظر: عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، صص 161، 162.

نحو: "بَاب"، "إِسْنَانٌ"»⁽¹⁾.

2 - أغراض الوقف:

إنّ الوقف على الكلمة القرآنية من شأنها أن تحقّق الأغراض الآتية⁽²⁾:

1 - التنفس واكتساب أكبر كميّة ممكنة من الهواء.

2 - التهيؤ للمعنى المقبل وتصويره.

3 - الخروج من الروي الواحد، لتفادي الرتابة وإرضاءً للذوق العام.

4 - استثارة السامع وتشويقهم.

5 - دفع اللبس والإبهام.

ويمكن أن نحصر الغاية من الوقف في اللغة «لتمام الغرض من الكلام، ولتمام النظم من الشعر، ولتمام

السجع في النثر»⁽³⁾.

المطلب الثاني: الابتداء

1 - تعريف الابتداء:

أ/ لغة:

جاء في معجم "أساس البلاغة": «بَدَأَ اللهُ الخلق وابتدأه، وكان ذلك في بدء الإسلام ومُبتدأ الأمر، وافعل هذا بدءًا وبَدِئَ بَدِئًا وبَدِئَ بَدِئًا، وافعله بدءًا مَّا: تريد أوّل شيء، وهاتما من ذي تُبَدِّئُ: أي أعِدّ الكلمة أو القصّة من أولها، وأبَدَأَ في الأمر وأعاد، والله المبدئُ المعيد...»⁽⁴⁾.

فالابتداء في اللغة يحيل على معنى البداية والعودة من جديد (العودة من البداية).

ب/ اصطلاحاً:

الابتداء في عرف القراء هو: «الشروع في القراءة بعد قطع أو وقف، فإذا كان بعد القطع فيتقدّمه الاستعادة، ثمّ البسملة إذا كان الابتداء من أوائل السور، وإذا كان من أثنائها فللقارئ التخيير في الإتيان بالبسملة أو عدم الإتيان بها بعد الاستعادة. أمّا إذا كان الابتداء بعد الوقف فلا تتقدّمه الاستعادة ولا البسملة، لأنّ

(1) - بهاء الدّين أبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيلي: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج2، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ / 2004م، ص 224.

(2) - نجاة علي: فن الإلقاء بين النظرية والتطبيق، ص 151.

(3) - محمد منال عبد اللطيف: المدخل إلى علم الصرف، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 1420هـ / 2000م، ص 83.

(4) - الزمخشري: أساس البلاغة، مادة بَدَأَ.

القارئ في هذا الحال يعتبر مستمرا في قراءته، وإنما وقف ليريح نفسه، ثم يستأنف القراءة، أما إذا كان مستمرا في قراءته، إلى أن وصل إلى آخر السورة، ثم قصد الشروع في السورة التالية فييسمّل لمن له البسملة»⁽¹⁾.

2 - أنواع الابتداء:

جاء في "الإتقان في علوم القرآن" لجلال الدين السيوطي " ما يلي:

إذا كان الوقف اختياريا واضطراريا وغيره، فإنّ الابتداء لا يكون إلا اختياريا؛ لأنّه ليس كالوقف تدعو إليه ضرورة، فلا يجوز إلاّ بمسقلّ بالمعنى موفّ بالمقصود، وهو في أقسامه كأقسام الوقف الأربعة، ويتفاوت تماما وكفاية وحسنا وقبحا، بحسب التمام وعدمه وفساد المعنى وإحالتة، نحو الوقف على ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ البقرة/8 فإنّ

الابتداء بـ: ﴿النَّاسِ﴾ قبيح، وبـ: ﴿وَمِنَ﴾ البقرة/8 تام، فلو وَقَفَ على ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ البقرة/8، كان الابتداء

بـ: ﴿يَقُولُ﴾ أحسن من ابتدائه بـ: ﴿مَنْ﴾. وكذا الوقف على ﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾ البقرة/7 قبيح، والابتداء بـ:

﴿اللَّهُ﴾ أقبح وبـ: ﴿خَتَمَ﴾ كافٍ، والوقف على ﴿عَزَّيْرُ بْنُ﴾ و﴿الْمَسِيحُ بْنُ﴾ التوبة/30 قبيح والابتداء

بـ: ﴿بِئْسَ﴾ أقبح، و بـ: ﴿عَزَّيْرُ﴾ و﴿الْمَسِيحُ﴾ أشدّ قبحا، ولو وَقَفَ على ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ﴾

الأحزاب/22 ضرورة، كان الابتداء بالجلالة قبحا، وبـ: ﴿وَعَدَنَا﴾ أقبح منه، وبـ: ﴿مَا﴾ أقبح منهما. وقد

يكون الوقف حسنا والابتداء به قبيحا نحو: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ الممتحنة/1، الوقف عليه حسن

والابتداء به قبيح لفساد المعنى، إذ يصير تحذيرا من الإيمان بالله وقد يكون الوقف قبيحا، والابتداء جيّدا نحو:

﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْفِدِنَا هَذَا﴾ يس/52، والوقف على ﴿هَذَا﴾ قبيح لفصله بين المبتدأ وخبره، ولأنّه يؤهّم أنّ

الإشارة إلى المرقد، والابتداء بـ: ﴿هَذَا﴾ كافٍ، أو تام لاستثناؤه⁽²⁾.

بناء على هذا الكلام فإنّ للابتداء أربعة أنواع (أقسام) مثل الوقف من حيث تعلّقه بما قبله لفظا أو معنّا

أو كلاهما معا. وهي: التام، الكافي، الحسن والقبيح وألحق بهذا الأخير ما هو أقبح وأشدّ قبحا منه، وعلى هذا

الأساس يمكن أن نجعل الابتداء على قسمين: جائز ويشمل: التام والكافي والحسن في بعض حالاته، وممنوع

(1) - عبد الفتاح السيّد عجمي المرصفي: هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، مج1، ص392.

(2) - المحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط ومصطفى شيخ مصطفى مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/2008م، ص182.

ويشمل الحسن والقبیح والأشدّ قبحا، وهو الذي لا يفهم منه المراد، كالابتداء بالفاعل دون الفعل مثلا، أو كالابتداء بما يوهم خلاف المعنى المراد، وخاصة إذا أحال المعنى إلى ما لا يليق والعياذ بالله. وفيما يأتي بعض نماذج الابتداء بنوعيه في سورة المائدة:

أ/ الابتداء الجائز: ويكون بعد الوقف التام أو الكافي. ومن أمثله في سورة المائدة النماذج التالية:

- الوقف على: ﴿... وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾/21 تام، والابتداء بما بعده: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾/22 ابتداء جائز.

- الوقف على "الطّيّبات" في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَجِلُّ لَكُمْ الطّيّبَت...﴾/6، والابتداء بـ: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أَهْوَتْ وَأَكْتَبَ جِلِّ لَكُمْ...﴾ ابتداء جائز.

- الوقف على "الرّسل" في قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرّسل...﴾/77 تام، والابتداء بـ: ﴿... وَآمَنَهُ صِدْيْقَةً كَانَا يَأْكُلُ الطّعَامَ...﴾/77 ابتداء جائز.

أما الابتداء بالكلمة التي تلي الكلمة الموقوف عليها وقفا حسنا، فإنّه ابتداء غير جائز إلا إذا كان رأس آية ومن ذلك في هذه السورة قوله تعالى: ﴿... لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾/35 فالوقف على كلمة "عَظِيم" ليس بوقف تام، وإن كانت آخر كلمة في الآية، بل هو حسنٌ لتعلّق الكلمة بما بعدها لفظا ومعنا كما أشرنا؛ إذ لا يمكن الوقف على المستثنى منه دون المستثنى، ولكون الوقف الحسن هنا قد وقع رأس آية، كان الابتداء - استثناء - بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَفْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾/36 ابتداء جائز.

ب/ الابتداء الممنوع (غير الجائز): وهو حسن وقبيح ويدخل في هذا الأخير ما هو أقبح وما هو أشدّ قبحا نحو:

- الوقف على لفظة: "الأنعم" في قوله تعالى: ﴿... أَجِلُّ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَم...﴾/2، وقف حسن والابتداء بالمستثنى غير جائز في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُجِلِّ للصّيد...﴾، ومثله الوقف على كلمة: "السّبُع" في قوله تعالى: ﴿... وَمَا أَكَلِ السّبُع...﴾/4، لأنّ الوقف عليه يجعل المعنى وكأنّه

انتهى، وليس في المسألة استثناء ولا يجوز كما ذكرنا الوقف على المستثنى منه دون المستثنى، كما لا يجوز الابتداء بـ: ﴿إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ...﴾.

– الوقف على كلمة: "الْمَسِيحُ" عند قوله: ﴿... إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾/19 قبيح، لأنه قد يوهم خلاف المعنى المراد، فضلا عن سوء التأدب مع الخالق عز وجل، والابتداء بـ: ﴿... إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ دون ذكر: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا...﴾ ابتداء ممنوع، كما أنّ الابتداء بـ: ﴿... ابْنُ مَرْيَمَ فَلْ قَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً...﴾ ابتداء غير جائز، كما أنّ الابتداء بـ: ﴿... اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ ابتداء أشد قبحاً. ومثله الوقف على كلمة: "مَغْلُوبَةٌ" وقف قبيح، والابتداء بـ: ﴿... يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ...﴾/66 ابتداء أشد قبحاً لأنه ممنوع دون ذكر ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ...﴾، كما أنّ الابتداء بـ: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا...﴾ ابتداء غير جائز.

– الابتداء بـ: ﴿... فَمَا بَلَغَتْ رَسُولِيَّهَ...﴾/69 ممنوع دون ذكر: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ...﴾.

– الابتداء بـ: ﴿... إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ...﴾/75 غير جائز لما فيه من سوء الأدب مع الخالق عز وجل، وذلك دون ذكر عبارة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا...﴾.

– الابتداء بـ: ﴿لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَقُومُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾/86 غير جائز إذا لم يبدأ القارئ من: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ...﴾.

المطلب الثالث: أهمية الوقف والابتداء

يمكن القول بناء على ما سبق ذكره إنّ أهمية الوقف والابتداء تتمثل في جانبين مهمّين: «الأول تبيين معاني القرآن العظيم، وتعريف مقاصده، وإظهار فوائده. والآخر تبيين أوجه التأويل تبعاً لاختلاف أماكن الوقف والابتداء»⁽¹⁾.

(1) – خالد قاسم بني دومي: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص 91.

المبحث الرابع: الإبدال والإعلال

المطلب الأول: الإبدال

1 - تعريف الإبدال:

أ/ لغة:

جاء في التعريف اللغوي للإبدال: «بَدَل: الباء والداد واللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب، يقال: هذا بَدَلُ الشيء وبَدِيلُهُ، ويقولون: بَدَّلْتُ الشيء: إذا غَيَّرْتَهُ وإن لم تأت له بِبَدَلٍ (...). وَأَبْدَلْتُه: إذا آتيت له بِبَدَلٍ»⁽¹⁾. إذن فالإبدال في اللغة يعني: تغيير شيء بشيء آخر غيره.

ب/ اصطلاحاً:

اتفق جميع العلماء واللغويين على أنّ الإبدال في معناه الاصطلاحي تغيير حرف بحرف آخر غير الحرف المبدل، وذلك بعد حذف الأول وإحلال الحرف الثاني محله، سواء أكان الحرفان المبدلان حرفان صحيحان، أم أحدهما حرف علة والآخر صحيح، مع الحفاظ على بقية الحروف الأخرى المكونة للكلمة المبدل منها حرف واحد، وفيما يلي عرض لبعض هذه التعريفات:

* تعريف "سعيد محمد شواهنة" الإبدال عنده هو: «جعل حرف مكان آخر لسبب ظاهر حسب ما يقرره السياق والنظام اللغوي، ما بين القواعد الصوتية والظواهر الموقعية من خلال البنى المختلفة»⁽²⁾.

* تعريف "محمد بافضل": وهو: «جعل مُطْلَقُ حرفٍ مكان حرفٍ آخر، ومن هنا كان الإبدال أعمّ من الإعلال، إذ كلّ إعلال يسمّى إبدالاً، ولا يسمّى كلّ إبدال إعلالاً»⁽³⁾.

* تعريف "عبد القادر الفاخرى": يسمّه الاشتقاق الأكبر وهو في تصوّره عبارة عن: «ظاهرة صوتية تعرض لبعض أصوات العربية، تقوم على: إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة»⁽⁴⁾.

* تعريف "عبد الغفار حامد هلال": هو: «إبدال حرف واحد، وجعله مكان حرف آخر من كلمتين اتحدتا في

(1) - أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، مج1، مادة بَدَل.

(2) - سعيد محمد شواهنة: القواعد الصرف صوتية بين القدماء والمحدثين، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1428هـ/2007م ص75.

(3) - صباح عبد الله محمد بافضل: الإعلال والإبدال بين النظرية والتطبيق، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1418هـ/1997م، ص

4.

(4) - صالح سليم عبد القادر الفاخرى: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 158.

المعنى»⁽¹⁾.

* تعريف "مصطفى الغلاييني" الإبدال هو: «إزالة حرف ووضع آخر مكانه، فهو يشبه الإعلال من حيث إنّ كلاً منهما تعيّر في الموضوع، إلا أنّ الإعلال خاصّ بأحرف العلة، فيقلب أحدهما إلى الآخر، أمّا الإبدال فيكون في الحروف الصّحيحة يجعل أحدهما مكان الآخر، وفي الأحرف العليّة يجعل مكان حرف العلة حرفاً صحيحاً»⁽²⁾.

فهذه التعريفات أبرزت الدلالة الاصطلاحية لظاهرة الإبدال، وكذا علاقته بظاهرة الإعلال.

2 - أحرف الإبدال:

يكون الإبدال بين أحرف تسعة يمكن استبدال أحدها بالآخر، وهذه الأحرف هي: الهمزة، الواو، الياء، الألف، الهاء، الدال، التاء، الميم والطاء، ولكلّ حرف شروطه لإبداله من سواه⁽³⁾، هذا وسيتم التفصيل في مواطن الإبدال وحالاته في الجانب التطبيقي الخاص بظاهرة الإبدال في سورة المائدة.

3 - شرط الإبدال:

يُشترط في الحروف المبدلة أن تكون متقاربة في مخرجها أو صفاتها أو كلاهما معاً، وإلاّ امتنع الإبدال وهذا تحقيقاً لغاية واحدة ووحيدة وهي المشاكلة والمماثلة بين أصوات اللغة العربية قصد التخفيف في النطق، وفي هذا يقول "عبد البديع النيرباني": «شرطه أن يكون فيما تقارب من الأصوات في المخارج أو الصفات وأمّن فيه اللبس، لذا كرهوا الإبدال بعد الإبدال»⁽⁴⁾.

ويشاطره الرأي "عادل العبيدي" حيث يقول: «الأصل في الإبدال أن يكون فيما تقارب وتداين من الحروف، وهذا قائم على اختلاف اللغات، وحيث الغرض منه إرادة الحفّة والمجانسة»⁽⁵⁾.

(1) - عبد الغفار حامد هلال: الصوتيات اللغوية دراسة تطبيقية على أصوات اللغوية العربية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 1430هـ/2009م، ص 377.

(2) - مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، ج2، تح: مجدي فتحي السيّد، دار التوفيقية للتراث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط 1431هـ/2010م، ص 227.

(3) - ديزيره سقال: الصرف وعلم الأصوات، دار الصداقة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ/1996م، ص 140.

(4) - عبد البديع النيرباني: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، ص 127.

(5) - عادل هادي حمّادي العبيدي: الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدريّ البصري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1 1425هـ/2005م، ص 48.

4 - الأصل والفرع في الإبدال:

يُعرَّفُ الأصل من الفرع في الإبدال بأنَّ الآخر أخفّ من الأول، وأنَّه يحقّق من التجانس ما لا يحقّقه الأول، ويُعرَّفُ الأصل من الفرع في الإبدال أيضا بسعة تصرّف الأول إذا ما قورن بالآخر⁽¹⁾.

5 - أنواع الإبدال:

يحدّد "سليمان السحيمي" في تعريفه للإبدال أنواع هذه الظاهرة اللغوية فيقول: «الإبدال هو جعل حرف بدل حرف آخر من الكلمة، وفي موضعه منها لعلاقة صوتية بين الحرفين، وقد قسّمه العلماء قسمين هما: الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي، فالأول هو الإبدال اللازم الضروري القياسي المطرد وحروفه ثمانية هي: الطاء الواو، الياء، التاء، الدال، الألف، همزة الميم، وأما الثاني فهو غير ضروري ويقع في جميع حروف الهجاء، ويطلق عليه اسم الإبدال غير الشائع»⁽²⁾. وعليه فإنّ الإبدال نوعين: إبدال تصريفي، وآخر لغوي فالأول هو: «ما لو لم يُبدل أوقع: إمّا في الخطأ وإمّا في مخالفة الأكثر»⁽³⁾، والآخر هو: «ما لو لم يُبدل لم يوقع في الخطأ ولا في مخالفة الأكثر»⁽⁴⁾. الأول يسمى: الإبدال الشائع، الإبدال القياسي، الإبدال الضروري، الإبدال اللازم، الإبدال المطرد الإبدال الصرفي،... أمّا الآخر فيسمّى: الإبدال الاشتقائي، الإبدال الأكبر، المضارعة، المعاقبة،...⁽⁵⁾.

6 - غايتنا الإبدال:

الإبدال من الأقسام الذي يُعنى بدراستها "علم الأصوات الوظيفي"، وهو ظاهرة لغوية تتعلّق أساسا بالتخفيف الصوتي وتقليل الجهد في الأداء، وبهذا تدعو الضرورة للحوء إليه تجنّبا للصعوبة العضوية الناتجة من عدم تجانس الحروف، أو تجنّبا للثقل الناتج من تجاوز صوتين في النطق وفق ما يقرّره المقام والسياق اللغوي، وهذا ما يؤكده "علي ناصر غالب" في قوله: «إنّ عملية الإبدال تهدف إلى التقريب بين الصوتين المتجاورين، وتسهم في توفير الجهد العضلي»⁽⁶⁾.

كما يظهر هذا جليا من خلال كلام "حسن باشا الأسود" حينما يقول: «اعلم أنّ الإبدال: إمّا للتخفيف

(1) - ينظر: عبد البديع النيرباني: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، صص 129، 130.

(2) - سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي: إبدال الحروف في اللهجات، ص 78.

(3) - أدما طرية: الإبدال معجم ودراسة، ج 1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1426هـ / 2005م، ص 1.

(4) - المرجع نفسه، ص ن.

(5) - ينظر: نفسه، ص 2.

(6) - علي ناصر غالب: اللهجات العربية لهجة قبيلة أسد، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1431هـ / 2010م، ص 75.

أو لمشاكل الحروف، أو تقاربها في المخرج أو في الصفات، كالجهر والهمس إلى غير ذلك»⁽¹⁾.

وفي العموم فإنّ الإبدال يأتي لتحقيق إحدى غايتين هما: **المماثلة والمخالفة:**

أ/ **المماثلة:** تُعرّف المماثلة بأنّها: «عملية إحلال صوت محل صوت آخر تحت تأثير صوت ثان قريب منه في الكلمة (...)» والمماثلة قد تكون بين الصوامت أو بين الصوامت والحركات، أو بين أشباه الصوامت»⁽²⁾.

*** أنواع المماثلة:** يمكن أن نميّز للمماثلة الصوتية بين نوعين أساسيين هما:

- المماثلة التامة (التغيّر الكامل) وهي: «قلب الصوت تاماً ليصبح من جنس الصوت الآخر، كما في

"ادكّر" قلبت التاء دالاً خالصة، وأدغمت في الدال التي تسبقها»⁽³⁾.

- المماثلة غير التامة: وهي: «قلب الصوت إلى صوت قريب من الآخر نحو: نفع وينظم؛ قلب صوت

النون إلى صوت شبيهه بالفاء في ينفع وصوت شبيهه بالطاء في ينظم»⁽⁴⁾.

*** أنواع التأثير في المماثلة:** قسّم المحدثون هذا التأثير إلى رجعي وتقدمي⁽⁵⁾:

فالرجعي: هو الذي يتأثر فيه الصوت الأول بالثاني.

والتقدمي: هو الذي يتأثر فيه الصوت الثاني بالأول.

ب/ **المخالفة:** يمكن تعريفها بأنّها «قلب صوت إلى آخر مخالف لما جاوره، فقد تشمل الكلمة على صوتين متماثلين كلّ المماثلة، فيقلب إحدهما إلى صوت آخر لتتمّ المخالفة بين الصوتين المتماثلين، وهي أقلّ شيوعاً من المماثلة، وتهدف إلى تحقيق السهولة في النطق وتوفير الجهد العضلي، لأن النطق بالصوت المشدّد أصعب من النطق بصوتين متخالفين، وقانون المخالفة يسير في عكس اتجاه قانون المماثلة؛ فقانون المماثلة يحاول التقريب بين أصوات بينها بعض المخالفات، أما قانون المخالفة فإنّه يعتمد إلى صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات فيغيّر أحدهما إلى صوت آخر»⁽⁶⁾.

ويمكن أن نختصر معنى المخالفة بالقول: إنّها «حدوث اختلاف بين الصوتين المتماثلين في الكلمة المشتملة

(1) - حسن باشا بن علاء الدين الأسود: المفراج في شرح مراح الأرواح في التصريف، تح: شريف عبد الكريم التّجار، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان

الأردن، ط1، 1427هـ/2006م، صص 428، 429.

(2) - صلاح حسنين: المدخل في علم الأصوات المقارن، ص 128.

(3) - محمود عكاشة: أصوات اللغة، صص 121، 122.

(4) - المرجع نفسه، ص 122.

(5) - عبد الغفار حامد هلال: الصوتيات اللغوية دراسة تطبيقية على أصوات اللغوية العربية، ص 390.

(6) - محمود عكاشة: المرجع السابق، صص 123، 124.

على التضعيف، بأن يتغير أحد الصوتين المضاعفين، ويقرب إلى صوت لين طويل، أو إلى أحد الأصوات الشبيهة به وهي اللام والنون والميم والراء»⁽¹⁾.

ج/ العلاقة بين المماثلة وبين المخالفة:

تتشارك الظاهرتان في أنّ كلا منهما يفسر تغيير صوت ما في السياق بحيث تتقارب الأصوات أو تتماثل نتيجة للمماثلة، وتتباعدا نتيجة للمخالفة. بيد أنّه إذا كانت المماثلة تمثل قوة سالبة في حياة اللغة لأنّها ترمي إلى تخفيض الخلافات بين الفونيمات كلّما أمكن، وأنّه لو ترك العنان للمماثلة لتعمل بحرية فرمّا انتهت إلى إلغاء التفريق بين الفونيمات؛ ذلك التفريق الذي لا غنى عنه للتفاهم، وبهذا فإنّ المخالفة تستعمل لإعادة الخلافات التي لا غنى عنها، ولإبراز الفونيمات في صور أكثر استقلالية⁽²⁾.

غير أنّ كلاهما يهدفان إلى تحقيق غاية واحدة وهي التقليل من الجهد العضلي.

وهنا نشير إلى أنّ وقوع الإبدال في نص سورة المائدة كان في مواضع معدودة، والغاية منه في كلّ هذه المواضع هو: التخفيف الصوتي، وتقليل الجهد في الأداء والنطق، أو بتعبير آخر: تحقيق التماثل والتناسب والتجانس بين الأصوات. وفيما يلي بعض مواطن الإبدال في هذه السورة الكريمة:

7 - مواطن الإبدال وحالاته في سورة المائدة:

أ/ الإبدال في تاء الافتعال:

الحالة الأولى:

يقول "أبْنُ أَمِينِ عَبْدِ الْغَنِيِّ": «تُبدل تاء الافتعال طاء إذا كانت فاء الكلمة صادًا أو ضادًا أو طاءً أو ظاءً»⁽³⁾. وقد ورد من هذا النوع في سورة المائدة النماذج التالية:

* ما فاءه صاد: مثل:

- "اصْطَادَ" على وزن "افْتَعَلَ" في قوله تعالى: ﴿...وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا...﴾⁽³⁾؛ فاصْطَادَ هنا أصلها: "اصْتَادَ" حيث قلبت تاء الافتعال (اصْطِيَادًا) "طاءً" لجيئها بعد حرف من أحرف الإطباق، وهو هنا حرف "الصاد"، فنقول: اصْطَادَ، يَصْطَادُ، اصْطِيَادًا، ...

(1) - جيلالي بن يشو: بحوث في اللسانيات الدرس الصوتي العربي المماثلة والمخالفة، ص 149.

(2) - حامد بن أحمد بن سعد الشنبري: النظام الصوتي للغة العربية دراسة وصفية تطبيقية، مركز اللغة العربية، القاهرة، مصر، دط، 1425هـ/ 2004م، ص 173.

(3) - أبْنُ أَمِينِ عَبْدِ الْغَنِيِّ: الصرف الكافي، تح: عبده الراجحي وآخرون، دار ابن خلدون، القاهرة، مصر، دط، دس، ص 430.

- "اصْطَلَحَ": على وزن "افْتَعَلَ" في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَتَقَلَّمَ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ 84؛ فكلمة "الصَّالِحِينَ" في الآية السابقة مأخوذة من الفعل الثلاثي: "صَلَحَ"، ومنه اصْطَلَحَ وَيَصْطَلِحُ، وإنما شُدِّدَت "الصاد" في كلمة: "الصَّالِحِينَ" لأنَّ فيها حرفين: "الصاد" الساكنة، و"الطاء" المتحركة والتي أصلها "تاء": (اصْطَلَحَ)، ثمَّ قلبت "الطاء" المستفلة إلى حرف مطبق مستعمل من مخرجها مجاورتها "الصاد" تحقيقاً للتماثل وهو "الطاء"، ثمَّ حدث إدغام مخالف للقاعدة؛ أي إدغام المتحرِّك الثاني(الطاء)، في الساكن الأول(الصاد) فأصبحت الكلمة: "اصْلَحَ" ومنه: يَصْلِحُ والصَّالِحُ والصَّالِحُونَ والصَّالِحِينَ... الخ.

وفي كلا الحالتين السابقتين حدث تأثر صوتي، حيث تأثر فيها الصوت الثاني وهو: "الطاء" المستعمل، بالصوت الأوَّل وهو: "الصاد" المطبق، فأبدل بصوت آخر مطبق(الطاء) لتحقيق التجانس بين "الصاد والطاء"؛ فالتأثر هنا تأثراً تقدِّمياً، والمماثلة هنا غير تامة، لأنَّ "الطاء" حرف مقارب لـ "الصاد" لا مماثل له.

* ما فاؤه ضاد: مثل:

- "اضْطُرَّ" في مثل قوله تعالى: ﴿... فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ 4.

فكلمة: "اضْطُرَّ" على وزن "افْتَعَلَ" أصلها: "اضْطَرَّ"، حيث قلبت "تاء الافتعال" (اضْطَرَّ) فيها "طَاءً"، لأنَّ فاء الكلمة "ضاداً" وهو تأثر تقدِّمي، تأثرت فيه "الطاء" بـ "الضاد"، فأبدلت بحرف مقارب له وهو: "الطاء" من أجل تحقيق مماثلة غير تامة.

* ما فاؤه طاء: نحو:

- "اطَّهَّرَ" على وزن افْتَعَلَ في قوله تعالى: ﴿... وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا...﴾ 7، فهذه الكلمة أصلها: "اطَّهَّرَ"، "الطاء" الثانية فيها أصلها "تاء" (اطَّهَّرَ)، حيث أبدلت فيها "تاء الافتعال" (اطَّهَّرَ) إلى حرف مطبق من مخرجها وهو "الطاء"، فاجتمع في الكلمة "طاءان": الأولى ساكنة والأخرى متحركة، فصحَّ إدغامهما وتحريكهما بحركة الطاء الثانية وهي "الفتح".

وما يقال عن هذا المثال ينطبق على كلمة: "تَطَّلِعُ" في قوله تعالى: ﴿... وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَافِيَةٍ

مِّنْهُمْ...﴾ 14، حيث أبدلت فيه "الطاء" متحركة، ثمَّ أدغمت مع "الطاء" الأولى الساكنة إدغام

المتماثلين. وفي كلا المثالين التأثير فيهما تأثراً تقدمياً رغبة في تحقيق مماثلة تامة.

* ما فآؤه طاء: مثل:

- "الظَّلِيمِينَ" في قوله تعالى: ﴿...وَدَلِيكَ جَزَوُا الظَّلِيمِينَ﴾/31، وفي مواضع أخرى كآيات:53

+74+109... وكذا كلمة: "الظَّلِيمُونَ" في قوله: ﴿...بَاءُ وَتِيكَ هُمُ الظَّلِيمُونَ﴾/47. وهي من

الفعل: ظَلَمَ، يَظْلِمُ، ظَلَمٌ، مَظْلُومٌ وظَالِمُونَ... والأصل في الكلمة: "اظْطَلَمَ" على وزن "افتعل"، قلبت "تاء الافتعال" فيه "طاء" لأنّ "فاء الكلمة" حرف مطبق وهو هنا "الطاء" فأصبحت: "اظْطَلَمَ" ثمّ حدث إدغام عكسي مخالف للقاعدة المطردة، فأدغم الحرف المتحرّك الثاني (الطاء) في الحرف الساكن الأوّل (الطاء)، وحرك هذا الأخير بحركة الحرف المدغم فأصبحت الكلمة "اظْلَمَ" وهو تأثر تقدمي دائماً، تحقيقاً لمماثلة غير تامة.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ مجاورة "تاء الافتعال" المستفلة للأصوات المطبقة المستعلية، في الأمثلة السابقة وأمثالها من شأنه أن يحدث نقلاً في النطق وعسراً على اللسان في التلفظ بها «فالانتقال من صوت مطبق إلى صوت مستفل كالانحدار من مرتفع، وذلك يؤدي إلى تعثر اللسان في النطق، والانسجام الصوتي يقتضي تحويل تاء الافتعال إلى صوت من مخرج التاء له صفة الإطباق التي تقرّ به من الصوت السابق عليه حتى يأتلف معه، ومن هنا أبدلت طاء، وبذلك أصبح النطق ميسوراً»⁽¹⁾. وهذا الكلام يدغم ما يرمي إليه الإبدال من غايات وأغراض وهو تحقيق التماثل، إمّا عن طريق إحلال حرف محل حرف آخر، أو عن طريق إدغام حرف في حرف آخر بعد إبداله، وما يقال على "الطاء" ينطبق على بقية الأحرف الإطباق الثلاث: (ص/ض/ظ).

الحالة الثانية:

وتقلب تاء الافتعال دالا: «إذا وقعت التاء بعد الدال فتدغم في فاء الكلمة، وكذلك إذا وقعت بعد الذال أو الزاي...»⁽²⁾. ولم يقع هذا النوع في سورة المائدة إلا مع صوت واحد فقط وهو: "الذال".

- ما كان فآؤه ذالا، ومثال ذلك في سورة المائدة لفظة: "ذُكِّرُوا" عند قوله تعالى: ﴿...وَتَسُوا حَظًّا مِمَّا

ذُكِّرُوا بِهِ...﴾/15. وهي من: ذَكَرَ، يَذْكُرُ، مُذَكِّرٌ، اذْكُرْ فأصل الكلمة: "اذتكر"، حيث قلبت "تاء

الافتعال" (اذكاز = اذتكار) "دالاً"؛ لأنّ فاء الكلمة "ذال" فأصبحت: "اذدكر"، ثمّ حدث إدغام عكسي مخالف

(1) - عبد الغفار حامد هلال: الصوتيات اللغوية دراسة تطبيقية على أصوات اللغوية العربية، صص 318، 319.

(2) - نبيل أبو حلتهم وآخرون: موسوعة علوم اللغة العربية: قواعد، صرف، بلاغة، إملاء، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، 1426هـ/

للأصل وفيه تمّ إدغام الحرف الثاني المتحرّك (الذال) في الحرف الأوّل الساكن (الذال)، فأصبحت حرفاً واحداً مشدّداً من جنس الحرف الأوّل، أخذت حركة الحرف الثاني المدغم فيه (ادّكر)، وفي هذا المثال تأثّر تقدّمي حيث أنّ الحرف الأوّل في الحرف الثاني فتأثّر الثاني بالأوّل من أجل تحقيق مماثلة غير تامّة.

ويعود السبب إلى إدغام كلّ من "الذال" و"الذال" في بعضهما، لأنّ كلّ واحد منهما يدغم في صاحبه في الانفصال، وفي هذا يقول "سيبويه": «وكذلك تبدل للذال من مكان التاء أشبه الحروف بها؛ لأنّهما إذا كانتا في حرف واحد لزم ألاّ يُبيّنا إذ كانا يدغمان منفصلين، فكرهوا هذا إلّا جحاف، وليكون الإدغام في حرف مثله في الجهر، وذلك قولك: مُدَكِّرٌ كقولك مُطَلِّمٌ، ومن قال: مُطْعِنٌ قال: مُدَكِّرٌ (...).» وإمّا منعهم أن يقولوا مُدَدَكِّرٌ كما قالوا مزدان أن كلّ واحد منهما يدغم في صاحبه في الانفصال فلم يجز في الحرف الواحد إلّا الإدغام...»⁽¹⁾.

ويضيف "ابن جني" قائلاً: «وقد قلبوا تاء افتعل أيضاً مع الذال لغير إدغام دالا... وأمّا ادّكر وادّكر فإبدال إدغام»⁽²⁾.

ب/ إبدال حروف العلة همزة:

من مواطن الإبدال أيضاً إبدال حرف العلة بحرف صحيح، ومن هذه الحروف: "الهمزة". جاء في "الصرف الكافي": أنّ "الواو" و"الياء" تبدلان "همزة" في خمس مسائل، ومن هذه المسائل: «أن تقع عينا لاسم فاعل أعلّت في فعله»⁽³⁾. وورد هذا النوع من الإبدال في سورة المائدة في كلمة واحدة وهي: "خَائِنَةٌ" عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ...﴾/14؛ فـ "الألف" في هذه الكلمة منقلبة عن "واو"، وهي اسم فاعل (خَاوِنٌ)، لأنّ الأصل: خَوَّانٌ يَخُونُ، حيث وقعت الواو عينا لاسم الفاعل (خَاوِنٌ)، ثمّ قلبت حرف العلة ألفاً فأصبح الفعل: خَوَّانٌ أجوفاً (خَانَ)، ومنه خيانة، ثمّ قلبت بعدها "الياء" في "خيانة" إلى همزة بعد الألف؛ أي (خَائِنَةٌ).

(1) - سيبويه: الكتاب، ج4، صص469، 470.

(2) - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، صص187، 188.

(3) - ابن أمين عبد الغني: الصرف الكافي، صص419، 420.

المطلب الثاني: الإعلال

1 - تعريف الإعلال:

أ/ لغة:

ورد في "لسان العرب" في تفسير مادة "عَلَلٌ": «عَلَلٌ: العَلُّ والعَلَلُ: الشَّرْبَةُ الثَّانِيَةُ، وقيل الشُّرْبُ بعد الشرب تبعاً، يقال: عَلَلٌ بعد نَهْلٍ (...)، والتعليل: سقي بعد سقي، وجني الثَّمَرَةَ مرَّةً بعد أخرى (...). والعليلة: المرأة المطيَّبَةُ طيباً بعد طيب (...). وحروف العَلَّة والاعتلال: الألف والياء والواو، سميت بذلك لئنها وموتها»⁽¹⁾.

ب/ اصطلاحاً: اتفق جميع اللغويين في تحديد معنى الإعلال وفيما يلي بعض هذه التعريفات:

* تعريف "علي محمود النابي": «هو تغيير معيّن يطرأ على حرف العَلَّة في الكلمة إيثاراً للتخفيف ويشمل: القلب، الحذف والتسكين»⁽²⁾.

* تعريف "ديزيره سقال": الإعلال هو «تغيير يطرأ على أحرف العَلَّة في الكلمات، وما يلحق بها (الهمزة) فيتسبب هذا التغيير بحذف الحرف أو إسكانه أو قلبه حرف آخر من الأربع المذكورة (ألف، واو، ياء، همزة)، وفقاً لأصول وقواعد محدّدة»⁽³⁾.

* تعريف "أيمن عبد الغني": يختصر هذا الأخير التعريفين السابقين قائلاً: «الإعلال هو تغيير حرف العَلَّة بقلبه أو نقله، أو حذفه»⁽⁴⁾.

كشفت التعريفات السابقة إذن على عناصر مشتركة منها: أحرف الإعلال، أنواعه والغاية منه... الخ. وسيتمّ التفصيل في هذه العناصر وغيرها تبعاً فيما سيأتي من هذا المطلب.

2 - أحرف الإعلال:

أشرنا في السابق بأنّ حروف الإعلال ثلاثة وهي الألف والواو والياء، غير أنّ اللغويون أضافوا عليها حرفاً رابعاً غير هذه الثلاثة وهو "الهمزة"، فالهمزة «ليست من أحرف العَلَّة، وإنّما هي حرف صحيح، غير أنّها تشبه تلك الأحرف في ضعفها، ولذلك قبلت الإعلال، ولإعلال في الهمزة وجهان: 1/ قلب الواو والياء

(1) - ابن منظور: لسان العرب، ج6، مادة عَلَلٌ.

(2) - علي محمود النابي: الكامل في النحو والصرف، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ/2004م، ص166.

(3) - ديزيره سقال: الصرف وعلم الأصوات، ص141.

(4) - أيمن عبد الغني: الصرف الكافي، ص417.

همزة، وهو إبدال الهمزة منهما، 2/ قلب الهمزة واوا أو ياء، وهو إبدالهما من الهمزة وهو عكس الأول⁽¹⁾، ولعلهم يلحقون الهمزة بحروف العلة الثلاثة لأنها تشبهها، كونها من «مخرجها، أو لقربها من الألف، فضلاً على كون الهمزة تُعامل في التصريف معاملة حروف العلة، فنجدتها تقلب إليها، كما أنّ حروف العلة تقلب همزة»⁽²⁾.
والألف والواو والياء ثلاثتها تقع في «الأضرب الثلاثة كقولك: مَالٌ وَنَابٌ وَسَوَّطٌ وَبَيْضٌ، وَقَالَ وَبَاغٌ وَحَاوَلٌ وَبَايَعٌ، وَلَا وَلُو وَكِي، إِلَّا أَنَّ الْأَلْفَ فِي الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ زَائِدَةٌ، أَوْ مَنقَلِبَةٌ عَنِ الْوَاوِ وَالْيَاءِ لَا أَصْلًا، وَهِيَ فِي الْحُرُوفِ أَصْلٌ لَيْسَ إِلَّا لِكُونِهَا جَوَامِدَ غَيْرِ مُتَصَرِّفٍ فِيهَا»⁽³⁾.

3 - أنواع الإعلال:

أشارت التعريفات السابقة للإعلال بأن التغيير الذي يعترى حروف العلة يتمحور في ثلاثة أسباب هي: القلب، الإسكان والحذف، وعلى هذا الأساس يمكن أن نُميّز للإعلال بين ثلاثة أضرب هي:
أ/ الإعلال بالقلب: القلب هو: «تغيير حرف العلة بحرف آخر مثل "قال" أصلها: قَ وَ لَ وَ زَن فَ عَ لَ، تحركت (الواو) وانفتح ما قبلها، فقلبت إلى حرف يجانس حركة الفتح وهو الألف، فأصبحت الكلمة قَ ا لَ بزنة فَ عَ لَ»⁽⁴⁾. وقد حدث القلب في سورة المائدة في موضعين اثنين هما:

- كلمة: "أَذْبِي" في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَذْبِي أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا...﴾/110.

- وكلمة: "عِيداً" في قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا...﴾/116.

ففي كلمة: "أَذْبِي" تم قلب "الواو" فيها "ألفاً" لتحركها وفتح ما قبلها؛ لأنّ الفعل منها: "ذَنَّا" و"الألف" فيه منقلبة عن "واو (دَنُو، يَدْنُو،...)" . أمّا كلمة: "عِيداً" فهي مشتقة من العود بفتح العين وسكون الواو لكون العيد مناسبة تعود كل سنة، وفي الكلمة إعلال بالقلب: عَوْدٌ بكسر العين وسكون الواو؛ صغوره على وزن "فُعَيْلٌ (عُيَيْدٌ) وجمعوه على وزن أفعالٍ (أَعْيَادٌ).

(1) - محمد أسعد النادري: نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1422هـ/ 2002م، ص 283.

(2) - علي محمود النابلي: الكامل في النحو والصرف، ج2، ص 166.

(3) - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: المفصل في علم العربية، تح: سعيد محمود عقيل، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 1424هـ/ 2003م، ص 484.

(4) - صباح عبد الله محمد بافضل: الإعلال والإبدال بين النظرية والتطبيق، ص 2.

ب/ الإعلال بالإسكان: أو ما يسمى بالنقل وهو «نوع من التأثير يصيب حرف العلة، ومعناه نقل الحركة من حرف علة متحرك إلى حرف صحيح ساكن قبله ولذا يسمى الإعلال بالتسكين»⁽¹⁾. ويمكن أن تمثل على هذا النوع بالفعل المعتل الوسط (الفعل الأجوف): "صَامٌ": فَإِنَّ مضارعه "يَصُومُ" على وزن "يَفْعُلُ" نقلت حركة الواو (عين الكلمة) إلى الساكن قبلها، وسكّن حرف العلة (الواو) والذي هو (عين الكلمة)، فأصبح الفعل: يِ صُ وُ مُ على وزن يِ فُ عِ لُ.

والإعلال بالإسكان أو النقل لم ينفرد لوحده في كلمة واحدة في سورة المائدة، بل اجتمع مع غيره من أنواع الإعلال الأخرى، وسيتم الإشارة إلى هذه الحالات فيما سيأتي من هذا المطلب.

ج/ الإعلال بالحذف: وهو: «حذف حرف العلة مثل المضارع من الفعل (وَزَنَ) = يَزِنُ، فَإِنَّ أصل الفعل المضارع: يِ (و) زِ نُ على وزن: يِ (ف) عِ لُ، وقعت "الواو" (فاء الكلمة) بعد "ياء المضارعة" المفتوحة، وكانت عينه مكسورة، فحذفت فأصبحت: يِ زِ نُ على وزن يِ عِ لُ»⁽²⁾.

ويمكن أن نتميز لهذا الضرب من الإعلال في سورة المائدة بين قسمين هما:

* الحذف لمناسبة الجزم أو البناء: وورد من هذه الحالة النماذج التالية:

– الكلمات التالية: "بَاعَفُ" + "اَثَلُ" + "أَجِبْتُمْ" في الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿... بَاعَفْ عَنْهُمْ وَاصْبِحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾/14.

وقوله أيضا: ﴿وَأَثَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ...﴾/29.

وأیضا: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ بَيِّقُولَ مَاذَا أَجِبْتُمْ...﴾/111.

في الكلمات الثلاث السابقة "إعلال بالحذف" لمناسبة البناء؛ ففي "بَاعَفُ" و"اَثَلُ" حذفت لـ "الواو" لأتّهما فعلين للأمر، فأصلهما: "عَفَوُ" و"تَلَوُ" على وزن: "فَعَلُ"، فلما دخل عليهما الإعلال في الأمر أصبحا على وزن "افْعُ" بحذف "الواو" التي هي لام الفعل.

أمّا في "أَجِبْتُمْ" فالإعلال بالحذف هنا قد مسّ "الياء" التي هي عين الفعل: أَجَابَ، يُجِيبُ، فأصل الكلمة: "أَجِيبْتُمْ"، حذفت فيها "الياء المدّية" للالتقاء الساكنين (الياء الساكنة والباء الساكنة) فأصبحت على

(1) – زين كامل الخويسكي: قواعد النحو والصرف، دار الوفاء لدينا للطباعة، الإسكندرية، مصر، دط، 1421هـ/ 2001م، ص 248.

(2) – صباح عبد الله محمد بافضل: الإعلال والإبدال بين النظرية والتطبيق، ص 4.

وزن "أَفَلْتُمْ".

– الكلمات التالية: "تَاسَ"، "يَتَوَلَّ"، "تُبَدَّ"، "تَسُوْكُمْ" في الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿... فَلَا تَاسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾/28، و﴿... فَلَا تَاسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾/70.

وقال أيضا: ﴿... وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ بَأْنُهُ مِنْهُمْ...﴾/53، و﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾/58.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا

عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْفُرْقَانُ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ عَبَا اللَّهِ عَنْهَا وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾/103.

في الكلمات الأربعة السابقة "إعلال بالحذف" لمناسبة الجزم:

– "تَاسَ" وأصل الكلمة "تَاسَ" من الفعل: أَسَى يَأْسَى على وزن فَعَلَ، حذفت فيه "الألف" في "تَاسَ" فأصبح على وزن: "تَفَعَّ" بفتح "التاء" و"العين".

– "يَتَوَلَّ" من الفعل: وَلَّى يَتَوَلَّى على وزن: يَتَفَعَّلُ، حذفت فيه "الألف" في "يَتَوَلَّ" فأصبح على وزن "يَتَفَعَّ".

– "تُبَدَّ" من الفعل: بَدَا يَبْدُو، والأصل: بَدَوَ على وزن "فَعَلَ" وفي "تُبَدَّ" حذفت "للألف" المنقلبة عن "واو" فأصبح على وزن: "تُفَعَّ" بضم "التاء" وفتح "العين".

– "تَسُوْكُمْ" من الفعل: سَاءَ يَسُوءُ، والأصل "سَوَّءَ" على وزن "فَعَلَ" ومنها: سُوءٌ وَسَوَّءَةٌ، وفي: "تَسُوْكُمْ" حذفت "للألف" المنقلبة عن "الواو" فأصبحت على وزن: "تُفَلُّكُمْ".

* الحذف للالتقاء الساكنين: وورد من هذا النوع النماذج الآتية: "يَسْعَوْنَ"، "يُنْبِئُوا"، "يَتَوَلَّوْنَ"، "عَصَا" و"يَتَنَاهَوْنَ" الواردة في الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُفَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْبِئُوا مِنَ الْأَرْضِ...﴾/35.

وقال أيضا: ﴿... ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوَلِّيكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾/45، وقوله: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ...﴾/82.

وقال تعالى: ﴿...ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾/80.

وقوله عز وجل: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ بَعَلَّوهُ...﴾/81.

فعلّة الحذف في جميع هذه الأمثلة هو: التقاء الساكنين؛ إذ أنّ أصل الكلمات السابقة على الترتيب كما يلي: [يَسْعَاوُونَ/ يُنْفَاوُوا/ يَتَوَلَّوْنَ/ عَصَاوُوا/ يَتَنَاهَوْنَ]، ففي جميع هذه الكلمات جاءت "الألف الساكنة" قبل "واو الجماعة الساكنة"، فحذفت "الألف" للتقاء الساكنين، وحُزِكَ الحرف السابق "واو الجماعة" بحركة مجانسة للحرف المحذوف وهي: "الفتح"، دلالة على "الألف المحذوفة"، علماً أنّ "الألف المحذوفة" في كلٍّ من: "يَسْعَوْنَ" "يُنْفَوُا"، "يَتَوَلَّوْنَ"، "عَصَاوُا"، "يَتَنَاهَوْنَ" أصلها ياء؛ لأنّ المصدر في كلِّ الأفعال التالية هو على الترتيب: السَّعْيُ النَّفْيُ، التَّوَلَّى، العَصْيَانُ، النَّهْيُ.

ملاحظة هامة:

اجتمعت الأنواع الثلاثة السابقة للإعلال في الكثير من الكلمات نورد بعضها فيما يلي:

* الإعلال بالقلب والحذف:

- كلمة "فَلْسِيَّةٌ" في قوله تعالى: ﴿...وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ فَلْسِيَّةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...﴾/14.

"قَاسٌ": اسم فاعل من: قَاسَا يَقْسُو قَسْوَةً، على وزن "فَاعِلٌ"، وفيه إعلال بالقلب، لأنّ أصله "قَاسِوٌ" بكسر "السين"، حيث قلبت فيه "الواو" "ياءً" لحيثها بعد كسر، فأصبح "قَاسِي"، ثمّ إعلال بالحذف، حيث حذفت "الياء" للتقاء الساكنين بالتنوين فأصبح "قَاسٍ".

* الإعلال بالتسكين والحذف:

فأمّا التسكين فسببه: "الاستثقال"، وأمّا الحذف فعلته "التقاء الساكنين"، ومن نماذج هذا النوع في سورة

المائدة ما يلي:

- لفظة: "أَوْفُوا" في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾/1.

- لفظة: "نَسُوا" في قوله تعالى: ﴿...وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ...﴾/14.

- لفظة: "ابْتَغُوا" في قوله تعالى: ﴿...وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ...﴾/37.

- لفظة: "لِيَفْتَدُوا" في قوله تعالى: ﴿...لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ...﴾/38.

- لفظة: "يَبْغُونَ" في قوله تعالى: ﴿أَبْخَضَمَ الْجَهْلِيَّةَ يَبْغُونَ...﴾/52.

- لفظة: "عَمُوا" في قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا...﴾/73.

- لفظة: "يَعْتَدُونَ" في قوله تعالى: ﴿...ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾/80.

- لفظة: "مُنْتَهُونَ" في قوله تعالى: ﴿...بِهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾/93.

- لفظة: "وَرَضُوا" في قوله تعالى: ﴿...رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْبُورُ الْعَظِيمُ﴾/121.

فجميع هذه الكلمات في أصلها: "يَاءٌ" مضمومة قبل "واو الجماعة"، ونظرا لثقل الضمة على "الياء" تمّ نقل حركتها إلى الحرف الذي يسبقها مباشرة، ثمّ تسكينها (الإعلال بالإسكان)، وبسبب النقاء الساكنين (الياء الساكنة وواو الجماعة الساكنة)، يتمّ حذف الياء الساكنة (الإعلال بالحذف)، فمثلا كلمة: "أَوْفُوا" الواردة في الآية الأولى من سورة المائدة أصلها: "أَوْفُوا" بـ "ياء مضمومة بعد "الفاء"؛ استثقلت "الضمة" على "الياء" فنقلت الحركة إلى "الفاء"، وسكّنت الياء (إعلال بالتسكين أو النقل)، ثمّ حذفت "الياء" الساكنة لالتقاءها بـ "واو الجماعة الساكنة" (إعلال بالحذف)، فأصبحت الكلمة: "أَوْفُوا"، وما يقال عن هذه الكلمة يقال كذلك على كلمة: "مُنْتَهُونَ" مثلا، فالأصل في الكلمة "ياء" مضمومة بعد "هاء" أي "مُنْتَهِيُونَ"، ونظرا لثقل "الياء" المضمومة على النطق نُقلت حركتها إلى "هاء" قبلها، ثمّ سكّنت (إعلال بالإسكان أو النقل)، وبسبب النقاء الساكنين (الياء الساكنة وواو الجماعة الساكنة)، تمّ حذفها مطلقا فأصبحت: "مُنْتَهُونَ"، وقس على ذلك مع بقية الأمثلة الأخرى.

* الإعلال بالتسكين والقلب:

ونجد من هذا النوع:

- لفظة: "مُفِيمٌ" في قوله تعالى: ﴿...وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّفِيمٌ﴾/39.

- لفظة: "يَخَافُوا" في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَذُنِي أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِي أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ...﴾/110.

ففي الكلمة الأولى: "مُفِيمٌ" اسم فاعل من الفعل غير الثلاثي: "أَقَامَ"، وفيه إعلال بالقلب، فأصل الكلمة: "مُفِيمٌ" بضمّ "القاف" وكسر "الواو"، من الفعل "أَقَامَ" و"الألف" فيه منقلبة عن "الواو"، استثقلت الكسرة على "الواو"، فتمّ نقلها إلى "القاف"، ثمّ سكّنت (إعلال بالتسكين أو النقل)، ثمّ قلبت "الواو" ياءً ساكنةً لجانسة حركة الحرف الذي قبلها وهو "القاف" المكسورة (إعلال بالقلب) فأصبحت الكلمة: "مُفِيمٌ".

أما الكلمة الثانية: "يَخَافُوا" فأصلها: "يَخَوْفُوا" بسكون "الخاء" وفتح "الواو"، جرى في الكلمة إعلال

بالتسكين؛ حيث تمّ نقل حركة "الواو" إلى الحرف الساكن قبلها (الخاء)، ثمّ تسكين "الواو": يَخَوْفُوا، ثمّ تمّ قلب "الواو" بحرف علة آخر يجانس الحركة التي قبله (حركة الخاء) (إعلال بالقلب)، فأصبحت الكلمة: "يَخَافُوا".

4 - علاقة الإعلال بالإبدال:

بالعودة إلى تعريف الإبدال والإعلال يتبيّن بأنّ «الإعلال جزء من الإبدال، ويختصّ بإبدال أحرف العلة والهمزة عند جلّ العلماء القدامى، أمّا الإبدال فهو مصطلح أعمّ من الإعلال لأنّه يشتمل على إبدال ما هو معتل وما هو صحيح، فكلّ إعلال إبدال وليس العكس»⁽¹⁾.

إذن فالعلاقة بينهما هي علاقة جزء من كلّ، فإذا كانت حروف الإعلال ثلاثة أو أربعة (الألف، الواو، الياء والهمزة)، فإنّها ذاتها حروفا للإبدال فضلا عن بقية الحروف الهجائية الأخرى.

(1) - سعيد محمد شواهنة: القواعد الصرف صوتية بين القدماء والمحدثين، ص 75.

الفصل الخامس:

الظواهر فوق التركيبية (فوق القطعية) في

اللغة العربية:

(المقطع الصوتي، النبر والتنغيم)

المبحث الأول: المقطع الصوتي

المبحث الثاني: النبر

المبحث الثالث: التنغيم

المبحث الرابع: الدراسة التطبيقية للظواهر

فوق التركيبية في سورة المائدة: الأداء

والدلالة



الفصل الخامس: الظواهر فوق التركيبية (فوق القطعية) في اللغة العربية (المقطع الصوتي، النبر

والتنغيم).

توطئة:

أقام علماء اللغة والأصوات نظرية استطاعت على المستوى النظري، أن تكشف عن النظام الذي تنطوي عليه وظيفة الصوت داخل نظام أي لغة، واستطاعت على المستوى التطبيقي أن تحلّ كثيرا من المشكلات العلمية في تعلّم اللغات، كما استطاعت هذه النظرية أن تقدّم فكرة أصلية لتحليل اللغوي، وهي فكرة الملامح فوق/غير التركيبية؛ أي الخصائص الصوتية التي تميّز فونيمًا عن فونيم آخر، ومن تمّ أصبح مفهوم الفونيم عبارة عن مجموعة من الملامح المميّزة التي تنبع من الخصائص النطقية والسمعية والتي تحدّد كلّ صوت من أصوات اللغة مثل موضع النطق وصفته وغيرهما.

وهاته الملامح الصوتية تقع خارج البنية اللغوية، وهي ما يطلق عليها علماء اللغة والأصوات الملامح فوق/غير التركيبية، لأنّها لا تدخل في جوهر التراكيب اللغوية بيد أنّ لها تأثيرات موجّهة للبنية الوظيفية، ومن هذه الملامح التمييزية نذكر: المقطع الصوتي، النبر والتنغيم. فما المقصود بهذه الملامح؟، وما طبيعة العلاقة التي تجمعها؟.

المبحث الأول: المقطع الصوتي

اختلفت وجهات نظر العلماء وآراؤهم حول تعريف المقطع باختلاف اتجاهاتهم ومناهجهم في البحث؛ فثمة اتجاه يعرف المقطع نطقيا ماديا، وآخر فيزيائيا أكوستيكيا، واتجاه ثالث يعرفه وظيفيا فونولوجيا.

المطلب الأول: تعريف المقطع

1 - لغة:

جاء في المعجم الوسيط: «قَطَعَ الشيء قَطْعًا: فصل بعضه وأبانه، وفلانا عن حق فلان: منعه منه (...).» والمقْطَعُ من كلِّ شيء: آخره حيث ينقطع وينتهي، كمقاطع الرمال والأودية والمزارع ونحوها، ومن النهر: الموضع الذي يعبر فيه، ومَقْطَعُ الحق: ما يُقْطَعُ به الباطل (...).» والمَقْطَعُ: نصل رقيق من الخشب أو المعدن أو العاج يُقْطَعُ به الورق (...).» والمقْطَعُ من الرجال: من ليس له عمل ولا كسب...»⁽¹⁾.

فالمقطع في اللغة يطلق على المنع، نهاية الأشياء وحدّها... الخ.

2 - اصطلاحا:

أ/ من الناحية النطقية (الفسولوجية):

يعرفه "أحمد كشك" بقوله: «هو أصغر كتلة نطقية يمكن أن يقف عليها المتكلم، فكلمة مثل: "كتب" المكونة من ثلاث أحرف يمكن نطقها على ثلاث وحدات: الكاف مفتوحة ثمّ التاء مفتوحة، ثمّ الياء مفتوحة أيضا»⁽²⁾.

وإلى شيء من هذا ذهب "تمام حسّان" حينما عرّف المقاطع قائلا: «المقاطع هي تعبيرات عن نسق منظم من الجزئيات التحليلية، أو خفقات صدرية في أثناء الكلام، أو وحدات تركيبية أو أشكال وكميات معينة، وعلى هذا الأساس بنى علماء العروض من العرب مقاييسهم العروضية، حيث نظروا إلى المقاطع باعتبارها خفقات صدرية أو وحدات إيقاعية أو شيئا له هذه الطبيعة، ووصفوا النظام الإيقاعي العروضي باستخدام الاصطلاحين (حركة) و(سكون) ودلّوا على الحركة بشرطة، وعلى السكون بدائرة»⁽³⁾.

يفهم من خلال هذا التعريف أنّ كل ما من شأنه أن يشكّل خفقة أو نبضة صدرية يسمى **مقطعا**.

(1) - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة قَطَعَ.

(2) - أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي (محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1 1427هـ/2006م، ص23.

(3) - تمام حسّان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1394هـ/1974م، صص 138، 139.

ويوضح "غانم قدوري الحمد" التعريفين السابقين بمثالين فيقول: «...ويستطيع الدارس أن يضع كفه على أسفل صدره وينطق بكلمة (كَتَبَ) نطقاً متأنياً هكذا [ك ت ب]، وسوف يحسّ بضغطات الحجاب الحاجز على الصدر، وهي ثلاث تقابل مقاطع الكلمة الثلاث، وكذا لو نطق عبارة (لَمْ يَكْتُبْ)، فإنّه يستطيع أن يميّز ثلاث مقاطع أيضاً [لَمْ / يَكْتُ / تُبْ]، وأن يحسّ بالخفقات أو الضغطات الصدرية الثلاث وهكذا دائماً»⁽¹⁾.

إذن فواضح من خلال هذا الكلام أنّ المقطع الصوتي بالنظر إليه من الناحية النطقية الفسيولوجية يشكّل نبضة صدرية واحدة وأنّ تعدد هذه النبضات يعني بالضرورة تعدد المقاطع الصوتية، ويمكن أن نلمس هذا أيضاً في كلام "عبد الصبور شاهين" أثناء حديثه عن المقطع والذي يذهب فيه مذهب "تمام حسان" فهو عنده عبارة عن «مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها ويعتمد على الإيقاع التنفسي، فكلّ ضغطة من الحجاب الحاجز على هواء الرئتين يمكن أن تنتج إيقاعاً يعبر عنه مقطع مؤلف في أقلّ الأحوال من صامت وحركة (ص+ح)»⁽²⁾. غير أنّ في هذا التعريف نوع من الارتباك، فالمقطع مهما كان نوعه: قصيراً أو متوسطاً أو طويلاً لا يمكن بمفرده أن ينتج أو يشكّل إيقاعاً موسيقياً، يترك له أثراً في النفس.

ب/ من الناحية الأكوستيكية (الفيزيائية):

يعرّف "ماريو باي" المقطع بأنّه: «عبارة عن قمّة إسماع غالباً ما تكون صوت علّة، مضاف إليها أصوات أخرى عادة، ولكن ليس حتماً تسبق القمّة أو تلحقها أو تسبقها وتلحقها، وتوجد لغات كثيرة يمكن فيها للام والراء والميم والنون، وحتى السين والزاي أن تقطع قمّة إسماع مكان العلّة، وتكون محور المقطع»⁽³⁾.

ويضيف "عصام نور الدين" تعريفاً آخر للمقطع من حيث الإدراك والتلقي قائلاً: «هو مجموعة صوتية تحوي قمّة الوضوح السمعي^(*)، وتقع بين حدّين أضعف من حيث الإسماع؛ أي أنّ المقطع من هذا المنظار هو

(1) - غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 190.

(2) - عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصّرف العربي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط 1400هـ / 1980م، ص 38.

(3) - ماريو باي: أسس علم اللغة، ص 96.

(*) - إنّ أصوات اللين أو العلّة أعلى وضوحاً في السمع من السواكن، كما أنّها فيما بينها تختلف في درجة الوضوح نسبياً. وإذا ربّناها بحسب درجات وضوحها، فإننا نرى أنّ أوضحها أصوات اللين التي تتفاوت درجة وضوحها بحسب الطول والقصر، فالطويلة ألف المدّ، وواو المدّ، ياء المدّ، أوضح من القصيرة، الحركات: الفتحة، الضمة، الكسرة. ويليهما الأصوات الساكنة مع تفاوت في درجة وضوحها، فاللام والنون والميم تعدّ أوضح من غيرها من السواكن، وتسمّى (أشباه أصوات اللين)، لأنّها تليها في درجة علوّها السمعي، وإمكانها أن تحلّ محلّها، وما عداها من السواكن يقلّ عنها وضوحاً. محمّد علي عبد الكريم الرّديني: فصول في علم اللغة العام، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، دط، 1430هـ / 2009م، ص 175.

المدى الذي يقع بين حدّين من الإسماع»⁽¹⁾.

وفي الحقيقة إنّ هذين التعريفين لم يعتمدا في تحديد مفهوم المقطع على الجانب الأكوستيكي فحسب، بل اعتمدا كذلك على الجانب السمعي الإدراكي، فكلّ ما من شأنه أن يمثّل قمّة الوضوح السمعي فهو **مقطع صوتي**، وإتّما يكتسب هذه الخاصية من خلال اشتماله على الصوائت ذات البروز السمعي الواضح، أمّا الاعتماد على الجانب الأكوستيكي أو كما يسمى الفيزيائي، فيُقصدُ به ما يتعلق بالصوت من حيث انتقال موجاته وذبذباته في الهواء إلى أذن السامع وأثر ذلك الانتقال من الناحية السمعية والإدراكية.

ج/ من الناحية الوظيفية (الفونولوجية):

يذهب التعريف الوظيفي للمقطع إلى وصفه «كأصغر وحدة في تركيب الكلمة، من حيث تميّزه في كلّ لغة، ويتكوّن المقطع في أبسط أشكاله من صوتين الأول: صامت، والثاني: صائت»⁽²⁾.

وهذا التعريف ينظر للمقطع من خلال الوظيفة الدلالية التي يؤديها، فهو الوحدة اللغوية التي يقوم فيها "الفونيم" بأداء وظيفته داخلها، ف "الباء" مثلا في كلمة (كَتَبَ)، تشكّل مقطعا صوتيا في أبسط أشكاله، لأنّه يتكون من صامت فصائت، وكلاهما فونيم يؤدي استبدالهما معا أو استبدال أحدهما بمثله (الصامت بصامت آخر، والصائت بصائت آخر) إلى تَعْيِيرٍ في المعنى، فكَتَبَ غير كَنَمَ، وهذا التغير في المعنى ناتج أساسا عن تغيير فونيم "الباء" دون حركته في المقطع الثالث، بفونيم آخر وهو "الميم" المتحركة بحركة الفونيم الأول، إذن فالمعنى هنا تَعْيِيرٌ نتيجة تَعْيِيرِ الصامت، ومثال تَعْيِيرِ المعنى نتيجة تَعْيِيرِ الصائت، كلمة "بُر" التي تطلق على القمح، فهذه الكلمة تتكون من مقطع واحد طويل ومغلق، والذي بدوره يتشكل من ثلاثة فونيمات، واستبدال حركة "الباء" بحركة أخرى يؤدي ذلك إلى تغيير في المعنى، فبُرٌ يختلف في المعنى عن "بِر" (الطاعة وعمل الخير)، كما يختلف بدوره عن كلمة "بَر" التي تحيل على معنى اليابسة، وهكذا مع باقي الكلمات الأخرى.

وجاء في التعريف الوظيفي السابق للمقطع أنّ المقطع - كما سيتم الإشارة لاحقا - يتكون في أبسط أشكاله من صوتين: الأول "صامت" والآخر "صائت"، وهذا يعني أنّ المقطع الصوتي لا يبدأ بالحركات، وإلى شيء من هذا القبيل يذهب "رمضان عبد التواب" حيث نجده يقول: «المقطع الصوتي هو كمية تحتوي على حركة واحدة ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة، ففي العربية الفصحى مثلا لا يجوز

(1) - عصام نور الدّين: علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، ص 190.

(2) - عبد القادر عبد الجليل: الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1417هـ/1997م، ص 71.

الابتداء بحركة، ولذلك يبدأ كل مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامتة»⁽¹⁾.

ويقدم "غانم قدوري الحمد" تعريفاً جامعاً مانعاً للمقطع يجمع فيه كل الجوانب السابقة الذكر والتي على أساسها يتم تحديد مفهومه، يقول فيه: «المقطع مجموعة أصوات تُنتج بضغطة صدرية واحدة، تبدأ بصوت جامد يتبعه صوت ذائب (قصير أو طويل)، وقد يأتي متبوعاً بصوت جامد أو اثنين، ويكون الصوت الذائب فيه قمة الإسماع بالنسبة إلى الأصوات الأخرى التي يتألف منها المققطع»⁽²⁾.

وفي هذا التعريف إشارة واضحة إلى الجوانب الثلاثة المعتمدة في تحديد مفهوم المققطع وهي: الجانب النطقي فالوظيفي ثم السمعي بهذا الترتيب، كما أشار التعريف أيضاً وبوضوح إلى أن "قمة الإسماع والبروز" إنما تتحكم فيها الأصوات الذائبة؛ أي الصوائت، سواء أكانت قصيرة أم طويلة، أكثر من غيرها من الأصوات الجامدة؛ أي الصوامت التي تدخل في تشكيل المقاطع الصوتية كوحدات مساعدة.

المطلب الثاني: مكونات المققطع

يُبنى المققطع في اللغة العربية على العناصر المتناظرة التي تحتويها بنيته، وتتألف النظائر المتتابعة في حدود المققطع من: «الفونيمات اللغوية المفردة، ولكل مقطع جزء رئيسي يكون بارزاً وظاهراً، ويطلق على هذا الجزء نواة المققطع، وتسمى العناصر الباقية العناصر المساعدة، وتقسّم الفونيمات المفردة في العربية إلى فونيمات مركزية وغير مركزية، وتشكّل الحركات القصيرة الثلاث مع نظائرها الطويلة نواة المققطع دائماً، وتمثّل دائماً جميع السواكن والصوتان الجهوران "الياء والواو" الفونيمات المساعدة في بنية المققطع»⁽³⁾.

وإلى شيء من هذا تذهب "فضيلة مسعودي" حيث تحدد مكونات المققطع فتقول: «المقطع وحدة صوتية مفردة أكبر من الصوت، مكونة من مادة أولية هي الأصوات الواقعة أثناء عملية الكلام، التي تتم بطريقة الانفتاح والانغلاق»⁽⁴⁾.

يتبين من خلال ما سبق ذكره أنّ المققطع الصوتي في العربية يتكون من عنصرين اثنين هما: عنصر رئيسي يشمل "الصوائت العربية"، والتي تشكّل بدورها قمة البروز السمعي كما أشار "غانم قدوري الحمد" سابقاً في تعريفه للمقطع. وهذه الصوائت هي نواة المققطع ومركزه وأساسه، وعنصر آخر مساعد ويشمل جميع الصوامت

(1) - رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 101.

(2) - غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم الأصوات العربية، صص 193، 194.

(3) - سليمان حسن العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، تر: ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط1 1403هـ/ 1983م، ص 131.

(4) - فضيلة مسعودي: التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية قراءة نافع أنموذجاً، ص 31.

العربية، دون أن يعني هذا الكلام أنه يمكن الاستغناء عنها؛ فلا وجود لمقطع خال من صامت، كما لا وجود لمقطع خال من حركة، غير أنّ الصوائت هي غَالِبُ ما يقع عليها درجة الارتكاز وهذا ما يعرف في اصطلاح علماء الأصوات بـ: "النبر".

والمقطع بهذا المعنى أكبر من الصوت المفرد، كما أنّ المقاطع إمّا أن تتكوّن بطريقة الانفتاح الذي يفتح المجال لأن يكون المقطع أطول، أو طريقة الانغلاق والذي من شأنها أن تحدّد مجال المقطع، ويمكن أن يُفهم من هذا الكلام أن المقطع على أنواع متعددة: مفتوح ومغلق، طويل وقصير ومتوسط... ويُقسّم "إبراهيم أنيس" المقطع باعتبار نهايته من حيث التحريك والتسكين إلى قسمين هما: «المقطع المتحرك، والمقطع الساكن؛ فالأول هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أمّا المقطع الساكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن»⁽¹⁾.

وقبل الخوض في أشكال المقطع لا بدّ أولاً من الوقوف على العلاقة الموجودة بين المقاطع الصوتية وبين الكلمة، بحيث يعدّ المقطع الصوتي «وحدة صوتية أصغر من الكلمة؛ أي أنّ الكلمة يقوم هيكلها على المقطع الصوتي الذي يستمدّ كيانه من الصوامت "The consonants" والحركات "The vowels"»⁽²⁾.

إذن فالعلاقة بين المقطع وبين الكلمة هي علاقة جزء من كل، وقد يشكل المقطع الواحد كلمة مفردة، ولا يمكن للكلمة أن تكون خالية من المقاطع؛ بل أنّ عناصر المقطع هي نفسها العناصر التي تتدخل في بناء الكلمة العربية، إذن فالعلاقة بينهما متكاملة.

المطلب الثالث: أشكال المقطع في اللغة العربية

تنقسم المقاطع في اللغة العربية إلى قسمين اثنين هما⁽³⁾:

1 - المقطع القصير: وهو الذي يبدأ بصوت صامت تتلوه حركة قصيرة، وهو أصغر صورة للمقطع العربي، ولا يكون هذا النوع من المقاطع إلا مفتوحاً.

2 - المقطع الطويل: وهو المقطع الذي يتكون من صوت صامت تتلوه حركة طويلة، أو صامت تتلوه حركة قصيرة يتبعها صامت مغلق، ويكون هذا النوع مفتوحاً ومغلقاً، ويمكن إطالة المقطع الطويل المفتوح عن طريق زيادته بصامت فيصبح المقطع مديداً مغلقاً، كما يمكن إطالة المقطع الطويل المغلق عن طريق زيادته بصامت، فيصبح المقطع زائداً الطول مغلقاً بصامتين.

(1) - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 87.

(2) - حازم علي كمال الدّين: دراسة في علم الأصوات، ص 87.

(3) - حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث، ص 213.

بناء على هذا الكلام يمكن القول بأنّ اللغة العربية تشتمل على خمسة أنواع من المقاطع وهي⁽¹⁾:

1- المقطع القصير المفتوح: ص ح، مثل: كُ + تَ + بَ.

2- المقطع الطويل المفتوح: ص ح ح، مثل: كَا

والنوعان السابقان لا يكونان إلاّ مفتوحين.

3- المقطع الطويل المغلق: ص ح ص، مثل: تَبْ

4- المقطع المديد المغلق: ص ح ح ص، مثل: قَالْ عند تسكين الآخر، أو كما في دَابَّةُ عند الوقف.

5- المقطع الزائد الطويل: ص ص ص ص، وذلك في مثل: مِصْرٌ، و عَصْرٌ، عند تسكين الآخر، أو عند الوقف

على الآخر.

ملاحظات:

1 - اتفق الدارسون قديمهم ومحدثهم على رمز(ص) للصامت أو الصوت الساكن، ولكنهم اختلفوا في الترميز للحركة طويلة أكانت أم قصيرة، فمنهم من أعطاهها رمز (ح)، ومنهم من أعطاهها رمز (ع)، فضلا عن اختلافهم في الاصطلاح عن الصامت بهذا الاسم وكذا بالحبيس والجامد، وعن الصائت بهذا الاسم وكذا بالطلاق والذائب.

2 - يسمي بعض الباحثين "المقطع الطويل المفتوح" و"المقطع الطويل المغلق" بالمقطع المتوسط؛ الأول مفتوح والآخر مغلق، أمّا " المقطع المديد المغلق" و " المقطع الزائد الطويل" فيسمونه مقطعا طويلا، ومن هؤلاء: "تمام حسّان" و"كمال بشر" وغيرهما، ممّا يعني أنّ المقطع عندهما يكون إمّا قصيرا أو متوسطا في شكلين أو طويلا في شكلين أيضا.

3 - يعلّق "محمد الأنطاكي" على الأشكال الأربعة الأولى للمقطع الصوتي في اللغة العربية السابقة الذكر فيقول: «والأشكال الثلاثة الأولى شائعة في العربية كثيرا، وتقع في صدور الكلمات وأحشائها وأعجازها على حدّ سواء أمّا الشكل الرابع فقليل، ولا يقع إلاّ في الأعجاز حين الوقف بالسكون (كِتَابٌ)، أمّا وجوده في الحشو فهذا نادر جدا، ولا يكون ذلك إلاّ في حالة الإدغام، نحو: (شَابَةٌ = شَابٌ، بَهٌ)»⁽²⁾، ويضيف قائلا عن الشكل الخامس: «أمّا الشكل الخامس فلا يقع إلاّ في الأعجاز حين الوقف بالسكون، مثل: هَزْبُرٌ = هِرْ، زَبْرٌ، وعلة امتناع وجوده في الصدور والأحشاء هي كراهية العربية لتوالي ثلاثة حبيسات ليس بينهما طليق، وهو ما يعرف اليوم بالالتقاء

(1) - حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث، ص 214.

(2) - محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ج 1، ص 48.

الساكنين...»⁽¹⁾.

المطلب الرابع: الخصائص العامة للمقطع في العربية

يتسم المقطع الصوتي في اللغة العربية بجملة من المميزات العامة يمكن حصر أهمها في النقاط التالية⁽²⁾:

- 1 - أنه يتكون من وحدتين صوتيتين أو أكثر، إحداهما حركة بالضرورة؛ فلا وجود لمقطع خال من الحركة، وهذا يعني أنّ المقطع في العربية لا يتكون من الصوامت فقط، بل يتكون من الصوامت والحركات (الصوائت).
- 2 - أنّ المقطع في العربية لا يبدأ بصوتين صامتين، كما أنّه لا يبدأ بحركة؛ أي أنّه لا يبدأ بحرف (صامت) ولا تسبق الحركة فيه الحرف.
- 3 - لا ينتهي المقطع بصوتين صامتين إلاّ في حال الوقف؛ هذا يعني أن الحالة الاستثنائية لتوالي صامتان في المقطع العربي هي حالة الوقف.
- 4 - يتكون أطول مقطع في العربية من أربع وحدات (فونيمات).
- 5 - لا تزيد مقاطع الكلمة المجردة من اللواحق عن أربعة مقاطع إلاّ نادرا.
- 6 - يمكن أن يتوالى في الكلمة العربية المجردة مقطعان طويلان مفتوحان، ولكن لا يتوالى ثلاثة مقاطع طويلة.
- 7 - لا يُتبع المقطع الطويل المفتوح بصامت إلاّ حال الوقف أو الإدغام.

المطلب الخامس: أهمية دراسة المقطع وقيّمته

حدّد "حسام البهنساوي" أهمية دراسة المقطع في اللغة العربية والفائدة من ذلك، كما يلي⁽³⁾:

- 1 - أنّ اللغة كلام، والمتكلّمون لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة بنفسها، أو هم لا يفعلون ذلك إن استطاعوا، وإنّما ينطقون الأصوات في شكل تجمعات هي: المقاطع، ولذا يقال: إنّ في المقطع يخرج الفونيم إلى الحياة ولكي تصف المقطع أنت تخبر كيف تشكّله الفونيمات، ولتصف الفونيمات أنت تدرس كيف تنظم نفسها في المقاطع.
- 2 - يساعد المقطع كثيرا في اتخاذ قرار بالنسبة لأفضل تحليل لصوت أو مجموعة صوتية تعدّ من الناحية الصوتية غامضة.
- 3 - يعدّ المقطع هو مجال العمل بالنسبة للطرق الثلاثة الأكثر أهميّة، التي تعدل أصوات الكلام وهي النبر (كلمة

(1) - محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرّفها، ج1، ص49.

(2) - مسعود بودوخة: محاضرات في الصوتيات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 1434هـ / 2013م، صص131، 132.

(3) - حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، صص 207، 208.

أو جملة)، الإطالة، صعود درجة الصوت وهبوطه.

4 - المقطع موجود أردنا أم لم نرد، فالمقاييس العروضية في بعض اللغات عروضية، كما أنّ بعض طرق الكتابة قد وضعت على أساس مقطعي.

5 - المقطع يشكل درجة في السلم الهرمي للوحدات الصوتية التي تشكّل كل منها من أصغر وحدة تسبقه، فالوحدة الصغرى هي الفونيم، أو يأتي المقطع المكون من فونيمات بترتيب معين، ثم تأتي مجموعة النغم.

6 - لقد أثبتت التسجيلات الصوتية أنّ المتحدثين الذين يتمهلون في كلامهم يظنون أنّهم يتكلمون في شكل أصوات منفصلة، لكنّهم يتوهمون ذلك، لأنّهم ينتجون بذلك مقاطع في واقع الأمر.

7 - المقطع يعدّ أكبر وحدة يمكننا الاحتياج إليها في شرح كيفية تجمع الفونيمات في اللغة، فإذا فحصنا تركيب مقطع مفرد، أمكننا أن نعتبر الوحدات الكبرى كتتابعات من المقاطع.

8 - الكلمة مصطلح له في المقام الأول مغزى نحوي، أمّا المصطلح الأساسي الفونولوجي الخاص لمجموعة من الصوامت والحركات لها مركز الوحدة فهو المقطع. والمقطع بهذا الاعتبار أصغر وحدة يمكن نطقها بنفسها.

9 - يعدّ المقطع أساسا لاكتساب طريقة النطق المطابقة لنطق أصحاب اللغة، فأحسن طريقة للتعود على النطق الصحيح للنغمات الصوتية وللوقفات الموجودة في لغة أجنبية هي نطق الكلمات، أو مجموعة الكلمات ببطء مقطعا مقطعا، مع الوقفات الصحيحة بين كل مقطع ومقطع، وبالتدريج يزيد المرء من سرعة نطق الحدث الكلامي، حتى يصل إلى السرعة العادية.

المبحث الثاني: النبر

المطلب الأول: تعريف النبر

1 - لغة:

جاء في معجم "لسان العرب" في تفسير مادة "نَبْرٌ": «النَّبْرُ بالكلام: الهمز، وكلّ شيء رَفَع شيئاً فقد نبره (...)، والمنبُورُ: المهموز، والنَّبْرَةُ: الهمزة (...)، ورجل نَبَّأٌ: فصيح الكلام (...)، يقال: نَبَّرَ الرجل نَبْرَةً: إذا تكلم بكلمة فيها علو (...)، والنَّبْرُ: صيحة الفزع (...)، وانتَبَر الجرح: ارتفع وورم (...)، والنَّبِيرُ: الجُبْنُ (...). ورجل نَبْرٌ: قليل الحياء ينبر الناس بلسانه...»⁽¹⁾.

فالنبر في اللغة بمعنى الهمز، وهو في الأصوات ما كان منها مرتفعاً عالياً ذا قوة في السمع.

2 - اصطلاحاً:

اتفق الباحثون على أنّ النبر هو درجة الضغط على مقطع معين لكي يكون بارزاً نطقاً وسمعا عمّا سواه من المقاطع المجاورة له، على الرغم من اختلافهم في كون بعضهم يقرّ بأنّ المقطع المنبور مرتبط بدرجة الضغط النطقي، والبعض الآخر يجعله مرتبط بالضغط في حدّ ذاته. وسنورد فيما يأتي مجموعة من التعريفات التي قدّمها علماء الغرب والعرب لهذا المفهوم:

* تعريف "كمال بشر": النبر يعني: «نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبياً من بقية المقاطع التي تجاوره (...)، ويتطلب النبر عادة بذل طاقة في النطق أكبر نسبياً، كما يتطلب من أعضاء النطق مجهوداً أشد»⁽²⁾.

* تعريف "عبد الواحد حسن الشيخ": يقول مينا طبيعة ومصدر إنتاجه: «النبر كميّة من الطاقة الفسيولوجية لنظام إنتاج الكلام، موزعة على القنوات الرئوية والتصويتية والنطقية»⁽³⁾.

* تعريف "تمام حسان": هو: «وضوح نسبي لصوت أو مقطع، إذا ما قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام ويتكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية، والضغط والتنغيم»⁽⁴⁾.

* تعريف "ماريو باي": «النبر معناه أنّ مقطعا من بين مقاطع متتابعة يعطي مزيداً من الضغط أو العلو (نبر)

(1) - ابن منظور: لسان العرب، ج3، مادة نَبْر.

(2) - كمال بشر: فن الكلام، ص 255.

(3) - عبد الواحد حسن الشيخ: التنافر الصوتي والظواهر السياقية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1419هـ/ 1999م ص 56.

(4) - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص 160.

علوي)، أو يعطي زيادة أو نقصا في نسبة التردد (نبر يقوم على درجة الصوت)»⁽¹⁾.

* تعريف "الطيب بكوش": النبر عنده هو: «إشباع مقطع من المقاطع، وذلك بزيادة ارتفاعه الموسيقي أو مداه أو شدته»⁽²⁾.

* تعريف "مصطفى حركات": «النبر وسيلة صوتية نبرز بواسطته عنصرا من السلسلة الصوتية، قد يكون مقطعا أو لفظا أو جملة، والنبر يكون بواسطة الشدة في النطق، أو ارتفاع النغمة أو المد»⁽³⁾.

* تعريف "مسعود بودوخة": «يقصد بالنبر في ميدان علم الأصوات: النطق بمقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح من بقية المقاطع المجاورة له»⁽⁴⁾.

فكلّ هذه التعريفات اتفقت على أن التفاوت في درجة الضغط على مقطع معين، هو الذي يجعله يتميز عن غيره من المقاطع الأخرى المقترنة به على مستوى البنية اللفظية أو التركيبية، فلو كان الضغط بنفس الدرجة على جميع المقاطع لتساوى الوضوح السمعي، ولما تمكن المستمع من معرفة موضع النبر، إذن فالضغط أو الارتكاز على مقطع معين دون آخر هو الذي يحدد موقع النبر وموضعه. لهذا فإنّ الضغط عامل من عوامل النبر وليس هو النبر في حدّ ذاته، يقول "تمام حسان" مؤكدا هذا الكلام: «... فالضغط لا يسمى نبرا، ولكنه يعتبر عاملا من عوامله، ومع هذا فإنّه يعتبر أهمّ هذه العوامل، وربما كان ذلك لأنّ النبر يعرف بدرجة الضغط على الصوت أكثر ممّا يعرف بأيّ شيء آخر، أو لأنّ الضغط في صورته (صورة القوة وصورة النغمة) يتسع مجال تطبيقه على النبر أكثر ممّا يتسع مجال العوامل الأخرى»⁽⁵⁾.

ولكن هناك من الباحثين من يسمي النبر ضغطا وإن كان في كلامه ما يحيل على أن النبر إنّما يحدث من خلال درجة الضغط على مقطع صوتي معين، ومن هؤلاء "إبراهيم أنيس" الذي عرّف النبر بقوله: «والمرء حين ينطق بلغته يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كلّ كلمة، ليحعله بارزا أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة وهذا الضغط هو الذي نسميه بالنبر»⁽⁶⁾.

أما "محمود السعران" فإنّه يسمي النبر ارتكازا، على الرغم من وجود فروق واضحة بينهما كما أشرنا

(1) - ماريو باي: أسس علم اللغة، ص 93.

(2) - الطيّب البكوش: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تح: صالح القرمادي، المطبعة العربية، تونس، ط3، 1992م، ص 80.

(3) - مصطفى حركات: الصوتيات والفونولوجيا، دار الآفاق، الجزائر العاصمة، دط، دس، ص 34.

(4) - مسعود بودوخة: محاضرات في الصوتيات، ص 133.

(5) - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص 160.

(6) - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 98.

ولكنه لا يتعد في تعريفه له عما أتينا من التعريفات، يقول: «الارتكاز هو درجة قوة النفس التي يُنطق بها صوت أو مقطع، وليس كل صوت أو مقطع يُنطق بنفس الدرجة، فدرجة قوة النفس في نطق الأصوات والمقاطع المختلفة متفاوتة تفاوتاً بيّناً. إنّ الصوت - أو المقطع - الذي يُنطق بارتكاز أكبر يتضمن طاقة أعظم نسبياً، يتضمن من أعضاء النطق الخاصة جهداً أعنف في النطق، بالإضافة إلى زيادة قوة النفس وهكذا فالصوت - أو المقطع - الذي ينطق بارتكاز أكبر من سواه في كلمة من الكلمات يبرز بروزاً موضوعياً من سائر الأصوات أو المقاطع التي يجاورها، وعلى العكس من هذا عندما تستعمل في نطق صوت أو مقطع طاقة أقل نسبياً فهو تبعاً لهذا أقل بروزاً مما يجاوره من الأصوات والمقاطع»⁽¹⁾.

يبدو جلياً أنّ "محمود السعران" قد أدرك أنّ السبيل إلى الوضوح السمعي للمقاطع الصوتية، إنّما يكمن أساساً من خلال تفاوت درجات الضغط على مقطع دون آخر، من أجل إعطائه خصوصية ما، ولكن هذا لا يعني من جهة أخرى أنّ الوضوح السمعي رديف النبر «فالوضوح السمعي عبارة عن أثر يُدرك موضوعياً من قبل السامع ويكون نتيجة التأثير المركب للجرس والطول والنبر والتنعيم، ومن ثمّ فإنّه يكون من الممكن زيادة هذا الوضوح أو تقليله بواسطة أي واحد من هذه العناصر الصوتية السابقة، أمّا النبر فهو نشاط ذاتي للمتكلم؛ قوّة من النطق تعني عملاً نشطاً لجميع أعضاء النطق، ويكون مصحوباً في العادة بإيماءات واضحة من اليد أو الرأس أو أجزاء الجسم الأخرى»⁽²⁾.

ونختتم سلسلة هذه التعريفات بالقول بأن المتحكم في النبر هو: أغراض ومقاصد المتكلمين، وعلى هذا الأساس فإنّ النبر: «حالة نسبية وليست حالة مطلقة»⁽³⁾.

المطلب الثاني: أنواع النبر

يُقَسَّم النبر في اللغة العربية إلى قسمين رئيسيين هما: نبر الكلمة ونبر الجملة.

1 - نبر الكلمة(*): يُعرّف هذا النوع بأنّه: «الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة وإبرازه تمييزاً له عن غيره»⁽⁴⁾.

ونبر الكلمة يمكن تقسيمها بحسب القاعدة من حيث القوة والضعف إلى قسمين: أولي، وثانوي «والنبر

(1) - محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، 189.

(2) - فوزي الشايب: أثر القوائين الصوتية في بناء الكلمة، صص 157، 158.

(3) - عبد القادر عبد الجليل: التنوعات اللغوية، ص 125.

(*) - ويسمى كذلك: النبر الصرفي، الصيغة الصرفية، النبر الكلمي، ونبر القاعدة،...

(4) - نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 134.

الأوّل يكون في كلّ كلمة، أمّا الثانوي فيكون في الكلمات التي تشتمل على عدد من المقاطع يجعلها في وزن كلمتين مثل كلمة "استغفار"، فإنّها تشتمل على نبر أولي على المقطع "فا"، وآخر ثانوي على المقطع "تغ" ⁽¹⁾.

يفهم من خلال هذا القول أنّ النبر الأوّل يكون في جميع الكلمات والصيغ، فلا تخلو منه واحدة، أمّا الآخر؛ أي الثانوي فلا يكون إلّا في الكلمات أو الصيغ التي تكون طويلة نسبيًا (تشتمل على عدد من المقاطع)، بحيث يمكن لهذه الكلمة أن تبدو للأذن كما لو كانت بمثابة كلمتين اثنتين.

ويقدّم "حسام البهناوي" مجموعة من الفروق القائمة فيما بين النبر الأولي أو كما يسميه: النبر الرئيسي، وبين النبر الثانوي. ويمكن إبرازها من خلال النقاط التالية ⁽²⁾:

1 - يؤدي النبر الرئيسي وظائفه على مستوى الكلمة المفردة، ومن ثمّ فإنّ مجاله هو المجال الصرّي، ولا يمكن للكلمة أن تشتمل على النبر الثانوي إلّا إذا حوت مقطعين أو أكثر؛ ذلك أنّ النبر الثانوي لا يمكن له أن يدخل في الكلمة إلّا إذا تمتعت هذه الأخيرة بالنبر الرئيسي أولاً، وعلى هذا فإنّ النبر الثانوي يعدّ قيمة إيقاعية في المقام الأوّل.

2 - إنّ الإيقاع الذي يحدثه النبر الثانوي هو من متطلبات السياق، وهو نفسه الذي يحدث التوازن والتماسك بين عناصر العبارة أو الجملة، وهذا ما يعجز النبر الرئيسي وحده عن القيام به، ومعنى هذا أنّ منطقة ومجال عمل النبر الرئيسي إنّما ينحصر في الكلمة المفردة، ومن ثمّ فإنّ قيمته هي قيمة صرفية محضة، أمّا النبر الثانوي فيشتمل كلا من الكلمة شريطة أن تكثر مقاطعها لحاجتها إلى عنصر التوازن الإيقاعي، وكذلك الجملة والسياق للقيام بنفس وظيفة التوازن الإيقاعي لعدم قدرة النبر الرئيسي على النهوض بذلك وحده.

3 - إنّ إيقاع النبر الرئيسي أقوى إسماعاً ووضوحاً من نظيره (النبر الثانوي)، حيث إنّ ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين يكون أقوى منه عند إيقاع النبر الثانوي.

4 - إذا كنّا نحدد مواضع النبر الرئيسي من مؤخّرة الكلمة؛ أي بحسب مقاطعها من الآخر، فإنّ تحديد مواضع النبر الثانوي تحسب من نقطة انتهاء النبر الرئيسي.

2 - نبر الجملة^(*): يُعرّف هذا النوع من النبر بأنّه: «الضغط النسبي على كلمة من كلمات الجملة أو على ما

(1) - فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص 159.

(2) - ينظر: حسام البهناوي: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، صص 187، 188.

(*) - ويسمى هذا النوع أيضاً: النبر الجملي، النبر الدلالي، والنبر السياقي، ...

كان في حكم الكلمة الواحدة، ليكون ذلك الجزء المضغوط من الجملة أبرز من غيره من أجزاء الجملة، ويقع على ما يراد تأكيده، أو ما يُستغرب من الجملة»⁽¹⁾.

ويقدم " خالد عبد الحليم العبسي " أمثلة توضح هذا النوع كما يلي⁽²⁾:

سافر حمزة أمس للحج برا/ سافر حمزة أمس للحج برا/ سافر حمزة أمس للحج برا/
سافر حمزة أمس للحج برا.

ففي الجملة الأولى كان النبر على (سافر) لكون الحدث هو ما يراد تأكيده في الجملة، وفي الجملة الثانية كان النبر على (حمزة) لكون المسند إليه هو موطن الاستغراب أو ما يراد تأكيده، فقد يكون المسافرون كثيرون، ولم يكن من المتوقع سفر حمزة معهم، فوقع الضغط على اسمه تأكيدا لذلك، وفي الجملة الثالثة كان النبر على (أمس) لكون زمن الحدث هو محل الاستغراب أو التأكيد، فقد يكون سفر حمزة إلى مكة أمرا عاديا، ولكن حصوله أمس مع اقتراب زمن الحج مثلا هو محل الاستغراب، وفي الجملة الرابعة كان النبر على (للحج) لكون المكان الذي سافر إليه حمزة هو ما يُستغرب منه أو يُراد تأكيده، فقد يكون حمزة رجلا كثير الأسفار، ويكون سفره أمرا معتادا لا غرابة فيه، إلا أنه غير معتاد أن يكون إلى مكة، وفي الجملة الخامسة كان النبر على (برا)، لأنه قد يكون سفر حمزة أمس إلى مكة أمرا عاديا، ولكن حصوله برا هو ما يراد تأكيده لسبب ما، مثل أن صحة حمزة لا تتحمل سفر البر أو أن طريق البر غير آمنة أو نحو ذلك.

وها هو "تمام حسان" يقيم مقارنة بسيطة بين النبر الصرفي (نبر الكلمة)، وبين النبر السياقي (نبر الجملة) فيقول: «ونبر السياق مستقل عن نبر الصيغة الصرفية - الذي شرحناه - ولو أنه يتفق معه في مواضع أحيانا، والفرق بين الدلالي والصرفي، أو نبر السياق ونبر الصيغة، أنّ نبر السياق يمكن وصفه على عكس نبر الصيغة بأنه إما أن يكون تأكيدا، وإما أن يكون تقريرا، ويمكن تلخيص الفرق بين التأكيد والتقرير في نقطتين. أولا: أنّ دفعة الهواء في النبر التأكيدي أقوى منها في التقريري، والأخرى أنّ الصوت أعلى في التأكيدي منه في التقريري، وأي مقطع في المجموعة الكلامية، سواء أكان في وسطها أم في آخرها صالح لأن يقع عليه هذا النوع من النبر، والمسافة بين أي حالي نبر في المجموعة الكلامية سواء أكان كلاهما أوليا أم ثانويا أم مختلفا، لا تتعدى أربعة مقاطع»⁽³⁾.

(1) - خالد عبد الحليم العبسي: النبر في العربية (مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة أكوستيكية في القرآن)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد الأردن، ط1، 1432هـ/2011م، ص36.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، صص 36، 37.

(3) - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص163.

فضلا عن هذين النوعين من النبر، فقد عرفت العربية أنواع أخرى من النبر، لكنها لم تبلغ في أهميتها ما بلغه كل من النبر الصرفي والنبر السياقي، ومن هذه الأنواع نذكر:

- **نبر الشدة**: وهو: «ضغظ يستلزم علوًا سمعيًا نسبيًا لمقطع على غيره من المقاطع، فتكون دفعة الزفير في أحد المقاطع أقوى من الآخر»⁽¹⁾.

- **نبر الطول**: وهو: «طول التلفظ النسبي بالصوت ليكون أطول زمنا في النطق»⁽²⁾.

كانت - إذن - هذه هي أهم أنواع النبر الأساسية وما ينبثق عنها من فروع في النظام اللغوي العربي.

المطلب الثالث: مستويات النبر ودرجاته

يقسّم علماء الأصوات النبر إلى ثلاث درجات أساسية هي⁽³⁾:

- **النبر الأولي** ويرمز له بـ [/].

- **النبر الثانوي** ويرمز له بـ [\].

- **النبر الضعيف** وليس له رمز.

وقد بنوا كل ذلك على أساس ثلاثة معايير أساسية وهي: «ازدياد شدة الصوت، ارتفاع نغمته الإسماعية وكذا امتداد مدته الإنتاجية»⁽⁴⁾.

يقول "سليمان حسن العاني" متحدثا عن مستويات النبر وأنواعه: «فالكلمة ذات المقطع الواحد تستقبل نبرا أوليا وهي مفردة، أما الكلمات ذوات المقاطع الكثيرة أو التي تؤلف مقطعين فقط فتستقبل نوعين من النبر: ثانوي وضعيف بالإضافة إلى النبر الأولي»⁽⁵⁾.

يبدو من خلال ما سبق ذكره أنّ هناك علاقة وثيقة بين المقطع الصوتي وبين النبر. فما طبيعة هذه العلاقة؟

المطلب الرابع: علاقة النبر بالمقطع الصوتي

إنّ العلاقة التي تربط النبر بالمقطع هي علاقة عضوية؛ فالنبر لا يمكن أن يتمّ من دون وجود مقطع صوتي فهو بهذا المعنى واقع به وعليه، ومن تحدّث عن علاقة النبر بالمقطع الصوتي "أحمد البايبي" حيث نجده يقول:

(1) - خالد عبد الحليم العسي: النبر في العربية (مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة أكوستيكية في القرآن)، ص 41.

(2) - المرجع نفسه، ص 50.

(3) - سليمان حسن العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، ص 134.

(4) - عبد القادر عبد الجليل: علم الصرف الصوتي، ص 119.

(5) - سليمان حسن العاني: المرجع السابق، ص س.

«يعتبر المقطع المفتاح الأساس لمعالجة الملامح التطريزية(*)، وبخاصة النبر والنغم والتنغيم والإيقاع»⁽¹⁾.

وها هو "فوزي الشايب" يؤكد بدوره على قوة العلاقة التي تجمع النبر بالمقطع فيقول: «هناك علاقة قوية بين النبر وطول المقطع، ففوق النبر على مقطع ما قد يزيد في حجمه وكميته، وانتقاله عنه يؤدي إلى تقليصه وانكماشه، وزيادة كمية المقطع قد تتم بإطالة حركته، وهذا ما حصل بالنسبة لـ (فَعَلَل) و (فَعَلَل)، ففوق النبر على المقطع الثاني زاد في كمية حركته فتحول البناءان بذلك من (فَعَلَل) إلى (فُعَالَل)، فكانت عكالت وعجالط وكذلك بالنسبة إلى (فَعَلَل) تُحَوَّل إلى (فُعَالَل) فكانت جنادل»⁽²⁾.

وفي كلام "كمال بشر" ما يؤكد على تلازم النبر بالمقطع، حيث يقول: «المقطع والنبر متلازمان في الدرس والتحليل؛ ذلك أنّ المقطع حامل النبر، والنبر أمانة من أمارات تَعْرِفُهُ»⁽³⁾.

جاء فيما سبق أنّ المقطع يتكون من الصوامت والصوائت، والصوائت أهمّ من الصوامت في تركيب المقطع وعلى هذا الأساس فإنّ: «الصامت المفرد لا أثر له على النبر، فكلمة ذهب لا تختلف عن ذهب، ومعنى هذا الكلام أنّ ما هو له تأثير على النبر هو: الحركات سواء أكانت طويلة أم قصيرة، وكذا الصامتان المتواليان وعلى هذا الأساس يمكن تحديد الوحدة النبرية كالاتي: الحركة = وحدة نبرية، الصامتان = وحدة نبرية، الحركة الطويلة = وحدتان نبريتان، الحركة والصامتان = وحدتان نبريتان، الصامت = ليس وحدة نبرية»⁽⁴⁾.

بعد هذا الاستطراد حول مفهوم النبر وأنواعه، يمكن للسائل أن يتساءل فيقول: هل للنبر وجود في النظام اللغوي العربي أم لا؟، وإذا كانت الإجابة بنعم، فهل النبر فونيم أم لا؟. وقبل الإجابة على هذه الإشكالية لا بدّ أولاً من التفريق بين مسألة وجود النبر - كظاهرة صوتية - في اللغة العربية من عدمها، وبين كون العربية لغة نبرية أم غير نبرية؟.

المطلب الخامس: النبر من حيث الوجود والعدم في اللغة العربية

إنّ القول بأنّ النبر موجود في العربية أو غير موجود هو ببساطه: بحث عن كيان ظاهرة صوتية في التراث

(*) - التطريز مصطلح مشتق من الإغريقية (التطريزة)، التي تعني الدور الموسيقي المصاحب، ويجل هذا المصطلح على مبادئ النظم المشتملة على القوالب الإيقاعية، وصيغ التفغية وبنية البيت الشعري... للمزيد من التوسع ينظر: أحمد البايبي: القضايا التطريزية (دراسة لسانية في الصوتية الإيقاعية)، ج1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1433هـ / 2012م، صص 12، 15.

(1) - المرجع نفسه، ص 159.

(2) - فوزي الشايب: أثر القوائن الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص 169.

(3) - كمال بشر: علم الأصوات، ص 503.

(4) - صلاح حسنين: المدخل في علم الأصوات المقارن، توزيع مكتبة الآداب، دب، دط، 1427هـ / 2006م، ص 96.

العربي قديمه ثم حديثه، أما القول هل أن العربية نبرية أو غير نبرية؟. فنحن في هذه الحالة نكون قد جزمنا على وجود النبر في العربية، ولكن البحث هنا عن كون هذه اللغة أهي تستعمل النبر كفونيم يقوم بدوره التمييزي فيها فهي حينها لغة نبرية، أم أن النبر فيها ليس بفونيم بل هو مجرد تلون صوتي يساهم في تحسين التراكيب اللغوية، لتكون العربية بهذا المعنى لغة غير نبرية.

ومن الممكن التساؤل فنقول: هل للنبر وجود عند علماء العرب القدامى؟.

الإجابة باختصار وبكلمة بسيطة: نعم، ولكن أغلب اللغويين العرب القدامى - حتى لا نجتمع - لم يستخدموا مصطلح النبر بهذا المفهوم الحديث؛ بل استخدموا مصطلح الهمز للدلالة عليه، ويؤكد هذا الكلام "فوزي الشايب" بقوله: «والنبر بهذا المفهوم شيء جديد على الدراسات اللغوية، فلم ينتبه إليه السلف، فقد عرفوا النبر بمعنى مرادف للهمز»⁽¹⁾.

وفي هذا الكلام وجهة نظر فيها هو "الخليل" يقول متحدثا عن الهمزة: «وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رُفِّعَتْ عنها لَانَتْ»⁽²⁾، ويذهب مذهبه تلميذه "سيبويه" قائلا في وصف الهمزة: «واعلم أنّ الهمزة إنّما فعل بها هذا من لم يخففها، لأنّه بَعْدَ مخرجها، ولأنّها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجا، فنقل عليهم ذلك، لأنّه كالتهوع»⁽³⁾.

وقال "ابن السكيت": «النبر: مصدر نبرت الحرف نبرا، إذا همزته»⁽⁴⁾. وهذا ما ذهب إليه كذلك "ابن منظور" في التعريف اللغوي السابق الذكر، وحذا حذو هؤلاء أيضا "المبرد" في مقتضبه متحدثا عن الهمز قائلا: «فَلْيَبَاغِدْهَا مِنَ الحروف، وَثِقَلِ مخرجها، وَأْتَمَّا نبرة في الصدر جاز فيها التخفيف»⁽⁵⁾.

غير أنّ هناك من الباحثين من ينكر مذهب القدامى في تسميتهم للنبر باسم غير اسمه ومن هؤلاء "العبسي" الذي يقول: «...هناك اختلاف بين مفهوم النبر بمعنى الضغط، وبين مفهوم النبر بمعنى الهمز، فقد يوجد مقطع منبور وفيه همزة، وقد يوجد مقطع منبور وليس فيه همزة، وقد يوجد مقطع غير منبور وفيه همزة، وقد يوجد مقطع غير منبور وليس فيه همزة، فليس هناك أيّ علاقة خاصة بينهما، وهو ما يدلّ على علاقة المغايرة

(1) - فوزي الشايب: أثر القوائين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص 158.

(2) - الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص 52.

(3) - سيبويه: الكتاب، ج3، ص 548.

(4) - أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت: إصلاح المنطق، ج1، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، دط، ص16.

(5) - المبرد: المقتضب، ج1، ص 292.

التامة بينهما»⁽¹⁾.

وكلّ هذه الأقوال السابقة تثبت وجود هذه الظاهرة في التراث اللغوي العربي القديم، غير أنّ المحدثين يذهبون عكس هؤلاء، فكثير منهم ينكرون معرفة القدامى للنبر بسبب تسميته بالهمز، فهذا هو "إبراهيم أنيس" يقول: «وليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النبر في اللغة العربية، كما يُنطقُ بها في العصور الإسلامية الأولى، إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدماء، أمّا كما يُنطقُ بها القراء الآن في مصر فلها قانون تخضع له، ولا تكاد تشدّ عنه»⁽²⁾.

فواضح من خلال هذا الكلام وحسب رأي "إبراهيم أنيس" أن العرب قديماً لم تعرف النبر، هذا وإن عرفته فلم يكن عندهم يوم ذاك قانون يحكمه أو قاعدة تضبطه، على العكس تماماً في العصر الحديث. وهناك من اللغويين من يعترف بوجود ظاهرة النبر عند العرب القدامى لكن وجوده قاصر على لهجات العوام ولا يمس العربية الفصحى ومن هؤلاء "تمام حسان" الذي يقول: «ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أنّ دراسة النبر ودراسة التنغيم في العربية الفصحى يتطلب شيئاً من المجازفة، ذلك لأنّ العربية الفصحى لم تعرف هذه الدراسة في قديمها ولم يسجل لنا القدماء شيئاً عن هاتين الناحيتين، وأغلب الظنّ أنّ ما ننسبه للعربية الفصحى في هذا المقام، إنّما يقع تحت نفوذ لهجاتها العامية، لأنّ كلّ متكلم بالعربية الفصحى في أيامنا هذه يفرض عليها من عاداته النطقية الشيء الكثير»⁽³⁾.

ويشاطر رأي "تمام حسان" المستشرق الألماني "برجشتراسر" الذي بدوره يشير إلى وجود النبر في اللهجة وليس في اللغة الفصحى قائلاً: «إنّه لا نصّ نستند عليه في إجابة مسألة كيف كان حال العربية الفصيحة في هذا الشأن، ومّا يتضح من اللغة نفسها، ومن وزن شعرها: أنّ الضغط لم يوجد فيها، أو لم يكد يوجد، وذلك أنّ اللغة الضاغطة يكثر فيها حذف الحركات غير المضغوطة وتقصيرها وتضعيفها ومدّ الحركات المضغوطة، وقد رأينا أنّ كلّ ذلك نادر في اللغة العربية، وإذا نظرنا إلى اللهجات العربية الدارجة وجدنا فيها كلّها - فيما أعرف - الضغط، وهو في بعضها قوي وفي بعضها متوسط...»⁽⁴⁾.

أمّا أنّه ليس لدينا نص نستند إليه في معرفة حالة النبر في العربية القديمة فهذا رأي مقبول إلى حدّ ما، وأمّا أنّ العربية لم تكن تنبر فإنّ مثل هذا الكلام مردود ومشكوك في مدى صحّته.

(1) - خالد عبد الحليم العبسي: النبر في العربية (مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة أكوستيكية في القرآن)، ص 137.

(2) - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 99.

(3) - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص 164.

(4) - برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، ص 46.

المطلب السادس: فونيمية النبر في النظام اللغوي العربي

وأما الإجابة عن الشرط الثاني من السؤال وهو: هل أنّ النبر فونيم في العربية أم لا؟. فلقد اختلف الباحثون في فونيمية النبر، حيث ذهب أكثرهم إلى القول بأنّ النبر في العربية غير فونيمي ولا يبنى عليه اختلاف المعنى؛ بمعنى أنّه لا يؤدي وظيفة تمييزية في العربية، وهناك في المقابل من أقرّ بأنّه فونيم ذو سمة تفريقية بين المعاني اللغوية.

ومن الذين أنكروا فونيمية النبر في لغتنا العربية نجد "أحمد مختار عمر"، حيث يقول: «المعروف أنّ اللغة العربية لا تستخدم النبر كفونيم، بمعنى أنّه لا يُستخدم كملح تمييزي في (ثنائي أصغر) يكون معنى الطرف المنبور فيه مخالفاً لمعنى الطرف غير المنبور»⁽¹⁾، ويضيف قائلاً: «ولكن هذا لا ينفي وجود النبر في اللغة، فهو موجود فيها، ولا تكاد تخلو منه أية لغة، وإتّما الفرق بين اللغات: هو استعماله ملمحاً تمييزياً أو ملمحاً غير تمييزي»⁽²⁾.

ويشاطره الرأي "إبراهيم أنيس" قائلاً: «ولحسن الحظ لا تختلف معاني الكلمات العربية باختلاف موضع النبر فيها»⁽³⁾، غير أنّ "فوزي الشايب" كان أكثر تصريحاً من سابقه على تأكيد عدم فونيمية العربية بل نفى أن تكون العربية ضمن قائمة اللغات العالمية المستعملة للنبر كظاهرة صوتية لغوية فيقول: «اللغة العربية ضمن اللغات غير النبرية والتي لا يكون للنبر فيها أية وظيفة فونيمية»⁽⁴⁾.

ولكن هناك من اللغويين من يذهب إلى نقيض ما ذهب إليه أصحاب الفريق الأول، ومن هؤلاء "محمد علي الخولي" في كتابه الأصوات اللغوية حين يقول: «أما اللغة العربية فالنبر فيها فونيم أيضاً، فلو قلنا (كان) مع النبر على المقطع الأول، ثمّ قلنا والنبر على المقطع الثاني لأصبحت (كانا) وهي ذات معنى مختلف، ولو قلنا (ذهب) مع النبر على المقطع الأول، ثمّ قلناها مع النبر على المقطع الأخير لأصبحت (ذهبا) وهي ذات معنى مختلف أيضاً، وهذا يدلّ على فونيمية النبر في اللغة العربية»⁽⁵⁾.

وهناك أيضاً من يقرّ بفونيمية النبر في العربية لكن ذلك واقع في نوع واحد فقط من أنواع النبر، ويمكن أن نلمس ذلك من خلال قول "تمام حسان" وكذا قول: "كمال بشر"، يقول الأول: «أما اللغة العربية فلا تفرّق

(1) - أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص 357.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

(3) - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 102.

(4) - فوزي الشايب: أثر القوائين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص 158.

(5) - محمد علي الخولي: الأصوات اللغوية، مكتبة الخريجي، الرياض، السعودية، ط1، 1407هـ / 1987م، ص 162.

بالنبر بين الأسماء والأفعال؛ أي أنّها لا تعطي النبر معنى وظيفيا في الصيغة أو الكلمة، ولكنها تمنحه معنى وظيفيا في الكلام أي في معنى الجملة، ويتضح ذلك إذا قارنا في النطق بين جمليتي: (اذكر الله) و(اذكري الله)⁽¹⁾.
أما الآخر فيصرح بدوره بهذا الكلام قائلا: «والأولى عندنا أن نصنّف العربية لغة «بَيِّنِيَّة» في سلسلة اللغات النبرية وغير النبرية على مستوى الجملة، ليس غير»⁽²⁾.

يتضح جليا من خلال كلام "تمام حسان" و"كمال بشر" أنّ نبر الكلمة في العربية ليس بفونيم؛ أي أنّه لا يؤدي وظيفة تمييزية، وإنّما تقتصر هذه الوظيفة على ما يعرف بنبر الجملة (النبر السياقي) والمعنى فيه يتمّ من خلال النطق بالجملة. إذن فاللغة العربية عندهما لغة غير فونيمية إذا نظرنا إلى النبر فيها على مستوى الصيغة الصرفية، أمّا إذا نظرنا إلى النبر فيها على مستوى الجملة (السياق الدلالي)، فإنّها تعدّ لغة نبرية؛ يكون النبر حينها فونيميا؛ أي ملمحا تمييزيا فونولوجيا لا ملمحا صوتيا.

بناء على ما سبق يمكن تقسيم لغات العالم قسمين: لغات نبرية تعتمد النبر أساسا للتفريق بين معاني التركيب وهنا يعتبر النبر «فونيميا له القدرة على خلق دلالات جديدة»⁽³⁾، في مقابل القسم الآخر وهو اللغات غير النبرية.

المطلب السابع: شروط النبر في اللغة العربية

قبل تناول قواعد النبر في اللغة العربية، لا بدّ أولا من معرفة شروطه في هذه اللغة، وفيما يلي بعض أهم هذه الشروط⁽⁴⁾:

1 - إذا كانت الكلمة مؤلفة من مقطع واحد فالنبر عليه إطلاقا أيّا كان شكل هذا المقطع، مثل: عُذْ، نَمّ و صِلْ،...

2 - لا تُحسب (ال) التعريف في مقاطع الكلمة.

3 - كلّ ما يلحق الكلمة من ضمائر متصلة، أو ما يسبقها من حروف المضارعة داخل فيها أثناء عدّ المقاطع.

4 - يُجَدّد موقع النبر على أساس أنّ الكلمة منطوقة في حال الوصل، وبعد التحديد لا يهتمّ أن تنطقها موصولة أو موقوفا عليها بالسكون، لأنّ موقع النبر لا يتغير بين وصل ووقف.

ويستثنى من ذلك: أن يكون النبر على المقطع الثالث من الكلمة وهو قصير، فحين الوقف على مثل هذه

(1) - تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، صص 307، 308.

(2) - كمال بشر: علم الأصوات، ص 524.

(3) - عبد القادر عبد الجليل: الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، ص 74.

(4) - محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ج 1، صص 52، 53.

الكلمة يتأخر النبر إلى المقطع الرابع، وذلك نحو: المدرسة، فالمقطع المنبور في هذه الكلمة في حالة الوصل "ر":
(ال - مَد - رَ - سَ - هُ)، أما في حالة الوقف فينتقل النبر إلى "مَد": (ال - مَد - رَ - سَ هُ).
وتحولت تاء (المدرسة) إلى "هاء" في المثال الثاني بسبب الوقف.

المطلب الثامن: قواعد النبر في اللغة العربية

انطلق الكثير من الدارسين العرب المحدثين في تعييدهم للنبر العربي - ونخص بالذكر كل من إبراهيم أنيس و"تمام حسان" - من أداء قراء القرآن الكريم، مما يجعل من أعمالهما تعريدا لنبر العربية القرآنية في واقع الأمر، وتعتبر مقارنتهما المنهل الذي اعتمده جلّ الدارسين العرب ك: "رمضان عبد التواب"، و"أحمد مختار عمر" وغيرهما.

1 - عند "تمام حسان":

كما أشرنا فقد انطلق "تمام حسان" في وضعه لقواعد النبر في العربية الفصحى، من قراء عصره المصيرين حيث نجده يقول بعد تقديمه لقواعد النبر: «...هي نظام النبر في صرف اللغة العربية الفصحى كما يلاحظها المرء عند قراء القرآن، وهي الشكل الوحيد للفصحى الذي يشتمل على عنصر التواتر المتعمد»⁽¹⁾.
وقد قدّم نموذج على الشكل التالي:

أ/ مواضع النبر الأولي (الرئيسي)

النبر مهما كان نوعه أوليا أو ثانويا يبني على قواعد خاصة تنسجم مع وظيفته الإيقاعية في حدود الصيغة أو الكلمة، وفيما يلي قواعد النبر الأولي مجملة كما يتصوّرها "تمام حسان"⁽²⁾:

يقع النبر على المقطع الأخير في الكلمة أو الصيغة إذا كان هذا المقطع طويلا، وقد يقع النبر على المقطع الذي قبل الآخر إذا كان ما قبل الآخر متوسطا، والمقطع الأخير: قصيرا أو متوسطا، أو كان ما قبل الآخر قصيرا بشرط أن تكون الكلمة مبدوءة به، أو مسبوقة بالمقطع الأقصر^(*) ذو الحرف الوحيد الساكن، الذي يُتَوَصَّلُ إلى النطق به بهمزة الوصل، أو كان ما قبل الآخر طويلا اغتفر فيه التقاء الساكنين، بشرط ألا يكون الأخير مثله طويلا.

كما قد يقع النبر على المقطع الثالث من الآخر إذا كان: قصيرا متلوا بقصيرين مثله، أو بقصير ومتوسط

(1) - تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، صص 304، 305.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، صص 172، 174.

(*) - مثل: ن، غ، ق، ط، ... فهذه الحروف وأمثالها تقطع هكذا = "ص"، وهذا هو المقطع الأقصر في العربية.

أو كان متوسطا متلوا بقصيرين أو قصير ومتوسط. أو على المقطع الرابع من الآخر إذا كان الأخير متوسطا والرابع من الآخر قصيرا وبينهما مقطعان قصيران، ويغلب على المقطع الأخير في هذه الحالة أن يكون تنوينا أو إضمارا أو إشباعا. هذا ولا يقع النبر على مقطع يسبق هذا الرابع حينما يتمّ العدّ من الأخير. أمّا إذا كانت الكلمة ذات مقطع وحيد وقع عليه النبر أيّا كانت كميته مثل: "ق، قُم، ما...".

ب/ مواضع النبر الثانوي

يبدأ النبر الثانوي أين ينتهي النبر الأوّل، ويُجرى العدّ بصورة عكسية من اليسار إلى اليمين، وفي هذا يقول "تمام حستان": «وكما احتسبنا النبر الأوّل من نهاية الكلمة متجهين بقواعده صوب بدايتها، سيكون حسابنا للنبر الثانوي من النقطة التي وقع عليها النبر الأوّل متجهين الاتجاه نفسه إلى بداية الكلمة في اتجاه معاكس لجرى ترتيب الكلمة في الحالتين»⁽¹⁾.

ونشير هنا إلى أنّ مجال النبر الثانوي في الكلمة أضيق منه في الجملة، أو المجموعة الكلامية ومع هذا فإنّ النبر الثانوي يوجد في الكلمات ذوات المقطعين فأكثر - كما أسلفنا فالمقطع المنبور نبرا ثانويا من وجهة نظر "تمام حستان" يمكن وجوده على مسافات محددة في النبر الأوّل كما يأتي⁽²⁾:

يقع النبر الثانوي على المقطع الذي قبل المقطع المنبور نبرا أوّليا إذا كان ذو النبر الثانوي طويلا، كما يقع على المقطع الذي بينه وبين المنبور نبرا أوّليا مقطع آخر إذا كان المنبور الثانوي يكون مع الذي يفصل بينه، وبين المنبور الأوّل أحد الأنساق الآتية: مقطع متوسط وآخر مثله، أو مقطع متوسط وآخر قصير، أو مقطع طويل وآخر قصير.

ويقع أيضا على المقطع الثالث قبل النبر الأوّل، إذا كان هذا المقطع المذكور يكون مع اللذين يليانه فيقعان بينه وبين النبر الأوّل أحد النماذج الآتية: متوسط، قصير فمتوسط أو متوسط فقصيرين، أو ثلاثة مقاطع قصيرة ولا يقع النبر على سابق ما ذكرنا.

يمكن أن يفهم ممّا سبق: أنّ النبر الثانوي لا يقع بعد النبر الأوّل بل يسبقه دائما، كما أنّ النبر الثانوي قد يقع متّصلا بالنبر الأوّل مباشرة دون وجود فاصل بينهما، أو منفصلا عنه بمقطع وحيد أو مقطعين اثنين كأقصى تقدير.

(1) - تمام حستان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 174.

(2) - ينظر: تمام حستان في كتابيه: مناهج البحث في اللغة، صص 162، 163 وكتاب: اللغة العربية معناها ومبناها، صص 174، 175.

2 - عند "إبراهيم أنيس":

انطلق "إبراهيم أنيس" هو الآخر في تععيده للنبر العربي من قراء مصر الذين يخضعون إلى قوانين ثابتة لا يخرجون عنها، ويلخص لنا هذه القوانين من وجهة نظره في أربعة: مواضع أشهرها وأكثرها شيوعاً المقطع الذي قبل الأخير، يقول: «لمعرفة موضع النبر في الكلمة يُنظَرُ أولاً إلى المقطع الأخير، فإذا كان من النوعين الرابع والخامس كان هو موضع النبر، وإلا نُظِرَ إلى المقطع الذي قبل الأخير، فإن كان من النوع الثاني أو الثالث حكمنا بأنه موضع النبر، أما إذا كان من النوع الأول نُظِرَ إلى ما قبله فإن كان مثله؛ أي من النوع الأول أيضاً، كان النبر على هذا المقطع الثالث حين نعدّ من آخر الكلمة، ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعدّ من الآخر إلا في حالة واحدة، وهي أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأول»⁽¹⁾.

هذه إذن هي مواضع النبر العربي - عند إبراهيم أنيس - كما يلتزمها مجيدوا القراءات القرآنية في القاهرة وهذا فيما يخص نبر الكلمات لا نبر الجمل، مع الإشارة هاهنا إلى أنّ "إبراهيم أنيس" لم يتكلم عن النبر الثانوي مثلما فعل "تمام حسّان"، وإتّما اقتصر حديثه على النبر الرئيسي (الأولي) فقط.

وما ينطبق على اللغة العربية من قواعد نبرية، ينطبق كذلك على القرآن الكريم - مع بعض التحفظ - لأنها اللغة التي أنزل بها، غير أنّ بعض القراء وعلماء التجويد أوجدوا بعض القواعد الخاصة بتلاوة القرآن الكريم، ومن هؤلاء "أيمن رشدي سويد" الذي أورد المواضع التالية⁽²⁾:

1 - الوقف على الحرف المشدّد: (الحَيُّ، بَتُّ، مُسْتَقَرُّ،...).

ملاحظة: ويستثنى من الوقف على الحرف المشدّد موضعان هما:

* الوقف على النون والميم المشدّتين نحو: (اليَمِّ، جَانٌّ، وَلَكِنَّ،...).

* الوقف على الحرف المقلقل المشدّد نحو: (الحَقُّ، وَتَبَّ،...).

2 - عند نطق الواو والياء المشدّتين نحو: (القُوَّةُ، قَوَامِينِ، شَرْقِيًّا، سَيَّارَةٌ،...).

3 - عند الانتقال من حرف مدّ إلى الحرف الأول من المشدّد نحو: (دَابَّةٌ، الحَاقَةُ، الضَّالِّينَ،...).

4 - عند الوقف على كلمة آخرها همزة مسبوقة بحرف مدّ أو لين نحو: (السَّمَاءِ، سُوءِ، شَيْءٍ،...).

5 - عند سقوط ألف التثنية للتخلص من التقاء الساكنين إذا التبس بالمفرد نحو: (وَاسْتَبَقْنَا الْبَابَ، وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ،...).

(1) - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص101، وللتوسع أكثر ينظر: صص99، 101 من هذا الكتاب.

(2) - أيمن رشدي سويد: أطلس التجويد نظرية مرئية، صص179، 180.

ملاحظة: الموضوعان التاليان لا يلتبسان بالمفرد فلا حاجة للنبر:

﴿دَعُوا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ الأعراف/189، بسبب وجود الواو.

﴿وَفِيلَ أَدْخُلَا النَّارَ﴾ التحريم/10، بسبب وجود الفتحة.

هذا وسيتمّ التفصيل أكثر في مواضع النبر في القرآن الكريم في الجانب التطبيقي الخاص بالنبر.

المطلب التاسع: مشاكل تطبيق النبر:

يتعرض النظام اللغوي إلى بعض المشاكل التي تحول دون تطبيقه، فمقررات القاعدة لا تتجاوب في بعض الأحيان مع متطلبات السياق، ولأجل ذلك وُجِدَتْ الظواهر السياقية التي يعتبر النبر من أهمّها، ففي بعض الأحيان يُسْتَعَانُ به «كحلّ صوتي لبعض العوائق التي يقع فيها المتكلم، ومن ذلك ما نجده في الكلمات المبدوءة بساكن، والتي لا تتمكّن من تحقيقها صوتياً إلا بالاستعانة بهمزة وصل في أولها ممّا يغيّر من شكلها المقطعي»⁽¹⁾. وكثيراً ما نلاحظ «فقدان أصوات اللين الموجودة في آخر الكلمات لكميتها (مدّها)، وذلك إذا وجدت قبل الكلمة مبدوءة بساكن فيتغيّر شكلها المقطعي نحو: (ساعي البريد) ففي أثناء الكلام يلتقي المقطعان (عي) و(ل) ليشكّلا مقطعا واحدا (عل)، وتنقص مدّة الياء فتصبح كسرة (سَاعِلْبَرِيدُ)»⁽²⁾. أي تحوّلت من حركة طويلة وهي "الياء" الساكنة المسبوقة بكسرة "العين"، إلى حركة قصيرة متمثلة في كسرة "العين" فقط.

(1) - فضيلة مسعودي: التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية قراءة نافع أمودجا، ص 39.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

المبحث الثالث: التنغيم

المطلب الأول: تعريف التنغيم

1 - لغة:

عرّف صاحب معجم "مقاييس اللغة" التنغيم فقال: «نَعَمَ: النون والغين والميم ليس إلاّ النغمة، جرس الصوت بالقراءة وغيرها وهو النَّعْمُ، وتَنَعَّمَ الإنسان بالغناء ونحوه»⁽¹⁾.

إذن فالتنغيم في اللغة يعني الغناء وتلحين الكلام وتنميته بُغية أن يكون حسنا في السمع.

2 - اصطلاحا:

لقي التنغيم شأنه في ذلك شأن بقية الظواهر فوق/التركيبية اهتماما من لدن الدارسين المحدثين أكثر من غيرهم، لاسيما وأنه يُعرّف بموسيقى الكلام على حدّ تعبير "إبراهيم أنيس" كونه يضع العبارة، أو الجملة في قالب تلحيني موسيقي مميّز، وفيما يلي عرض وجيز لبعض هذه التعريفات التي صاغها هؤلاء الباحثين لهذا المفهوم:

* تعريف "الفارابي" يعرف الفارابي التنغيم مستعملا مصطلح "النغم" للدلالة عليه فيقول: «والنغم: الأصوات المختلفة في الحدة والثقل التي تتخيّل أنّه ممتدّة»⁽²⁾.

* تعريف "شاهر الحسن": يعرف التنغيم بقوله: «التنغيم يعني التغير في درجة الصوت ارتفاعا أو هبوطا أو استواء من بداية الجملة (أو العبارة) حتى نهايتها»⁽³⁾.

* تعريف "مصطفى حركات": هو: «تغير في ارتفاع النغمة يخصّ سلاسل أطول من التي ينطبق عليها النبر، وغالبا ما يخصّ الجملة أو شبه الجملة»⁽⁴⁾.

* تعريف "محمد إسحاق العناني": التنغيم في علم الأصوات هو: «الدراسة التي تعنى بالتغيّرات التي تطرأ على حركة النغمات وأجّهاها من حيث الهبوط أو الصعود أو كليهما، ويعتبر المقطع الوحدة الصوتية الأساسية التي تتركز عليها دراسة التنغيم لاسيما درجة الصوت التي تلفظ عليها، فقد يلفظ المقطع على نغمة عالية أو نغمة

(1) - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا التّرازي: معجم مقاييس اللغة، ج2، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 1429هـ/2008م، مادة نَعَمَ.

(2) - أبو نصر محمد بن محمد بن طرّفان الفارابي: الموسيقى الكبير، تح: غطّاس عبد الملك خشبة، ومحمود محمد الحنفي، دار الكتاب العربي، القاهرة مصر، دط، دس، ص 162.

(3) - شاهر الحسن: علم الدلالة السمانتيكية والبراهماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1422هـ/2001م، ص 130.

(4) - مصطفى حركات: الصوتيات والفونولوجيا، ص 37.

منخفضة، أو نغمة متقلّبة (صعودًا، ثمّ هبوطًا أو بالعكس)⁽¹⁾.

اتفقت جميع هذه التعريفات التي أتينا على ذكرها في: أنّ التنغيم هو تغير على مستوى الصوت، إمّا صعودًا وإمّا نزولًا، وإمّا توسطًا أو اعتدالًا، وبتعبير أدق فإنّ التنغيم هو الارتفاع أو الانخفاض في درجة الجهر بالصوت، وذلك منوط أساسًا باختلاف نسبة اهتزاز الوترين الصوتيين.

المطلب الثاني: علاقات التنغيم

للتنغيم علاقات كثيرة ومتعددة يمكن إبراز بعضها في النقاط التالية:

1 - بين النغمة وبين اللحن:

يفرق بعض الدارسين بين النغمة واللحن، فأما النغمة فيُقصد بها: «تنغيم المقطع الواحد في عموم المجموعة الكلامية، فتوصف النغمة بأنّها صاعدة أو هابطة أو مستوية، وأما اللحن فهو مجموع النغمات في المجموعة الكلامية؛ أي الترتيب الأفقي للنغمات، ويقترّب معنى اللحن من دلالة مصطلح التنغيم»⁽²⁾.

2 - بين التنغيم وبين النغمة:

يعتبر كلّ من التنغيم والنغمة فونيمًا غير تركيبّي أو ظاهرة فوق/تركيبية؛ ذلك أن مثل هذه الظواهر الصوتية الوظيفية ليست جزءًا من التركيب نفسه؛ أي أنّها ليست عناصر مكونة للتركيب الصوتي للغة كما هو الحال مثلاً مع الصوامت والصوائت، هذا فضلًا عن كون التنغيم مثله مثل النغمة «توالي درجات صوتية مختلفة أثناء النطق أو بعبارة أخرى هو الارتفاع والانخفاض في درجة الصوت أثناء الكلام»⁽³⁾، وما يفرّق بينهما: أنّ النغمة هي «ارتفاع الصوت وانخفاضه على مستوى الكلمة المفردة مثل: نعم، بلى، لا، أما التنغيم فيُوظف على مستوى العبارة أو الجملة»⁽⁴⁾.

وتسمّى اللغات المستعملة للنغمة: "لغات نغمية"، حيث تقوم النغمة فيها بوظيفة تمييزية شأنها في ذلك شأن الفونيم.

3 - علاقة التنغيم بالإيقاع والموسيقى:

يحدّد "قاسم بني دومي" طبيعة هذه العلاقة قائلاً: «للتنغيم صلة وثيقة بالإيقاع وموسيقى الكلام. وعليه يمكن القول: إنّ التنغيم ظاهرة صوتية تنتظم التركيب عن طريق إطلاق نغمات موسيقية منتظمة ومتنوعة، في

(1) - محمّد إسحاق العناني: مدخل إلى الصوتيات، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 1429هـ/ 2008م، ص94.

(2) - غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص243.

(3) - نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص138.

(4) - المرجع نفسه، ص ن.

حدث كلامي معيّن؛ وذلك لأداء دلالات معيّنة»⁽¹⁾.

4 - بين التنغيم وبين الترقيم:

يقدم "تمام حسّان" تفرقة بين التنغيم وبين الترقيم فيقول: «التنغيم في الكلام المنطوق كالترقيم في الكلام المكتوب، غير أنّ التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة، وربما كان ذلك لأنّ ما يستعمله التنغيم من نعمات أكثر ممّا يستعمله الترقيم من علامات كالنقطة والفاصلة والشرطة وعلامة الاستفهام وعلامة التأثر، وربما كان ذلك لسبب آخر...»⁽²⁾.

من خلال هذا الكلام الذي ساقه "تمام حسّان" يمكن القول بأنّ التنغيم أوسع من الترقيم وأشمل منه، فهو يتقاطع معه في بعض الجوانب ويتجاوزه في جوانب أخرى؛ ذلك أن عمليات الترقيم في الكتابة إنّما تعتمد أساساً على العلامات السابقة الذكر فقط، في حين يعتمد عليها التنغيم كوسيلة لفهم المعنى المراد، هذا فضلاً عمّا يستخدمه من تولونات لفظية وصوتية وحتى إشارية. قياساً على هذا يمكن القول: إنّ التنغيم هو ترقيم الفصاحة، أمّا الترقيم فهو تنغيم البلاغة.

5 - علاقة التنغيم بالوقف:

إنّ دور الوقف يكاد ينحصر في إبراز نوع التنغيم من خلال النغمة الأخيرة الموقوف عليها، والتي عادة ما تكون منبورة، لاسيما إذا كانت على مستوى المقاطع المنبورة، والتي لا تتحقق غالباً إلاّ عند الوقف⁽³⁾.

6 - علاقة التنغيم بالترتيل:

إنّ قراءة القرآن قراءة مرتّلة تقتضي مراعاة قوانين النغم، أو ملامح العلو الموسيقي، والترتيل لا يكون كاملاً إلاّ بحفظ هذه الملامح؛ ذلك أنّ علم التجويد لا يختصّ بدراسة الأصوات اللغوية من حيث إتقان مخارجها وإعطائها حقّها ومستحقّها فحسب، إنّما هو أيضاً ملامح نغمية وتنغيمية ينبغي صيانتها وحفظها⁽⁴⁾، وهذا ما انتبه إليه الإمام "الزركشي" حيث يقول في "البرهان": «فمن أراد أن يقرأ القرآن بكامل الترتيل فليقرأه على منازل، فإن كان يقرأ تهديداً لفظاً به لفظاً المتهدّد، وإن كان يقرأ لفظاً تعظيماً لفظاً به على التعظيم»⁽⁵⁾.

(1) - خالد قاسم بني دومي: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص 149.

(2) - تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 226.

(3) - أمانة شنتوف: الظواهر الصوتية في قراءة حمزة الزيات (دراسة وصفية وظيفية)، ص 161.

(4) - أحمد البايبي: القضايا النظرية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، ج 1، ص 187.

(5) - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 450.

إذن فتمّة صلة وثيقة بين «تحقيق الصوامت والمصوّتات تحقيقا مجوّداً وتوظيف ملامح العلو الموسيقي»⁽¹⁾ من أجل تحقيق المعنى المراد.

7 - علاقة التنغيم بالنبر:

يتقاطع التنغيم مع النبر في أنّ كلاهما يشتركان في خاصية فيزيائية واحدة وهي استفادتهما من الوحدة الصوتية (الصوت)، غير أنّ التنغيم يخالف النبر في الحدود والدلالة، فحدود التنغيم أوسع من حدود النبر؛ ذلك أنّ الأصل في حدود التنغيم هو "الجملة"، يبدأ من أولها وينتهي عند آخرها. في حين أنّ النبر قد يكون في كلمة من كلمات الجملة (النبر الجملي)، وقد يكون على مقطع من مقاطع الكلمة، أو صوت من أصواتها (النبر الكلمي). أمّا فيما يخصّ الدلالة فإنّ دلالة النبر تعود إلى نوعيه؛ فالنبر الجملي تتعلّق دلالاته بالمستوى التركيبي (السياق)، أمّا النبر الكلمي فتتعدد دلالاته بتعدد أنواعه، فقد يؤدي وظيفة فونيمية فهو حينها ذو دلالة صرفية أو معجمية، كما قد يؤدي وظيفة تطريزية، فهو لا دلالة له، وإمّا يعدّ حينئذ جزءاً من البنية الصوتية للكلمة، وهاتين الدالتين يؤديهما النبر حينما يكون شديداً (نبر الشدّة)، أمّا نبر الطول وهو النوع الثاني من نبر الكلمة فدلالته إمّا أن تكون انفعالية أو تأكيدية أو تشير الاندهاش، أمّا دلالة التنغيم فهي دلالة عامة على مستوى الجملة وهي: الإخبار، الاستفهام، الاستنكار، التعجب والإقرار...⁽²⁾.

المطلب الثالث: أنواع التنغيم

اشتهر عند علماء الأصوات ثلاثة أنواع من التنغيم وهي:

1 - النغمة الصاعدة: وتعني: «وجود درجة منخفضة في مقطع أو أكثر، تليها درجة أكثر علوًا منها»⁽³⁾.

ومعنى هذا أنّ هذه النغمة: «تنتهي بدرجة إسماع عالية، ففي حالات الاستفهام والشرط والغضب مثلاً تتوتر الحبال الصوتية عند نهاية الجملة، فيكون الصوت حاداً»⁽⁴⁾.

ومثال النغمة الصاعدة قوله تعالى: ﴿لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ المائدة/91، فمن

علامات منحنى الرفع أو قوّة النغمة: القسم، قال "ابن كثير" في تفسير الآية متحدثاً عن اليمين اللغو: «وأنّه قول الرجل في الكلام من غير قصد: لا والله، وبلى والله»⁽⁵⁾.

(1) - أحمد البايبي: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصوانة الإيقاعية، ج1، ص 187.

(2) - ينظر: خالد عبد الحليم العبسي: النبر في العربية (مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة أكوستيكية في القرآن)، ص 85.

(3) - غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 243.

(4) - أحمد البايبي: المرجع السابق، ص 165.

(5) - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مج2، ص996.

2 - النغمة الهابطة: وتعني «وجود درجة عالية في مقطع أو أكثر، تليها درجة أكثر انخفاضاً»⁽¹⁾.

ومعنى هذا أنّ هذه النغمة: «تنتهي بدرجة إسماع منخفضة، ففي حالات الضعف والعجز والهدوء والحلم أو في الجمل التقريرية عموماً، ترتخي الحبال الصوتية في نهاية الجملة، فيكون الصوت ثقيلًا، وهذا ما يفسّر وجود النغم الهابط»⁽²⁾.

ومن أمثلة النغمة المنخفضة الهابطة قوله تعالى: ﴿بَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ رِفْلًا أَلْحِيهَ بِفَتْلِهِ رَبِّ أَسْبَحَ مِنْ أَلْحَسِيرِينَ﴾ المائدة/32، فالمقام هنا مقام إخبار وتقرير.

ويكثر ورود الأولى في جمل الاستفهام التي تتطلب الإجابة بنعم أو بلا، وكذلك الجمل المعلقة على الشرط، أمّا الأخرى فيكثر دورانها في الجمل التقريرية والخبرية، وحتى الجمل الاستفهامية بالأدوات الخاصة. كما قد تظهر النغمتان الصاعدة والهابطة في جملة واحدة: كجملة الشرط بطرفيها؛ فجملة الشرط تشتمل على نغمة صاعدة، لعدم تمام الكلام وجملة الجواب ذات نغمة هابطة لتمام الكلام⁽³⁾.

3 - النغمة المستوية: وهي عبارة عن «عدد من المقاطع تكون درجاتها متّحدة، سواء أكانت منخفضة أم عالية أم متوسطة، وعلى ذلك فالنغمة المستوية تأتي على صور ثلاث وهي: نغمة مستوية منخفضة، نغمة مستوية مرتفعة، نغمة مستوية متوسطة»⁽⁴⁾.

فواضح من خلال هذه الأنواع التنغيمية الثلاثة أنّ العلماء قد اعتمدوا في وضعها على معيار الاتجاه الصوتي منذ بداية الكلام وحتى نهايته.

بيد أنّ هناك عدد من الباحثين قد أضافوا نوعين آخرين للتنغيم غير الأنواع الثلاثة المذكورة آنفا وهما:

* **التنغيم الصاعد الهابط:** وذلك بأن تكون: «البداية هابطة يعقبها صعود يليه هبوط في النغمة»⁽⁵⁾.

* **التنغيم الهابط الصاعد:** ويتمثل ذلك في أنّ يبدأ الكلام بـ: «نغمة صاعدة، تليها نغمة هابطة ثمّ نغمة صاعدة»⁽⁶⁾.

(1) - غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 243.

(2) - أحمد البايبي: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصوانة الإيقاعية، ج1، ص165.

(3) - ينظر: حسام البهنساوي: علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ/2004م، صص167، 168.

(4) - المرجع نفسه، ص 165.

(5) - عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: مقدّمة في علم أصوات العربية، ص197.

(6) - المرجع نفسه، ص198.

المطلب الرابع: خصائص التنغيم

يُتَّسَم التنغيم بجملة من الخصائص، لا بدّ من وجودها جميعا في العبارة المنطوقة؛ وذلك لكون أيّ نطق لا يمكن أن يتمّ بمعزل عن قوّة الصوت أو شدّته أو سرعته، ومن تمّ فهي تتشارك جميعا في أداء وظيفتها، وعلى ذلك يصعب الفصل والتمييز فيما بينها، وهذه المميّزات هي⁽¹⁾:

1 - النغمة: ونعني بها حركة النغمة في العبارة التي يكوّنها ارتفاع جرس الصوت الأساسي أو انخفاضه، فالنغمة مكوّن نغمي.

2 - الشدّة: وهي المكوّن الإيقاعي الحركي.

3 - الطول والسرعة: وهو المكوّن الزمني، أمّا المكاني فهو موقع النغمة بين النغمات.

4 - الوقف: أي القطع والنطق بأطوال مختلفة.

5 - الحدّة: أي تلونات الكلام الشعورية والانفعالية.

6 - الاعتماد على المنطوق دون المكتوب، وإن كان اللغويون قد وضعوا علامات للترقيم تعبّر عن تلك النغمات مثل النقطة، الفاصلة، علامة الاستفهام، التعجب،...

7 - التنغيم ظاهرة صوتية تشترك فيها معظم اللغات لكونها تؤثر في تغير الدلالة، دون أن تتغيّر المفردات وهنا تكمن أهمية التنغيم.

المطلب الخامس: أهميّة التنغيم

يعرّف "الجاحظ" الصوت مبيّنا أهميّة التنغيم فيقول: «والصوت هو آلة البيان والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلّا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلّا بالتقطيع والتأليف، وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدلّ والشكل والتفكّل والتشّي واستدعاء الشهوة وغير ذلك من الأمور»⁽²⁾.

وإشارة "الجاحظ" في هذا القول لدليل على أهميّة التنغيم في السياقات التنظيمية للمتكلّم، وهي بعد ذلك التفاتة واضحة المعالم إلى الجرس الصوتي الذي يرافق الحركة أثناء تأدية الفعل الكلامي.

(1) - سهل ليلي: التنغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق، مجلّة كآية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، العدد السابع، جوان 2010م، صص 7، 8.

(2) - الجاحظ: البيان والتبيين، مج 1، ج 1، ص 63.

المطلب السادس: وظائف التنغيم

يؤدي التنغيم على مستوى اللغة جملة من الوظائف اللغوية، ولعلّ أبرزها ما يلي:

1 - الوظيفة الصوتية: تتجسد هذه الوظيفة في التنغيم في ما له سمة صوتية موسيقية، تشبه الترجيع اللحني، فمن المعلوم أنّ التنغيم يقوم على التنويعات الموسيقية في نسق الكلام، ولا يعد هنا الأثر الموسيقي الجمالي لهذه التنويعات، ممّا يملك على السامع أسباب التواصل والارتياح⁽¹⁾.

2 - الوظيفة الصرفية: لقولب الألفاظ وصيغ الكلمات في العربية أوزاناً موسيقية، وكلّ بناء من هذه الأبنية ذو نغمة موسيقية ثابتة، فالفرق بين الكلمة ومشتقاتها نحو: الفعل (يحمد)، اسم الفاعل (حامد)، اسم المفعول (محمود)، الصفة المشبهة (حميد)،... وما يتفرع عنها، هو فرق بين الأفعال والأسماء والمصادر والصفات وإفراد ومجموع، وهو كلّ قائم على الفرق بين وزن وآخر، وبين قياس صوتي وآخر مثله، يتوقف على الحركات والنبرات؛ أي اختلاف النغمة الموسيقية، فلكلّ وزن من الأوزان الصرفية نغمة موسيقية محدّدة، تختلف باختلاف الصيغة ودلالاتها. فلفظة "يشاقق" مثلاً وردت في القرآن الكريم بالإدغام وبدونه، ففي سورة الحشر يقول المولى عزّ وجلّ ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ﴾ الحشر/4 بالإدغام، فالتنغيم الصوتي في حرف "القاف" - حالة الإدغام - وقبله المدّ يعبر عن صعوبة الحدث وعاقبته الوخيمة، لأنه تعامل مع الخالق، وبغير الإدغام مع لفظة "الرسول" في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ النساء/115، فيعبّر التنغيم عن كون: الشقاق مع المخلوق غيره مع الخالق، فهو أسهل قياساً بالأوّل، كما يمكن للنغمة كذلك أن تتدخل في تحديد عدد وجنس ونوع الصيغة الصرفية، وهذا يدلّ دلالة واضحة على أنّ للتنغيم وظائف صرفية دلالية مهمّة⁽²⁾.

3 - الوظيفة النحوية: تعتبر هذه الوظيفة عاملاً فاعلاً في التمييز بين أنماط التراكيب والتفريق بين أجناسها النحوية، فالتنغيم بأنماطه المنوعة عامل أساسي في بيان أن المنطوق مكتمل في مبناه ومعناه أم غير مكتمل. يظهر ذلك بوضوح في الجمل الشرطية، كما في قولنا مثلاً: "إنّ تأت، تجد ما يسرّك"، حيث تنتهي جملة الشرط بنغمة صاعدة دليلاً على عدم تمام الكلام، فتمامه يحصل بجواب الشرط الذي ينتهي بنغمة هابطة، دليلاً على الاكتمال في المبنى والمعنى معاً. والتنغيم هنا يؤدي دوراً يشبه دور علامات الترقيم في الكتابة، كما هو واضح من خلال المثال السابق؛ فوجود الفاصلة في الجزء الأول من العبارة السابقة دليل على استمرارية المنطوق، كما تعني ارتباط هذا

(1) - محمد جعفر: المستوى الصوتي في قراءات سورة "عبس المباركة" مقارنة دلالية على ضوء النبر والتنغيم، مجلّة مركز دراسات الأوفى، جامعة القادسية العدد 6، 1428هـ / 2007م، ص 37.

(2) - ينظر: كوليزار كاكل عزيز: القرينة في اللغة العربية، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 1430هـ / 2009م، صص 61، 64.

الجزء من المنطوق وتعلّقه بما يكمله، فكانت النقطة في النهاية دليلاً على الاكتمال. ومن أهمّ الوظائف الأخرى التي يؤديها التنغيم: دوره في تصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفة من تقريرية واستفهامية وتعجبية، فالجمل التقريرية لها نمط خاص من التنغيم في نهاياتها: يتمثل هذا النمط في النغمة الهابطة التي تدلّ على تمام المنطوق واكتماله، في حين أنّ الجملة الاستفهامية - وبخاصة تلك التي تستوجب الإجابة بلا أو نعم - تنتهي بنغمة صاعدة كما هو الحال في الجمل الاستفهامية التي تستخدم فيها عادة أدوات الاستفهام العامة، وهي: الهمزة وهل، كقولك: أَفَهَمْتُ؟ فيكون الجواب: لا أو نعم، حيث تنتهي جملة الاستفهام بنغمة صاعدة، دليلاً على أنّ الكلام لم يتم (في موقفه المعين)، وتمامه بالإجابة (بصورتيها المذكورتين) التي تنتهي بنغمة هابطة⁽¹⁾.

4 - الوظيفة الدلالية السياقية: حيث تنبئ اختلاف النغمات وفقاً لاختلاف المواقف الاجتماعية عن وجهات النظر الشخصية من رضا وقبول وزجر وتهكّم وغضب وتعجّب ودهشة ودعاء... الخ، حيث يقوم التنغيم بأداء هذه المعاني بمعونة السياق العام المتعلّق بالظروف والمناسبات التي يلقي فيها الكلام، وبهذا يكون عنصر التنغيم ركناً أساسياً في الأداء، يتحكّم على نحو واضح في تحديد المعنى وتوجيهه، اعتماداً على كيفية نطق الجملة وتنغيمها؛ فتغيّر النغمة قد يتبعه تغير في الدلالة⁽²⁾.

ومن خلال هذه الوظيفة يمكن القول: إنّ التنغيم له أهمية كبيرة في تحديد معنى الجمل وتوجيهه، فهو بهذا من مصطلحات علم الأصوات الوظيفي، تكمن مهمّته في «حلّ الكثير من الإشكالات الدلالية اللغوية، التي تتصل بالأصوات وسياقات الكلام التنظيمية، إذ تتحدّد الصور النطقية بموجب أنماطه، من صعود وهبوط واستقرار»⁽³⁾، واللغة العربية واحدة من اللغات التي يعمل فيها التنغيم عمله، فهي لغة تنغيمية؛ أي أنّ التنغيم يعمل عمله فيها على مستوى الكلمة والجملة مفرقاً بذلك بين أساليبها الكلامية، ولعلّ ما يفسّر أهمّ وظائف النبر بكونها الوظيفة الصرفية اهتمامه بالكلمات دون الجمل، في حين أنّ أهمّ وظيفة يؤديها التنغيم هي الوظيفة التركيبية والنحوية لعنايته أكثر بالجمل والعبارات اللغوية.

وفضلاً عن هذه الوظائف الأربعة التي يؤديها التنغيم هناك الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية، فهو يعبر عن الانفعالات والمشاعر؛ ذلك أنّ تنغيم الرضى مثلاً غير تنغيم الغضب، وتنغيم الحزن غير تنغيم الفرح وهلمّ جرّاً، ويمكن أن نجتمع كلّ وظائف التنغيم في وظيفة رئيسية وهي الوظيفة التمييزية ففي اللغة العربية مثلاً هناك

(1) - ينظر: كمال بشر: فن الكلام، صص 268، 269.

(2) - مزاحم مطر حسن: أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني (الاستفهام أمودجا)، مج 6، مجلّة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، العددان (3 - 4)، 1428هـ / 2007م، ص 40.

(3) - تحسين عبد الرضا الوزان: الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، ص 399.

الكثير من الجمل التي يختلف معناها باختلاف الصورة التنغيمية التي تلفظ بها، وذلك عن طريق الارتفاع والانخفاض في درجة الصوت مع ما يحيط به من مقتضيات السياق وملابسات الموقف.

وبعد هذا العرض الموجز للتنغيم ووظائفه أمكن للسائل أن يتساءل فيقول: هل التنغيم "فونيم" في اللغة العربية أم أنه مجرد تلون صوتي تنتج عنه ملاحظة في الكلام؟.

المطلب السابع: فونيمية التنغيم في النظام اللغوي العربي

يرى بعض الباحثين أن التنغيم في العربية غير ذي دلالة، ويرجع ذلك إلى أمرين: الأول منهما: «أنّ العربية تستغني عنه بالأدوات وعلامات الإعراب، والآخر لأنّ اللغويين القدامى لم يسجّلوا لنا شيئاً عنه»⁽¹⁾.

وإذا كان الأمر الأول مقبولاً لحدّ ما فإنّ الأمر الآخر لا يمكن التسليم به، هذا من جهة، وتعميم هذا الحكم على كلّ علماء الأصوات القدامى من جهة أخرى، فهذا هو "ابن جني" مثلاً، وهو من قدامى الصوتيين نجده قد عقد في كتابه الخصائص باباً تحت عنوان "في نقض الأوضاع إذا ضامها طارئ عليها"، وهذا يؤكّد بأنّ "ابن جني" كان على وعي تام بظاهرة التنغيم في العربية، ودورها الوظيفي والمتمثّل في تحديد معاني ودلالات الكلام، وفي هذا الصدد يقول مؤكداً على وجود هذه الظاهرة في اللغة العربية: «ومن ذلك لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب استحال خبراً. وذلك قولك: مَرَزْتُ بِرَجُلٍ أَيَّ رَجُلٍ! فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل، ولست مستفهماً (...). ومن ذلك لفظ الواجب، إذا لحقته همزة التقرير عاد نفيًا، وإذا لحقت لفظ النفي عاد إيجاباً وذلك كقول الله سبحانه: ﴿ءَأَنْتَ فُلْتِ لِلنَّاسِ﴾^(*) المائدة/116، أي ما قلت لهم، وقوله: ﴿اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾^ط يونس/59 أي لم يأذن لكم، وأمّا دخولها على النفي كقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الأعراف/172 أي أنا كذلك»⁽²⁾.

ولما كانت العلاقة التي تجمع بين هذه الظواهر الثلاث (المقطع، النبر والتنغيم) علاقة تكاملية بحيث لا يمكن للدارس أن يبحث في ظاهرة من هذه الظواهر بمعزل عن الظاهرتين المتبقيتين، ارتأينا في هذا الفصل أن نجتمع بينها في دراسة تطبيقية، نحاول من خلالها إبراز علاقة الصوت بالمعنى.

(1) - صالح سليم عبد القادر الفاخرى: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، 199.

(*) - والنعمة في قوله تعالى: ﴿ءَأَنْتَ فُلْتِ لِلنَّاسِ﴾ نعمة صاعدة؛ لأنّ المقام مقام استفهام (الاستفهام بالهمزة)، غير أنّ الاستفهام هنا خرج عن معناه الأصلي، فهو في هذه الآية ليس بغرض الاستحواب كما هو ظاهر الآية، بقدر ما هو تحقيقاً؛ أي أنّ المتكلم هنا وهو المولى عزّ وجلّ أراد حمل المخاطب (عيسى بن مريم) على الاعتراف بمضمون الكلام (الخطاب) الموجه إليه...

(2) - ابن جني: الخصائص، مج2، ج2، ص470.

المبحث الرابع: الدراسة التطبيقية للظواهر فوق التركيبية في سورة المائدة (الأداء والدلالة)

إنّ العلاقة بين الأصوات ودلالاتها في العربية تشكّل ظاهرة لا يمكن إنكارها، وهي تمتدّ لتشمل كما كبيرا من ألفاظ اللغة العربية وتراكيبها، بل إنّ العربية أكثر اللغات احتواءً لمظاهر الدلالة الصوتية، سواء كان ذلك على مستوى اللفظ أو السياق أو على مستوى الأداء، أو على مستوى الصيغ والأوزان؛ وزيادة المعنى ناتج في أساسه عن زيادة في المبني.

وعلى هذا الأساس يعتبر النصّ القرآني من أغنى النصوص وأثراها من الناحية الصوتية، ولذا فإنّ الصوت في القرآن له دور مهمّ وأساسي في جانبه الجمالي المتمثّل في الإيقاع المتميّز، والدلالي المتمثّل في ما يفيد من معاني وأغراض، وأهمّية الصوت تكمن في تكوين الإيقاع المناسب للمعنى، والغرض ونوع التأثير المراد إثارته في نفوس السامعين.

إنّ الأداء القرآني المتقن وفق أحكام التجويد، ووفق مظاهر التحبير الصوتي تُظهِر لنا الدلالات الحقيقية للنصّ القرآني بأفاقها الواسعة، ومن بين هذه التنوعات الصوتية التي لها دور كبير في ربط الصوت بالمعنى: **المقطع الصوتي، النبر والتنغيم.**

وقبل الخوض في الدراسة الصوتية الخاصة بهذه الظواهر الثلاث، لا بدّ من الإشارة أولاً إلى أنّ طبيعة النصّ القرآني من الناحية الأدائية أو التلاوة يختلف عن النصوص الأخرى نثرها وشعرها وخاصة إذا تعلّق الأمر بالنبر^(*)

(*) - إنّ قواعد النبر في اللغة تختلف عن قواعد النبر في القرآن؛ ومن ثمّة فإنّ لغة العربية قواعدها في النطق بما لا بدّ من تطبيقها، كما أنّ للقرآن الكريم قواعد خاصة به يحتاجها القارئ عند إرادته تلاوة القرآن تلاوة صحيحة.

وإذا أردنا استخراج قواعد النبر في القرآن الكريم وجدناها كثيرة، لذلك سوف نركّز هنا على أهمّ هذه القواعد دون الخوض في التفاصيل وهي: نبر الغنة ونبر المدّ، هذا فضلاً عن مواضع المدّ الخمسة التي حدّدها العالم "أبْنُ رَشْدِي سَوِيد" السالف ذكرها.

فأمّا نبر الغنة فيتعلّق بأحكام النون الساكنة والتنوين والميم الساكنة؛ أي يمكن تقسيم هذا النوع من النبر قسمين: الأول: نبر الغنة مع بعض أحكام النون الساكنة والتنوين، ويندرج ضمنه: نبر الغنة في حكم الإدغام (الإدغام الناقص) المشار إلى حروفه سابقاً، نبر الغنة في حكم الإخفاء المشار إلى حروفه سابقاً، نبر الغنة في حكم الإقلاب عند حرف "الباء"، ونبر الغنة في حكم التشديد (وجوب نبر الغنة حال تشديد النون، سواء أكانت في كلمة واحدة أم في كلمتين)، والآخر: نبر الغنة في بعض أحكام الميم الساكنة، ويندرج ضمنه: نبر الغنة في حكم الإخفاء الشفوي عند الباء، نبر الغنة في حكم الإدغام الشفوي عند الميم ونبر الغنة في حكم التشديد (وجوب نبر الغنة إذا كانت الميم مشدّدة، سواء أكانت في كلمة واحدة أم كلمتين).

وأما عن نبر المدّ فيمكن تقسيمه هو الآخر قسمين باعتبار أسبابه، وهما على هذا الاعتبار: نبر المدّ بسبب الهمزة، ونجد منه: المدّ المتصل والمنفصل والبدل... ونبر المدّ بسبب السكون، ويندرج ضمنه: نبر المدّ بسبب السكون الأصلي (المدّ اللازم بأنواعه ولواحقه السابق ذكرها)، ونبر المدّ بسبب السكون العارض (المدّ العارض بملحقه السابق ذكره)... للمزيد من التوسّع ينظر: يوسف عمر لعساكر: **الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته (جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجاً) - دراسة لغوية دلالية - ، صص 182، 185.**

ص ح ح ص.

ب/ الدلالة الصوتية للمقطع الصوتي:

اشتملت الآية 45 من سورة المائدة على 46 مقطعاً صوتياً، توزعت على أربعة أنواع مختلفة: تكرر فيها المقطع القصير 26 مرة بنسبة: 56,52%، المقطع المتوسط المغلق: 12 مرة بنسبة: 26,09%، أما المقطع المتوسط المفتوح فتكرر 7 مرات بنسبة: 15,22%، في حين احتل المقطع الطويل (ص ح ح ص) المرتبة الأخيرة لتكراره مرة واحدة فقط، وذلك بنسبة مقدّرة بـ: 2,17%.

بناء على هذا الكلام فقد عرف المقطع القصير المفتوح طغيانا بارزا على مستوى هذه الآية الكريمة؛ إذ فاق وروده في الآية نصف مقاطعها، فبالعودة إلى التقطيع الصوتي السابق لهذه الآية نجد له تتابع ثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي، وهو في جميع الأحوال يدلّ على معنى الامتداد والاستغراق، وهذه الدلالة متناسبة مع مضمون الآية؛ ففيها استغراب من أولئك الذين حكّموا الرسول (ص) في قضية ما، ولهم التوراة وهي شريعتهم فيها حكم الله فيما حكّموه فيه، وهذا يعني أنّهم ليسوا مؤمنين بالتوراة حقّ الإيمان، بل امتدّ عدم إيمانهم واستغرق رسول الله محمّد عليه أفضل الصلاة والتسليم، لكونه قد حكم لهم فيما طلبوه منه بما لا يوافق أهواءهم ورغباتهم، فتولّوا وأعرضوا عنه هو الآخر، إذ لم يأت بالحكم وفق مرادهم.

2 - الأثر الصوتي للنبر في الآية:

إنّ قواعد النبر في اللغة تختلف عن قواعد النبر في القرآن، ومن ثمة فإنّ لـ: «اللغة العربية قواعدها في النطق بما لا بدّ من تطبيقها، كما أنّ للقرآن الكريم قواعد خاصة به، يحتاجها القارئ عند إرادته تلاوة القرآن تلاوة صحيحة»⁽¹⁾. ويمكن أن تميّز للنبر في هذه الآية بين نوعين اثنين هما:

أ/ نبر الغنة:

* نبر الغنة مع أحكام النون الساكنة والتنوين:

- غنة الإحفاء الحقيقي (مع النون الساكنة): في ﴿عِنْدَهُمْ﴾: ص ح ص + ص ح + ص ح ص.

وقع النبر الأوّلي هنا على المقطع الثالث من الآخر، لكونه متوسطاً متلواً بـقصير فمتوسط.

- غنة الإقلاب (مع النون الساكنة): في ﴿مِنْ بَعْدِ﴾: ص ح ص + ص ح + ص ح ص.

وقوع النبر على المقطع المتوسط المغلق (المقطع الثالث من الآخر).

(1) - يوسف عمر لعساكر: الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته (جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجاً) - دراسة لغوية دلالية -، ص 182.

ب/ الدلالة الصوتية للمقطع الصوتي:

اشتملت الآية 66 من سورة المائدة على مزيج من المقاطع الصوتية من شأنه أن يحقق انسجاما صوتيا وإيقاعا موسيقيا عذبا، حيث نجد سيطرة واضحة للمقطع القصير (ص ح) والذي تكرر على مستوى هذه الآية 59 مرة من أصل 133 مقطع، وذلك بنسبة: 44,36% غير أنه في معظم حالات ظهوره عرف تنالي وتتابع، فالمتأمل في التقطيع السابق لهذه الآية يجد أنّ هذا النوع من المقاطع تتوالى في الكثير من الأحيان (مقطعين أو ثلاث مقاطع قصيرة متتابعة)، وهذا التوالي من شأنه أن يحقق ثقلا نسبيا على اللسان حال النطق بها وهي متتالية، وفي ذلك إحالة على شدة ثقل عذاب الله تعالى على اليهود؛ بأن دعا عليهم بالبخل وانقباض الأيدي عن العطاء والإمساك عن الإنفاق في سبيل الخير، وهو دعاء من جنس افتراءاتهم، وبأن زاد في قلوبهم كفرا وتكديبا وحسدا لمحمد (ص) ولأمته، وألقى بينهم وبين النصارى العداوة والبغضاء، فلا يتآلفون ولا يتناصرون ولا يتفقون على ما فيه مصلحتهم إلى يوم القيامة، بل كانوا كلّمًا همّوا بالكيد للرسول (ص) وللمسلمين خذلهم الله تعالى إمّا بأن يُجيبَهُمْ في سعيهم، ولا يُنمُّ لهم ما أرادوا من الإغراء والتحرّيش، وإمّا أن ينصر رسوله والمؤمنين، وفوق كلّ هذا وذاك فقد عاقب الله اليهود بأشدّ وأثقل العقوبات وأبشعها على الإطلاق؛ بأن طردهم من رحمته الواسعة وكتب لهم نار جهنّم - والعياذ بالله - خالدين فيها أبدا.

ويمكن تفسير طغيان هذا النوع من المقاطع دون غيره من المقاطع، بأنّ ضروب العذاب التي كتبها الله على أهل الكتاب لا تشملهم جميعا، بل هي مقتصرة على فئة معيّنة؛ تلك الفئة التي تظلّ على كفرها وطغيانها على الرغم من التهديد والوعيد الرئائي وهذا المعنى يتناسب مع قصر هذا النوع من المقاطع.

ومعلوم أيضا أنّ هذا النوع من المقاطع لا يأتي إلّا مفتوحا، وفي الفتح دلالة قويّة على أنّ باب التوبة عند الله مفتوح، فلو أنّ أهل الكتاب أنكروا أقوالهم الباطلة وآمنوا بالله وملائكته وجميع كتبه ورسله، وأقاموا بما جاء في التوراة والإنجيل من أوامر ونواهي، لكفرّ الله عنهم سيئاتهم وتاب عليهم، وأمطر السماء وأنبت الأرض لهم رزقا.

كما عرف "المقطع المتوسط" بنوعيه - هو الآخر - تواترا ملحوظا على مستوى هذه الآية؛ فقد تكرر المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) على متن هذه الآية 46 مرة بنسبة: 34,59%، وفي نطق هذا النوع من المقاطع الصوتية: "إيقاف أو انقطاع للنفس ومنع من الامتداد"، فقد أمر الله عباده بأن يتعرّضوا لنفحات رحمته، وأن لا يسدّوا على أنفسهم أبواب إحسانه بمعاصيهم، فهو لم يقطع رحمته على أحد من عباده إلّا على من استنكر وأبى، واستكبر وعصى، كما أنّه لم يمسك رزقه على اليهود إلّا حينما ادّعوا بحله تعالى عليهم، ففي الحديث الذي أخرجه الإمام "الطبراني" عن "ابن عبّاس" رضي الله عنهما، أنّ «رجل من اليهود يُقال له "النَّبَّاش بن قيس" قال

لنبيّ (ص): إِنَّ رَبَّكَ بِخَيْلٍ لَا يُنْفِقُونَ⁽¹⁾، فنسب الله تعالى هذا الافتراء الذي قاله بعضهم إليهم جميعاً بناء على التكافل العام بين أفرادها، وردّ عليهم بمثل ما افتروا عليه. قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، وهكذا نزلت هذه الآية الكريمة، وفي هذا دلالات ومعان كثيرة، فبالعودة إلى التقطيع الصوتي السابق لهذه الآية نلاحظ سيطرة واضحة لهذا النوع عند قوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، وفي هذا الردّ الربّاني الأول عن افتراءات اليهود عنه تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً: إيجاء بدلالة الردع لما فيه من زجر ومنع أولاً، ولما ترتّب من إمساك اليهود لأيديهم عن الإنفاق وامتناعهم عن العطاء ثانياً جزاء افتراءهم على الله ووصفه بالبخل المسك. وما يقال عن هذه العبارة، ينطبق كذلك على قوله تعالى: ﴿كَلِمًا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْبَاقًا اللَّهُ﴾ وفي الآية دلالة على منع الله تعالى لليهود من تنفيذ مكائدهم ضدّ الإسلام والمسلمين، وخذلهم بإبطال مساعيهم أو نصرته لرسوله والمسلمين.

كما يمكن القول بأنّ المقاطع المتوسطة المغلقة من شأنها أن تعكس بانقطاع النفس معها، وعدم جريانه أو امتداده بثبات اليهود على كفرهم وطغيانهم، وعدم تراجعهم عن ذلك. أمّا المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) والذي تكرر 27 مرّة بنسبة: 20,30%، فقد شهد تراكماً نسبياً في قوله تعالى: ﴿وَلَعْنُوا يَمَّا قَالُوا﴾، وقوله أيضاً: ﴿وَأَلْفَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَمَةِ﴾، ومعلوم أنّ المقطع المتوسط المفتوح نقيض المغلق يمتاز: "بطولٍ نطقي، وامتداد في حركته الطويلة" وفي ذلك دلالة على امتداد لعنة الله على اليهود، واستمرار طردهم من رحمته تعالى، وعلى طول العداوة والبغض بينهم وبين النصارى، وامتداد ذلك إلى يوم الحساب.

وأما المقطع الطويل (المديد المغلق=ص ح ح ص)، فقد تكرر مرّة واحدة فقط بنسبة: 0,75%، وفي ذلك تأكيد لكون هذا النوع من المقاطع هو أقلّ المقاطع وروداً في اللغة العربية، ولغة القرآن هي العربية.

2 - الأثر الصوتي للنبر في الآية

يكمن الأثر الصوتي للنبر في هذه الآية عند موضعين هما: نبر الغنة، ونبر المدّ:

(1) - جلال الدّين أبو عبد الرحمن السيوطي: أسباب النزول المسمّى لبابُ النُّقول في أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1

- الوقف على: ﴿الْمُفْسِدِينَ﴾ لا يمكن تقطيع هذه الكلمة صوتياً بمفردها، لأنها تتنافى وشروط المقطع الصوتي لعدم إمكانية البدء بالصامت الذي لا حركة له (ص)، ولأجل ذلك لا بد أن تأتي بهذه الكلمة متصلة بالكلمة السابقة لها كما يلي: ﴿لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ "لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ" وتقطيعها كما يلي:

ص ح ص + ص ح ح ح ص
النبر الثانوي النبر الأولي (الرئيسي)

❖ النبر: الأداء والدلالة

النبر في العموم يدلّ على شدّة أو سعة أو كثرة وطول شيء ما، وهذه المعاني يمكن لمسها في مواضع النبر السابق ذكرها كما يلي:

* تدلّ الكلمات: "مَبْسُوطَانِ، يُنْفِقُ، يَشَاءُ": لما فيها من غنة ومدّ وكلاهما يحتاج إلى مسافة زمنية كما أسلفنا فيما سبق على: سعة رزقه سبحانه، ورحمته تعالى بالمؤمنين به، وشدّة استنكاره سبحانه وتعالى لافتراءات أعداء الله.

* كلمة: "البَغْضَاءُ"، يدلّ نبر المدّ هنا على طول واستمرار فترة العداة والبغض بين أعداء الله، وامتدادها إلى يوم القيامة؛ لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد.

* كلمة: "المُفْسِدِينَ" يدلّ النبر على المقطع الأخير في هذه الكلمة على شدّة كره وبغض الخالق عزّ وجلّ لهذه الفئة من الناس (الفئة المفسدة في الأرض).

ج/ الدراسة التنعيمية لمقاطع الآية الكريمة

أما فيما يتعلّق بالتنعيم على مستوى هذه الآية فإنه يمكن تقسيمها إلى مجموعتين مقطعتين نغميتين مختلفتين باختلاف القراءة، فقد يحدث وأن تسمع بعض القراء يقرأون قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ بتنعيم صاعد مرتفع؛ فهؤلاء يغلب على قراءتهم نوع من الانفعال يدلّ على الاستنكار الشديد لهذه الادّعاءات والافتراءات الباطلة على الله تعالى. بل إنّ هذا الانفعال يمتدّ ليلبغ مداه من الإعلان والتفخيم عند قراءته الردّ القرآني على هذه الادّعاءات، يقول الله تعالى: ﴿غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿طَغَيْنَا وَكُفَرْنَا﴾ ويتبع منحى الرفع هذا نعمة هابطة فيها تقرير وإخبار بجزاء أعداء الله المفتريين عليه، قال تعالى: ﴿وَأَلْفَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

فبناء على هذا الكلام يمكن القول: إنّ هذه الآية تبتدئ بنغمة صاعدة تتبعها نغمة أخرى هابطة.

وقد يحدث في المقابل أن تسمع بعض مرتلي القرآن الكريم يقرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ بنغمة هابطة؛ وخفض الصوت في هذه المواطن وغيرها من المواطن المشابهة، له دلالة مركزية ومحورية مفادها: أنّ الخفض هنا يمثل رسالة صوتية للمستمع مؤدّاه أنّ هذا الكلام افتراء على المولى عزّ وجلّ، وليس له أساس من الصّحة. يقول "أحمد البايبي" موضّحاً هذه الدلالة: «إنّ هذه الآيات فيها جرأة على الله وتَقْوُلُ عليه، وكفر وتحدّ أو افتراء عليه، لذلك فهي تُؤدّي على مستوى طبقات الصوت بصوت خفيض تسفيها لقائلها، وتعظيمًا لله واستحياء منه»⁽¹⁾، هذا ويستمرّ منحى الخفض إلى نهاية الآية لما فيها من إخبار وتقرير لمصير هؤلاء المدّعين كما أشرنا.

مّا يعني أنّ الآية 66 تؤدّي من هذا المنظور بنغمة واحدة على طول مداها، وهي النغمة الهابطة.

المطلب الرابع: الآيتان: 74 و 75

ارتأيت هنا أن أجمع بين هاتين الآيتين لاشتراكهما في نفس المعنى، وبتالي في نفس الدلالة الصوتية ألا وهو معنى الافتراء على المولى عزّ وجلّ.

1 - المقاربة الصوتية للمقطع الصوتي:

* الآية 74:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ
أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا
لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

أ/ التقطيع الصوتي لنص الآية:

اشتملت هذه الآية الكريمة على 84 مقطعاً صوتياً نبرزها في التقطيع التالي:

ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح
ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح
ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح
ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح
ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح

(1) - أحمد البايبي: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية (دراسة لسانية في الصوارة الإيقاعية)، ج 1، ص 297.

كلا الفريقين من بني إسرائيل ومن كان من الكفار على مثل الذين هم عليه»⁽¹⁾.

ومعلوم أيضا أنّ المقطع القصير هو مقطع مفتوح في جميع أحواله، وفي ذلك دلالة أخرى حاسمة مفادها أنّ الله يغفر لمن يشاء إذا استغفر وتاب العبد من معصيته، فباب التوبة مفتوح لجميع خلقه وعباده يتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾، وهذا ملمح غير مباشر يتبعه ملمح صريح يتجلى في قوله

تعالى: ﴿أَبَلًا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَبْدُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المائدة/76

من خلال تقطيع كلمات متن الآيتين يتبين لنا - أيضا - أنّهما ذات سلاسة نطقية تعود إلى مقاطعهما المتكررة: القصير والمتوسط بنوعيه، فمعلوم أنّ هذه الأنواع الثلاثة من المقاطع هي أكثر المقاطع شيوعا في العربية من جهة، وأسهلها نطقا من جهة أخرى. إلا أنّ هذه السلاسة قد يعترضها شيء من الثقل لأغراض ما تخدم معنى الآيتين مصدره الأساس فيهما: تتابع المقاطع المتوسطة المغلقة في بعض المواضع؛ ففي الآية 74 تكررت فيها هذه المقاطع 27 مرّة، وذلك بنسبة 32,14%، حيث شهد هذا النوع من المقاطع تراكما ملحوظا خلال قوله تعالى: ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ (تواتر أربع مقاطع متوسطة مغلقة دون فاصل)، فمما لا شكّ فيه أنّ الشرك من أكبر الكبائر، وأنّ عقابه هو الخلود في نار جهنم والعياذ بالله، ولعلّ هذا العذاب من أثقل وأشدّ أنواع العذاب على الإنسان، وما يزيد كلامنا تأكيدا: تواتر ثلاث مقاطع متوسطة مغلقة في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ الْجَنَّةُ﴾؛ أي أنّ المشرك بالله محرّم عليه دخول الجنة إلا إذا تاب من شركه.

ونفس الدلالة نجدتها في الآية 75، حيث تكررت فيها هذه المقاطع: 18 مرّة بنسبة: 28,57%، حيث شهد التقطيع الصوتي تواترا ثلاثيا للمقطع المتوسط المغلق في كلّ من قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا﴾ وفي الآية وعيد وتهديد، وقوله: ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ﴾، وفي الآية تصريح بنوعية العذاب. وفي كلا الموضعين قوّة وشدّة تتناسب مع الثقل والعسر والشدّة التي تعترى اللسان أثناء النطق بالعبارتين السابقتين من هذه الآية.

أمّا المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح)، فقد عرف هو الآخر دورانا بارزا على مستوى هتين الآيتين: تكرّر في الآية 74: 18 مرّة بنسبة: 21,43%، أمّا في الآية 75 فقد تكرّر: 17 مرّة بنسبة: 26,98% غير أنّه لم يعرف تتابعا بارزا كما هو الحال مع نظيره المغلق، وتبقى دلالاته توحى باستمرار وامتداد كفر المسيحين الذين كذبوا على خالقهم وادّعوا الألوهية "للمسيح ابن مريم"، وأصروا عن قولهم بالثلاث على الرغم من ظهور البيّنات

(1) - الطبري: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج3، ص142.

والحجج التي تبطل أكاذيبهم والنذر بالعذاب المرتب على أفعالهم، وذلك تماشياً مع دلالة المقطع المتوسط المفتوح الذي يمتاز بامتداد النفس في النطق به.

ومن شأن هذا الوضوح، وهذه السلاسة أيضاً التي تتميز بها هذه المقاطع الثلاث أن يحققاً لفت انتباه متميز عند المتلقي أو القارئ، لكونهما عنصرين مهمين من عناصر الموسيقى اللغوية الجذابة، متناسبين بذلك مع ما تحمله الآيتين السابقتين من دلالات ومعاني كالإنذار والتهديد والوعيد والتذكير والوعظ... الخ.

أما المقطع الطويل (ص ح ح ص) فقد نُدرّ وجوده في الآيتين: الآية 74 ظهر مرتان بنسبة: 2,38%، وفي الآية 75 ظهر مرة واحدة بنسبة: 1,59%.

هذا فيما يخص الدراسة المقطعية ودلالاتها على مستوى هتين الآيتين، ولضيق مساحة البحث سنكتفي هنا بدراسة نبرية وتنغيمية لآية واحدة منهما وهي الآية 75 كما يلي:

2 - الأثر الصوتي للنبر في الآية 75:

أ/ نبر الغنة:

* نبر الغنة مع أحكام النون الساكنة والتنوين:

- الإدغام ناقص (مع النون الساكنة):

﴿وَأِنْ لَّمْ﴾ تلفظ: ﴿وَاللَّمْ﴾: ص ح + ص ح ص + ص ح ص.

وقع النبر على المقطع الثاني من الآخر (المقطع المتوسط المغلق).

- الإدغام ناقص (مع التنوين)، في قوله تعالى:

﴿ثَلَاثَةٌ وَمَا﴾ تلفظ: ﴿ثَلَاثَتُو وَمَا﴾: ص ح + ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص ح.

وقع النبر على المقطع الثالث من الآخر (المقطع المتوسط المغلق).

﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ تلفظ: ﴿إِلَاهُو وَاحِدُنْ﴾: ص ح + ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص ح ص.

وقع النبر على المقطع الرابع من الآخر (المقطع المتوسط المغلق).

﴿وَاحِدٌ وَإِنْ﴾ تلفظ: ﴿وَاحِدُو وَإِنْ﴾: ص ح + ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص ح.

وقع النبر هنا على المقطع الثالث من الآخر (المقطع المتوسط المغلق).

- الإخفاء الحقيقي (مع النون الساكنة):

﴿يَنْتَهُو﴾ تلفظ: ﴿يَنْتَهُو﴾: ص ح ص + ص ح ص ح.

وقع النبر هنا على المقطع الثالث من الآخر (المقطع المتوسط المغلق).

ب/ نبر المدّ:

* نبر المدّ بسبب السكون العارض (المدّ الزائد في الطول):

- الوقف على لفظة: ﴿أَلِيمٌ﴾ تلفظ: ﴿أَلِيمٌ﴾ "أَلِيمٌ": ص ح+ص ح ح ص. وقع النبر هنا على المقطع الطويل.

❖ النبر: الأداء والدلالة:

يدلّ النبر المدّي هنا على شدة العذاب الذي ينتظر أعداء الله الذين استمروا في ادعاءاتهم الباطلة، وافتراءاتهم الزائفة على الله عزّ وجلّ، بالرغم من ظهور المعجزات والآيات التي تثبت عكس ما يقولون.

ج/ الدراسة التنغيمية لمقاطع الآية الكريمة (الآية 75):

أما فيما يتعلق بالتنغيم، فإنه يمكن تقسيم هذه الآية إلى مجموعات مقطعية نغمية: نغمة هابطة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، تليها نغمة صاعدة تتجسّد في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، بعدها نغمة هابطة تتحلّى من خلال قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فأما النغمة الأولى، أي النغمة الهابطة فلأنّ المقام هنا مقام افتراء وادعاء باطل وكاذب، تتلى هذه المجموعة المقطعية بصوت منخفض تسفيها لقائلها، وتقديسا للمولى عزّ وجلّ. أما المجموعة المقطعية الثانية فتؤدّي في العموم بنغمة عالية سريعة، فأنت حينما تستمع لأداء هذه العبارة القرآنية، والمتمثلة في الردّ الربّاني على افتراءات المسيحين تلمس فيها نوعا من الانفعال الذي يغلب عليه دلالة الاستنكار الشديد لهذه الإدعاءات الزائفة، وهذه هي الوظيفة التعبيرية للتنغيم، والتي يطلق عليها القراء تسمية: المدّ المعنوي الذي يكون قصد المبالغة في النفي والتعظيم «فمدّ الصوت إذا ورد للتعبير عن المبالغة في نفي الألوهية عن غير الله»⁽¹⁾.

وتُحتمُّ الآية بنغمة هابطة على الرغم ما فيها من تهديد ووعيد، إلا أنها جاءت في قالب إخباري تقريبي.

المطلب الخامس: الآية 78

قال الله تعالى: ﴿فَلْ اتَّعِبُدُونِ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

(1) - أحمد البايبي: القضايا النظرية في القراءات القرآنية (دراسة لسانية في الصوارة الإيقاعية)، ج1، ص258.

1 - المقاربة الصوتية للمقطع الصوتي:

أ/ التقطيع الصوتي لنص الآية:

اشتملت هذه الآية الكريمة على 34 مقطعاً صوتياً كما يلي:

ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح
 ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح
 ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح
 ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح

ب/ الدلالة الصوتية للدراسة المقطعية:

يمكن الوقوف على الدلالة الصوتية للمقطع في هذه الآية من خلال آلية التضاد، فهذه الآية تحمل صوتياً معنيين متضادين هما: الامتداد والامتناع؛ فأما الامتداد فيجسده سيطرة المقطع القصير الذي يمتاز بطول زمنه النطقي وامتداد النفس، إذ تكرر على مستوى الآية 15 مرة من أصل 34 مرة، وذلك بنسبة: 44,12%، ويمكن الوقوف على هذه الدلالة من خلال امتداد "المسيحين" في اختراق الأكاذيب والافتراءات على الله تعالى والاستمرار في تصديقها، فبعد أن ألهوا "المسيح بن مريم"، وجعلوا الله ثالث ثلاثة، ها هو المقام هنا يتحدث عن منكر آخر من منكرات هؤلاء الذين يعبدون غير الله، ويدخل في ذلك النصارى وغيرهم؛ إذ امتنعوا عن عبادة السميع العليم بكل شيء، واتجهوا إلى عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئاً.

وما يزيد معنى "الامتناع" - في هذه الآية - تقوية وتأكيذا تواتر المقطع المتوسط المغلق والذي يوحي هنا بدلالة الردع والزجر، وفي نطق هذا النوع من المقاطع - كما أسلفنا - إيقاف للنفس ومنع من الامتداد، إذ تكرر على مستوى الآية: 12 مرة، بنسبة: 35,29%، بل إنّه عرف تراكما صوتياً ثلاثي المقاطع عند قوله تعالى: ﴿لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، وفي ذلك ما يتماشى مع المعنى المقصود؛ إذ أنّ هذا المعبود - غير الله - لا يملك القدرة على منع ضرر أو نفع لا على غيره، ولا على سواه من الذين يعبدونه. يقول "المارغيني" مفسراً هذه الآية ومبيّناً هذا المعنى: «أي قل أيها الرسول - محمد (ص) - لهؤلاء النصارى وأمثالهم ممن عبدوا غير الله - تعبدون من دونه؛ أي متجاوزين عبادته وحده - ما لا يملك لكم ضرراً تخشونه أن يعاقبكم به، إذا أنتم تركتم عبادته، ولا يملك لكم نفعاً ترجون أن يجزيكم به إذا عبدتموه؟»⁽¹⁾.

فضلا عن هذا فإنّ كثرة المقاطع المتوسطة المغلقة في هذه الآية مقارنة بالعدد الإجمالي للمقاطع الصوتية فيها

(1) - أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مج2، ج6، ص328.

تناسب مع كثرة القلوب الغافلة المغلقة والمغلقة، في حين قلّ دوران المقطع المتوسط المفتوح [6 مرّات بنسبة: 17,65%]، والمقطع الطويل (ص ح ح ص) [مرّة واحدة بنسبة: 2,94%].

2 - الأثر الصوتي للنبر في سورة المائدة (الآية/78):

أ/ نبر الغنة:

* نبر الغنة مع أحكام النون الساكنة والتنوين:

- نبر الغنة في الإدغام الناقص (مع التنوين) في قوله تعالى:

﴿ضَرَّأَ وَلَا نَفْعًا﴾ وأصلها: ﴿ضَرَّرُوا وَلَا: ص ح ص + ص ح ص + ص ح ح + ص ح ح. ح.

وقوع النبر على المقطع الثالث من الآخر (المقطع المتوسط المغلق).

﴿نَفْعًا وَاللَّهُ﴾ تُلْفِظ: ﴿نَفَعُوا وَلِلَّهِ: ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص + ص ح ح + ص ح ح.

وقوع النبر على المقطع الرابع من الآخر (المقطع المتوسط المغلق).

- نبر الغنة في الإخفاء الحقيقي (مع النون الساكنة) في قوله تعالى:

﴿مِنْ دُونَ﴾: ص ح ص + ص ح ح + ص ح ح.

وقوع النبر هنا على المقطع الثالث من الآخر (المقطع المتوسط المغلق).

ثانيا: نبر المدّ:

- الوقف بالسكون على المقطع الزائد في الطول (المدّ العارض للسكون):

لا يمكن الابتداء بالمقطع الأقصر (ص) في كلمة: ﴿الْعَلِيمِ﴾ ولأجل ذلك وجب علينا تقطيع هذه الكلمة

مع التي تسبقها؛ أي قوله تعالى: ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمِ﴾، حيث تلفظ: ﴿هُوَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ: ص ح ص + ص ح ح

ص + ص ح ح + ص ح ح + ص / ص ح ح + ص ح ح ح ص (وقع النبر على المقطع الطويل).

3 - الدراسة التنعيمية لمقاطع الآية (الآية 78):

إنّ ما يميّز الاستفهام بأداتيه "الهمزة وهل" من الناحية الصوتية هو منحنى الرفع سواء كان الغرض منهما:

السؤال أم خرج الغرض إلى معاني أخرى ثانوية. وعلى هذا الأساس فإنّ اتجاه المنحنى النغمي في هذه الآية هو

اتجاه تنازلي، يبتدئ بنغمة صاعدة يجسدها هنا الاستفهام، تليها نغمة هابطة يمثلها الإخبار والتقريب؛ فأما النغمة

الصاعدة فنجدها في قوله تعالى: ﴿فَلِأَنْتَ عِبْدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، وهمزة

الاستفهام هنا ليست بغرض الاستجواب بقدر ما هي استفهام استنكاري، لأولئك النصارى وأمثالهم ممن عبدوا غير الله ما لا يقدر على إلحاق ضرر عليهم، ولا إيجاد نفع لهم، وفي هذا تقييح لسوء فعلهم، وتعجب منهم وذم لهم على اقترافهم للمنكرات وإصرارهم عليها؛ فالعاجز عن الضرر والنفع كيف يعقل أن يكون إلهًا؟! فكأنّ تقدير المعنى: عجبًا منكم على أيّ حال يقع منكم الكفر بالله مع الدلالة الظاهرة على قدرته، والمعجزات القاهرة على صدق وحدانيته، وقيام الحجج الباهرة على وجوب طاعته، وشكر نعمته وعبادته وحده لا شريك له، أمّا النعمة الهابطة فتتجلي واضحة في مقام الإخبار والتقرير عند قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

المطلب السادس: الآية 93

قال الله عزّ وجلّ في محكم تنزيله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوفِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾.

1 - المقاربة الصوتية للمقطع الصوتي:

أ/ التقطيع الصوتي لنص الآية:

اشتملت الآية 93 من سورة المائدة على 55 مقطعاً صوتياً نبرزها في التقطيع التالي:

ص ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح
 ح ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح ح+ح
 ص ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح
 ح+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح
 ح+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح ص+ح
 ح ص.

ب/ الدلالة الصوتية للدراسة المقطعية في هذه الآية:

على الرغم من قصر الآية الكريمة، إلا أنّها اشتملت على عدد لا بأس به من المقاطع الصوتية (55 مقطعاً صوتياً)، كما عرفت كذلك تنوعاً على مستوى المقاطع المشكلة لها، فقد احتلّت المقاطع القصيرة الصدارة لتكرارها 26 مرّة بنسبة: 47,27%، غير أنّ هذا النوع من المقاطع قد عرف تراكماً ملحوظاً عند قوله تعالى: ﴿أَنْ يُوفِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، وهو في ذلك من شأنه أن يدلّ على معنيين متناقضين، إذ يمتاز بخصيشتين أساسيتين: أولهما: "القصر"، وهي ميزة قد تصدق على تلك الفئة التي اعتادت على تعاطي الخمر وممارسة القمار، فوقع بين أصحابها العداوة والتباغض والتقاتل، غير أنّ هذا العداوة لا يلبث إلا

أن يعود تحابيا وتآخي بينهم (عداء قصير ومؤقت)؛ لأنّ هذه الفئة عادت إلى طاعة الله وابتعدت عن شرب الخمر وفعل القمار، والأخرى: "الفتح" أو "قابلية امتداد النفس"، وهي ميزة قد تصدق عن تلك الفئة الثانية التي ظلت مغموسة في دنس المعصية وخبث الرذيلة، حتّى إنّها قد يمضي عليها مدّة طويلة وهي لا تدري ماذا تصنع، ولماذا تصنع ما تصنع؟! .

أمّا المقاطع المتوسطة المغلقة، فقد تكررّت 20 مرّة وذلك بنسبة مقدّرة ب: 36,36%، عرف هذا النوع من المقاطع تواترا رابعا عند قوله تعالى: ﴿وَيُضِدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، ولسيطرة المقطع المغلق في هذه القطعة القرآنية دلالة محورية حاسمة مفادها: أنّه أولا: مقطع متوسط؛ أي أنّه وسيط بين العبد وربّه، بمعنى أنّ شرب الخمر ولعب الميسر أمور مانعة للفلاح والفوز والنجاة، فهي بهذا تحول بين فاعلها وبين الخالق عزّ وجل، وتمنعه عن ذكر الله قولاً، وعن الصلاة فعلاً، وهذا يتناسب مع نطق هذا النوع من المقاطع التي تمنع جريان وامتداد النفس أثناء التلفظ بها.

وهو ثانيا: مقطع مغلق، بمعنى أنّ شارب الخمر وفاعل القمار المنغمس في شهواتهما وملذاتهما، بينه وبين الجنّة باب مغلق لا يمكن أن يُفتح إلاّ بالتوبة منهما والعودة إلى الله تعالى.

أمّا المقطع المتوسط المفتوح فدورانه في هذه الآية ضئيل، تكررّ 7 مرّات بنسبة: 12,73%، كما أنّ المقطع الطويل (ص ح ح ص) قد تكررّ مرّتان فقط بنسبة: 3,64%.

2 - الأثر الصوتي للنبر في الآية:

أ/ نبر الغنة

* نبر الغنة مع أحكام النون الساكنة والتنوين:

- نبر الغنة في الإدغام الناقص (مع النون الساكنة) في قوله تعالى:

﴿أَنْ يُؤْفَع﴾ تنطق هكذا: ﴿أَنْ يُؤْفَع﴾: ص ح ص + ح ح ص + ح ح ص + ح ح ص.

وقوع النبر هنا على المقطع المتوسط المغلق.

- نبر الغنة في الإحفاء الحقيقي (مع النون الساكنة) في قوله تعالى:

﴿عَنْ ذِكْرِ﴾: ص ح ص + ح ح ص + ح ح ص. وقع النبر هنا على المقطع الثالث من الآخر.

﴿أَنْتُمْ﴾: ص ح ص + ح ح ص. وقع النبر على المقطع الثاني من الآخر.

*نبر الغنة مع أحكام الميم الساكنة:

- نبر الغنة مع الإدغام الشفوي في قوله تعالى:

﴿بَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾: تلفظ هكذا: ﴿فَهَلَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾: ص+ح+ص ح+ص+ص ح+ص+ص ح+ص+ص ح

ص+ص ح+ص ح ح ص.

ب/ نبر المد:

* عند الوقف على كلمة آخرها همزة مسبوقة بحرف مدّ أو لين:

- حال الوقف على كلمة: ﴿وَالْبَعْضَاءُ﴾ تلفظ: ﴿وَلْبَعْضَاءُ﴾: ص ح+ص ح+ص ح+ص ح+ص ح ح ص.

النبر الأولي (الرئيسي)

النبر الثانوي

وقع النبر الأولي هنا على المقطع الأخير وهو المقطع الطويل، أما النبر الثانوي فهو المقطع المتوسط المغلق الذي يكوّن مع الذي يفصل بينه وبين المنبور الأولي الصيغة التالية: **المقطع المتوسط+آخر متوسط**؛ فالأول وقع عليه النبر الثانوي، ومثيله الثاني هو الفاصل بين المنبور نبرا ثانويا والمنبور نبرا أوليا؛ أما الثالث (المقطع الطويل) فقد وقع عليه النبر الأولي الرئيسي.

* نبر المدّ بسبب السكون:

عند الوقف على المقطع الزائد في الطول (المدّ العارض للسكون):

مثل الوقف على كلمة: ﴿مُنْتَهُونَ﴾ في الآية السابقة: "مُنْتَهُونَ": ص ح+ص ح+ص ح+ص ح ح ص؛ النبر

النبر الأولي (الرئيسي)

النبر الثانوي

الرئيسي وقع على المقطع الطويل (ص ح ح ص)، أما النبر الثانوي فهو يشكّل هنا مع ما يفصله على المقطع المنبور نبرا رئيسيا النسق التالي: **مقطع متوسط+مقطع قصير**.

❖ النبر: الأداء والدلالة

النبر في قوله تعالى: ﴿أَنْ يُوفَعَ﴾ يدلّ على شدّة وسرعة مفعول كيد الشيطان في نفس الإنسان الذي يسعى دائما إلى غرس بذور العداة والبغض بين أولئك الذين آدمنا على تعاطي الخمر وممارسة القمار، ولعلّ وقوع النبر على كلمة: ﴿الْبَعْضَاءُ﴾ ما يؤكّد هذا المعنى لما فيه من دلالة على حدّة هذا التباغض وشدّة عمقه، كما أنّ لسيطرة الجهر على الهمس في هذه الآية ما يخدم المعنى ويؤكدده، فقد ظهر الجهر في هذه الآية 77 مرّة من أصل 97 صوت بنسبة كبيرة قدرّت بـ: 79,38%، أما الهمس فقد ورد 20 مرّة فقط بنسبة مقدّرة بـ: 20,62%

ومن شأن سيطرة الجهر في هذا المقام أن يعكس أولاً: شدة هذا البغض والعداء بين من اعتاد على شرب الخمر وفعل القمار فَصَدَّهُ ذلك عن طاعة الله وعبادته قولاً وفعلاً، وأن يعكس ثانياً: سرعة التقلبات والحركات الخاطفة المربعة لمثل هذه الفئة؛ ذلك أنّ ملمح الجهر دويًا إذ له سرعة نطقية تفوق سرعة نقيضه؛ ملمح الهمس «فمعدّل سرعة الهواء في الأصوات المجهورة يبلغ من 200-700 سم³/ثا، بينما يتراوح معدّل سرعة الهواء عند إنتاج الأصوات المهموسة غير المتبوعة بدفقة هوائية ما بين: 200-300 سم³/ثا، وهذا وجه كاف للدلالة على أنّ الأصوات المجهورة أقوى من نظائرها المهموسة من ناحية الوضوح السمعي»⁽¹⁾.

ج/الدراسة التنغيمية لمقاطع الآية الكريمة:

اشتملت الآية على نغمتين مختلفتين الأولى: هابطة تبتدئ من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ﴾ إلى غاية قوله: ﴿وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾، وفيها إخبار عن حال شاربي الخمر ولاعي القمار، تليها نغمة صاعدة في قوله تعالى: ﴿بِهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهَوْنَ﴾، حيث تُؤدّي هذه المقاطع بتنغيم عال وسريع.

إنّ التنغيم قد يكون في بعض النصوص أهمّ من وجود الأداة، لأنّ هناك العديد من النماذج التي اشتملت على أدوات الاستفهام مثلاً، وهي في الوقت نفسه لم تحكم على تلك النصوص بأنّها استفهامية، فحرف الاستفهام (هل) مثلاً في هذه الآية لا يشير إلى الاستفهام بل هو هنا يفيد معنى الأمر^(*)، يقول صاحب "أيسر التفاسير" في تفسير قوله تعالى: ﴿بِهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهَوْنَ﴾: «أي انتهوا، والاستفهام للأمر لا للاستخبار»⁽²⁾.

إذن فدلالة الأمر هنا واضحة وجليّة؛ فنغمة السؤال الصاعدة تدعو السامع بصوت ممدود ومرتفع إلى الإذعان والتسليم والانتهاء عن شرب الخمر وفعل القمار، امثالاً لأوامره عزّ وجلّ والتقدير (أسلموا وانتهوا)، وهذا السياق يقتضي إحضار معنى الوعيد والتهديد والترهيب، لأنّ هذا الغرض يتطلّب إظهار الشدّة والحزم والجدّ، وهذا ما يتلاءم مع النغمة المرتفعة، يقول الشيخ "محمد الصابوني" في مقام الحديث عن قوله تعالى: ﴿بِهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهَوْنَ﴾: «إيدانا بأنّ الأمر في الزجر والتحذير قد بلغ الغاية القصوى»⁽³⁾.

ويمكن إيضاح هذا المعنى أكثر من خلال الحديث الذي ورد في "سنن الترمذي"، حيث روي عن "عمر بن

(1) - سمير شريف إستيتية: الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ص 173.

(*) - الأمر: طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء، وقد يخرج عن هذا المعنى الحقيقي إلى معاني أخرى كالتهديد. صالح سليم عبد

القادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 201.

(2) - القلموني: كلمات القرآن الكريم من كتاب أيسر التفاسير للجزائري، ص 169.

(3) - الصابوني: صفوة التفاسير، مج 1، ج 7، ص 366.

الذي تتركز عليه في مضمونها، ويمكن أن نفسر هذا التراكم الصوتي للمقطع القصير في هذه القطعة بالذات (13 مرة من أصل 22 مرة)، وذلك بالنظر إلى خصائصه من جهتين: "القصّر"، وكأنّ الحوارين يفصل بينهما وبين الإيمان وتصديق نبوة سيّدنا "عيسى" عليه السلام طريق قصير متوقف على آية أخرى تطمئنّ بها قلوبهم، فيكون الإيمان حينها عين اليقين بعد أن كان علم اليقين، فهم بسؤالهم هذا لا من أجل الشكّ في قدرة الله واستطاعته على تنزيل مائدة بما طعام وشراب، وإتّما ذلك من باب الأدب منهم زيادة في العلم واليقين والإيمان وبذلك تقوم الحجّة ويحصل زيادة البرهان. وأمّا الجهة الأخرى فهي: "قابلية الامتداد"، فعلى الرغم من البيّنات والمعجزات (*) التي رأوها من "عيسى بن مريم"، ومع ذلك أبوا إلا أن يسألوه مزيدا من الآيات والبراهين (معجزة المائدة)، لعلّها تقوّي إيمانهم في قلوبهم ويعلمون منها أنّه صدقهم، ويشهدون بها له لمن سيأتي من بعدهم.

أمّا المقطع المتوسط فقد شهد هو الآخر تواترا متميّزا على مستوى هذه الآية؛ تكرر فيها المغلق: 18 مرة بنسبة: 34,72%، والمفتوح: 11 مرة بنسبة: 21,15%، لكنّه عرف ظهورا بيّنا خلال قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾، وذلك لتكرّره 12 مرة من أصل 29 مرة بنسبة: 41,38% ويمكن أن نفسر تراكم هذا المقطع بغض النظر عن نوعه إن كان مغلقا أو مفتوحا بكونه قد دلّ على معنى: الوسطية أو التوسط؛ فالحواريون في هذه الآية قد سألوا ربّهم بأن ينزل عليهم مائدة من السماء يأكلون منها، ولكنّهم في سؤالهم هذا قد اتّخذوا المسيح "عيسى بن مريم" وسيطا بينهم وبين الله تعالى، فكلفوه بأن يسأل هو مسألتهم، ويطلب من الله مطلبهم (سألوا المسيح كي يسأل الله)، وهذا يعني أنّ سؤالهم لم يكن مباشرا لله تعالى بل كان للمسيح الذي تحمّل بدوره مسؤولية هذا السؤال، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ المائدة/116.

ويؤكّد الإمام "الطبري" ما قلناه، فيقول مفسرا قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾: «إنا إنّما قلنا ذلك - أي الحوارين - وسألناك أن تسأل لنا ربّك لناكل من المائدة، فنعلم يقينا قدرته على كلّ شيء، وتسنّك قلوبنا وتستقرّ على وحدانيته وقدرته على كلّ ما شاء وأراد، ونعلم أنّك لم تكذبنا في خبرك أنّك لله رسول مرسل ونبيّ مبعوث، ونكون على المائدة ممّن يشهد أنّ الله أنزلها حجّة لنفسه علينا في

(*) - ينظر الآية: 112 من سورة المائدة.

توحيده وقدرته على ما شاء، ولك على صدقك في نبوتك»⁽¹⁾.

أما المقطع (ص ح ح ص) فلم يقع في هذه الآية إلا مرة واحدة، حال الوقف على كلمة "مُؤْمِنِينَ"، وذلك بنسبة لم تتجاوز: 2%؛ أي: 1,92%.

2 - الأثر الصوتي للنبر في الآية:

أ/ نبر الغنة

* نبر الغنة في بعض أحكام النون الساكنة والتنوين:

- نبر الغنة في حكم الإدغام (مع النون الساكنة) في قوله تعالى:

﴿أَنْ يُنَزَّلَ﴾ تلفظ: ﴿أَنْ يُنَزَّلَ﴾: ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص.

وقوع النبر على المقطع الخامس من الآخر (المقطع المتوسط المغلق).

- نبر الغنة في حكم الإدغام (مع التنوين) في قوله تعالى:

﴿مَا يَدَّ مِّنَ﴾ تلفظ: ﴿مَا يَدَّ مِّنَ﴾ ثم: ﴿مَا يَدَّ مِّنَ﴾: ص ح ح + ص ح ح + ص ح ح + ص ح ح + ص ح ح.

ص ح. حيث وقع النبر هنا على المقطع الثالث من الآخر (المقطع المتوسط المغلق).

- نبر الغنة في حكم الإخفاء (مع النون الساكنة) في قوله تعالى:

﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾: ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص.

وقع النبر على المقطع الثالث من الآخر (المقطع المتوسط المغلق).

* نبر الغنة في بعض أحكام الميم الساكنة:

- نبر الغنة في حكم الإدغام الشفوي في قوله تعالى:

﴿كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تلفظ وقفا هكذا: ﴿كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص.

ص ح. حيث وقع النبر هنا على المقطع الرابع من الآخر (المقطع المتوسط المغلق).

ثانيا: نبر المدّ

* نبر المدّ بسبب الهمزة (المدّ المتصل):

- عند الوقف على كلمة آخرها همزة مسبوقة بحرف مدّ أو لين، وذلك حال الوقف على لفظة: ﴿السَّمَاءِ﴾

(1) - الطبري: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج3، ص207.

فيكون حينها النبر على المقطع الطويل: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: تلفظ: ﴿مِنَسَّمَاءَ﴾: ص ح+ص ح ص+ص ح+ص ح

النبر الثانوي

ص ح ح ص

النبر الأولي (الرئيسي)

وقع النبر الأولي على المقطع الأول من الآخر (المقطع الطويل)، في حين وقع النبر الثانوي على المقطع الثالث من الآخر (المقطع المتوسط المغلق)، لأنه يكون مع الذي يفصل بينه وبين المنبور نبرا أوليا النسق التالي: مقطع متوسط+مقطع قصير.

* نبر المدّ بسبب السكون (المدّ العارض للسكون):

- حال الوقف على المقطع الزائد في الطول عند كلمة: ﴿مُؤْمِنِينَ﴾، وحتى نستطيع تقطيع الكلمة لا بدّ أن نلحقها بالكلمة السابقة لها كما يلي: "كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ": ص ح+ص ح ص+ص ح ح+ص ح+ص ح ح ص.

النبر الأولي (الرئيسي)

النبر الثانوي

وقع النبر الأولي على المقطع الأول من الآخر (المقطع الطويل)، في حين وقع النبر الثانوي على المقطع الثالث من الآخر (المقطع المتوسط المفتوح)، لأنه يكون مع الذي يفصل بينه وبين المقطع المنبور نبرا رئيسيا الصيغة التالية: مقطع متوسط+مقطع قصير.

3 - الدراسة التنغيمية لمقاطع الآية الكريمة:

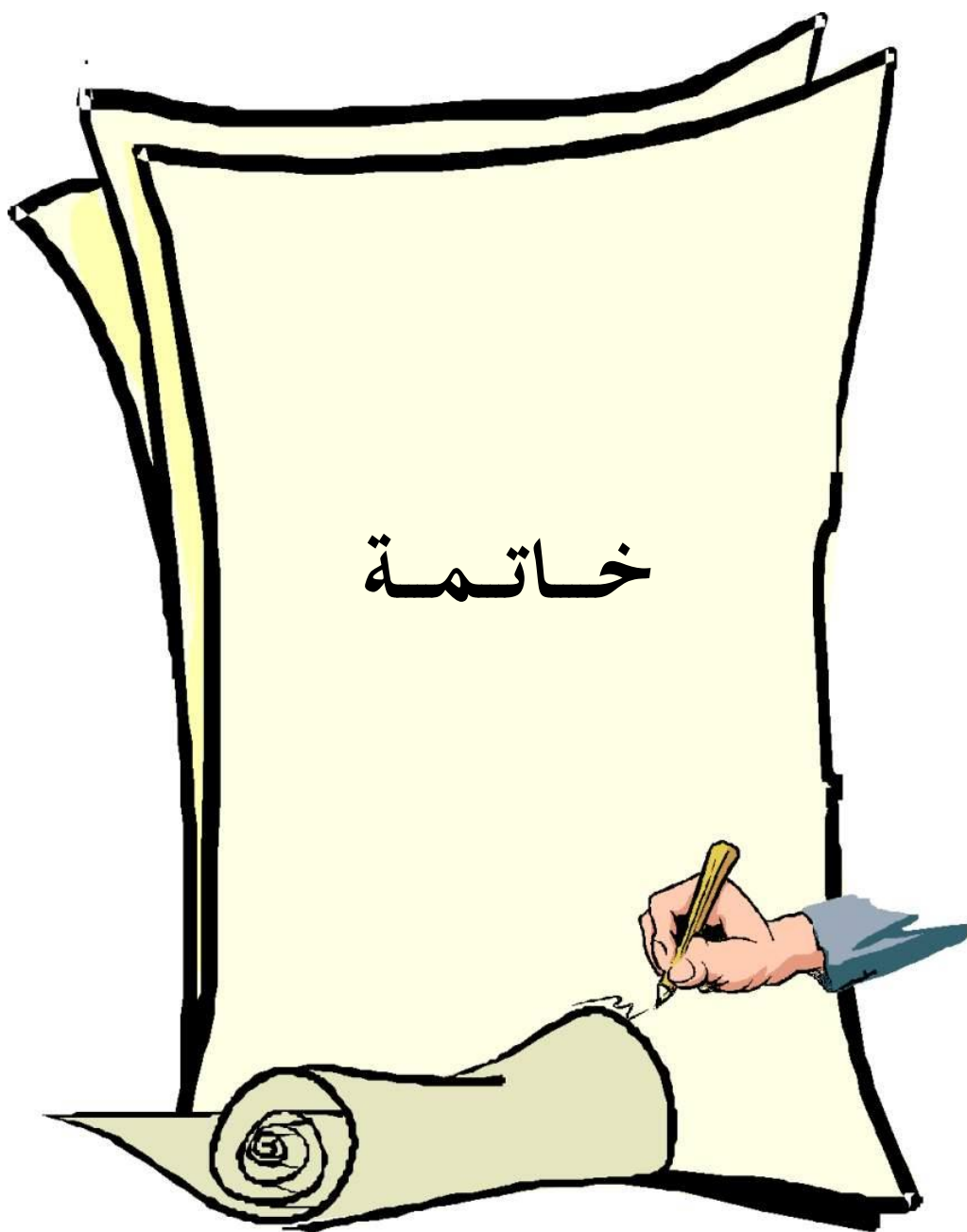
يمكن تقسيم هذه الآية إلى ثلاث مجموعات مقطعية بالنظر إليها من زاوية أدائها النغمي: نغمة هابطة تتحلّى من خلال قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾، تليها نغمة صاعدة تنجسد في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾، تتبعها نغمة هابطة أخرى في قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ فالنغمة الهابطة وردت في مقام الإخبار والتقرير، في حين جاءت النغمة الصاعدة في سياق الاستفهام؛ فأما الاستفهام هنا: فهو استفهام حقيقي بالأداة "هل"؛ أي أنه لم يخرج إلى معاني أخرى كما رأينا في السابق، وأما السؤال فهو سؤال "الحواريين": "عيسى بن مريم" والذين اتخذوه وسيطا بينهم وبين الله يطلب منه - سبحانه - ما طلبوه منه. قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾، وهو سؤال لأجل اطمئنان القلب بالإيمان العيان لا من أجل الشكّ في قدرة الله على ذلك، ومثاله سؤال "إبراهيم" عليه السلام ربّه ورغبته في رؤية كيفية إحياء الموتى كي يطمئنّ قلبه

المتوسط المفتوح، والذي تكرر بدوره على مستوى هذه الآية الكريمة 22 مرة بنسبة: 22,22%. يقول "أحمد أبو زيد" متحدثاً عن معاني هذا المقطع: «...أما المقاطع الممدودة فإنّها تعبّر عن معاني كثيرة، وتصوير مشاهد مختلفة كالتهذيب والتفريع والتهديد، وكمواقف الندم والحسرة، ومواقف الدعوة إلى الخير، وكوصف النعمة السابقة وكالاتها»⁽¹⁾.

وها هو "سيد قطب" من جهته يشير إلى دلالات المقطع المتوسط في هذه الآية مفسراً إياها قائلاً: «وإنّ الله - سبحانه - ليُعلم ماذا قال "عيسى" للناس، ولكنّه الاستجواب الهائل الرهيب في اليوم العظيم المهروب: الاستجواب الذي يقصد به إلى غير المسؤول، ولكن في صورته هذه وفي الإجابة عليه، ما يزيد من بشاعة موقف المؤلّمين لهذا العبد الصالح الكريم؛ إنّها الكبيرة التي لا يطيق بشر عادي أن يقذف بها.. أن يدّعي الألوهية، وهو يعلم أنّه عبد، فكيف برسول من أولى العزم؟. كيف بعيسى بن مريم وقد أسلف الله له هذه النعم كلّها بعدما اصطفاه بالرسالة وقبل ما اصطفاه؟. كيف به يواجه استجواباً عن ادّعاء الألوهية وهو العبد الصالح المستقيم؟، من أجل ذلك كان الجواب الواجف الراجف الخاشع المنيب... يبدأ بالتسبيح والتنزيه: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾»⁽²⁾.

(1) - أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن الكريم دراسة في النظم المعنوي والصوتي، ص 321.

(2) - سيد قطب: في ظلال القرآن، مج 2، ج 7، ص 1001.



خاتمة

وقف البحث على قضية وظيفة الصوت (علاقة الصوت بالمعنى)، وقد كان همّ الباحث جلاء هذه الصلة، ويمكن إبراز أهمّ النتائج العامة والخاصة التي تمّ التوصل إليها من خلال هذه الدراسة في النقاط التالية:

النتائج العامة:

- الفونيم أصغر وحدة صوتية تعبّر عن تكوّن اللفظ الحرفي بخصائصه، حين يكون على أصله في التجرد وفرعه في التجاور، وهو ما يقابل تعبير علماء التجويد: **إعطاء الحرف حقه ومستحقّه**؛ فحقّ الحرف هو صفات أصله (الصفات اللازمة) ومستحقّه هي الصفات التي تعتريه (الصفات العرضية) عند تجاوره مع حرف أو حركة.

- يساعد الفونيم على فهم اللغة وطبيعة تركيبها، كما يفسّر الظواهر الصوتية المختلفة نحو: مسائل الإبدال والإعلال، الإدغام، الإمالة والوقف... الخ.

- إنّ معظم الظواهر الصوتية في اللغة العربية على غرار: الإدغام، المماثلة والمخالفة، التفخيم والترقيق، الإبدال والإعلال، الإمالة، الهمز... الخ، إنّما جنحت اللغة العربية إلى توظيفها في صياغة كلامها لغرضين أساسيين: أولهما: تحقيق التناسب والتجانس بين الأصوات، والآخر طلبا للحقّة والسلاسة والسهولة، فالعربية واحدة من اللغات التي تحرص - كلّ الحرص - على سلامة نسيجها من كلّ ما يجعله ثقيلًا منقرًا، وما هذه الظواهر إلاّ سبيل من أجل الفرار من ذلك.

- إنّ الفونيمات التركيبية - كما بيّن البحث - تؤثر في الكثير من الجوانب الصوتية: النطقية، السمعية، الموسيقية والدلالية، بطريقة إيجابية أو سلبية وذلك بواسطة الملامح التمييزية التي تتشكّل منها نحو: الجهر، الهمس، الانفجار الاحتكاك، التكرار، الغنة والجانبية...، فإلى هذه الملامح وغيرها يعود اختلاف هذه الفونيمات في الجهد المبذول لنطقها وفي وضوحها السمعي، وكذا في طبيعة الجرس الموسيقي. فمن الملامح كما تبين في البحث ما يجعل الصوت صعبا في النطق مثل: الاحتكاك والهمس، ومنها ما هو نقيض ذلك كالأنفية والجانبية، ومن الملامح ما يُكسب الصوت وضوحا عاليا في السمع على غرار: الجهر والتكرار، ومنها ما هو النقيض كالمس والترقيق ومن الملامح ما يكسب الصوت جرسا موسيقيا متميّزا، كما هو الحال مع صفة التكرار.

- وما يقال عن الفونيمات التركيبية ينطبق على الظواهر السياقية أو كما تعرف أيضا بالفونيمات فوق/ التركيبية فالمقاطع الصوتية مثلا وهي واحدة من هذه الفونيمات فإنّها هي الأخرى تؤثر في جودة النص الصوتية إيجابا أو سلبا، من خلال طبيعتها من ناحية، وهيئة ترتيبها من ناحية أخرى فتختلف هذه المقاطع في جهدها النطقي ووضوحها السمعي وطبيعتها الموسيقية والدلالية، فمنها ما هو شديد الوضوح في الأذن شديد الثقل على اللسان

كما هو الحال مع المقطع الطويل (ص ح ح ص)، ومنها ما هو قليل الوضوح سهل النطق كالمقطع القصير (ص ح)، ومنها ما هو موسيقي بطبيعته كالمقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) أو المفتوح (ص ح ح)، ومنها ما يناسب لونا معينا من التعبير أكثر من غيره. وكذلك هيئة الترتيب، فمن المقاطع ما يحقق تتابعه سلاسة نطقية في نسق موسيقي عذب حاملا إيجاباً معيناً، كتتابع المقطعين: المتوسط المغلق، والمتوسط المفتوح، ومن المقاطع ما يحقق تتابعه ثقلاً نطقياً موحياً بالشدّة والضيق مثلاً كتتابع ثلاثة مقاطع قصيرة أو أكثر.

أمّا فيما يخصّ التنغيم مثلاً، فهو الآخر ظاهرة صوتية تشترك فيها معظم اللغات لكونها تؤثر في تغيير الدلالة دون أن تتغيرّ المفردات، وهذا ما يجعل منه ظاهرة موقعية تمثل مشكلة تطبيق نظام التنغيم في النحو على السياق الاستعمالي، حين تتعارض قواعد النظام مع مطلب السياق، ويلعب التنغيم دوراً فاعلاً في التقرير والتوكيد والتعجب والاستفهام والنفي والإنكار والتهكّم والزجر، وغيرها من أنواع الفعل الإنساني كالغضب واليأس والفرح والحزن عن طريق التلوين في الدرجات التنغيمية بمستوياتها الصاعدة والمستوية والهابطة، ولذلك يعدّها علماء اللغة والأصوات من الفونيمات فوق/ التركيبية، والتي من شأنها أن تعرّفنا على مواقف المتكلمين من خلال تنوع ظهورها من لسان إلى آخر.

- للتنغيم وظيفتان الأولى: أدائية نطقية، والأخرى: دلالية فونولوجية، ثمّ إنّ لإتقان التنغيم ومعرفة أحكامه بالغ الأهمية لما له من صلة بالمعنى، لكن هذا لا يعني أنّ التنغيم محصور فقط في درجة الصوت، وإمّا هو مجموعة معقّدة من الأداء الصوتي لما يحمل من نبرات وفواصل وتتابع مطّرد للسكنات والحركات التي يتمّ بها إنتاج الكلام.

- إذا كانت الدلالات في الكتابة تتحدّد بواسطة علامات الترقيم، وفي الكلام عن طريق الأداء التنغيمي، فإنّها في القرآن الكريم لا تتحدّد إلّا من خلال التجويد، فهو العلم الذي يُصان به اللسان عن الخطأ في لفظ القرآن.

النتائج الخاصة:

- غلب على نص سورة المائدة مواضيع وأحكام كثيرة ومتعدّدة، معظمها توحى بقوة مضمون السورة الكريمة ومنها: التبشير والإنذار، الوعد والوعيد، الترغيب والترهيب، الأمر والنهي، الاستفهام والتعجب، الاستنكار والاستهزاء، التحليل والتحريم، النصح والإرشاد... الخ، فضلاً عن كلّ هذا سيطرة أصوات الجهر عن أصوات الهمس وأصوات الانفجار عن أصوات الاحتكاك، وما يزيد هذا الكلام حجّة وتبيناً: طغيان واحداً من أقوى حروف القلقلة لجهره وانفجاره وهو حرف "الباء"، وكذا سيطرة أقوى الحروف إظهاراً: وهما: "الهمزة" و"الهاء" (الإظهار الحلقي)، "الواو" و"الفاء" (الإظهار الشفوي)، وأقوى الحروف إخفاءً وهو صوت "التاء" وهلمّ جرّاً.

- الهمز ظاهرة صوتية تميّز بها الإمام "ورش" رحمه الله، تجنح نحو تخفيف الكلام بإحدى وسائل التخفيف:

التسهيل، الإبدال، النقل أو الإسقاط. هذا فضلا عن الأصل في الكلام وهو: التحقيق، غير أنّ ما هو ملاحظ في سورة المائدة أنّ هذه الظاهرة قد شهدت دورانا أكثر على مستوى الهمز المفرد تحقيقا وإبدالا ونقلًا وحذفًا، في حين قلت مواضع الهمز المزدوج، وانعدم في المقابل وجود الهمز المتعدّد.

كان لعلاقة الصوت بالمعنى وضوحا وبروزا على مستوى سورة المائدة، تأكّد ذلك من خلال الكثير من الصفات والعديد من الظواهر الصوتية على غرار: أحكام النون الساكنة والتنوين، وكذا أحكام الميم الساكنة، فضلا عن ظواهر أخرى نحو: القلقلة، المدّ، الإمالة، التفخيم والترقيق وغيرها، حيث تمّ التوصل إلى عقد هذه العلاقة من خلال آيتين هما: اسم الصفة أو الظاهرة الصوتية، والتي كان لها نصيب كبير من دلالة الصوت مع الاستعانة طبعا بالمعاني اللغوية أو الاصطلاحية؛ فالإظهار بنوعيه قد دلّ على الظهور والبيان، والإدغام بجميع أنواعه قد دلّ على الإدخال، أو عن النقص إن كان ناقصا أو عن الكمال إن كان تاما، والإقلاب دلّ على التحوّل من حال إلى حال، والإخفاء دلّ على السترة وعدم الظهور، والقلقلة دلّت على الاضطراب والحركة والتغيّر من حال إلى حال، والمدّ على الطول والامتداد، والإمالة على الانحراف والاقتراب، والتفخيم عن القوّة والشدّة والسّمْن، والترقيق عن الليونة والضعف والسهولة وغيرها.

أمّا الآلية الثانية فهي: الأداء، أو بتعبير آخر: الخصيصة التي يتميّر بها نطق الصفة أو الظاهرة الصوتية، ومن أهمّ هذه الخصائص التي وجدنا لها حضورا ودورانا على مستوى سورة المائدة هي المسافة الزمنية، فالغنة مثلا خصيصة تعترى الكثير من أحكام التجويد كالإدغام الناقص والشفوي، الإخفاء الحقيقي والشفوي، والإقلاب ممّا يجعل أداؤها يقطع مدّة أو مسافة معينة من الزمن، وفي ذلك ما يوحي بمعاني كثيرة تناسب والسياق التي نُسجت فيه كمعاني: الديمومة والاستمرارية، الطول والامتداد، الانفصال...، ومن الظواهر الأخرى التي توحى بهذه المعاني: ظاهرة: المدّ الفرعي لمدّه إمّا بالتوسط أو بالطول، وفي ذلك ما يستغرق مسافة زمنية قد توحى بالمعاني السابقة، وقد توحى بدلالات أخرى تُستنبط من السياق الكلامي كالسعة والكثرة والبعد والانتشار وغيرها.

وأما انعدام الغنة أو المدّ فإنّ ذلك يلغى المسافة الزمنية تلقائيا، وذلك من شأنه أن يوحي بدلالات كثيرة منها: الفورية والعجلة والسرعة وكذا الاتّصال والتضامن كما هو الحال مع الإظهار الحلقي والشفوي، الإدغام الكامل والمتماثل والمتجانس والمتقارب، والمدّ الطبيعي... الخ. فضلا عن خاصية المسافة الزمنية التي تميّزت بها معظم الصفات والظواهر الصوتية في سورة المائدة هناك خاصيتان أخريتان تميّرتا بهما ظاهرة التفخيم وهي: الامتلاء لامتلاء الفم بصدى الصوت المفتّم، وكذا الارتفاع والعلو لارتفاع مؤخر اللسان تجاه الحنك اللين أثناء النطق بالحرف المفتّم.

- إنَّ الهندسة الصوتية إن صحَّ هذا التعبير، أكسبت سورة المائدة خاصية إيقاعية متميزة تولدت أساساً من خلال التوزيع والتلوين المقطعي (المقطع القصير + المققطع المتوسط + المققطع الطويل) لهذه السورة، بصورة تألفها الأذن وتطيب لها النفس.

- لا يمكن تحديد أي نوع من المقاطع الصوتية كان أكثر سيطرة على هذه السورة الكريمة لطولها أولاً، ولعدم تقطيع جميع آياتها ثانياً، ولكن والله أعلم، وعلى ما يبدو من خلال تحليل الآيات السابقة: أنَّ المققطع القصير (ص ح) هو أكثر الأصوات دوراً على مستوى هذه السورة، ويمكن تفسير ذلك - إن صحَّ هذا الاحتمال - بكون سورة المائدة من السور الطوال: سورة وآياتاً، بل إنَّ وجود التشريع والأحكام التي غلبت عليها جعلها تتطلب مقطعا قصيرا رشيقا وخفيفا، ليزيل بذلك "الملل" و"السأم" عن القارئ أو المستمع للسورة، ويخفف من مدّة الطول بقصر المققطع، وبالتالي لا يشعر القارئ أو المستمع بهذا الطول.

- لقد ورد المققطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) كما رأينا بنسبة ضئيلة جداً مقارنة مع بقية أنواعه، بل إنَّ معظم وروده كان في نهاية الكلمة القرآنية، أو في الفواصل أو عند الوقف إذا سبق الصامت الأخير حرف مدّ أو لين، ولعلَّ استخدام هذا الضرب من المقاطع في نص سورة المائدة، قد كان من أجل إراحة النفس من التواصل الممتدّ، وضبط التوازن الصوتي العام من بداية السورة إلى نهايتها، وكذا تحديد الإيقاع الصوتي بتكرار وحداته المتشابهة في نهاية كل فاصلة، أو كل وقف ينتهي بصامت مسبق بمدّ أو لين.

وإذا كانت علاقة الصوت بمعناه جليّة، وصلة الأداء القرآني للظواهر الصوتية بدلالاته الصوتية واضحة، فهل يمكن لهذه العلاقة أن تتعدى إلى التلون الإيقاعي على مستوى النص القرآني (علاقة التنوعات الإيقاعية بدلالة النص)؟.

هذا ما جال به خاطري وسجّله قلبي، من الله أستمدّ العون والقوّة، وعسى أن أكون قد وفقت - وهذا غاية ما أبلغه - في بحثي الذي أبغي منه أن يكون رضياً مرضياً لدى القارئ، وأن يفيد طلاب العلم. كما أعتذر عن كلّ خطأ أو تقصير قد يبدو في ثنايا هذا البحث، رأيت فيه الصواب وكان بخلاف ذلك، فإنّما هي طبيعة الإنسان: الخطأ والنسيان والسهو، وإنّي أفتح قلبي وعقلي لكلّ نصيحة في مكانها، ولكلّ تصويب أو تصحيح ينهض بحال هذا البحث إلى الأحسن.



قائمة الرموز

- مج: مجلد
- ج: جزء
- تح: تحقيق
- تر: ترجمة
- د ب: دون بلد
- د ط: دون طبعة
- د س: دون سنة
- ص: الصفحة
- صص: صفحتين أو أكثر، متتابعتين أو غير متتابعتين
- ص ن: الصفحة نفسها؛ يوضع هذا الرمز حينما يكون التوثيق من نفس المرجع أو المصدر، ومن نفس الصفحة منه.
- ص س: الصفحة السابقة؛ يوضع هذا الرمز حينما يفصل بين المرجع نفسه والصفحة نفسها مرجع آخر أو أكثر.



القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- 1) بطرس البستاني: محيط المحيط، تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ/2009م.
- 2) الجاحظ أبو عثمان بن بحر: البيان والتبيين، تح: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/2003م.
- 3) ابن جزري أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الدمشقي: منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، تح: أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط4، 1427هـ/2006م.
- 4) ابن جنبي أبو الفتح عثمان: الخصائص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/2003م.
- 5) ///: سر صناعة الإعراب، تح: حسن هندراوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 1413هـ/1993م.
- 6) الجوهرى إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1410هـ/1990م.
- 7) الرّازي أبو الحسين أحمد بن زكريّا ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1429هـ/2008م.
- 8) الرّخشي أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي: أساس البلاغة، تح: مزيد نعيم وشوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/1998م.
- 9) سيويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ودار الرفاعي، الرياض، السعودية، ط2، 1402هـ/1982م.
- 10) ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله: رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسن الطيّان، ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، دط، دس.
- 11) الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، الرشيد للنشر، بغداد، العراق، دط، 1401هـ/1981م.

- (12) الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1428هـ/2007م.
- (13) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 1426هـ/2005م.
- (14) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد الأنصاري الإفريقي المصري: لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ/2005م.
- ثانيا: التفاسير وكتب الحديث الشريف**
- (15) البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَزْدَزَبَة الجعفي في صحيحه (صحيح البخاري)، شركة الشهاب، الجزائر، دط، 1411هـ/1991م.
- (16) الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة في سننه (سنن الترمذي)، تح: صدي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/2002م.
- (17) ابن حنبل أبو عبد الله أحمد في مسنده، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، دط، 1419هـ/1998م.
- (18) الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيخا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1430هـ/2009م.
- (19) السعدي عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.
- (20) //: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط1، 1422هـ/2001م.
- (21) سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط32، 1423هـ/2003م.
- (22) السيوطي أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر: أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/2002م.
- (23) الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط4، 1402هـ/1981م.
- (24) الطبري: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرساني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1994م.

- (25) ابن عاشور محمد الطاهر تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1404هـ/ 1984م.
- (26) العسقلاني أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تح: مُجِبِّ الدِّين الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، دس.
- (27) القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ/ 2006م.
- (28) القَلْمُونِي أبو ذرّ: كلمات القرآن الكريم في كتاب أيسر التفاسير للجزائري، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، ط1، 1430هـ/ 2009م.
- (29) ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ومكتبة دار الزيّان، الجزائر، ط1، 1423هـ/ 2002م.
- (30) محمد عبد الكريم الجزائري: توجيهات القرآن العظيم، مؤسسة المعالي للنشر والإعلام، دب، دط، دس.
- (31) المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/ 2001م.
- (32) النسفي أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود: تفسير النسفي المسمّى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: سيّد زكريّا، مكتبة نزار مصطفى الباز، دب، دط، دس.
- ثالثاً: المراجع**
- (33) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، مصر، دط، دس.
- (34) ///////////////: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، دط، 1424هـ/ 2003م.
- (35) أحمد بن أحمد بن محمد عبد الله الطويل: فنّ الترتيل وعلومه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ومكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، السعودية، ط1، 1420هـ/ 1999م.
- (36) أحمد البايي: القضايا التطريزية (دراسة لسانية في الصوارة الإيقاعية)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1433هـ/ 2012م.
- (37) أحمد البيلي: الاختلاف بين القراءات، دار الجيل، بيروت، لبنان، والدار السودانية للكتب، الخرطوم، السودان، ط1، 1408هـ/ 1977م.
- (38) أحمد زرقه: أسرار الحروف، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 1413هـ/ 1993م.

- (39) أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن الكريم دراسة في النظم المعنوي والصوتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب ومطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1412هـ/1992م.
- (40) أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي (محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1427هـ/2006م.
- (41) أحمد محمود عبد السميع الشافعي: الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2000م.
- (42) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، دط، 1399هـ/1979م.
- (43) أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط3، 2007م.
- (44) أذما طرية: الإبدال معجم ودراسة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ/2005م.
- (45) الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار النحوي: كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجل، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، دط، 1391هـ/1971م.
- (46) أيمن أمين عبد الغني: الصرف الكافي، تح: عبده الراجحي وآخرون، دار ابن خلدون، القاهرة، مصر، دط، دس.
- (47) أيمن رشدي سويد: أطلس التجويد نظرية مرئية، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سورية، ط2، 1429هـ/2008م.
- (48) برجستراسر: التطور النحوي للغة العربية، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1414هـ/1994م.
- (49) تحسين عبد الرضا الوزان: الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 1432هـ/2011م.
- (50) تمام حسّان: اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط4، 1421هـ/2001م.
- (51) ///////////////: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1418هـ/1998م.
- (52) ///////////////: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1394هـ/1974م.
- (53) تيودور نولدكه: تاريخ القرآن، تح: فريدريش شفالي، دار نشر جورج ألمز، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

- (54) ابن جزري أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الدمشقي: التمهيد في علم التجويد، تح: علي حسين البوّاب، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط1، 1405هـ/1985م.
- (55) //: طيبة النشر في القراءات العشر، تح: محمد تميم مصطفى الزعبي، مكتبة دار الهدى جدّة، السعودية، ط1، 1414هـ/1994م.
- (56) //: النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دس.
- (57) جلالي بن يشو: بحوث في اللسانيات الدرس الصوتي العربي (المماثلة والمخالفة) مصطلحات المماثلة والمخالفة وظواهرهما في العربية الفصحى، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/2007م.
- (58) حاتم صالح الضّامن: فقه اللغة، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/2007م.
- (59) حازم علي كمال الدّين: دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1420هـ/1999م.
- (60) حامد بن أحمد بن سعد الشنبري: النظام الصوتي للغة العربية دراسة وصفية تطبيقية، مركز اللغة العربية، القاهرة، مصر، دط، 1425هـ/2004م.
- (61) حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 1426هـ/2005م.
- (62) //: علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ/2004م.
- (63) حسام الدّين سليم الكيلاني: البيان في أحكام تجويد القرآن، دون دار النشر، السعودية، دط، 1999م.
- (64) حسام سعيد النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد للنشر، العراق، دط، 1400هـ/1980م.
- (65) حسن باشا بن علاء الدّين الأسود: المفراج في شرح مراح الأرواح في التصريف، تح: شريف عبد الكريم النّجار، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1427هـ/2006م.
- (66) حسن خطّاب: إتخاف حرز الأماني برواية الأصبهاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 1408هـ/1988م.
- (67) الحصري محمود خليل: أحكام قراءة القرآن الكريم، دار البشائر الإسلامية، دب، ط4، 1999م.
- (68) حلمي خليل: دراسات في اللغة والمعاجم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1418

هـ/1998م.

(69) حليلة سال: القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة، دار الواضح للطباعة والنشر والتوزيع، الإمارات، ط1، 1435هـ/2014م.

(70) خالد توكال مرسى: فن الإلقاء والتحرير الكتابي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1429هـ/2008م.

(71) خالد عبد الحليم العبسي: النبر في العربية (مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة أكوستيكية في القرآن)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1432هـ/2011م.

(72) خالد قاسم بني دومي: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، وجدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ/2006م.

(73) ابن خالويه الحسين بن أحمد: الحجّة في القراءات السبع، تح: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/2007م.

(74) خلدون أبو الهيجاء: فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، وجدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ/2006م.

(75) خليل إبراهيم العطية: في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق، دط، 1403هـ/1983م.

(76) الدّاني أبو عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي: التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدّوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1421هـ/2000م.

(77) // جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، تح: محمّد صدوق الجزائري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ/2005م.

(78) داود عبده: دراسات في علم أصوات العربية، دار جرير للنشر والتوزيع، دب، دط، 1431هـ/2010م.

(79) الدميّاطي أحمد بن محمّد البنا: إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تح: شعبان محمّد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ومكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط1، 1407هـ/1987م.

(80) ديزيره سقال: الصرف وعلم الأصوات، دار الصّدّاق العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ/1996م.

(81) الرفاعي مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تح: محمّد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة،

القاهرة، مصر، ط4، دس.

(82) الرّعيني عبد الله محمد بن شريح الأندلسي: الكافي في القراءات السبع، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2000م.

(83) رمضان عبد التّوّاب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1417هـ/1997م.

(84) رومان ياكوبسون: محاضرات في الصوت والمعنى، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/1994م.

(85) الزرقاني محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فوز أحمد زمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1995م.

(86) الزركشي بدر الدّين محمد عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، دط، دس.

(87) الزّمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي: المفصل في علم العربية، تح: سعيد محمود عقيل، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.

(88) زين كامل الخويسكي: قواعد النحو والصرف، دار الوفاء لندنيا الطباعة، الإسكندرية، مصر، دط، 1421هـ/2001م.

(89) سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 1430هـ/2009م.

(90) أبو سعود أحمد الفخراني: البحث اللغوي عند إخوان الصفاء، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1411هـ/1991م.

(91) سعيد محمد شواهنة: القواعد الصرف صوتية بين القدماء والمحدثين، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1428هـ/2007م.

(92) السكاكي أبو يعقوب سراج الملة والدّين يوسف بن أبي بكر محمد بن علي: كتاب مفتاح العلوم، المطبعة الميمنية، مصر، دط، 1318هـ/1897م.

(93) السكّيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق: إصلاح المنطق، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، دط، دس.

- 94) سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي: إبدال الحروف في اللهجات العربية، مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية، ط1، 1415هـ/1995م.
- 95) سليمان حسن العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، تر: ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 1403هـ/1983م.
- 96) سميح أبو مغلي وآخرون: دروس في علوم العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1420هـ/2000م.
- 97) سمير شريف إستيتية: الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1424هـ/2003م.
- 98) //: القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية منهج لساني معاصر، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، دط، 2005م.
- 99) //: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1425هـ/2005م.
- 100) السيد أحمد عبد الغفار: الكلمة العربية كتابتها ونطقها، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، ط2، 1426هـ/2006م.
- 101) السيد حسن الصدر: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، دب، دط، دس.
- 102) سيد قطب: مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط14، 1423هـ/2002م.
- 103) سيدي إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1415هـ/1995م.
- 104) السيوطي أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر: الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط ومصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/2008م.
- 105) شاهر الحسن: علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1422هـ/2001م.
- 106) شرف الدين علي الراجحي: في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، دط، 1433هـ/2012م.

- 107) شعبان محمد إسماعيل: القراءات أحكامها ومصدرها، مطابع رابطة العالم الإسلامي، السعودية، ط2، 1414هـ/1993م.
- 108) شفيقة علوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، مؤسسة أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ/2004م.
- 109) صالح سليم عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 1428هـ/2007م.
- 110) صباح عبد الله محمد بافضل: الإعلال والإبدال بين النظرية والتطبيق، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1418هـ/1997م.
- 111) صبحي الصّاح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1430هـ/2009م.
- 112) صبري الأشوح: إعجاز القراءات القرآنية (دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء)، مكتبة وهيبة، القاهرة، مصر، ط1، 1419هـ/1998م.
- 113) صبري المتوّي: دراسات صوتية في تجويد الآيات القرآنية، زهراء الشرق، القاهرة، مصر، دط، 1429هـ/2008م.
- 114) صلاح حسنين: المدخل في علم الأصوات المقارن، توزيع مكتبة الآداب، دب، دط، 2006م.
- 115) صلاح صالح سيف: العقد المفيد في علم التجويد، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط1، 1408هـ/1987م.
- 116) طالب محمد إسماعيل: مقدّمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1432هـ/2011م.
- 117) الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن: الفهرست، تح: محمد صادق آل بحر العلوم، المكتبة المرقضوية للنشر والطباعة، نجف، العراق، دط، دس.
- 118) الطيّب البكوش: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تح: صالح القرمادي، المطبعة العربية، تونس، ط3، 1412هـ/1992م.
- 119) عادل هادي حمّادي العبيدي: الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدريّ البصري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ/2005م.
- 120) عبد الجليل غزالة: اللسانيات والإسلام والثقافة الأفريقية، دار الكتب الوطنية بنغازي، طرابلس، ليبيا، دط،

- 2009م.
- (121) عبد الحميد السيد: دراسات في اللسانيات العربية: المشاكلة، التنغيم، رؤى تحليلية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م.
- (122) عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي: الأحرف القرآنية السبعة، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1411هـ/1991م.
- (123) عبد الرحمن عاشور خضراوي الحسني: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، مكتبة الرضوان، مصر، دط، 2005م.
- (124) عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصّرف العربي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1400هـ/1980م.
- (125) عبد العزيز علي سفر: الإمامة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري، تح: المؤلف نفسه، السلسلة التراثية للنشر، الكويت، دط، 2001م.
- (126) عبد العليّ بن عبد الرحمن المسئول: القراءات الشاذّة: ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ودار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1429هـ/2008م.
- (127) عبد الغفّار حامد هلال: الصوتيات اللغوية دراسة تطبيقية على أصوات اللغوية العربية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 1430هـ/2009م.
- (128) عبد الفتّاح إسماعيل شلي: في الدراسات القرآنية واللغوية (الإمالة في القراءات واللهجات العربية)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ودار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدّة، السعودية، دط، 1429هـ/2008م.
- (129) عبد الفتّاح عبد العليم البركاوي: ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، الجريسي للطباعة والتصوير، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ/2004م.
- (130) مقّدمة في علم أصوات العربية، الجريسي للطباعة والتصوير، القاهرة، مصر، ط3، 1424هـ/2003م.
- (131) عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1418هـ/1998م.

- (132) //: التنوعات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1430هـ/2009م.
- (133) //: الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1417هـ/1997م.
- (134) //: علم الصرف الصوتي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1431هـ/2011م.
- (135) عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، دط، 2008م.
- (136) عبد الله بوخلخال: الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1421هـ/2000م.
- (137) عبد الله عبد القادر حيلوز: الميسر المفيد في علم التجويد، دائرة المكتبة الوطنية، عمّان، الأردن، ط5، 1429هـ/2008م.
- (138) عبد المهدي كايد أبو أشقير: تحليل أكوستيكي لوجوه الاختلاف الصوتي بين ورش وقالون في قراءة نافع، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1427هـ/2006م.
- (139) عبد الواحد حسن الشيخ: التنافر الصوتي والظواهر السياقية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1419هـ/1999م.
- (140) عزت شحاتة كرار: الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1424هـ/2003م.
- (141) عصام نور الدين: علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.
- (142) //: علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا)، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.
- (143) العقيلي بهاء الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ/2004م.
- (144) علي محمود النايي: الكامل في النحو والصرف، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1425هـ/

- 2004م.
- 145) علي ناصر غالب: اللهجات العربية لهجة قبيلة أسد، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1431هـ/2010م.
- 146) عماد علي جمعة: أحكام التلاوة والتجويد الميسرة، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م.
- 147) عمّار ساسي: المدخل إلى الصوتيات تاريخياً جهود متعاقبة عبر العصور من الفرعونية إلى العصر الحديث، إصدارات مخبر اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة سعد دحلب - قطب العفرون - البليدة، الجزائر، دط، 1434هـ/2013م.
- 148) عمر بن أبي ربيعة: الديوان، دار القلم، بيروت، لبنان، دط، دس.
- 149) غالب فاضل المطلبي: في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المدّ العربية، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، العراق، دط، 1404هـ/1984م.
- 150) الغامدي منصور بن محمّد: الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط1، 1421هـ/2001م.
- 151) غانم قدّوري الحمد: ظواهر لغوية في القراءات القرآنية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1427هـ/2006م.
- 152) ////////////////: المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م.
- 153) غنية بوحوش: القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية والشرعية في قراءة أبي عمرو البصري أمودجا، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، وجدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م.
- 154) ////////////////: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، ودار بهاء الدّين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط3، 2014م.
- 155) الفارابي أبو نصر محمّد بن محمّد بن طرفان: الموسيقى الكبير، تح: غطّاس عبد الملك خشبة، ومحمود محمّد الحنفي، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، دط، دس.
- 156) فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، العراق، دط،

- 1985م.
- (157) فضيلة مسعودي: التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية قراءة نافع أمودجا، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م.
- (158) فهمي علي سليمان: المنير الجديد في أحكام التجويد، دار النصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 1410هـ/1990م.
- (159) فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م.
- (160) كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2000م.
- (161) ///////////////: فن الكلام، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2003م.
- (162) كوليزار كاكل عزيز: دلالات أصوات اللين في اللغة العربية، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2009م.
- (163) ///////////////: القرينة في اللغة العربية، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2009م.
- (164) ماريو باي: أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، دب، دط، دس.
- (165) المبرد أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، مصر، دط، 1415هـ/1994م.
- (166) ابن مجاهد أحمد بن موسى: كتاب السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1392هـ/1972م.
- (167) مجد محمد الباكير البرازي: فقه اللغة العربية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1407هـ/1987م.
- (168) محمد بن إبراهيم الحمد: فقه اللغة مفهومه، موضوعاته، قضاياها، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1426هـ/2005م.
- (169) محمد أحمد معبد: الملخص المفيد في علم التجويد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، دب، دط، دس.
- (170) محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون: مقدمات في علم القراءات، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 1422هـ/2001م.

- (171) محمد إسحاق العناني: مدخل إلى الصوتيات، دار وائل للنشر، عمّان، الأردن، ط1، 2008م.
- (172) محمد أسعد النادري: نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1422هـ/2002م.
- (173) محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، مكتبة دار الشروق، بيروت، لبنان، ومكتبة الشهباء، حلب، سورية، ط3، دس.
- (174) محمد حسين سلامة: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ/2002م.
- (175) محمد حسين علي الصّغير: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرّخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م.
- (176) محمد خان: اللهجات العربية والقراءات القرآنية دراسة في البحر المحيط، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1422هـ/2002م.
- (177) محمد سالم محيسن: القراءات وأثرها في علوم العربية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، دط، 1404هـ/1984م.
- (178) محمد شملول: إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، تقديم: على جمعة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1427هـ/2006م.
- (179) محمد الصادق قمحاوي: البرهان في تجويد القرآن ويليهِ رسالة في فضائل القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، دط، دس.
- (180) محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1431هـ/2010م.
- (181) محمد عبد الله القواسمة: معالم في اللغة العربية، مكتبة المجتمع العربي للنشر، عمّان، الأردن، ط2، 1424هـ/2003م.
- (182) محمد عصام مفلح القضاة: الواضح في أحكام التجويد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط3، 1418هـ/1998م.
- (183) محمد علي الخولي: الأصوات اللغوية، مكتبة الخريجي، الرياض، السعودية، ط1، 1407هـ/1987م.
- (184) //////////////// معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، دب، ط1، 1402هـ/1982م.

- 185) محمد علي عبد الكريم الرُّدِينِي: فصول في علم اللغة العام، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، دط، 1430هـ/2009م.
- 186) محمد كريم الكوّاز: الفصاحة في العربية المفاهيم والأصول، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ/2006م.
- 187) محمد محمود عبد الله: كيف تجوّد القرآن العظيم "أوضح البيان في أحكام تلاوة القرآن"، مكتبة القدسي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1417هـ/1996م.
- 188) محمد منّال عبد اللطيف: المدخل إلى علم الصرف، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان، الأردن، ط1، 1420هـ/2000م.
- 189) محمد نبهان بن حسين مصري: الإستبرق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (الشاطبية)، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدّة، السعودية، ط2، 1428هـ/2007م.
- 190) محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دس.
- 191) محمود عكاشة: أصوات اللغة (دراسة في الأصوات ومخارجها وصفاتها وتمائلها)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 1426هـ/2005م.
- 192) محمود فهمي حجازي: أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 1424هـ/2003م.
- 193) // المدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، دس.
- 194) محمود مَطْرُجِي: في الصرف وتطبيقاته، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2000م.
- 195) مختار نويوات ومحمد خان: العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى مشروع دراسة لسانية للدارجة في منطقة الزيبان بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط1، 1426هـ/2005م.
- 196) المرصفي عبد الفتّاح السيّد عجمي: هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، السعودية، ط2، دس.
- 197) مسعود بودوخة: محاضرات في الصوتيات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2013م.
- 198) مصطفى أكرور: مخارج وصفات الحروف العربية عند جمهور علماء التجويد، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1434هـ/2013م.

- 199) مصطفى حركات: الصوتيات والفونولوجيا، دار الآفاق، الجزائر العاصمة، دط، دس.
- 200) ///////////////: اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/1998م.
- 201) مصطفى رجب: دراسات لغوية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دب، ط1، 1429هـ/2008م.
- 202) مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، تح: مجدي فتحي السيد، دار التوفيقية للتراث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2010م.
- 203) منال عصام إبراهيم برهم: دراسة في اللغة العربية نماذج وأسئلة محلولة، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1430هـ/2009م.
- 204) منصور كافي: علم القراءات: مفهومه، نشأته، مصدره، أقسامه ومدارسه، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، دط، 1429هـ/2008م.
- 205) المهدي عباس أحمد بن عمّار: في توجيه القراءات شرح الهداية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ/2006م.
- 206) نادية رمضان النجار: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، دط، 1425هـ/2004م.
- 207) نبيل أبو حلتّم وآخرون: موسوعة علوم اللغة العربية: قواعد، صرف، بلاغة، إملاء، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، 1426هـ/2005م.
- 208) نجاة على: فن الإلقاء بين النظرية والتطبيق، تقديم: مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط2، 1424هـ/2003م.
- 209) نشأة ظبيان: علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.
- 210) نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، دط، 2006م.
- 211) هادي نحر: علم الأصوات النطقي دراسة وصفية تطبيقية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1432هـ/2011م.
- 212) ///////////////: علم الدلالة التطبيقي (في التراث العربي)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، وجدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 1429هـ/2008م.

- 213) هيام كريدية: الألسنية الفروع والمبادئ والمصطلحات، دون دار النشر، بيروت، لبنان، ط2، 1429هـ/2008م.
- 214) وفاء كامل فايد: الباب الصرفي وصفات الأصوات دراسة في الفعل الثلاثي المضعف، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1422هـ/2001م.
- 215) ابن يعيش موفّق الدين بن علي النحوي: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دس.
- 216) يوسف الخليفة أبو بكر: أصوات القرآن كيف نتعلّمها ونعلّمها، مكتبة الفكر الإسلامي، الخرطوم، السودان، ط1، 1392هـ/1973م.
- 217) يوسف أبو العدوس: المهارات اللغوية وفنّ الإلقاء، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان، الأردن، ط1، 1427هـ/2007م.

رابعاً: الدوريات (المقالات والمجلات):

- 218) سهل ليلى: التنغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق، مجلّة كلىة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، العدد السابع، جوان 2010م.
- 219) صفية طبني: ظاهرة الإمالة وقيمتها في التناسب الصوتي دراسة في تفسير روح المعاني للألوسي، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد الثامن، 2012م.
- 220) محمّد جعفر: المستوى الصوتي في قراءات سورة "عبس المباركة" مقارنة دلالية على ضوء النبر والتنغيم، مجلّة مركز دراسات الأوفة، جامعة القادسية، العدد 6، 2007م.
- 221) مزاحم مطر حسن: أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني (الاستفهام أمودجا)، مجلّة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، 2007م.

خامساً: الأطروحات والرسائل الجامعية

- 222) آمنة شنتوف: الظواهر الصوتية في قراءة حمزة الزيات - دراسة وصفية وظيفية -، إشراف: خير الدين سيّب، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم اللغة الحديث، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، السنة الجامعية: 1430هـ - 1431هـ/2009م - 2010م.
- 223) الطاهر محمد المدني علي: الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النحو (دراسة صوتية)، إشراف: محمود حسني مغالسة، أطروحة مكتملة للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2004م.

- 224) عالية محمود حسن ياسين: الدرس الصوتي في التراث البلاغي العربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري، إشراف: محمد جواد النوري، رسالة مقدّمة مكتملة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، الأردن، السنة الجامعية: 1424هـ/2003م.
- 225) نصر بن علي بن محمّد أبو عبد الله الشيرازي الفارسي النحوي (ابن أبي مریم): الموضح في وجوه القراءات وعللها، تح: عمر حمدان الكبيسي، إشراف: عبد الفتّاح إسماعيل شلبي، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في فرع اللغة، جامعة أمّ القرى، السعودية، 1408هـ/1987م.
- 226) يوسف عمر لعساكر: الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته (جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجاً) - دراسة لغوية دلالية -، إشراف: محمّد العيد اريّمة، رسالة معدّة لنيل شهادة الماجستير تخصّص: دراسات لغوية نظرية، جامعة الجزائر (بن يوسف بن خدّة)، 2004م/2005م.



فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وعرفان

الصفحة	عنوان الفصل أو المبحث
أ - ي	مقدمة:
21 - 11	مدخل: لمحة تاريخية عن علم الأصوات
109 - 22	الفصل الأول: علم الأصوات وعلاقته بعلمي: القراءات والتجويد - مفاهيم نظرية -
24 - 23	توطئة
52 - 25	المبحث الأول: علم الأصوات
69 - 53	المبحث الثاني: علم القراءات
80 - 70	المبحث الثالث: علم التجويد
109 - 81	المبحث الرابع: حول سورة المائدة
196 - 110	الفصل الثاني: مخارج الحروف وصفاتها المميزة
120 - 111	المبحث الأول: مخارج الحروف بين القدامى والمحدثين
189 - 121	المبحث الثاني: الصفات العامة والصفات الخاصة للأصوات العربية
196 - 190	المبحث الثالث: التوضيح الوصفي للأصوات الصامتة في العربية
264 - 197	الفصل الثالث: الظواهر التركيبية (القطعية) في اللغة العربية: المدّ والقصر، الفتح والإمالة، الهمز
198	توطئة
221 - 199	المبحث الأول: المدّ والقصر
244 - 222	المبحث الثاني: الفتح والإمالة
264 - 245	المبحث الثالث: الهمز وأحكامه

323 – 265	الفصل الرابع: الظواهر التركيبية (القطعية) في اللغة العربية: الإدغام، التفخيم والترقيق، الوقف والابتداء والإبدال والإعلال
266	توطئة
276 – 267	المبحث الأول: الإدغام
294 – 277	المبحث الثاني: التفخيم والترقيق
308 – 295	المبحث الثالث: الوقف والابتداء
323 – 309	المبحث الرابع: الإبدال والإعلال
384 – 224	الفصل الخامس: الظواهر فوق التركيبية (فوق القطعية) في اللغة العربية: المقطع الصوتي، النبر والتنغيم
225	توطئة
333 – 226	المبحث الأول: المقطع الصوتي
348 – 334	المبحث الثاني: النبر
357 – 349	المبحث الثالث: التنغيم
384 – 358	المبحث الرابع: الدراسة التطبيقية للظواهر فوق التركيبية في سورة المائدة: الأداء والدلالة
389 – 385	خاتمة
391 – 390	ملحق
410 – 392	قائمة المصادر والمراجع
413 – 411	فهرس الموضوعات